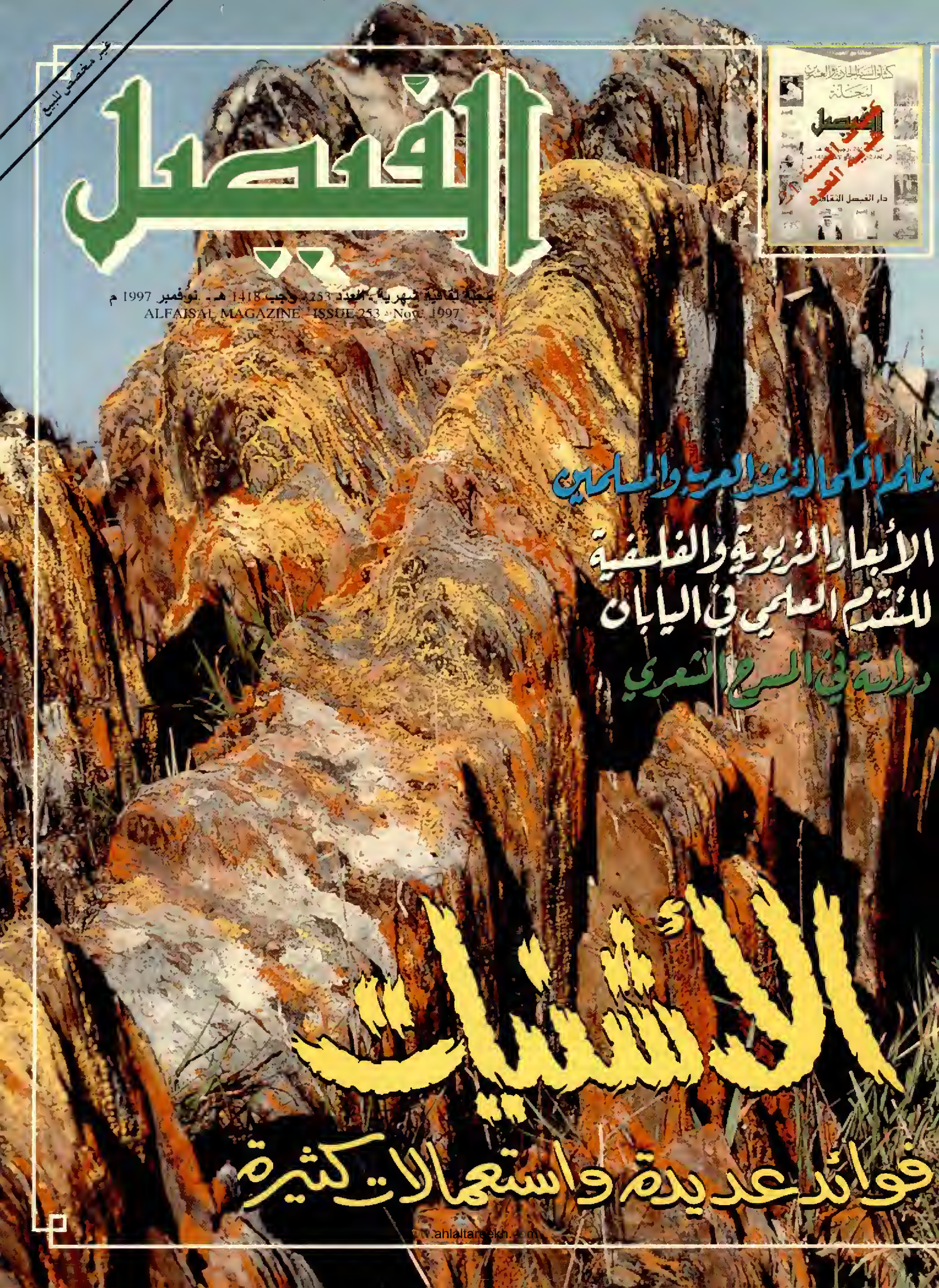


غير مخصص للبيع
الفيصل
مجلة ثقافية شهرية. العدد 253. رجب 1418 هـ. نوفمبر 1997 م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 253 - Nov. 1997
دار الفيصل الثقافية
علم الكيمياء عند العرب والمسلمين
الأبعاد التربوية والفلسفية للتقدم العلمي في اليابان
دراسة في المسرح الشعري
الأشنيات
فوائد عديدة واستعمالات كثيرة


الجزء الثالث من شرح كنز الدقايق
المسمى بتبيين الحقايق
الجزء الثالث من شرح
الكنز للزيلعي
كتاب اللقطة كتاب الآبق كتاب المفقود
كتاب الشركة كتاب الوقف كتاب البيع
كتاب الصرف كتاب الكفالة كتاب الحوالة
كتاب القضاء كتاب الشهادة
كتاب الدعوى كتاب الإقرار كتاب الصلح
كتاب المضاربة كتاب الوديعة كتاب العارية
كتاب الهبة



تبيين الحقائق في شرح كنز الدقائق (ج3)

لعثمان بن علي بن محجن،
فخر الدين الزيلعي
المتوفى سنة 743هـ/ 1343م.

وهو أحد فقهاء الحنفية، وكتابه هذا من أهم كتبه، وهو من أهم الشروح التي وُضعت على كتاب «كنز الدقائق» في فروع الفقه الحنفي لحافظ الدين النسفي المتوفى سنة 710هـ

يقع المخطوط في عدة مجلدات، وهذا هو الجزء الثالث منه، ويبدأ بكتاب اللقطة، وينتهي بكتاب الهبة.

وقد استدرك الزيلعي على مؤلف كتاب كنز الدقائق بعض المسائل، وأورد آراء أصحاب المذاهب الأخرى.

كتبه أحد الفقهاء، واسمه سودون السيفي طراباي، بخط نسخي واضح على ورق مشرقي، وفرغ منه في سنة 883 هـ.

وفي نهاية المجلد عبارة توثيقية تفيد بمقابلة هذا المجلد على نسخة مكتوبة بخط المؤلف ونصها: «الحمد لله بلغ هذا الجزء المبارك مقابلة على خط مؤلفه رحمه الله تعالى».

يقع المخطوط في 239 ورقة،
ومقاسه 29× 19,9سم.

والمخطوط من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم 580.

إعداد:
فراج عطا سالم

في العدد القادم

- تهافت النظريات في الأزمنة الحديثة.
- أهمية التغطية البيئية في الصحافة العربية.
- رحلة مع الشيخوخة على متون القصائد.

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



عن العدد الماضي

أتناول العدد الماضي من «الفيصل» بعيداً من المجاملة، فأقول: إنه جاء كعهدنا بـ«الفيصل» متنوعاً، حتى يمكن لي وضعه بمحطات ورقية بالغة الدقة والتمحيص اللغوي.

إن هذا ما نحمده لـ«الفيصل»: التنوع وحسن التبويب؛ فأنت تقرأ إطلالة العدد لرئيس التحرير في موضوع حيوي ومناسبة جليلة عن «عبدالعزيز في ذاكرة الوطن»، يتبعها صفحات خاصة بهذه المناسبة ـ اليوم الوطني ـ شارك فيها كل من: د. عبدالعزيز الخويطر، ود. محمد بن عبدالله السلمان، والأساتذة حسني عبدالحافظ وصلاح الدين الطوبي والشاعر عبدالعزيز النقيدان. ثم تقرأ موضوعاً لكاتب سوري مثل الدكتور أحمد الخليل عن: «المتنبي بين عشق الذات وعشق المال»، فقصة لكاتب سوداني: «دعاء مستجاب» للأستاذ محمد حامد حسنين، ثم يطالعنا الكاتب الفلسطيني د. خيرالدين عبدالرحمن بمقالة عن: «حقوق الإنسان بين الامتهان والتكريم» مورداً وجهة نظر الإسلام في هذا الموضوع الذي كثر الحديث عنه في الغرب. ولا يفوتنا ما كتبه د. حسن ظاظا عن «الإيمان اليهودي غير الصهيونية» مواصلاً مقالاته في الفكر اليهودي. وتتنوع موضوعات العدد، فنطالع مقالة علمية للعراقية د. منيرة الياتي عن «الحليب الطبيعي والصناعي: أيهما الخيار الصحيح؟»، وتبدي مشاركة الكتاب السعوديين في مجموعة من المقالات؛ إذ تناول الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري «إسلام جارودي»، وعن الشاعر حمزة شحاته وقصيدته «لم أهواك» أتت دراسة نقدية للأستاذ عبدالفتاح أبي مدين في محاولة لإنصاف الشاعر الراحل؛ بينما عنون د. محمد بن صالح الجاسر مقالته «قاضي الشعراء»؛ فضلاً عن مناقشة د. عبدالسلام الهراس من المغرب للعلاقة بين الشيخ عبدالعزيز الرفاعي والأندلس.

وكان فارس العدد الدكتور غازي القصيبي في «منتدى الفيصل» الذي جاء مناسباً لتنوع اهتمامات الضيف وخبراته وتعدد مجالات إبداعه؛ فهو السياسي والإداري الذي تولى المسؤوليات الوزارية والأعباء الإدارية والدبلوماسية، ومثل بلاده في البحرين، ولايزال يمثلها في المملكة المتحدة. وهو المثقف الشاعر الذي يقول: لو لم توجد المرأة لما وجد الشاعر ولا الشعر، وهو المهموم بقضايا وطنه لما خبره في مجالات عمله في الجامعة والوزارة والسفارة. فهل يحتاج مني المنتدى لحكم؟ فتمنياتي لمزيد من التوفيق في اختيار شخصيات متميزة لهذا الباب المتميز.

سعد بن سليمان الحميدي

المحاضر بكلية المعلمين بالطائف.

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

1 ـ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

2 ـ ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

3 ـ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

4 ـ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

5 ـ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (3) الرياض 11411 ـ المملكة العربية السعودية

هاتف 4653026 ـ 4653027 ـ 4647884 ـ فاكسملي: 4647851

ردمد 1140 - 0258 رقم الإيداع 14/0542

الاشتراكات السنوية :

للأفراد 150ريال سعودي، للمؤسسات 250 ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار

السعودية 8 ريالات ـ الكويت 650 فلس ـ الإمارات 7 دراهم ـ قطر 7 ريالات ـ البحرين 750 فلس ـ عُمان 750 بيسة ـ الأردن 500 فلس ـ اليمن 40 ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان 150 جنيه ـ المغرب 8 دراهم ـ تونس 600 مليم ـ الجزائر 10 دنانير ـ العراق 400 فلس ـ سورية 30 ليرة ـ ليبيا 800 درهم ـ موريتانيا100أوقية ـ الصومال 2000 شلن ـ جيبوتي 150 فرنك ـ لبنان مايعادل 4 ريالات سعودية ـ الباكستان 20 روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.



مشعل هداية

يطيب لي أن أعبر لكم عن عظيم احترامي لجهودكم الكبيرة التي تبذلونها في سبيل تقدم «الفيصل»، وبقائها مشعلَ هداية وتثقيف للشباب في جميع أصقاع المعمورة.
وأعبر عن احترامي الكبير لإطلالتكمُ الشهريّة التي تجسد صورة حقيقية لأدوات الباحث المسلم المزدهي بعراقة ثقافته، والآخذ بحظ وافر من مقومات الثقافة المعاصرة، في توازن أصيل يُغبط عليه.
وفقكم الله، وبارك جهودكم، وجعل لكم لسان صدق في الآخرين.

عمر الغنام
ص.ب 182077، عَمَّان، الأردن.

قراء «الفيصل» في السودان ومشكلة التوزيع

فتحت «الفيصل» أمام القراء أبوابًا للمعرفة تستحق عليها شارة الامتياز، وأنا شخصيًا - بوصفي باحثة في مجال اللغة العربية - وجدت ضالتي في الموضوعات التي تنشرونها وتأخذ بيد طالب العلم إلى لب البحث العلمي.
ما دعاني للكتابة إلى بريد المجلة؛ فضلاً عن التعبير عن مشاعري الصادقة؛ أمور أربعة:
الأول: لا تزال مشكلة التوزيع تقف حجر عثرة في طريق قراء «الفيصل» في السودان، فعدد شهر صفر وصل بتاريخ 13 ربيع الأول، وعدد ربيع الأول لم يصل حتى 29 من الشهر نفسه!
الثاني: كون «الفيصل» مجلة متميزة بموضوعاتها المتعمقة، يحث كثيراً من القراء المهتمين على الاحتفاظ بالأعداد لتكون مراجع. لذلك نرجو أن تولوا تغليف المجلة مزيداً من الاهتمام، فقد لوحظ أن بعض النسخ تتفكك أوراقها، فلماذا لا تشيرون على المطبعة بتدبيس الملازم دون الاكتفاء بالغراء الذي لا يُحكم تماسك ملازم المجلة؟!
الثالث: مع أن «المنتدى» إضافة مميزة، ويعد ملتقى علميًا وثقافيًا وأدبيًا رفيعًا يجمع بين القراء وعلماء ومفكرين لهم وزنهم، إلا أنني، ومعي قراء كثر، نشعر أننا افتقدنا الملفات المتخصصة، فنرجو أن تعود بعون الله ثم باجتهادكم ومثابرتكم.
الرابع: كان العدد 218 وهديته، الكتيب الخاص باللغة العربية، من أروع ما وصل من المجلة إلى أيدي قرائها، فالعدد كان دسماً ومميزاً في كل شيء ولاسيما غلافه «اللغة العربية سياج هويتنا». وبهذا الخصوص أود أن تأذنوا لنا في اتخاذ هذا الغلاف شعاراً لأسبوع اللغة العربية في جامعة أم درمان الإسلامية، وبالطبع فإن الحق الأدبي للمجلة محفوظ.

آمال هاشم أحمد البرير
كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية
السودان.

اقتراحان

أقترح إدراج باب جديد يُعنى بتقديم معلومات عن دول العالم، ولاسيما بعد التغيير الذي طرأ على خارطة العالم إثر انهيار الاتحاد السوفيتي، ونشوء دول جديدة، وكذلك حصول دول أخرى على الاستقلال. ولا أحسب أن تنفيذ هذا الاقتراح سيتطلب تخصيص مساحة كبيرة، فالمعلومات المهمة المطلوبة يمكن أن تُنشر في حدود «زاوية»؛ إذ إنها لا تعدو أن تكون تعريفًا بموقع الدولة، والمساحة، ونظام الحكم، والعاصمة، والمدن الرئيسة، وعدد السكان، والعملة المستخدمة، ومصادر الثروة، وغير ذلك من المعلومات الضرورية.

القارئة: ع. محمود حمصاني
جدة.

شكر واقتراحات

أشكر لمجلة «الفيصل» اهتمامها بقضايا الثقافة والفكر، وماتوليه اللغة العربية من اهتمام كبير. وحيث إنني من متابعي هذه المجلة فإنني آمل أن تزيدوا عدد صفحاتها، كما أتمنى مساحة أكبر لبعض الأبواب، مثل باب «ردود خاصة»، بحيث يمكن الرد على أكبر عدد من رسائل القراء. وليتكم تستطيعون إجراء مسابقات للبحوث العلمية والدينية المختلفة. ولا أعلم مدى إمكان ذكر عناوين الإخوة الذين اهتدوا إلى الإسلام، الذين تنشرون قصصهم في باب «الطريق إلى الله».

مازن إبراهيم مغيربي
مكة المكرمة، ت 5481002.

كل عام وأنت بخير

إلى مجلة الفيصل:
حديثك الكريم الذي ينبض بالحياة يعجبني ويمتعني، إذ تفوح منه روائح العلم والفن والأدب مفعمة تملأ الصدور، وتعطر الكون.
تطلين علينا بحليك الرائعة الخصبة المختارة؛ أملاً عذبًا غنيًا بالحبور والحبق فتنتشي الأرواح، وتبتهج النفوس، وتسبح العقول مع النور والجمال، وتصنع من وجودنا شيئًا جميلاً نافعًا.
مجلة الفيصل.. ما رأت عين لإطلالتك البهية في مطلع كل شهر نظيرًا، ونحن ننظر إلى هذه الإطلالة بإعجاب وإكبار.
ولا يسعنا ونحن نجدد صداقتنا بك إلا أن نقول لك: كل عام وأنت بخير.

قصي حمدان
فاكس 012/810647
شارع الجلاء، يبرود، سورية.

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

تقدير الراحلين من الكتاب والأدباء

يسرني أن أقدم لمجلتنا «الفيصل» بعض الاقتراحات التي عنت لي، وأولها أن تقوم المجلة بجمع دراسات الكُتّاب الراحلين ومقالاتهم في كتاب حتى يسهل الاطلاع على ما كتبوا؛ عرفانًا لهم، وهدية لتلامذتهم ومحبيهم. وأخص منهم الأساتذة محمد حسين زيدان وأحمد محمد جمال وعبدالعزيز الرفاعي ومحمد علي مغربي، رحمهم الله جميعًا. وكذلك أقترح طبع حلقات «دائرة المعارف» لما فيها من معلومات قيمة، إلى جانب ببليوجرافيا عن «كُتّاب الفيصل». وألح عليكم بإيجاد وسيلة لتيسير الحصول على المجلة، وما يصدر عن دار الفيصل من كتب.

الحاج أقويدر محمد
ص.ب 333، ولاية آدرار، الجزائر.

أمة جديرة بكل خير

لقد أصاب خيرُ حضارتنا العربية الإسلامية كل أرجاء الدنيا شرقًا وغربًا، وشمالا وجنوبًا، ومازالت أمم كثيرة تفيد من عطاءات حضارتنا روحيًا وماديًا، وأكبر دليل على ذلك، ما تحققه إسبانيا من مداخيل هائلة بسبب توافد ملايين السياح عليها من كل بقاع العالم.

قال لي أحد السياح الأجانب تجاذبت معه أطراف الحديث، ونحن في أبهاء قصر الحمراء - ولعله من أصل بريطاني أو أمريكي، وكان رجلاً متقدمًا في السن، تبدو عليه مخايل الوقار والتجربة -: «إن أثمن ما تملكه إسبانيا هي المآثر العربية الإسلامية».

هناك تبادرت إلى الذهن الفكرة التي ألمحت إليها آنفًا، وهي أن أمتنا العربية الإسلامية كريمة معطاء، قدمت للإنسانية كل خير على مدى عصور وأحقاب، ومازالت آثار عطائها الحضاري الثر منبثة في أرجاء العالم.

والحقيقة أن هذا من شأنه أن يبعث في النفس الثقة والأمل في استعادة الأمجاد، واستشراف غد أفضل وأجمل لهذه الأمة المجيدة التي هي جديرة بكل خير، وقمينة بأن تحتل أسمى مقام بين الأمم.

عبدالجبار العلمي
حي الأمل 1، زنقة 33 رقم 24
الدار البيضاء 20600، المغرب.

«الطريق إلى الله» في كتاب

أنا من قراء مجلة «الفيصل» الغراء المواظبين على قراءتها منذ سنوات، لما فيها من مادة ثقافية متنوعة يستفيد منها القارئ العادي، كما يستفيد منها الباحث المتخصص. ومن أبوابها الجديرة بالتنويه، افتتاحية العدد «إطلالة» التي أحرص على قراءتها لما فيها من عمق ودقة في التحليل والاستقصاء، وكذلك «الطريق إلى الله»، الذي أقترح على رئيس التحرير جمع مادته ونشرها في كتاب يصدر عن دار الفيصل. وكذلك أعجب بباب «دائرة المعارف» وهو ركن طريف، يقدم في كل مرة جانبًا ثقافيًا مهمًا كالمدارس الإسلامية بالمغرب، وكبائر الذنوب، والمربين المسلمين.. وآمل المشاركة فيه إن شاء الله.

علي بن الصادق عريبي
أستاذ مساعد بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم اللغة والآداب العربية، تونس.

الرسالة الثقافية والدور الريادي

أرجو لمجلتكم الرائدة المزيد من التقدم في سعيها الدؤوب لتحقيق أماني أمتنا برسالتها التي تحمل مشعل الحق لإرساء دعائم الفكر الواقعي الرامي إلى تصحيح المسار، ووضع الإنسان المؤمن في موضعه الصحيح ليستطيع أداء ما عليه من أمانة في ظل الظروف الراهنة التي تمر بها أمتنا العربية الإسلامية، فكلنا مسؤول، ولكن - الحمد لله - كلنا أمل.

ولا يخفى ما للرسالة الثقافية من دور ريادي يمكن أن يُحدث تغيُرًا جذريًا في كيان الأمة ونهج فكرها وعملها، كما حدث في أكثر التحولات التاريخية منذ العهد الوسيط إلى اليوم. ونهضة جنوب شرقي آسيا ليست منا ببعيد، بل هي، في جزء منها، بداية نشطة لأمتنا بالذات.

عيسى علي قولي
ص.ب 9869، الجميلية، جانب جسر الرازي، بناية الدعدع
حلب، سورية.

«تباشير» والشباب الواعد

أعبر لكم عن اعتزازي بباب «تباشير»، الذي إن دلّ على شيء فإنما يدل على حسكم المرهف ورؤيتكم الصائبة لحاجات القراء على مستوى العالم العربي وتطلعاتهم، لأن ما يتضمنه من تعليق بنّاء على القصص والقصائد التي يكتبها الشباب فيه كثير من الفائدة والنفع لهم.

ومع أن هذه التعليقات على الأعمال المقدمة فيها كثير من الجهد الشاق، إلا أن عزاءكم يكمن في ما تقدمونه من يد المساعدة لآلاف من الشباب العربي لصقل فكرهم، حتى يبلغوا مرحلة النضج والإبداع الأصيل. مع أمنياتي لكم بالتوفيق.

شريف محيي الدين علي نصر
بريد الكيت كات، 10شارع السودان، المساكن الشعبية، شقة 14
القاهرة، مصر.

ـ بإذن الله ـ، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.

إطلالة



خيرُ الاستثمار

قول مسؤول كبير في إحدى المؤسسات الأمريكية: «إن اليابان تدفع الولايات المتحدة الأمريكية بسرعة هائلة إلى مجموعة العالم الثالث»، قد يكون تعبيراً عن نظرة التخوف التي تكلم عنها جاري هامل JARY HAMEL، أحد خبراء العالم المشهورين في الإدارة والاستثمار، في ندوة من ندوات «دروس في القيادة» LESSONS IN LEADERSHIP، عقدت في مدينة بوسطن الأمريكية في 24 أكتوبر الماضي. وقد حضرتها، وأنا لم أتجاوز منزلي في الرياض بأكثر من 1500 متر، حيث بُثت الندوة عالميًا عبر القنوات الفضائية.

وتلك النظرة التي تسود ما يُسمى بالعالم الأول، تتمثل في أن كل دولة فيه تخشى من الأخرى، وترى أن كل خطوة تخطوها الدول الأخرى فيها نية مبيتة لإضعافها.

وربما كان مبعث هذه النظرة، كما أشار المسؤول الأمريكي، تلك الخطوات الواسعة التي خطتها الصناعة اليابانية في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية، إلى حد أنها تفوقت في كثير من جوانبها على الصناعة الأمريكية.

وتحفل تجربة توطين التقنية الحديثة في المجتمع الياباني بكثير من الدروس العملية الحية التي يجب على كل أمة تبتغي التقدم والرقي أن تعكف على دراستها، وتحليلها بدقة، للإفادة منها بوصفها تجربة إنسانية تتوافر فيها قواسم مشتركة لبني الإنسان ومجتمعاتهم.

وتفيد الدراسات التي تناولت التجربة اليابانية في استيعاب أسس التقنية الحديثة ومعطياتها أن سر نجاحها ـ في هذه المهمة التي حلمت بها طويلاً كثير من الدول ـ يكمن في حيوية نظامها التربوي الذي يستهدف العقول من أجل استثمارها.

واستحقت اليابان إعجاب العالم لأنها حققت تقدمها ذلك بعد تجربة قاسية إثر هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، وفقدانها مليونين من سكانها، وأكثر من 25٪ من مصادر ثروتها، وغرق كل أساطيلها ومعداتها الحربية، ودمار نحو 40٪ من المجموع الكلي لمساحات مدنها، وتشرد الملايين من سكانها، وفقدان سيطرتها على مستعمراتها، وعودة آلاف اليابانيين من تلك المستعمرات طالبين العمل والسكن وضرورات المعيشة الأخرى؛ فضلاً عن أن قوات الاحتلال كانت تستحوذ على السلع الشحيحة التي بالأسواق، مما أدى إلى ارتفاع هائل في الأسعار بلغ 800٪ في العام 1947م.

إن هذه الظروف القاسية المثبطة للعزائم لم تمنع اليابان من أن تحاول استعادة توازنها، وبدء خطواتها لإعادة بناء ما دمرته الحرب، والعمل على اللحاق بركب العصر.

وقد تحقق لها ذلك في زمن قياسي، على ضيق مساحة أراضيها، وعدم توافر كثير من الموارد الطبيعية التي تتوافر لدول لا تزال توصف بالتخلف، فضلاً عن كثرة عدد سكانها موازنة بمساحة أراضيها، مما يدحض تلك الدعاوى التي تروج لها مؤتمرات وندوات دولية عن خطر الانفجار السكاني، مثل مؤتمر السكان بالقاهرة، ومؤتمر المرأة ببكين، وكثير من الوسائل الإعلامية المختلفة، التي تتناسى أخطار القنابل النووية والذرية وغيرها من وسائل الدمار الشامل، بينما ينصب تركيزها على ما أسموه بالقنبلة السكانية التي تهدد ـ حسب زعمهم ـ الوجود البشري، أو عدم الرغبة في تكاثر بعض الشعوب حتى لا يكون لها غلبة وقوة.

ولايزال الترويج لهذه الدعاوى مستمراً إعلاميًا، على تراجع بعض الدول المتقدمة، مثل فرنسا، عن خططها للحد من الزيادة السكانية، لأن المقصود بها بلدان العالم الثالث التي يُخشى تزايد سكانها، من منطلق أن زيادة حجم السكان تمثل عنصراً مهمًا من عناصر قوة الدولة في حالة حصولها على الإعداد والتأهيل المناسبين، كما هو حال الصين التي يعد كبر حجم سكانها من أهم عناصر قوتها.

ومثلت اليابان نموذجًا حيًا يدحض تلك الدعاوى التي تربط بين الزيادة السكانية والتخلف، ويؤكد أن النظام التربوي ليس من غاياته تأهيل القوى البشرية لسوق العمل فحسب، وإنما عليه أن يجعل هذه القوى قادرة بنفسها على توليد فرص عمل جديدة بما يتوافر لها من روح المبادرة والتجديد. وهذا ما جعل اليابان ـ على قلة مصادرها الطبيعية ـ مؤهلة لمنافسة دولة كبرى مثل الولايات المتحدة الأمريكية، التي تتمتع بقاعدة متنوعة من المواد الأولية. كما أنها أصبحت ـ أي اليابان ـ مبعث خوف لدول منظمة السوق الأوربية المشتركة، على امتلاك هذه الدول قاعدة اقتصادية تكاملية قادرة على مواجهة مشكلات الإنتاج والتسويق.

وما كانت اليابان لتحقق ذلك لولا العدد الهائل لسكانها وفاعلية نظامها التربوي وقدرته على استثمار العقول، حتى أصبحت اليابان مضرب المثل بعد دمار مدينتي هيروشيما ونجازاكي إثر إلقاء القنبلتين الذريتين عليهما. واستطاع هذا النظام المحافظة على هويته الذاتية من خلال إصرار اليابانيين على عدم المساس بلغتهم، لوعيهم بأن أي مساس بها هو عبث بوعاء الثقافة اليابانية.

وكان هذا الوعي بقيمة اللغة في الإبداع الذاتي للأمة من العوامل التي حافظت على حيوية النظام التربوي الياباني، وساعدته على أن يستوعب الأفكار التربوية الغربية لتأتي منسجمة مع الاتجاهات والقيم اليابانية، وذلك في إطار نظام اجتماعي محكم ينقل الموروث الحضاري من خلاله بسهولة ويسر من جيل إلى جيل، مما يحول دون إصابة المجتمع بما يعرف بالانقطاع الثقافي.

وأهم ما يميز النظام التربوي الياباني اهتمامه بغرس القيم الأخلاقية للمجتمع في نفوس الطلاب، ومن أهم تلك القيم إعلاء شأن العمل، والحرص على إجادته، والاتجاه نحو تكوين علاقة إيجابية بين الطالب ومؤسسته التعليمية، وهو ما ينعكس، في مرحلة تالية، في تلك العلاقة القوية التي تنشأ بين العامل الياباني والمنشأة التي يعمل بها.

ويتم ذلك من خلال برامج خاصة يقوم الطلاب فيها بتطبيق ما تعلموه عمليًا، فضلاً عن قيامهم بخدمة أنفسهم، وتنظيف مدارسهم، مما يعمق فيهم مبادئ الاعتماد على الذات والإحساس بالمسؤولية والثقة بالنفس.

وقد حقق النظام التربوي في اليابان نجاحًا جذب انتباه أكثر الدول تقدمًا، إذ تلاشت فيها الأمية، بينما يشير الباحثون إلى أن اللغة اليابانية من أكثر لغات العالم صعوبة، وأبعدها من المرونة وتقبل الاستخدام في مجالات التقنية، إذ إن حروفها تعد بالآلاف.

ويبدو أثر هذا النظام التربوي في نجاحه في إيجاد بيئة علمية متميزة في المجتمع الياباني، تجسدها تلك الحقيقة التي تتمثل في أن اليابان التي تصنع أحدث وسائل الاتصال والأجهزة التقنية التي تحيط بالناس في جميع أنحاء العالم، لم يقع شعبها أسيراً لما يصنعه من تقنيات، كما هو الحال في كثير من بلدان العالم، وإنما لا يزال يحافظ على مستوى عال من القراءة، يجعله في مصاف الشعوب القارئة التي تحفظ للكلمة المطبوعة جلالها، وتعرف لها قيمتها في إغناء المعارف وفتح مدارك الفكر ونموه. ففي كتاب «التربية في اليابان المعاصرة» EDUCATION IN CONTEMPORARY JAPAN الذي ترجمه د. محمد عبدالعليم مرسي، كثير من الحقائق عن تعلق الشعب الياباني بالقراءة، ومنها أن «الصحف اليومية تصل إلى 550 فردًا من بين كل 1000، وهذه النسبة العالية تضع أفراد الشعب الياباني في المرتبة الثانية بعد أفراد الشعب السويدي الذين تصل صحفهم اليومية إلى 574 فردًا من بين 1000».

وهذه الأرقام ليست إلا تعبيراً عن واقع حضاري يعيشه المجتمع الياباني، لأن البحوث العلمية التي تناولت تأثيرات وسائل الإعلام المختلفة، تثبت أن الكلمة المطبوعة لا تزال أكبر أثراً في الوجدان والعاطفة والسلوك من غيرها من الوسائل الأخرى، فهي تتيح الفرصة للقارئ لتمثل ما يقرأه من أفكار وتصورات، واستنباط ما يحمله من مضامين ومعان، ومن ثم تقويمه تقويمًا صحيحًا يحقق الفائدة المرجوة منه المتمثلة في جعله مواكبًا لعصره وما يحتمل فيه من مستجدات، وقادراً على التكيف مع بيئته، ومعالجة المشكلات التي تجابهه على المستويين الفردي والجماعي.

ومن العوامل التي بنت عليها تلك البحوث نتائجها في أسبقية الكلمة المطبوعة على غيرها من وسائل الإعلام الأخرى في التأثير: أن الحرية التي تتيحها هذه الوسيلة لمن يستقبلها أفسح مجالاً مما تتيحه الوسائل الأخرى، كما أن التواصل يبدو أكثر إيجابية، من حيث عمق التركيز وإعمال العقل والفكر في فهم الرسالة المقروءة، واستيعاب معانيها، وإدراك مقاصدها، فضلاً عن سهولة التعرض لها في الوقت الذي يراه القارئ مناسبًا، لأن هذه الرسالة تمثل مرجعية يعتمد عليها في التوثيق متى شاء ذلك، بينما لا يتحكم من يستقبل الرسالة المسموعة أو المرئية في توقيتها، ولا في الظروف المحيطة للتعرض لها، ولا يملك القدرة على استرجاعها للتثبت من معلومة. ولا ينفي ذلك ما للصورة المرئية من قدرة على تجسيد الرسالة، والتأثير القوي في المتلقي، كما أن للكلمة المسموعة أثرها في هذا المستوى، إلا أن هذا الأثر ـ على كل حال ـ لا يرقى إلى مستوى أثر الكلمة المطبوعة في إعمال الفكر وشحذه بما يساعد على نموه.

وقد كان لهذا النظام التربوي الفضل في محافظة اليابان على أصالتها وذاتيتها الحضارية، واتجاهها إلى التفاعل الإيجابي مع غيرها من شعوب أم الأرض، في محاولة للإفادة مما لديها من تجارب وخبرات حضارية، وأفكار ورؤى مستقبلية، فدفعت كثيراً من أبنائها إلى البلاد المتقدمة، مثل إنجلترا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، لاستكشاف ما لديها من أسباب التقدم، وتشرُّب خبراتها، من أجل توظيفها في إطار يتلاءم مع واقع اليابان وقيمها.



بل إن اليابان حين رأت في مصر بعض مظاهر التقدم في عهد محمد علي باشا، أوفدت بعثة للوقوف على أسس ذلك التقدم ومنطلقاته؛ فكان استيعاب ما لدى الأمم الأخرى، وتطويعه بما يوائم ظروفها وقيمها من الأسس الوطيدة في بناء نهضتها.

وقد بدأت اليابان خطواتها في توطين التقنية بالتقليد ومحاكاة إنتاج الدول التي تفوقها في مضمار الصناعة، وكانت تجربة الولايات المتحدة الأمريكية - التي بدأت نهضتها الصناعية بهذا الأسلوب نفسه - ماثلة أمامها، وعكف اليابانيون بعد ذلك على إضافة علمهم وخبرتهم إلى ما يستوردونه من تقنيات ليصبح أفضل جودة وأقل سعراً.

ولم تفطن الدول المصدرة لهذه التقنيات إلى هذا الأسلوب الياباني في التطور الذاتي إلا بعد فوات الأوان، وبعد أن رسخت اليابان خطواتها في مجالات الصناعة كافة، وأصبحت منتجاتها تنافس منتجات الدول المتقدمة، إن لم تتفوق عليها، إلى أن تضاعف اقتصادها أكثر من 55 مرة على مدى السنوات الخمس والثلاثين التالية للحرب العالمية الثانية، وأصبح نشاطها الاقتصادي يمثل 10٪ من الاقتصاد العالمي؛ مع أن عدد سكانها لايتجاوز 3٪ من سكان العالم، ومساحتها لا تتعدى .3٪ من مساحة المعمورة.

وأصبح الإنتاج الياباني مرادفاً للجودة في أذهان شعوب العالم، وتبين الإحصاءات أن معدل الإخفاق في وحدات الحاسبات الإلكترونية المصنعة في اليابان وصل إلى الصفر، بينما ترجّح بين 11٪ و19٪ في الولايات المتحدة الأمريكية في المدة الواقعة بين عامي 1967م و1977م.

ومما يجسد تقدمَ اليابان المادي المتفرد قدرةُ نظامها التربوي على تزويد الطلاب بالمهارات والمعارف والقيم الاجتماعية، ونجاحه في تكييف هؤلاء الطلاب للاندماج الاجتماعي، والتعامل بإيجابية مع مقتضيات العصر، وتزويدهم بالأدوات اللازمة للمشاركة الفعالة في تطوير تقنياته، وتحقيق التوازن في تأهيلهم لتلبية احتياجات القطاعات المختلفة من العمالة الماهرة.

وما كان لهذا النظام التربوي أن يحقق غاياته لولا ما يلقاه التعليم من دعم حكومي يصل إلى 12٪ من الناتج الوطني، ويتم توجيهه إلى رفع مستوى كل عناصر هذا النظام، وفي مقدمتها المعلم الذي يتمتع بكل عوامل الاستقرار، مما يدفعه إلى رفع مستواه العلمي، بالحرص على التحصيل الدائم حتى يكون قادراً على أن يمكن طلابه من التعلم.

وتتبعت دول ما يسمى بالنمور الأسيوية دقائق التجربة اليابانية، واستوعبتها في إطار ظروف مجتمعاتها، ومن ثم شرعت في تحقيق نهضة صناعية واضحة، أصبحت محل اهتمام الباحثين في قضايا الصناعة والتنمية.

وما حققته اليابان من تزاوج بين الأصالة والمعاصرة، يمثل - بحق - تجربة تستحق الفحص والتمحيص، بغرض الإفادة مما فيها من جوانب إيجابية متعددة.

ولعل عدم القدرة على تحقيق مثل هذا التزاوج الإيجابي بين الإرث الحضاري للأمة ومقتضيات العصر من أسباب ما يعانيه عالمنا العربي من تخلف؛ لأن التفكير في الماضي لا يوظف في معادلة أبعاد الزمن الثلاثة (الماضي، والحاضر، والمستقبل).

ولعل فيما أشار إليه الأستاذ أحمد مختار أمبو المدير العام السابق لليونسكو بقوله في كتاب «نحو عالم الغد» ما يؤكد قيمة التوظيف الأمثل لمعادلة أبعاد الزمن، إذ يقول: «ولا يكفي أن نؤكد أهمية البعد الثقافي للتنمية، وإنما يجب أن نذهب إلى أبعد من ذلك لنؤكد أن الاعتراف بالذاتية الثقافية المرتبطة بتعبئة المجتمع، عامل جوهري في الاستقلال والتنمية الوطنية. من أجل هذا ينبغي لكل دولة أن تعلق أهمية خاصة على إجراء دراسة عميقة لثقافتها الوطنية، مع تركيز اهتمامها على قيمها الفردية، وعلى هذا النحو تصبح قادرة على حماية أصالتها من أخطار الاجتثاث أو التسطيح، ومن الأشكال الجديدة للاستعمار».

ومبدأ اتخاذ الماضي مرتكزاً لرسم خطى المستقبل وتعديل مسارات الحاضر رسخته الحضارة الإسلامية منذ أن أقر الرسول صلى الله عليه وسلم بعض السجايا والصفات التي كانت سائدة في الجاهلية، لعدم مخالفتها لما جاء به الإسلام. ووضوح المعيار الذي يُقَوِّم به ذلك الماضي بكل إيجابياته وسلبياته، من العوامل التي أدت إلى ازدهار الحضارة الإسلامية وترسيخها للقيم الأصيلة التي لا تتعارض مع الشرع الحنيف، لأن ثبات هذا المعيار ووضوحه ساعدا كذلك على تقويم ما لدى الآخرين من قيم ومبادئ ومرتكزات حضارية بدقة، الأمر الذي أتاح توظيف إيجابياتهم في إطار يدعم أسس الحضارة الإسلامية، ويدفعها خطوات إلى الأمام متجاوزة زمناً طويلاً كان يمكن أن ينقضي في محاولات التجريب الذاتي.

وفي مجال الموازنة، يتميز عالمنا العربي والإسلامي من اليابان بمجموعة مزايا تؤهله لتبوء المكانة اللائقة بقيم دينه وعطاءات حضارته، وفي مقدمة هذه المزايا الإرث الحضاري الثر في مجالات الحياة كافة، الذي كان مرتكزاً لحضارة الغرب وسبباً رئيساً في تقدمه المادي، مما يبيح القول بأن اليابان حين عمدت إلى الأخذ بمقومات الحضارة الغربية، فإنها كانت - من ثم - تعتمد على أسس حضارية إسلامية، سبق أن وظفتها تلك الحضارة لتحقيق تقدمها.

ومن هذه المزايا - كذلك - الموقع الممتاز، حيث تتوسط الدول العربية والإسلامية العالم، مما جعلها ملتقى لحضاراته، وموطناً للتمازج بينها، ومعبراً يمر به معظم تجارته، مما يكسبها مميزات اقتصادية وسياسية وحضارية، يمكن أن يكون لها إسهامها في التقدم الحضاري للأمة.

ومن الأبعاد الاقتصادية المهمة التي لها أثرها في تحقيق هذا التقدم المأمول ما تتمتع به من ثروات هائلة تحتاج إلى إعمال العقل والفكر حتى يمكن توظيفها في إيجاد واقع جديد، يتحقق فيه الاكتفاء الذاتي من الغذاء والدواء والكساء، من منطلق أن من لا يملك قُوتَه لا يملك قراره، مما يتيح الندية في التعامل مع القوى الدولية المؤثرة تحقيقاً للمصالح الذاتية، وترسيخاً للقيم الحضارية للأمة، مع تغيير تلك الصورة النمطية السيئة التي علقت بالأذهان من جراء ما تعيشه الأمة من تخلف؛ وما تعانيه من فقدان التأثير الفعال في المجالات الدولية المختلفة في عالم لا يفسح مجالاً للضعفاء للدفاع عن مصالحهم أو لإبراز مقومات هويتهم الذاتية.

وما يدعو إلى ضرورة إيجاد حل لمعضلة العلاقة بين الماضي والحاضر من خلال منظور حضاري مؤصل يستحضر التجربة الذاتية للأمة، ويحلل التجارب الحضارية للأمم الأخرى بغرض استخلاص ما فيها من دروس يمكن توظيفها في تحقيق الرقي والتقدم؛ ما يدعو إلى ذلك أن تقدم تقنيات الاتصال التي قربت المسافات بين دول العالم، وألغت كثيراً من الحدود والفواصل التي كانت في عالم الأمس، لم يؤدِّ إلى كبح جماح الأنانية التي تلازم بعض القوى الدولية التي تحاول توظيف ما لديها من إمكانات باتباع توجُّه يقصد إلى فرض قناعات معينة على الأمم والشعوب، وما على كل شعب أو أمة إلا أن يتخذ التوجه الذي يبعده من زمرة الشعوب الضعيفة التي تُوجَّه بوساطة القدرات الإعلامية للقوى الدولية إلى تبني أنماط حياتية لا تتلاءم مع قيمها ومبادئها، الأمر الذي يؤدي إلى إهدار مواردها الطبيعية والبشرية في إنتاج استهلاكي متزايد، لتظل مجتمعاتها تدور في دائرة مغلقة من استنزاف الموارد الطبيعية والاستهلاك، لا تفضي إلا إلى تمكين مظاهر الضعف فيها، وفي الوقت نفسه تزيد من مظاهر قوة الدول الموجهة، لتحكم هيمنتها وسيطرتها، وليبرز ذلك كله في هيئة تفاوت بين العالمين المتقدم والمتأخر في مجالات التربية والثقافة والاقتصاد والاتصال وغيرها.

ولم يعد في إمكان أي أمة تبتغي تحقيق النهوض الحضاري أن تنتظر إعانات الأمم الأخرى، وبخاصة أن التجارب أثبتت أن من أسباب هذا التفاوت المتزايد في خطى التقدم بين العالمين الأول والثالث، إنما يرجع إلى أن ما تقدمه الدول الصناعية من إعانات للشعوب الضعيفة يتمثل بشكل رئيس في مساعدات مادية من أجل معالجة بعض المشكلات العاجلة التي تساعد على ترسيخ التبعية، وتعميق روح السلبية والاتكالية وعدم المبالاة، وقتل روح الاعتزاز بالقدرات الذاتية، إلى حد أن كثيراً من دول العالم الثالث التي كانت تكتفي ذاتياً من الغذاء، أصبحت تستورد الحبوب الغذائية، وذلك لاستعدادها لتقبل ضغوط القوى المهيمنة على الاقتصاد العالمي، بفعل الروح الانهزامية التي تجذرت فيها، واستمرائها الاعتماد على العون الخارجي.

وقد قررت «لجنة ماكبرايد» التي شكلتها اليونسكو للبحث في خلل النظام الإعلامي الدولي في تقريرها المعنون «أصوات متعددة وعالم واحد» MANY VOICES, ONE WORLD هذه الحقيقة في نصها على أن «التفاوت بين الشمال والجنوب ليس مجرد مسألة تخلف زمني، ومن ثم لا يمكن أن نتوقع من البلدان النامية أن تلحق بالركب؛ بفضل المساعدات المالية والفنية المقدمة من البلدان المتقدمة، ذلك أن أوجه التفاوت آخذة في الزيادة حجماً وتطوراً».

ولا سبيل إلى تغيير هذا الواقع الذي تعيشه معظم بلدان ما يسمى بالعالم الثالث إلا بالاعتماد على القدرات والملكات الذاتية، وإحياء روح الاعتداد بهويتها وشخصيتها، من خلال المعادلة الزمنية التي توظف الماضي - ولاسيما لأمة لها عراقتها الحضارية، مثل الأمة الإسلامية - لا من أجل التباهي بالأمجاد، وإنما لتحديد رؤية لاستلهام تراث الأمة بغرض توكيد هويتها، والتحكم في حاضرها، من طريق ثقافة ذكية، يكون تحقيق الطموح امتداداً ونتيجة طبيعية لجهودها.

النظام التربوي ليس من غاياته تأهيل القوى البشرية لسوق العمل فحسب، وإنما عليه أن يجعل هذه القوى قادرة بنفسها على توليد فرص عمل جديدة

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين



العدد 253 ـ السنة 22 ـ رجب 1418هـ ـ نوفمبر 1997م



الأماتيست.. لونه سر جاذبيته!!

الأماتيست واحد من أجمل الأحجار شبه الكريمة، يمتاز بلونه البنفسجي. وقد عُرف قديمًا باسم «الجمشت»، وأطنب في وصفه بعض العلماء العرب القدامى، ومنهم البيروني في كتابه «الجماهر في معرفة الجواهر»، وشيخ الربوة في كتابه «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر».

وقد تم تصنيع أحجار الأماتيست في الاتحاد السوفيتي عام 1975م، لكنها كانت قليلة التداول لارتفاع ثمنها.

أحمد جواد السويكت كتب عن هذا الحجر شبه الكريم؛ متناولاً خصائصه الفيزيائية وأهم مناطق وجوده.

طالع ص16

علم الكحالة: من الازدهار إلى الركود!!



عرف الإنسان الطب منذ قديم الزمان، بوصفه وسيلة لتخفيف آلامه، وبرز فيه علماء كثيرون كان لهم فضل الريادة في تقدم هذا الفرع المهم من فروع العلم.

وقد كان طب العيون من أهم فروع الطب التي وجدت الاهتمام، وتميز فيه عدد كبير من العلماء، كما وُضعت فيه تآليف كثيرة. وقد عُرف هذا العلم عند العرب بـ«علم الكحالة»، ولابن سينا أرجوزة في طب العيون، مطلعها:

الحمد لله الحكيم الشافي
الواهب النور العليم الكافي

د. محمد رواس قلعه جي تناول تطور هذا العلم على امتداد العصور المختلفة، مع ذكر أهم المؤلفات في هذا الميدان.

طالع ص71

الأشنيات: مملكة قائمة بذاتها!!



الأشنيات هي تلك العضويات التي تنتشر أحيانًا على جدران البيوت وفي سفوح الجبال، ولم يكن أحد يعيرها اهتمامًا؛ إلا أن اكتشاف خصائصها الطبية والتزيينية، جعل من الضروري إعادة النظر في تقويمها.

وقد حار العلماء في تصنيفها: هل تنتمي إلى المملكة النباتية أم إلى المملكة الحيوانية؟ وبالبحث في التركيب العضوي، استنتج علماء البيولوجيا أنه ليس من المناسب حصر كل الكائنات الحية في إطار هاتين المملكتين؛ فكانت الأشنيات من ضمن تلك الكائنات الحية الخارجة عن هذين التصنيفين.

أدهم شاكر عضيمة ترجم موضوعًا مصورًا عن هذه الأشنيات، ضم كثيرًا من المعلومات عن فوائدها واستعمالاتها، ونظرة بعض الشعوب إليها.

طالع ص84

من كتاب العدد

د. عون الشريف قاسم

- ولد بحلفاية الملوك، السودان 1933م.
- حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة إدنبرة 1967م.
- عمل رئيسًا لوحدة الترجمة والتعريب بجامعة الخرطوم، وأستاذًا للأدب العربي بالجامعة، ورئيسًا لمجلس جامعة أم درمان الإسلامية (1976-1982م)، ومديرًا لمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية (1988م)، ورئيسًا لمجلس جامعة الخرطوم (1990-1994م).
- رأس تحرير مجلة الدراسات السودانية 1968-1981م.
- وزير الشؤون الدينية والأوقاف 1976-1981م.
- رأس تحرير مجلة الوادي (عن دار الصحافة وروز اليوسف) 1979-1982م.
- مُنح وسام العلوم والآداب والفنون 1979م، كما منحته جمهورية مصر العربية وسام العلم من الدرجة الأولى 1993م.
- مدير جامعة أم درمان الأهلية 1996م.
- من مؤلفاته:

نشأة الدولة الإسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، في الطريق إلى الإسلام، الرسالة الخاتمة، في معركة التراث، موسوعة الثقافة الإسلامية، الإسلام والعربية في السودان، شعر البصرة في العصر الأموي، قاموس اللهجات العامية في السودان، موسوعة القبائل والأنساب في السودان (ستة مجلدات)، وغيرها.

أدهم شاكر عضيمة

- من مواليد اللاذقية، سورية 1934م.
- حاصل على ليسانس آداب، لغة إنجليزية، ودبلوم في التربية، كلية التربية، جامعة دمشق. ونال دورة تربوية في لندن 1964م، وأخرى في جورجتاون بالولايات المتحدة الأمريكية 1984م.
- عمل مدرسًا في الثانويات والمعاهد في دمشق (1961-1970م)، ثم مفتشًا للغة الإنجليزية منذ عام 1970م إلى الآن.
- شارك في مؤتمر وزراء التربية لتعليم اللغة الأجنبية في دمشق، في اللجنة الوزارية المنبثقة عن هذا المؤتمر في أواخر السبعينيات.
- من ترجماته:

الموسوعة البريطانية لصالح وزارة الدفاع السورية 1975م، الموسوعة الميسرة لصالح وزارة الثقافة السورية، ترجمة دراسات فلسفية وسياسية واقتصادية للوزارة نفسها، وله ترجمات لصالح المنظمة الإسلامية للعلوم 1990م.

د. علي بن أحمد الغامدي

- من مواليد المملكة العربية السعودية 1366هـ/1947م.
- حاصل على الدكتوراه في اللغة والأدب الإنجليزي، جامعة وسكنسن، الولايات المتحدة الأمريكية.
- عمل رئيسًا لقسم اللغة الإنجليزية، جامعة الملك سعود ثلاث مرات متتالية (1400-1405هـ)، ومديرًا لبرنامج اللغة الإنجليزية بالملحقية الثقافية السعودية بواشنطن، ومديرًا لمركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.
- من مؤلفاته:

جورج إليوت والرباط الصهيوني، استخدام الأساليب المسرحية في تعلم اللغة، بلاغة الفن القصصي (بالاشتراك مع د. أحمد عردات).

د. محمد خير البقاعي

- من مواليد حمص - سورية 1956م.
- حاصل على الدكتوراه في علوم اللغة من جامعة ليون الثانية، فرنسا 1992م.
- عمل مدرسًا للنقد الأدبي واللسانيات في جامعة حمص (1992-1995م)، ووكيلاً لكلية الآداب للشؤون العلمية بالجامعة (1995-1996م)، ومدرسًا للترجمة الشفهية والفنية ومشكلات الترجمة في جامعة «الجنان» بلبنان (1995-1996م). ويعمل حاليًا أستاذًا مشاركًا في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.
- من أعماله:

في مجال تحقيق التراث: ديوان دريد بن الصمة، دمشق 1980م، ديوان محمد بن حازم الباهلي، دمشق 1982م، ديوان وضاح اليمن، بيروت 1996م، تحبير الموشحين في التعبير بالسين والشين للفيروز أبادي، المقصور والممدود (بالاشتراك مع د. عبدالإله نبهان)، الوجيز في ذكر المجاز المجيز لأبي طاهر السلفي.

وله في الترجمة من الفرنسية إلى العربية: الرواية في القرن العشرين لجان إيف تاديه، 1997م، القرآن والعلم المعاصر لموريس بوكاي (بالاشتراك) 1995م، بحوث في القراءة والتلقي 1997م؛ فضلاً عن عدد من البحوث المترجمة، المنشورة في المجلات المتخصصة، كما أن له بحوثًا منشورة في مجلات عربية ومحلية.

العالم قريتي

طفل يقيم دعوى لإصابته بالصلع في أثناء الولادة

دخلت امرأة تبلغ من العمر 24 عاما، وتعمل ممرضة في حضانة في شونهاوس في جلوسستر شير، المستشفى للولادة. ولأن عملية الوضع كانت متعسرة، فقد استخدم الفريق الطبي الذي أجرى لها عملية الولادة قلنسوة فينتوس VENTOUSE CAP التي تعمل مثل غاطس الغوص لتوليد الطفل جوشوا كوينلي. وفي أثناء عملية الولادة انتُزعت طبقة كثيفة من جلدة رأس الطفل تحتوي على جريبات الشعر، فتركته أصلع طوال الحياة. وقد اتصل والد جوشوا بشركة قانونية متخصصة بالقضايا الطبية، وحصل على دعم قانوني لإقامة دعوى ضد مستشفى جلوسستر شير رويال؛ مطالباً بالتعويض عما لحق الطفل من ضرر. ونجح الطفل البالغ من العمر عامين في إحراز دعم قانوني لإقامة دعوى على إدارة التأمينات الصحية الحكومية.



وذكرت صحيفة الإكسبريس اللندنية أن الطفل عندما بلغ من عمره ثلاثة أشهر كانت له خصل قليلة من الشعر، لكنها لم تنم إلا حول أنسجة الندب التي أصابته في أثناء الولادة؛ مما أزعج والديه كثيراً. وإنّ أسوأ شيء بالنسبة إلى والدته هو أنها أُبلغت بمغادرة المستشفى دون إيضاح من الإدارة حول ما أصاب ابنها ودون أي اعتذار.

وعلى كل حال يمكن إجراء عملية زراعة شعر للطفل عندما يبلغ السادسة من عمره، ولكن لا توجد ضمانات لنجاح تلك العملية التي قد تستمر عشر ساعات. وقد صرحت إدارة التأمينات أنها لا تستطيع التعليق على ما حدث بسبب الإجراءات القانونية.

عصر الحاسوب يعني اختبارات للطلاب بسن 11 و14 سنة

قدَّم الدكتور نيك تات NICK TATE المدير التنفيذي لسلطة المؤهلات والمناهج الدراسية الجديدة في انجلترا اقتراحات مفادها أنه يمكن إدخال اختبارات إجبارية في معلومات تقنية في المدارس لحفز التلاميذ إلى الإلمام بمزيد من علوم الحاسوب (الكمبيوتر). فالطلاب في سن الحادية عشرة والرابعة عشرة قد يواجهون اختبارات تقنية بجانب الاختبارات الحكومية الراهنة في اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم.

وهو يعتقد أن اختبارًا قانونيا يجرى في المدارس الابتدائية والثانوية سوف يعزز تدريس المعلومات التقنية التي يقول عنها أرباب العمل: إنها إحدى المهارات الأساسية التي يريدون من الطلاب إتقانها قبل دخولهم سوق العمل.

كما أن الوزراء حريصون أيضًا على استخدامات أوسع لعلوم الحاسوب وشبكة الإنترنت في التعليم، وابتدؤوا محادثات مع شركات الاتصالات والكوابل البريطانية في محاولة لربط جميع المدارس مع شبكة المعلومات العليا.

وقد أشار الدكتور تات ـ حسبما ذكرت الديلي ميل البريطانية ـ إلى أن إدخال اختبار في العلوم على مستوى بريطانيا كلها قد ساعد في وضع الطلاب الإنجليز في مصاف القمة على المستوى العالمي. وأن الاختبارات في تقنية المعلومات المطلوب من جميع الطلاب دراستها، بموجب المنهاج الدراسي الحكومي، قد تعمل على تركيز انتباه الناس ورفع مستواهم.

وقد حاولت الحكومة السابقة قبل أربع سنوات إدخال اختبارات مكتوبة إجبارية في التقنية، ولكنها استُبعدت بسبب مقاطعة نقابات المعلمين لها. وقد اقترح الدكتور تات أنه بالإمكان إجراء اختبارات في الحاسوب مستقبلاً. ولكن لا يرجح أن يوضع أي اختبار موضع التنفيذ قبل إجراء مراجعة للمناهج الحكومية مخطط لها في عام 2000م. كما أنه من المنتظر أن يقوم الدكتور تات بإجراء اقتطاعات كبيرة من المؤهلات المهنية الحكومية المربكة عندما تتسلم سلطة المؤهلات والمناهج الجديدة زمام الأمور بالنسبة إلى جميع الدورات الأكاديمية والدورات المرتبطة بسوق العمل.

النموذج الثالث من طائرة ليبارد الرياضية

طائرة نفاثة ضئيلة الحجم تستطيع الإقلاع من مدرج قصير بطول 3000 قدم، وتحلق في الجو مسافة 1500 ميل، بسرعة تبلغ 500 ميل/ ساعة. تزن الطائرة مع حمولتها الكاملة أربعة آلاف رطل، أي أقل من وزن كثير من السيارات.

وهذه الطائرة من نوع سي إم سي ليبارد CMC Leapar لها هيكل طائرة كامل التركيب وجناح نحيل بالحجم الكامل وجنيحات إضافية لتزيد من ارتفاعها. وبدلاً من أجهزة تحكم الطيران التقليدية يوجد لطائرة الليبارد ثلاثة أسطح ذيل متحركة لا يوجد بها أجهزة هيدروليكية. فكل من الجُنيحات، وترس الهبوط والغطاء الشفاف لمقصورة الطيار تعمل بالطاقة الكهربائية.

وقد حلق النموذج الأول منها في الجو أواخر عام 1988م، ولكن برنامج تلك الطائرة تعرض لوضع حرج مدة من الزمن بسبب الحاجة إلى محرك صغير فعال.

إلا أن شركة ويليامز إنترناشونال، التي تزود محركاتها النفاثة صواريخَ كروز الطويلة المدى بالطاقة، حلَّت المشكلة بتزويد النموذج الثاني بمحركات FJX-1 بقوة دافعة 700 رطل، كما تقوم بتطوير محرك FJX-2 بقوة ألف رطل للنسخة الثالثة.

تعذيب بغرض اللهو



إنها صورة قاتمة بثّت الرعب في العالم، كما تسببت في تلويث السمعة الطيبة للأمم المتحدة.

أخذت الصورة لجنديين بلجيكيين عاملين في فرقة المظلات التابعة لقوات الأمم المتحدة العاملة لإرساء السلام في الصومال وهما يلوحان صبيًا فوق النار. وعندما سئل الجنديان عن هذا العمل أفادا بأنهما لم يقصدا إلحاق أي ضرر بالصبي؛ وإنما أمسكا به لمجرد اللهو قائلين له: إنهما سيشويانه.

وقد مثل الجنديان كلود بيرت وكورت كولوس ـ حسبما ذكرت الإكسبريس اللندنية ـ أمام محكمة عسكرية بلجيكية؛ إلا أن المحكمة أصدرت حكمًا بتبرئة الجنديين من تهمة التعذيب والضرب والجرح والتهديد لكون ما فعلاه ـ في زعمها ـ مجرد لعبة قاما بها لردع الصبي عن ارتكاب جرم السرقة.

وقد أثار ذلك الحكم الشكوك فيما يتعلق بالقضايا الأخرى ضد جنود بلجيكيين في قوة حفظ السلام الدولية؛ فقد قام بعض الجنود بوضع صبي في حاوية معدنية وتركوه بها يومين إلى أن مات. وجندي آخر بال في وجه أحد المواطنين الصوماليين.

جراثيم العناكب أكثر خطرًا من سمومها



إن للعنكبوت الناسك (المنعزل) البني الذي غالبًا ما يختبئ في الأقباء (جمع قبو: الطوابق السفلى) وبين أكوام الخشب في الولايات المتحدة لسعةً مؤلمةً سامّةً قد تتحول أحيانًا إلى تلويث الجرح بحيث لا يشفى بشكل اعتيادي. وعلل أحد علماء الأحياء المجهرية في ساوث داكوتا ذلك بأن هذه التفاعلات الشديدة تنجم عن جراثيم تتطفل على سم العناكب، وتلوث جروح ضحاياها، وتفرز هذه الجراثيم سمًا يجعل الإصابة أكثر سوءًا وضررًا مما لو خلا السم من تلك الجراثيم.

وقد قام بروس بليكلي من جامعة ولاية ساوث داكوتا في بروكنغز ـ حسبما ورد في الإكسبرس ـ بزراعة جراثيم استخلصها من العنكبوت الناسك البنيّ. وذكر أن بعض هذه الجراثيم ينتج سمومًا تدمر خلايا الدم البشرية، مما يفسر الضرر الذي يلحق الضحية من اللسعات الشديدة للعنكبوت الناسك. ولمّا يشخص بليكلي أيًا من الجراثيم؛ إلا أنه يلتمس مصادر تمويل لمتابعة عمله.

الأطباق الطائرة

في إحدى الليالي، وفوق أريزونا الأمريكية، لاح في الأفق طبق طائر ضخم عملاق حجب نجوم السماء، وغطى مساحة أكثر من ميل واحد (1650م). إنه كبير جداً ويسير ببطء وعلى مهل بسرعة تبلغ 30 ميلا (49,5 كيلاً) في الساعة. وقد شاهده آلاف الناس، وصوره بآلات تصوير فيديو عشرات من الأشخاص.

وبعد أشهر من التحقيقات وسماع شهود العيان وتحليلات الحاسوب لم يتمكن الخبراء من التوصل إلى أي تفسيرات لتلك المشاهد.

لقد مرت تلك الكتلة الضخمة بشكل حرف (V) بأضوائها البيضاء والحمراء فوق عدد من المدن بسرعة ثابتة مغطية مساحة 60 ميلاً مربعًا (99 كيلاً).

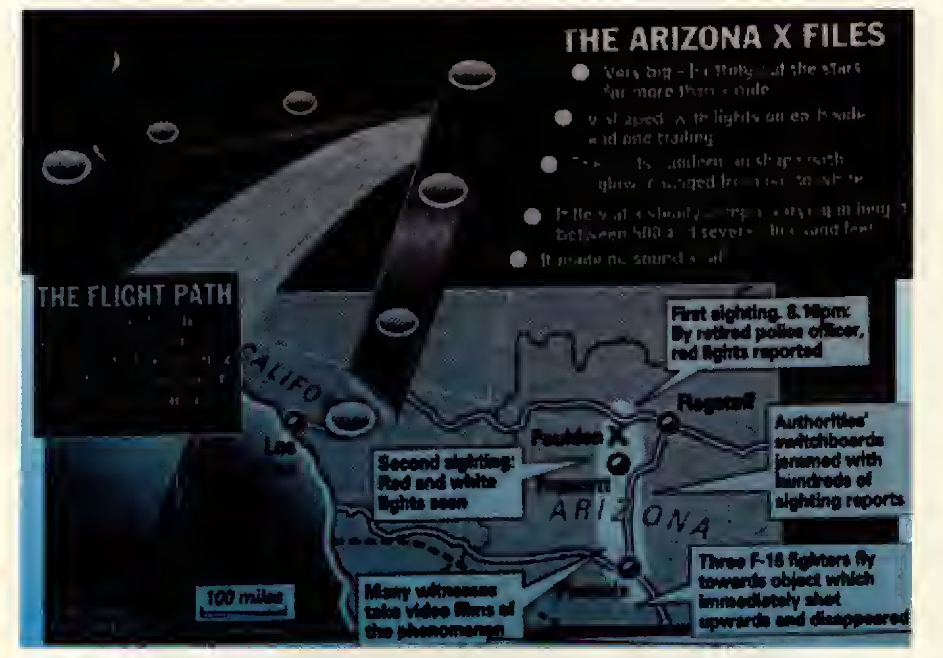
وأفاد شهود ـ منهم طيارون ومراقبون جويون وأطباء ومحامون ـ أن ذلك الشكل كان يحوم في فلك السماء دون إصدار أي صوت. وقد راوح ارتفاعه بين 500 قدم (150مترًا) وعدة آلاف من الأقدام.

لقد استحوذ هذا الحادث على خيال الأمريكيين أكثر من أي طبق طائر آخر خلال عدة عقود. وأحيا ذكرى حادث روسويل قبل خمسين عامًا عندما قيل إن الحكومة الأمريكية تسترت على تحطم طبق طائر في نيو مكسيكو. وهناك فيلم غير ملون (أسود وأبيض) يزعم أن جثث كائنات غريبة استعيدت في ذلك المشهد.

وذكرت مجلة لايف LIFE أن بيتر ديفنبورت أحد العاملين في المركز الوطني لتتبع أخبار الأطباق الطائرة في سياتل قال: إن حدث أريزونا هو الأكثر إثارة خلال تجربته مع الصحون الطائرة لأن ما شاهده كان شيئًا حقيقيًا إذ شاهده كثيرون، وكان أولهم ضابط شرطة متقاعد في بولدن التي تبعد 60 ميلاً (99 كيلاً) من فونيكس شمالاً. ثم أعقب المتقاعد مكالمة هاتفية وردت من بريسكوت التي تبعد من المركز الوطني 15ميلاً (25,25 كيلاً) تُبلِّغ عن وجود ضوء أحمر وأربعة أضواء بيضاء. ثم انهالت المكالمات الهاتفية من ويكنبرغ وجلينديل وسكوتسديل، كما تدفقت مئات المكالمات الهاتفية على مراكز الشرطة والدفاع المدني مدة ساعتين تقريبًا وذلك في ليلة الثالث عشر من شهر آذار/ مارس.

كان بيل جراف الطيار والمراقب الجوي مدة اثني عشر عامًا يقوم بعمله المعتاد في برج مطار سكاي هاربر الدولي، وقد شاهد ذلك الصحن الطائر بعينيه؛ إلا أنه لم يظهر على شاشات الرادار. يقول: إنه لم يشاهد قط شيئًا مثل هذا. لقد كان غريبًا عجيبًا لا تفسير له، فقد سلب منه تفكيره.

أما تيم ليي الذي يعمل مستشارًا إداريًا ويبلغ من العمر أربعة وخمسين عامًا فقد شاهد الأضواء عند وصوله إلى منزله وكان مايزال يوقف سيارته، وكانت تلك الأضواء تشبه الغاز، ولم تنطلق منها أية أشعة. ويقول: إنه لم يشاهد ضوءاً مثل ذلك من قبل.



وذكر بيل جرينر أحد سائقي الشاحنات البالغ من العمر 51 عامًا أنه شاهد ذلك الطبق بأم عينيه، ولو أن أحدًا أخبره بأنه شاهد طبقًا طائرًا لما كان ردّه إلا الاستهجان والاستغراب. ويضيف: إنه قد يكون سائق شاحنة مغفلاً؛ إلا أنه بالتأكيد شاهد شيئًا لا ينتمي إلى هذه الأرض.

أما مايكل تانر وجيم ديليتوسا الشريكان في شركة تصميم برامج انطباعات مبرمجة لصالح هوليود، وتصميم حواسب عملاقة للحكومة؛ فقد أجريا تحليلات حاسوبية على مسافات الصور المتحركة، وعقدا موازنة بين الأضواء التي شاهداها مع كل ضوء آخر في منطقة فونيكس لكنهما لم يعثرا على أي شبه بينهما.

ومن ناحية أخرى تلقت قاعدة لوك الجوية الواقعة بين فونيكس وجلينديل مئات المكالمات الهاتفية التي زعمت أن ذلك المنظر كان موصولاً بالقاعدة، وقد نفى ذلك مسؤولو القاعدة. فقد قال المقدم مايك هاوزر: إن الغضب انتاب كثيرًا ممن اتصلوا هاتفيًا، واتهموا القاعدة بالتستر على ذلك الحدث؛ بينما كانت بعض الطائرات المقاتلة من طراز إف 16في الجو، وكان آخر مشاهد الطبق الطائر بالقرب من القاعدة.

وأخيرًا يقول السائق جرينر: إنه شاهد ثلاث طائرات نفاثة أقلعت من القاعدة، واتجهت نحو ذلك الهدف ـ الطبق الطائر ـ وفي غمضة عين انطلق الطبق إلى الأعلى واختفى. أما الطيارون فيؤكدون مشاهدتهم لهذا الطبق. وإذا لم تؤكد القوات الجوية ذلك فإن هذا يدعم المزاعم التي تتهم الحكومة بتكتمها على مثل تلك الأحداث.



سرّ رهيب يلفّ مقابر البقر المصاب بالجنون!

كشف الستار عن 59 موقعًا من مواقع دفن أكثر من ستة آلاف رأس من البقر المصاب بجنون البقر. وكثير من هذه المواقع يقع بالقرب من المدن والقرى؛ الأمر الذي يسبب قلقًا للسكان المحليين. فأكبر هذه المواقع في ويلتشير وشروبشير وهيرفورد وورسستر. على أن الموظفين الحكوميين شددوا على أن اختبارات مكثفة أجريت للتأكد من أن حُفَر الدفن هذه تتسم بالأمان الكامل. وقد نُشرت قائمة بأسماء المواقع بناء على طلب جاء من جافن ستراتج الناطق باسم العمال الزراعيين.

وقد تم التخلص من هذه الأبقار بين عامي 1988م و1991م، وكانت العادة في التخلص من البقر المصاب حرقة في درجات حرارة عالية، ولكن الإمكانات لم تكن متوافرة في ذلك الحين لحرق ذلك العدد الكبير من جثث الأبقار.

وتثير تلك المواقع القلق من احتمال وجود صلات لها بمرض كروكز فيلدت ـ جاكوب CJD(1) الذي يصيب الدماغ؛ لأن بعضها يقع بالقرب من أماكن سكن بعض الضحايا، كما أن هناك مخاوف من إمكان انتشار المرض إذا ما تلوثت إمدادات المياه.

وقد أعربت وكالة البيئة المسؤولة عن مراقبة تلك المواقع عن ارتياحها لعدم وجود أدنى قدر من الأخطار التي يمكن أن تلحق بالبشر. وأعلنت الناطقة باسم الوكالة أن نسبة الخطر تقلّ عن واحد في المليون؛ لأن مسؤولي الوكالة تفحّصوا جيولوجية المناطق المحيطة بتلك المواقع جيدًا، ولم يجدوا أي احتمال لتسرب أي من المواد الملوثة إلى إمدادات المياه في تلك المنطقة. وقد أجيزت تلك المواقع بترخيص رسمي للتخلص من ذلك النمط من المخلفات. كما أن مسؤولي الوكالة تحدثوا إلى جميع الخبراء، وأعربوا عن سعادتهم لعدم تعرض الصحة العامة لأي تهديد. وستتابع الوكالة مراقبتها للتأكد من مدى توافر سبل الأمان والسلامة، وعدم وجود أخطار تهدد صحة البشر.

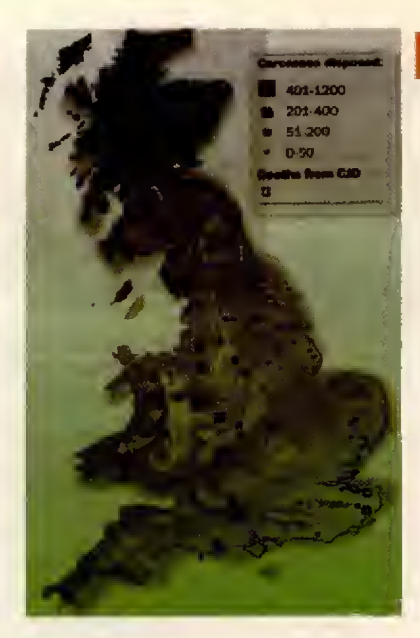
وذكرت صحيفة الإكسبريس

استحواذ الهواجس يثير الذعر في الجو



تعيش هانا البالغة من العمر 36 سنة في ذعر شديد من الفيلة في هوم كاونتيز، وتفزع من مشاهدة التلفاز خوفًا من أن تظهر على الشاشة صورة فيل، ولا تدري أبدًا لماذا تفزع من هذا الخطر غير المحتمل الوقوع.

ويذهب أليك إلى عمله مبكرًا لكي يتمكن من أن يهدر تسعين دقيقة من وقته ـ بسبب هواجس تستبد به ـ في بري الأقلام. أما بريان فيقضي ثماني عشرة ساعة يوميًا في الاستحمام حتى يتسلّخ جلده ويصبح أحمر. ويستحم عشرات المرات يوميًا خوفًا من العدوى بالجراثيم. وكذلك أنجيلا البالغة من العمر 32 سنة وزوجها توم البالغ 35 سنة لم يتعاشرا منذ أربع سنوات خوفًا من العدوى بالجراثيم، وتقول: إنها ترتاع من الإصابة بالعدوى حتى إنها لا تتحمل أن يلمسها أحد.





اللندنيــة أن هذه المواقع أخــذت من ســجــلات إدارة السلطات المحليــة المسؤولة عن التخلص من النفايات. وقد أمكن ذلك بوساطة وكالة البيئة التي لولاها لكان الأمر مستحيلاً.

صحيح أن جميع رؤوس الأبقار قُطعت وحُرقت قبل دفنها؛ إلا أن الحبل الشوكي الذي يحمل الإصابة بهذا المرض أيضًا BSE(2) لم يُحرق. وهناك أمر مقلق، هو أن عامل الـ BSE قد يمكث في التربة حتى بعد تعفن الجثث وتحللها.

ويقول البروفسور رتشارد لاسي أحد نقاد الحكومة المشهورين: إن ذلك العامل يدوم طويلاً ومن الصعب جدًا التخلص منه.

على أية حال فإن العلماء في لجنة خبراء SEAC التي تقدم المشورة للحكومة يقولون: إنه لا يوجد دليل يمكن اجازته بهذه الطريقة.

الهوامش:

1- فيروس كله من البروتين يصيب الدماغ فيلحق به تلفًا كبيرًا ويجعله كالإسفنجة. ويُطلق عليه تجوّزًا «مرض جنون البقر»؛ إذ من المعلوم أن البقر لا يعقل حتى يصاب بالجنون. وهو اختصار لـ creutzfeldt - jakob disease.

2- اختصار مرض جنون البقر (تحول الدماغ إلى شكل إسفنجي) BOVINE SPONGI FROM ENCEPHALOPATHY

وهناك اعتلال عقلي آخر يتعلق بعَدّ الأرقام، فهذا جون البالغ من العمر 42 سنة مهووس بالرقم (4)؛ فهو يفعل كل شيء أربع مرات بدءًا من تفريغ أنفه من المخاط إلى غسيل سيارته والعدّ لغاية الثمانين. أما ديفيد البالغ من العمر 25 سنة فقد أقنع نفسه أن شيئًا مفزعًا سيحدث له إذا لم يعد مئات من أعمدة الكهرباء، وهو في طريقه إلى عمله، وإذا ما فاته عدّ عمود فإنه يبدأ العدّ من جديد.

تقول مجلة لايف LIFE: إن كل هؤلاء الناس يعانون من اضطرابات نفسية استحواذية، تدعى الحَصَر النفسي، تتحول بها المخاوف الطبيعية الاعتيادية إلى ذعر يتسم بالهيجان بشكل منتظم، وهذا يمكن أن يركز على أي شيء بدءًا من الأزرار حتى تقشير البطاطا بله العناكب والأفاعي. وتنتاب هذه الاضطرابات النفسية ثلاثة عشر مليون شخص تقريبًا. وأخطر هذه الاضطرابات نوبات الذعر التي تنتاب بعض الناس.

فقد كانت امرأة تدعى إيموجن ستبس تعاني بشكل مرعب من مثل تلك الهواجس، إنها ممثلة تبلغ من العمر 35 سنة، كادت تلك الهواجس تدمّر حياتها، وهي في العشرين من عمرها، فقد أصيبت بنوبة ذعر في الجو فوق مدينة مكسيكو؛ مما اضطر الطائرة أن تهبط هبوطًا اضطراريًا، وقد اصطك فكها، وأصيبت بشلل مؤقت؛ إلا أنها أخيرًا التمست مساعدة مهنية.

وهي الآن ترعى مجموعة مساعدة تُدعى (لا للذعر)، وتقول: إنها تريد أن تقول لجميع من يعانون من مثل هذه الهواجس ألا يتيحوا للناس أن يعتقدوا أنهم أشخاص غريبو الأطوار (مخبولون)، فهم ليسوا كذلك.

إن قرابة 75٪ ممن يعانون من هذه الهواجس لم يلتمسوا مساعدة مهنية، وغالبًا ما تفيد ممارسة تنفس واسترخاء بشكل بسيط في التخفيف من تلك الحالات.

شريحة من الأماتيست الخام (البرازيل)



أحمد جواد السويكت

الأماتيست واحد من أجمل الأحجار شبه الكريمة، يمتاز بلونه البنفسجي الجذاب، ويُعدّ من الأنواع المشهورة والمرغوبة جدًا عند عامة الناس، وخصوصًا عند النساء، ولذلك لقب بحجر المعشوق.

والأماتيست عُرِفَ قديمًا باسم «الجمشت»، وكلمة الأماتيست تعني في اللغة اليونانية «الرزين»، وقد يكون مصدرها كلمة أفريقية معناها «غير مسكر»، ربما لأن الاعتقاد السائد قديمًا هو أن هذا النوع من الجواهر يحمي حامله من مفعول الخمور.

والأماتيست ينتمي إلى معدن المرو (الكوارتز)، وتركيبه الكيماوي ثاني أكسيد السليكون SIO2 SIL-ICON، وهو من الأحجار شبه الكريمة، ويمتاز بلونه البنفسجي الأرجواني الجذاب، كما أن ألوانه جميلة شفافة متناسبة بعضها مع بعض. وقد وصفه العالم العربي

مجموعة من بلورات الأماتيست بعد صقلها



بلورة من الأمترين الطبيعي (البرازيل)

المعروف محمد بن أحمد البيروني (ت:440هـ) في كتابه القيم «الجماهر في معرفة الجواهر» بقوله: «إن بياضه يضرب إلى كل واحد من الألوان من الحمرة الوردية المشوبة بالبنفسجية». أما العلاّمة الدمشقي محمد بن أبي طالب المعروف باسم شيخ الربوة (ت:727هـ) في كتابه «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»، فقد عرّفه بقوله: «وهو حجر لونه بنفسجي مشف، ومعدنه بوادي الصفراء من الحجاز، وتوجد منه قطعة بوزن الرطلين وعليها قشر أبيض فإذا كُسر ظهر لونه». وهناك قطعة كبيرة منه تزن 1362 قيرطًا موجودة في متحف «سميسونيان» في واشنطن، وهي مستخرجة من البرازيل.

أنواع الأماتيست

يمتد نطاق ألوان الأماتيست البنفسجي ذي اللمسات الحمراء إلى البنفسجي ذي اللمسات الزرقاء، أو البنفسجي الخالص. ويكون لونه البنفسجي إلى الأرجواني القاتم ناتجًا من تعرضه لإشعاع طبيعي، ومن وجود آثار من الحديد. وتختلف شدة اللون وتتعلق غالبًا بالأماكن، وهذا ليس دائمًا كثير الثبات، ففي الضوء الطبيعي يمكن للأماتيست أن يغدو فاتحًا.

ونلاحظ دائمًا أن قمة «الكرستالة» تحمل اللون البنفسجي الخالص، أما باقي «الكرستالة» فتكون عديمة اللون أو دخانية اللون، ويمكن ملاحظة توزيع اللون في «الكرستالة» من طريق غمرها في وعاء مملوء بالماء.

ويمكن للبلورات أن تظهر طبقات مع تناوب كوارتز أبيض وأماتيست يتعلقان بمراحل نمو البلورة، ويُسمَّى هذا النوع بالكوارتز الأماتيست. وهناك التباس كبير بين الأماتيست البنفسجي الفاتح والأحجار الوردية، مثل: الكونزيت والموغانيت والسُّفير الوردي والتورمالين الوردي والأسنيل الوردي والزركون الوردي.

الأمترين AMETRIN

الأمترين اشتُق اسمه من الأماتيست AMETHYST والسترين CITRENE. وهو من الأحجار شبه الكريمة الجذابة التي تضاف إلى فئة أحجار الأماتيست. وهذا النوع يتميز باللونين البنفسجي والأصفر، مما يميزه من باقي الأحجار الأخرى، وقد استُخرج هذا النوع من الأحجار سنة 1980م من البرازيل. ويمكن الحصول على هذه النوعية بوساطة الأماتيست الطبيعي من طريق التسخين للنصف الآخر وإعطائه اللون الأصفر.

تصنيع الأماتيست

في سنة 1975م تم تصنيع أحجار الأماتيست الاصطناعية في الاتحاد السوفييتي، وقد تميزت هذه الأحجار بالجودة والنظافة وخلوها من الشوائب، وتحمُّلها درجة حرارة عالية - أي أكثر من أحجار الأماتيست الطبيعية - إلا أنها كانت قليلة التداول بسبب غلاء ثمنها.

وهناك أحجار من الأماتيست المسخنة إلى درجة 500م، يطلق عليها اسم «البرازيوليت» وهي مستخرجة من البرازيل، ويصبح لونها أخضر باهتًا جميلاً عند التسخين. أما المستخرجة من مدغشقر فتأخذ لونًا أصفر، وبعض

الأماتيست



طاقم من المجوهرات مزين بالأماتيست والأحجار الملونة



خاتم يزينه حجر من الأماتيست المصقول

النوعيات المنتجة في دول أخرى تتحول عند التسخين إلى لون أصفر، وهذه النوعيات يمكن إعادتها إلى لونها الأصلي بوساطة الأشعة السينية.

الأماتيست (الجمشت) عند علماء المسلمين

ذكر العالم العربي الجواهري أحمد بن يوسف المعروف بالتيفاشي (ت:651هـ) في كتابه «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» أن للجمشت (الأماتيست) أربعة ألوان، هي:

1- ما اشتدتورديته وسماويته معًا. وهذا أجود أنواعه وأغلاها ثمنًا.

2- ما اشتدت ورديته وضعفت سماويته.

3- ما اشتدت سماويته وضعفت ورديته.

4- ما ضعفت سماويته ورديته معًا.

وذكر البيروني الجمشت (الأماتيست) في كتابه «الجُمَاهر في معرفة الجواهر» بقوله: «وهو حجر يشبه الياقوت الوردي والأكهب، بل يظهر فيه جميع الألوان؛ وأغلاه ما غلبت عليه الوردية، وأرخصه ما علته كُهبَة، وفي معدنه مغشًّى ببياض كالثلج على وجهه حمرة». (الكُهبَة: لون يميل إلى الغُبرة ولا يقال إلا في الحمرة خاصة).

وأمّا العلامة الدمشقي المعروف بشيخ الربوة، فقد ذكر ألوان الجمشت «الأماتيست» وحددها في كتابه «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»، وهي:

وردي شديد الوردية، سماوي، رقيق الوردية، عميق الوردية.

خصائص الأماتيست الفيزيائية

ينتسب الأماتيست إلى نظام التبلور السداسي، وصلابته تُقَدَّر مابين 6,5 إلى 7، ووزنه النوعي مابين 263 إلى 265، وزاوية انكسار ضوئه مابين 1553 إلى 1555.

أهم مناطق وجوده

أكبر الدول المنتجة في العالم لأحجار الأماتيست في وقتنا الحاضر هي: البرازيل والولايات المتحدة الأمريكية ومدغشقر والمكسيك وسريلانكا وإيران. وهناك بعض الدول التي يوجد بها كميات قليلة مثل: الهند، وروسيا، وتشيكوسلوفاكيا، وفرنسا، وجنوب أفريقيا، والمملكة العربية السعودية.

أهم المراجع:

1- الجماهر في معرفة الجواهر، محمد بن أحمد البيروني، الطبعة الثالثة 1404هـ، بيروت، عالم الكتاب.

2- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، شمس الدين الأنصاري الدمشقي، مطبعة الأكاديمية الامبراطورية 1281/1865هـ.

3- الجواهر والأحجار الكريمة، ياروسلاج بور، فلاديمير بوسكا، ترجمة ميشيل خوري، الطبعة الأولى 1992م، دار طلاس للدراسات، دمشق.

4- أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، أحمد بن يوسف التيفاشي، تحقيق الدكتور محمد يوسف والدكتور محمود بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1977م.

5- ENCYCLOPEDIA OF PRECIOUS GEMS, PLERRE BARIAND & JEAN POIVIT.

قصيدة

فـاتِنُ المِسيـالِ

شعر: عبدالعزيز الرفاعي

«لم ينشر الأديب الراحل الشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرفاعي في حياته سوى ديوان صغير بعنوان «ظلال ولا أغصان». وهذه القصيدة، من شعره المخطوط، تُنشر للمرة الأولى».

فـاتنَ المسـيـالِ يا حُلْو التـثنّي

مـا الّذي أغـراك أنْ تزْورّ عنّي؟(1)

وأنا الشّـاعـرُ مـازِلتُ أغنّي

لِهواكَ البكْرِ في أعْذبِ لحن فـاتنَ المسْيالِ يا حُلْوَ التثنّي

الأصـيلُ الحُلْوُ قـدْ ذوّبَ تِبْـرَهْ(2)

والرياضُ الحُـو بالأزْهارِ نضْـرهْ(3)

وعلى المِسـيـالِ تسْـآل وجـدهْ

ما الذي أغراكَ أن تزْورّ عنّي فـاتنَ المِسْيالِ يا حُلْوَ التثنّي

الرّوابي الخُضرُ قد ألقتْ وِشاحا(4)

وغـدا البلبلُ في الرّوضِ وراحـا

كُلّ مـا في الرّوْضِ لا يألو مِـراحَـا

وأنا العاشِقُ مازِلتُ أغنّي فـاتنَ المسْيالِ يـا حُلْوَ التـثنّي

جُنّتِ الأشـواقُ وانبّح التّـمنّي

والسُّـهادُ المرُّ قـد أرّقَ جفْني

أنا في حُـبّكَ قِيـثارٌ يُغنّي

لِهَـواكَ البكرِ في أعْذبِ لحْنِ فـاتِنَ المسْيالِ لا تزورّ عنّي

الطائف، 15-1398/9/16هـ.

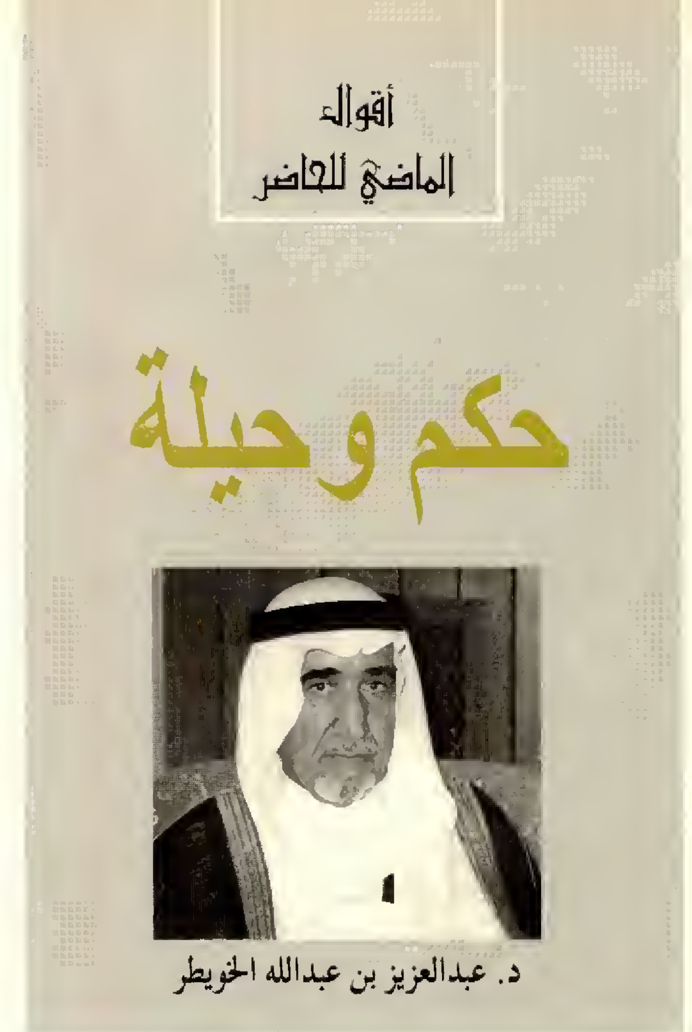
المعاني:

1- تزورّ: من الازورار وهو الابتعاد والميل والانحراف.

2- تبره: التبر هو الذهب الخالص.

3- الحو: حَوِي النبات اسودّ من شدة النضارة.

4- وشاحًا: ظلالاً. الوشاح: نسيج أبيض عريض يُرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها.



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

الأحكام الإلهية الواضحة تأتي متقنة، لا يدخلها خلل، ولا يصاحبها نقص، تفي بما أُصدرت من أجله، وتحفظ جانبًا من جوانب المجتمع من العناء والمكابدة، لأنها جاءت من حكيم عليم، قوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ والقاضي الفقيه يجد الطمأنينة فيما هو واضح من الأحكام، ويحكم في ضوئها جازمًا، لا يعتريه شك، ولا يعترضه تردد، ولايسمع لمعترض، ولا ينصت لناقد، أو ملاحظ.

أما الاجتهاد من البشر في ضوء عقلهم، وقياسًا على ما علموه، فقد يصيب فيه المجتهد أو يخطئ؛ لأن عقل الإنسان ذو مدى محدود، هو أقرب للقصور، وأدنى إلى الزلل؛ وإذا صفت النية في إصدار الأحكام، وبُذِلَ الجهد في التقصّي والتثبت، انتُظِرَ الأجر، وأُمِل في الثواب، فالإصابة لها أجران، والخطأ له أجر.

وقد تُظهر التجربة صحة الحكم، ويجري عليه العمل، باطمئنان ووثوق، ويكون الصواب فيه عائدًا بالأجر على صاحبه من طريق من يتبعه، ويعمل به إلى يوم القيامة، أما إذا أظهرت التجارب أن هذا أصبح بابًا يدخل منه صاحب الغرض والنية الفاسدة، ويستغله لأغراض تتنافى مع الإسلام، وروحه، ويكون فيه من الأذى والتعدي ما لم يأمر به الله، فإن من أفتى بالفتوى، أو أصدر الحكم، يكسب أجرًا بالتراجع عنه، وهذه أولى درجات الاستغفار.

والخلل أحيانًا يأتي من حَسَنِ النية، خَيِّر الاتجاه، عندما ينصبّ ذهنه على إصلاح جانب في المجتمع، ويعطي تفكيره كله لهذا الجانب، مما قد ينسيه جوانب أخرى، كان عليه أن يتنبه لها، ويفكر فيها، ويبحث عن الأحكام التي تتبعها؛ يغفل عن الجانب المهم، لاندفاعه في التفكير في الإصلاح في جانب آخر، فيُدخَل عليه من حيث ظن أنه آمن، ويُختَل من حيث ظن أنه مُحصَّن؛ وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري لحرصه على صلاح المجتمع في جانب رأى فيه بعض الخلل جعله يصدر حكمًا، اضطر فيما بعد أن يتراجع عنه، لأنه تبيَّن له أنه سوف يتسبب في ضررٍ غاب عن ذهنه، ونبهه عليه الواقع.

كثر الرقيق في عصر الأمويين والعباسيين، وكثر التأويل فيه لأغراض الاسترقاق، وارتُكبت، في سبيل ذلك الطمع، أخطاء وآثام، تألم لها القضاة والفقهاء، فجاؤوا من جانبهم باجتهاد مختلف الجوانب، يؤملون من ورائه أن يعدلوا الكفة، ويصلحوا شيئًا من الفساد، وهذا ما حدا بأبي بردة أن يفتي فتواه، والقصة ـ إن صَحَّت ـ هكذا:

«كان أبو بردة (ت:103هـ)، عامر بن أبي موسى الأشعري يلي للحجاج بعد الشعبي قضاء الكوفة، فكان يحكم: بأن رجلاً، لو قال للمملوك الذي لا يملكه: أنت حر، أنه يُعتَق، ويُؤخَذ المُعتِقُ بثمنه.

قال: فعشق رجل من بني عبس جارية لجارٍ له، فجُنَّ بها، وجُنَّت به؛ فكان يشكو ذلك إليها، فلقيها يومًا، فقال لها:

أشكو إلى الله أنه لا حيلة لي فيك.

قالت: بلى، والله، إن لك لحيلة، ولكنك عاجز؛ هذا أبو بردة يقضي بالعتق بما قد علمت.

فقال لها: إنك لصادقة.

ثم قدم بها إلى مجلس للنخعي، فيه قوم يُعَدَّلون. فقال: هذه جارية آل فلان، أشهدكم أنها حرة.

فألقت ملحفتها على رأسها (أي تسترت).

وبلغ ذلك مواليها، فجاؤوا، فقدموه إلى أبي بردة؛ وقدموا صاحب الجارية، فأنفذ عتقها، وألزم الرجل ثمنها. فلما أُمِرَ به إلى السجن، خاف إذا ملكت أمرها أن (تصير) إلى أول من يطلبها، وأن يخيب هو فيما سعى إليه من أمرها، فقال:

أصلح الله القاضي، لابد من حبسي؟

قال: أو تعطيهم ثمنها!

قال: فليس مثلي يُحبس في شيء يسير، أشهدكم أني قد أعتقت كل مملوك لآل أبي موسى، وكل مملوك للأشعريين، وكل مملوك لمذحج.

فخلَّى سبيله، ورجع عن ذلك القضاء، فلم يحكم به».

[كتاب: لطف التدبير للإسكافي:197- 198].

أبو بردة عندما حكم حكمه بالعتق لم يفكر في النتائج، ولم يخطر بباله ما خطر ببال العبسي، ماذا لو أعتق العبسي رقيق الكوفة؟ ماذا يفيد سجنه؟

لهذا تراجع أبو بردة، ولم يكابر، وإنما برَّأ ذمته بعد أن تبيَّن له الضرر، وفضَّل أن يقول الناس عنه: تراجع عن حكمه، عن أن يلقى الله بقلب مرتجف، عارف بما أقدم عليه مما سَبَّبَ ضررًا.

أعود فأقول: هذا إذا صَحَّت القصة، ولم تكن مما أُلِّف على عامر بن أبي موسى، وهو كثير، فإن صَحَّت فهذا وجهها؛ وإن لم تَصِحّ فهي طريفة من الطرف.

مذاهب وتيارات

جدليّة الحداثة والتخلّف

محمد بن سالم بن عمر

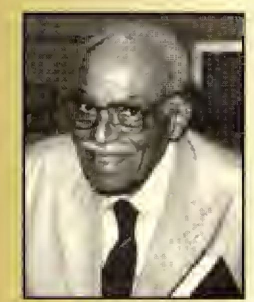
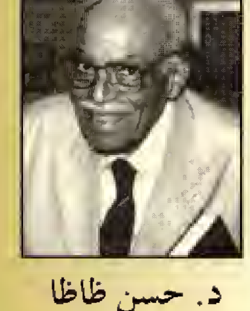
لعل "من أغرب ابتكارات الحداثيين في عالمنا الإسلامي زعمهم أنّ كلّ ما هو قديم يتعارض مع الحداثة، وبما أنّ النصّ الدّيني قديم في تقديرهم فلا يمكن حينئذ أن «يكون الأدب حديثًا إلاّ إذا رفض كلّ نصّ مقدّس» (كمال أبو ديب).

ولا يمكن لعاقل أن يقبل مثل هذه المعادلة التي تتنكر لأبسط حقائق الوجود. فالواقع لا يقرّ أبدًا رفض القديم لأنّه قديم أو قبول الجديد لمجرّد أنّه جديد. بل يُقبل الإنسان عادة على الأشياء التي يراها قادرة على تحقيق رغباته والوفاء بحاجاته وتجسيد طموحاته. فنحن حين نقرأ مثلاً للمعرّي أو المتنبّي أو لأبي نواس لا شكّ أننا نستفيد من تجربتهم الشعرية على طول العهد بيننا وبينهم، ومن هنا لا يمكن أن تُطرح قضيّة الحداثة من حيث القدم أو الجدّة، بل الأحرى أن تُطرح هذه القضيّة من ناحية قيمة الشيء ومدى فعاليته في حياتنا المعاصرة، فما نراه نافعًا وقادرًا على دفعنا نحو التجاوز والإبداع الأدبي نستحضره ونأخذ منه ما يروق لنا وندع ما لا نفع فيه، فالمسألة لا تتعلّق بمدى جدة الشيء أو قدمه زمنيًا بقدر ما تتعلّق بالجدوى أو عدم الجدوى. فالشاعر طرفة بن العبد مثلاً لا يزال حاضرًا في ذاكرتنا فاعلاً على طول العهد بيننا وبينه، في حين يموت بعض «شعراء الحداثة» قبل أن يولدوا.

أمّا بخصوص النصّ الديني ولأفترض أنّه «القرآن»؛ فلا أظنّ أنّ نصوصه تقف حجر عثرة في وجه الإبداع الأدبي أو غيره من المجالات الأخرى لسبب بسيط هو أن هذه النّصوص لم تتناول قط المتغيرات التي يمكن أن تطرأ على الحياة البشريّة في أيّ زمان وفي أيّ مكان، وإنّما نصّت جميعها على الثوابت في الكون والإنسان والحياة، وتركت للإنسان حريّة التصرّف في المتغيرات التي تطرأ على حياته بشرط أن يستلهم في اجتهاداته المختلفة تلك الثوابت. ولنأخذ مثلاً قضيّة العلم؛ فالنصّ القرآني لم يحدّد مطلقًا الوسائل والأساليب التي يمكن أن يتبعها الإنسان لتحصيل العلم واختراق الآفاق لأنّها متغيّرة بتغيّر الزمان والمكان وبحسب اجتهاد الإنسان، لكنّها أجمعت كلّها على ضرورة طلب العلم وجعله مفتاحًا لكلّ ما يفيد الإنسان في دينه ودنياه. وعندما يعلن القرآن صراحة عداوة اليهود للمسلمين فهذه العداوة أبديّة وإن تشكلت في أشكال مختلفة، وما على المسلمين إلاّ أن يضعوا هذه الحقيقة في حسبانهم وهم يتعاملون مع اليهود، وهكذا دواليك.

إن أولئك الذين يربطون الحداثة بالمتغيّرات الدّائمة دون الارتكاز على ثوابت تحمينا من المنزلقات والمعوقات الخطيرة يريدوننا أن نكون كالشجرة التي اجتُثّت من فوق الأرض ما لها من قرار، فلا تثمر أبدًا بل تزداد يُبسًا على مرّ الزمن. أمّا الثوابت الواردة في النصّ القرآني فهي قادرة على جعلنا شجرة يانعة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها حتى لا تسير بالبشرية في دياجير الظلمة والضبابية المهلكة؛ بل نشبع جوعها ونروي ظمأها ونهديها إلى طريق الأمن ورحمة السّماء.

فالمتغيّرات الحداثية إذن تدعونا إلى الضبابية وترك زمام أمورنا تذروها الرياح، مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ديدننا التردّد والحيرة والتيه في دياجير الظلمة والتخلّف والانحطاط.

د. حسن ظاظا

تسييس الصهيونية لهيكل سليمان!

علينا أولاً أن نتذكر دائمًا أن سيدنا سليمان وأباه سيدنا داود، عليهما السلام، لم يكونا في التاريخ الإسرائيلي من الأنبياء، بل كانا ملكين فقط، من أسرة «يهوذا» أحد أسباط بني إسرائيل، وكان حكمهما في أراضي الضفة الغربية فقط. أما الساحل الفلسطيني بمدنه وموانئه الضخمة، مثل عكا وحيفا ويافا وإشدود وعسقلان وغزة، فقد بقي تحت حكم الأمراء الفلسطينيين الأحرار المستقلين استقلالاً تامًا عن اليهود. وهكذا قامت المملكة اليهودية في المناطق الجبلية المحصورة بين السهل المحاذي لساحل البحر المتوسط والأغوار والجبال التي قامت فيها سلطة بني إسرائيل في أزهى عصورها: عصر داود وسليمان. وباختصار كان تقسيم الأرض أمام الغزو اليهودي القديم بعكس ما هو الآن: الفلسطينيون لهم دول وإمارات قوية ومستقلة تمامًا على الساحل، واليهود لهم (مملكة) إلى الشرق من السهل الساحلي؛ أي إن الوجود اليهودي والفلسطيني كان عكس ما هو عليه الآن. فاليهود كانوا في الضفة الغربية، والفلسطينيون على البحر المتوسط في السهل الساحلي! أما عاصمة داود فكانت في بداية حكمه في مدينة «حبرون/ الخليل»، وكان استيلاؤه على العرش بعد انتحار «شاؤول» أوّل ملك لبني إسرائيل في النصف الشمالي من الضفة الغربية، في منطقة السامرة. والعهد القديم يذكر وثيقة للتقسيم الإداري لمملكة سليمان بأسماء كل مدير لقسم منها، وكلها في داخل الضفة الغربية لا تتجاوزها غربا نحو ساحل البحر المتوسط. تقول هذه الوثيقة: «وكان لسليمان اثنا عشر وكيلاً على إسرائيل، يمتارون للملك، وكان على كل واحد أن يمتار (أي يجبي الخراج) شهراً من السنة. وهذه أسماؤهم: بن حور في جبل إفرايم، وبن داقر في ماقص وشعليم وبيت شمس وأيلون وبيت حانان، وبن حاسد في أربوت وكانت له شوكو، وكل أرض حافر، وبن أيناداب في بقعة دور، وكان زوجًا لطافث بنت سليمان، وبعنا بن أخيلود في تفنك ومجدّو وإقليم بيسان التي عند صرتان، أسفل يزرئيل، من بيسان إلى آبل محولة إلى ماوراء يقمعام. وبن جابر في مرتفعات جلعاد، وله مزارع يائير منسّى التي في جلعاد وبقعة أرجوب التي في باشان: ستون مدينة كبيرة ذات أسوار ومغاليق من نحاس. وأخيناداب بن يدو في محانايم، وأخيماعاص في نفتالي، وهذا أيضًا كان زوج بسمة بنت سليمان، وبعنا بن حوشاي في أستير وبعلوت، ويوشافاط بن فاروح في يساكر، وشمعي إيلا في بنيامين، وجابر بن أوري في أرض جلعاد، أرض سيحون ملك الأموريين، وعوج ملك باشان، وهو الوكيل الوحيد في الأرض. وكان يهوذا (أي سبط داود وسليمان) وإسرائيل (أي بقية الأسباط) كثيرين مثل الرمل الذي عند البحر عددًا!! يأكلون ويشربون ويتمتعون. وكان سليمان متسلطًا على جميع الممالك، من النهر (الأردن) إلى أرض فلسطين إلى حدود مصر، يحملون إلى سليمان الهدايا خاضعين له كل أيام حياته» (سفر الملوك الأول ـ الفصل الرابع 7-21). وفي النص نفسه يعزو الراوية ذلك إلى أن عهد سليمان، كان عهد سلام، وكانت بينه وبين جيرانه جميعا صداقة وثقة واحترام. ولم يشذ عن هذا إلا... رعيته: اليهود!!

سليمان عليه السلام: أعظم ملوك التاريخ

كان سليمان عليه السلام ملكا عظيمًا، وصفه الرواة المعاصرون من اليهود، بأنه كان حكيمًا، وبأنه كان محبًا للخيل، والنساء، والتأنق في المطعم والشراب والملبس، وبأنه كان ذكيًا، عادلاً. وباختصار كان أعظم ملوك التاريخ وأن ملكه لا ينبغي لأحد من بعده. وهذه الدعوة المباركة التي ذكرها القرآن الكريم حق، فقد وهب الله تعالى له ملكا لا ينبغي لأحد من «ملوك بني إسرائيل وحكامهم» من بعده.. وإلى الآن، لأن عهده كان عهد سلام كاسمه «سليمان»، ولأن يده كانت طاهرة من القتل وسفك الدماء، ولأن كل ما حصل عليه لم ينله بالقوة أو بالتمرد أو بالاغتصاب؛ بل بقبول من عند ربه جعله مقربًا محبوبًا من كل جيرانه؛ حتى أولئك الذين كانوا يكرهون بني إسرائيل منعتهم هيبة سليمان من أن يمسوا شعبه بأذى ـ في حياته على الأقل ـ خصوصًا لـمّا شرع في بناء الهيكل في القدس (أورشليم) وطلب العون المادي والفني من الجيران، لأن بني إسرائيل لم يكن فيهم هذا المستوى لتحقيق آمال سليمان في بناء معبد مركزي ـ في حدود إمكاناته ـ، وكان ـ عليه السلام ـ أحكم من أن يطمع في معبد بأورشليم يقارب المعابد العراقية في بابل ونينوى، أو المعابد الفرعونية في الأقصر وإدفو والجيزة، أو غيرها من الصروح المقدسة التي كانت تُرفع إلى السماء في كل المجموعات البشرية من عباد الله.

بدايات المعابد اليهودية وتطورها

وإذا كان بناء الهيكل في أورشليم قد أقيم في عهد سليمان بن داود ـ في أوائل الألف الأول قبل ميلاد المسيح، أي بعد موسى بخمسمئة سنة ـ فما الأماكن التي كان يرتادها بنو إسرائيل قبله، ومنذ القدم؟

يبدو أن أهم العبادات الجماعية كانت تتم في الهواء الطلق، وكانت لمكان العبادة المختار شروط. فمن حيث الموقع كان يختارون المكان بالقرب من مورد للماء العذب: نهر أو مجرى سيل أو عين أو نبع أو بئر. ذلك أن الأضحية كانت تُجلب حية لتُذبح قربانًا للمعبود، وكان ينبغي بعد ذبحها غسلها تمهيدًا للطقوس التي تلي ذلك، وماداموا يفضلون موارد الماء

فإن القرين لذلك كان النبات الأخضر، وأفضله الشجر الكبير مثل السرو والسنديان، أو أحراش الزيتون أو التين، حتى يجد المجتمعون الظل الذي يقيهم ضربات الشمس، وكانوا يختارون البقعة التي تُوصف بأنها مباركة في ظل جبل أو تلّ أو صخرة عظيمة. ومع الزمن عبد الناس ينابيع الماء، والصخور والجبال، والأنهار والآبار، لا يشذ عن ذلك بنو إسرائيل. وقارئ التوراة وكتب الأنبياء، وأسفار الحكمة يجد ذلك مراراً وتكراراً، ويجد أيضًا نهي الأنبياء عن عبادة الصخور والأشجار والآبار، ولو ذكرنا ما جاء من ذلك القبيل في كتبهم لطال الحديث في غير طائل. وكان اجتماعهم في البقعة المقدسة على شكل حلقة أو دائرة يتوسطها مذبح القرابين، وهو بناء مرتفع من الأرض مُعَدّ لوقوف الكاهن الذي يؤم المتعبدين واقفا. وأصل معنى الكاهن هو (الواقف) في اللغات السامية القديمة. وقد أقام سيدنا إبراهيم مذبح الضحية هذا ليقدم ابنه قربانا لله، فافتداه ربه برأس من الغنم، وكانت هذه أول خطوة في تحريم الضحايا البشرية على بني الإنسان. وجاء الخبر بأن يعقوب - حفيد إبراهيم - عندما عبر الأردن، ووصل إلى مدينة «شكيم» (نابلس الحالية)، وقرر الإقامة فيها أقام مكانًا لعبادة الله، نواته مذبح للقرابين عند سفح جبل نابلس، حيث الماء الوفير وأحراش الزيتون التي كانت - ومازالت - مضرب المثل في الجودة والكثافة. وكان مكان العبادة هذا إذا استمر استخدامه وشي بعض الهندسة لراحة المتعبدين، ومازال الموقع على سفح «جريزيم» مقراً لليهود السامريين إلى الآن. وعندما عبر يوشع بن نون - بعد وفاة موسى - من أرض إدوم بجنوب الأردن إلى فلسطين أول مرة، واستولى على مدينة «أريحا» اتخذ مكانًا للعبادة وتقديم القرابين، سُمّي (الجلجال) أي الدائرة، وربما كان يحمل هذا الاسم لدى الفلسطينيين القدماء، وتعددت هذه الدوائر المقدسة باسم (جلجال) أو (جليل) في أماكن عدة من فلسطين، حتى إن سليمان خصص (دائرة غير دينية) في شمالي فلسطين لاستقبال العمال اللبنانيين القادمين من صور وصيدا، ومغادرة العمال العائدين إلى لبنان، وكان هذا المكان يسمى (جليل هَجُّويم) أي: دائرة الأجانب أو محيط الغرباء أو حوزة الكفار! في إقليم «طبرية» في الشمال، بالقرب من لبنان.

ثم تطورت عمارة المعابد اليهودية مع الزمن، وبتأثير عمارة المعابد المصرية أو البابلية. فالمعابد المصرية كانت على ضفاف النيل، وعلى تخطيط مستطيل، موجّه نحو مشرق الشمس، يبدأ ببوابة فخمة، ثم فناء كبير مكشوف إلى السماء، يفضي إلى بهو الأعمدة الذي كان سقفه من بلاط ضخم من الحجارة، شاهق الارتفاع يرتكز على أعمدة دائرية من الجرانيت، لها قواعد مكعبة، وتيجان ذات أساليب وطرز محددة، فإما أن تكون «نخيلية» أي على شكل سعف النخيل، أو «لوتسية» على شكل زهرة اللوتس، أو «بشنينية» تحاكي نبات البَرْدي المائي الذي كان يصنع منه الورق لتسطير النصوص الدينية المقدسة عندهم، وكتاب الموتى، وبعض كتب السحر. كما كانت تيجان الأعمدة تحمل صوراً من النحت البارز لوجه معبودهم «أوزيريس» أو معبودتهم «إيزيس»، وكان الضوء يأتي إلى بهو الأعمدة من فتحات بين بلاط السقف وجدران المعبد تؤمن التهوية أيضًا.

وأما «قدس الأقداس» في المعبد الفرعوني فكان مكانًا للقارئين والمرتلين من الكهنة والمنشدين والموسيقيين، وخلفهم جميعًا ستارة تخفي وراءها صنم العبادة، ولا يدخلها إلا الفرعون والكاهن الأعظم في المناسبات المهمة.

أما المعابد البابلية فكانت مساحات كبيرة مكشوفة، مربعة الشكل ترمز إلى كبير آلهة السماء المهيمن على الجهات الأربع الأصلية، كما كان بعضها دائريًا، أو بيضيًا يرمز إلى البيضة وقدرة الإله الخالق على إخراج الميت من الحي (البيضة من الدجاجة) أو إخراج الحي من الميت (الفروج من البيضة). وبوابات المعبد تحمل منحوتات بارزة لمخلوقات علوية وهمية: ثيران أو أسود حارسة لها أجنحة، وأناس - رجال ذوي لحى طويلة، وقلانس فخمة، ولهم أجنحة، لكل واحد ستة أجنحة، العلويان يغطي بهما وجهه عندما يتجلّى الربّ، والجناحان السفليان يستران عورته، والجناحان الأوسطان ينشرهما ليطير بهما. وبالقرب من باب المعبد توجد مذابح حجرية للقرابين، وفي وسط المعبد يقوم برج شاهق الارتفاع، يصعد إليه بعض الكهنة المأذونين، لرصد النجم الذي يحدد وقت العيد أو العبادة، وهذا البرج - اسمه بلغته «زقُّورة» - يكون مربعا للمعبد المربع، ويصعد إلى قمته بسلم مبني في خط منكسر الزوايا، ويكون حلزونيا في المعبد الدائري أو البيضي، ويبدو تأثر اليهود بالفراعنة والبابليين في حدود طاقتهم المادية والحضارية.

ولا نستطيع هنا أن ننسى - أو نتناسى - معابد أقل فخامة من معابد الفراعنة أو البابليين والأشوريين، كانت أقرب مسافة وأخف مئونة من معابد تلك الإمبراطوريات الشاسعة الغنية، مثل معابد بعل ومُولك وعشتروت عند الكنعانيين في فلسطين، ومعابد أدونيس وتموز في لبنان، ومعابد الشمس وآلهة الشمس وآلهة السماء في المدن الآرامية بسورية، ومعابد كَمُوش في الأردن، ومعابد القمر في سيناء وأجزاء كثيرة من شبه الجزيرة العربية بأسماء متعددة ومسميات متجاورة أو دالة على بعض نجوم السماء مثل اللات والعُزّى ومناة ويغوث (إله المطر)، ويعوق (إله الجبال) ونَسْر (إله الريح)، وتيامتْ (إلهة سواحل البحر التي مازال تهامة تحمل اسمها إلى الآن)، والمعبود اليمني وَرْخ وهو الهلال، ومن اسمه جاءت في اللغة العربية كلمة «التاريخ».

فهذه دراسة مقارنة في الوثنيات في منطقة الشرق الأوسط لعل بعض المتخصصين من أبناء تلك المناطق يُسعفنا بها؛ ففيها أضواء باهرة تبين لنا أن أولئك السكان القدماء كانوا حائرين في أسرار هذا الكون إلى أن تداركهم ربهم بالديانات السماوية: الموسوية التي شوهها اليهود بعد أن جمدوها وحددوها، ثم الصابئة التي دعا إليها النبي يحيى وسماها أتباعها «المندعية»، وكان المؤمنون بها على تخوم إيران لا يُحسنون النطق بحرف العين، فنطقها كثير منهم «المندائية». ولفظة «مَنْدَع» في لغتهم القديمة تعني «العلم» أو «المعرفة».

في قلوب اليهود حقد لا ينقطع

فمن مذبح القرابين في الهواء الطلق، ومن الحلقة الدائرية للعبادة الجماعية، إلى هيكل سليمان، كان من حق كل يهودي أن يصنّفه على أنه أعجب عجائب الدنيا - التي لم يكونوا رأوها ولا عرفوها، ولا فكروا في مَن اشترك في بنائها، ولا من أين حصل سليمان العظيم على ما يلزم لإتقانها وزخرفتها. ثم ظلوا بعض ذلك يجترون الحقد على من هاجمها وأحرقها ودمرها وسوّاها بالأرض، مع أنه بُنيَ في مكانها هياكل أخرى كلها أكبر وأفخم منها، ولكن كانت عظمة البناء من عظمة سليمان، ناسين مع ذلك أن عظمته كانت لأنه «ملك السلام» عندهم، ونبي السلام عند أبناء العالم كله! ونتذكر هنا ما قاله لأبيه داود نبيٌّ كان يعيش في مملكته هو ناتان؛ إذ قال له إنه رأى الله في المنام فأمره أن ينهى داود عن بناء الهيكل، لأن الله كان يُعبد من المؤمنين به في الهواء الطلق، وإن كان لابد من (حبسه) في جدران من الحجر، فإن أحد أبنائه سيرثه، وستظل يده طاهرة من دماء البشر، فهذا الابن الوريث لأبيه سيكون متمسكًا بالسلام، مسالمًا لجيرانه جميعا، وسيكون شعاره: السلام، واسمه (سليمان) من السلام. وأخبر ناتان داود بأن يترك فكرة بناء هيكل الله؛ وسمح له مع ذلك أن يعدّ العدّة لهذا المشروع العظيم.

مقدمات بناء الهيكل

كان داود قد بسط نفوذه - بالقوة - على من حوله من الفلسطينيين، وكان كثير التردد إلى «يبوس» أو «شالم» التي أطلق عليها بعد ذلك اسم «أورشليم» أو «بيت المقدس» كما سُمّيت في التلمود، أو القدس كما سمّاها المسلمون. وفي زيارة من داود للبلدة رأى

عجبًا. قال الراوي في العهد القديم - والمشهد في القدس ومعه قائد جنده «يوآب» بعد أن أحصى جملة عدد الشعب وأبلغها إلى داود -:

«فكان كل إسرائيل مليون ومئة ألف مقاتل بالسيف. أبناء يهوذا (جنوب فلسطين) أربعمئة وسبعون ألف رجل بسيوفهم، أما سبطا بنيامين ولاوي (ليفي) فلم يعدّهم معهم لأن كلام الملك كان شديدًا على يوآب. وقبح هذا الأمر (إحصاء عدد الجنود) في عيني الله، فضرب إسرائيل، فتوسل داود إلى الله قائلاً: لقد أخطأت جدًا إذ أمرت بهذا العمل. والآن تجاوز عن إثم عبدك، فقد أثمت جدًا. فكلّم الربُّ جادَ، منجم داود، قائلاً: إذهب وكلّم داود، وقل له هكذا قال الرب: أعرض عليك ثلاثة أمور، فاختر لنفسك واحدا منها فأعمله بك: إما مجاعة لثلاث سنين، أو ثلاثة أشهر من الهزيمة أمام أعدائك، أو ثلاثة أيام يكون فيها سيف الرب عليك، ووباء في الأرض، وملاك الرب يعيثُ في كل أرجاء إسرائيل. فانظر الآن ماذا أردّ الجواب لمن أرسلني! فقال داود لجاد: لقد ضاق الأمر جدًا! فدعني أسقط في يد الرب، فإن مراحمه كثيرة جدًا، ولا أسقط في يد إنسان. فأصاب الرب إسرائيل بالوباء فسقط منهم سبعون ألف رجل، وأرسل الله ملاكًا على أورشليم لإهلاكها، وفي أثناء ذلك رأى الرب فندم على هذا الشر، وقال لملاك الهلاك: حسبك الآن كُفَّ يدك! وكان ملاك الرب قد وقف عند بيدر أرنان اليبوسي!

ورفع داود عينيه، فرأى ملاك الرب واقفا بين الأرض والسماء، وسيفه مسلول بيده وممدود على أورشليم، فخرّ داود والشيوخ سجّدًا على وجوههم مكتسين بالمسوح! وقال داود لله: ألست أنا الذي أمرتُ بإحصاء الشعب، وكنت في ذلك المخطئ والمسيء؟ فما ذنب هؤلاء الخراف؟ فيا ربي وإلهي لتنزل يدك عليّ وعلى بيت أبي بالعقاب، لا على شعبك! فكلّم ملاكُ الرب جادَ (العراف) ليقول لداود أن يصعد داود ليقيم مذبحًا للرب في بيدر أرنان اليبوسي. فصعد داود حسب كلام جاد الذي قاله باسم الرب! فالتفت أرنان فرأى الملاك، فاختبأ أبناؤه الأربعة الذين كانوا معه! أما أرنان فكان يدرس القمح. وجاء داود إلى أرنان، ونظر أرنان فأبصر داود، وخرج من البيدر وانكفأ على وجهه ساجدًا لداود. قال داود: يا أرنان، أعطني موضع البيدر لأبني فيه مذبحًا للرب ولك ثمنه كاملاً إن أعطيتنيه، حتى يرتفع العقاب عن الشعب. فقال أرنان لداود: خذه، وليفعل مولاي الملك ما يحسن في نظره. وها قد بذلت البقر محرقات والنوارج تكون حطبًا، والقمح تقدمة، قد بذلت كل شيء. فقال الملك داود لأرنان: كلاّ! بل أشتري منك بالثمن كاملاً، فلا آخذ مالك للربّ، فأصعد له محرقة مجانية! ودفع داود عن المكان وزن ستمئة مثقال من الذهب، وبنى هناك مذبحًا، وأصعد محرقات وذبائح سلامة، ثم دعا الرب، فأجابه بنار من السماء على مذبح المحرقة! وأمر الرب الملاك فردّ سيفه إلى فخذه!! في ذلك الوقت، إذ رأى داود أن الرب استجاب له في بيدر أرنان اليبوسي، ذبح هناك، لأن مسكن الرب الذي عمله موسى في الصحراء ومذبح المحرقة كانا في ذاك الوقت في مرتفع «جبعون» فلم يكن داود بقادر على أن يمشي إلى هناك، ليستخير الله، لأنه خاف من سيف ملاك الرب!» (العهد القديم، سفر أخبار الأيام الأول، فصل 21:7-30).

كان بيدر أرنان الفلسطيني هو البقعة الوحيدة غير المغتصبة من أرض فلسطين، هي ومغارة الخليل/حبرون المزدوجة التي كان سيدنا إبراهيم اشتراها عندما ماتت سارة من «أبيملك» أحد ملوك الفلسطينيين القدماء. وبيدر أرنان لم تكن مساحته عشر معشار المسجد الأقصى وقبة الصخرة وقبة السلسلة والساحات الشاسعة التي يغطيها الحرم المقدسي الشريف. «وقال داود لسليمان: يا بُني، إنه كان في نفسي أن أبني بيتا لاسم الربّ إلهي. غير أنه صار إليّ كلام الربّ قائلاً: إنك قد سفكت دمًا كثيرًا، وخضت حروبًا عظيمة، ولن تبني أنت بيتًا لاسمي، لأنك قد سفكت دمًا كثيرًا على الأرض أمامي.. ولكن سيولد لك ابنٌ، يكون رجل سلام، وأنا أريحه من جميع أعدائه من حوله، لأن اسمه سليمان، وأمنح السلام والأمن لإسرائيل في أيامه. فهو الذي يبني بيتا لاسمي، وهو يكون لي ابنا، وأنا أكون له أبًا، أثبت عرش ملكه إلى الأبد!!» (أخبار الأيام الأول 22:7-10).

وكان داود قد أعدّ - كما ألمحنا - ما يلزم من المال ومواد البناء، بل ما ذكره الكتاب يفوق ذلك بكثير، بالنسبة لمعبد صغير، فجاء في الكتاب وفي الفصل المذكور نفسه: مئة ألف قنطار من الذهب، ومليون قنطار من الفضة، ومن النحاس والحديد ما يفوق التقدير لكثرته كما خزن من الأحجار والأخشاب الشيء الكثير، وإذا لم تكف استطاع سليمان أن يزيد عليها، كما أعدّ له صنّاعا كثيرين مهرة في نقش الحجارة والخشب: «وأمر داود جميع رؤساء إسرائيل بأن يساعدوا سليمان ابنه قائلاً: ألم يكن الربّ إلهكم معكم، وقد أراحكم من كل جهة، إذ سلّم جميع سكان الأرض بيدي، فخضعت الأرض أمام الرب، وأمام شعبه، فوجّهوا الآن قلوبكم ونفوسكم لالتماس الرب إلهكم، وقوموا وابنوا مقدسَ الرب الإله، لإيواء تابوت عهد الرب وآنية الله المقدسة في البيت المبني لاسم الرب» (سفر الملوك الأول - فصل 22: 17-19).

رأى سليمان ضخامة ما أعده داود قبل موته من أموال طائلة، أكثر بكثير مما يتطلبه المعبد، ومن الراجح أنه فكر بحكمته - التي أصبحت مضرب الأمثال - أن يستفيد من هذه الثروة الطائلة في تشييد عاصمة لملكه تبهر أنظار القادمين إليها من أي مكان، وليس من المهم أن يكون الهيكل أفخم ما فيها.. وهكذا لاحظ نقصًا في مواد البناء التي كان داود قد كدسها.. للهيكل، وكان الحليف الذي يمدّه بها هو «حيرام» اللبناني ملك صور. فكتب إليه سليمان يقول: «كما فعلت مع داود أبي، وأرسلت إليه أرزًا ليبني له بيتًا يسكن فيه، تفعل معي، فإني أبني بيتا لاسم الرب إلهي لأقدسه له، وأبخر بين يديه بخورا وعطرًا، ولتصفيف الخبز الدائم والمحرقات صباح مساء في السبوت وفي رؤوس الشهور، وفي أعياد الرب إلهنا مما على إسرائيل مدى الدهر. والبيت الذي أنا أبنيه بيت عظيم، لأن إلهنا عظيم، أعظم من جميع الآلهة. فمن يستطيع أن يبني له بيتًا؟ والسماوات وسماوات السماوات لا تسعه، ومن أنا حتى أبني له بيتًا؟ إلا لأبخر بين يديه. فالآن أرسل لي رجلاً حاذقا في أشغال الذهب والفضة والنحاس والحديد والأرجوان (اللون الأحمر الزاهي) والقرمز (الأحمر الداكن) والأسمنجوني (الأزرق السماوي)، ويكون هذا الصانع ماهرًا في النقش، حاذقًا في النقش، مع الحذّاق الذين عندي، في يهوذا وأورشليم، الذين أعدهم داود أبي، وأرسل لي أخشاب أرز وسرو وصندل من لبنان، لأني أعلم أن رعاياك مهرة في قطع الخشب من لبنان، ورعاياي يكونون مع رعاياك، فيجهزون لي أخشابًا بكثرة، لأن المعبد الذي أبنيه ضخم عجيب، وسأعطي النشارين الذين يقطعون الخشب عشرين ألف كُرٍّ من القمح طعامًا لرعاياك، وعشرين ألف كُرٍّ من الشعير، وعشرين ألف جرة من النبيذ، وعشرين ألف جرة من الزيت! فأرسل حيرام ملك صور كتابا إلى سليمان يقول: إن الربّ من

عندما أراد داود عليه السلام بناء الهيكل دفع ثمن الأرض نقداً، مع أن صاحبها أراد أن يتبرّع بها؛ أما الصهاينة المعاصرون فكل شيء يحصلون عليه بالاغتصاب!

تسييس الصهيونية لهيكل سليمان!

حبه لشعبه، أقامك عليهم ملكا! وقال حيرام: مباركٌ الربّ، إله إسرائيل، خالق السماوات والأرض، الذي رزق الملك داود ابنا حكيما، أوتي حكمًا وعلما، حتى يبني بيتًا للرب، وبيتًا لملكه (أي عاصمة للمملكة)، والآن قد وجّهتُ رجلاً ماهرًا، وهو ابن امرأة من بنات دان (سبط من إسرائيل مستقر في شمالي فلسطين)، وأبوه رجل من صور خبير في أشغال الذهب والفضة والنحاس والحديد، والحجر والخشب، والأرجوان والأسمنجوني والبز (النسيج الأبيض) والقرمز وصناعة كل نقش، وإبداع كل شيء يُطلب منه، مع مهرتك ومهرة سيدي داود أبيك.

وأما القمح والشعير والزيت والنبيذ، ما ذكر سيدي أنه يرسله لعبيده، فنحن نقطع الخشب من لبنان، بحسب احتياجاتك، ونرسله إليك على أطواف في بحر يافا، وأنت تنقله إلى أورشليم. (سفر أخبار الأيام الثاني ـ الفصل 2:3-16).

تخطيط هيكل سليمان

كان هيكل سليمان ـ في زمانه ـ أعجوبة في الأناقة وكثرة الأصباغ والألوان مع البساطة الشديدة في البناء. فقد كان مبنيا على مخطط مستطيل، موجه نحو مشرق الشمس، طوله ثلاثون مترًا، وعرضه عشرة أمتار، وكان مقسمًا إلى ثلاثة أقسام متساوية يكون كل منها 10×10أمتار. وعند بوابة الدخول يجد الداخل:

1ـ المربع الأول، وهو فناء أو ساحة غير مسقوفة، يواجه الداخل إليها مذبح مستطيل على شكل منضدة لنحر الذبائح وإعداد ما يلزمها، وإلى اليسار حوض كبير من النحاس، يُملأ بالماء للتطهر وتنظيف الذبائح، وكان المعاصرون من بني إسرائيل يسمونه «بحر النحاس»، وزعم بعضهم أنه كان مرفوعًا عن الأرض ـ وهذا ممكن ـ على اثني عشر تمثالاً من النحاس أيضا ترمز لأسباط بني إسرائيل؛ لأن فنون النحت كانت منهيًا عنها في الوصايا العشر التي تكاد تبقى بمضمونها كما أنزلت على موسى عليه السلام، مما ترتب عليه أن النحاتين ـ القدامى والمحدثين ـ لم يكن لهم نجاح أو عليهم إقبال إلا عندما تحرروا من الطاعة الحرفية لنصوص الشريعة. وكان في هذا الفناء الأول فرن لإعداد خبز التقدمة ولإحراق المحرقات والضحايا.

2ـ من هذا الفناء المكشوف يفضي الداخل إلى بهو العبادة، وهو مسقوف ترتكز سقوفه على جذوع كاملة من شجر الأرز، بعد تقويمها وتنعيمها وطلائها بالذهب، وفي نهاية كل عمود طوق من النحاس تُعلّق فيه مصابيح الإضاءة التي تزود بزيت الزيتون لإشعالها، والتهوية من فتحات جانبية تذكر بنظام التهوية في المعابد الفرعونية الصغيرة، وهنا في بهو العبادة مناضد صغيرة تُوضع عليها بعض المخطوطات، ويتخفف المصلون من بعض ثيابهم في الحر الشديد. ولا يحتوي البهو على مقاعد، فالجلوس والسجود يكونان أرضا، وربما لا تكون الأرض مرصوفة أو مبلطة (كما يُستفاد ذلك من الطقوس الخاصة بالمرأة التي يشتبه زوجها في أنها تخونه، وليس عنده دليل على خياناتها، فإنه يشكوها إلى الكاهن، فيأخذ الكاهن صحنًا ويكتب عليه اللعنات التي تتعرض لها المرأة الخائنة ثم يغسل الكتابة بالماء، ويكنس من غبار المعبد فيرشه على هذه اللعنات الذائبة في الماء، فإن تأذت بها صحة المرأة فالتهمة صحيحة، وإلا فالمرأة بريئة).

3ـ المربع الثالث والأخير، مقسوم قسمين: أمامي وخلفي. فالقسم الأمامي يقف فيه الكهنة والمنشدون والعازفون على الآلات الموسيقية: من آلات أنبوبية للزمر كالناي والشبّابة والمزمار المزدوج، وكالقيثارة وسائر الآلات الوترية كالرباب، والمعزف الكبير، وآلات الرنين مثل المثلث المعدل، والجلاجل وأنواع الطبول والطنابير، وآلات أخرى اندثرت مثل الجتية، والصينية التي كانت تُستخدم في المآتم والأحزان. وفي هذا المكان كان يقف الواعظ فيلقي موعظته.

أما القسم الأخير من هذا المربع فإنه يسمى «قدس الأقداس»، ويحتوي على نسخة شرعية من توراة موسى بالعبرية في صندوق محكم، وعلى جانبي التوراة وصندوقها رمزان من الخشب إلى اثنين من الملائكة الحارسة. وقدس الأقداس هذا شديد الظلام، ولا يمكن للجمهور دخوله، بل يدخله الكاهن الأعظم، أو مَن يمثله، وكذلك «ملك اليهود» أو من يمثله أو ينوب عنه.

فهذا المبنى الديني في أورشليم سليمان هو الذي أرادت الصهيونية ـ قديمًا وحديثًا ـ أن تثأر لهدمه. ولو تتبعنا التفاصيل، وستتبعها إن شاء الله في بحوث وتحقيقات قادمة، ستتبين منها أن هذا الهيكل كثرت حوله في أثناء وجوده الاتساعات، والزوائد، فكانت تضم مساكن للكهنة، ومخازن للمؤن والمفروشات، و(جنيزة) لتخزين أية ورقة مكتوبة غير مرغوب فيها، لأن حروف التوراة كلها مقدّسة، يحرم إحراقها أو إغراقها أو تمزيقها أو إلقاؤها في المهملات!

أرادت الصهيونية أن تثأر لهدم هيكل سليمان على يد بختنصَّر البابلي، فألزمت كل يهودي أن يترك في بيته ركنًا خربًا، يرمز إلى خراب الهيكل وتدميره!

رمز للخراب في كل بيت!

والذي يهمنا هو أن نأخذ فكرة عن المصائب التي حلّت بهيكل سليمان بعد موت سليمان مباشرة، حتى انتهى ذلك بإحراقه وهدمه وتقويضه في عهد بختنصَّر البابلي، وما زالت نزعة الثأر لهذا الهيكل تساير العصور منذ تدميره وتسويته بالأرض إلى الآن، وحتى لا ينسى اليهود هذه الكارثة أصبح فرضا على كل يهودي متدين أن يترك في بيته جزءًا صغيرًا خفيًا، غير مغطى بالطلاء وكأنه خراب، لا يمكن ترميمه إلى أن يعاد بناء الهيكل في أورشليم/ القدس. كما أن الماسونية التي قامت على كاهل مهندسين من اليهود اجتمعوا، بعد أن كثر فيهم القتل، لأن أمراء النصارى في أوربا في العصورالوسطى كانوا يطلبون من المهندس أن «يخترع» لكل منهم شيئًا سريا في عمارة هذا الحصن أو القصر تجعل مهاجمته مستحيلة. وكان أمير الحصن أو القصر يدبر لاغتيال المهندس بسرعة خشية إفشاء السرّ للأعداء. فكوّن المهندسون ـ وكانت فيهم كثرة يهودية ـ نقابة سرية سموها «البناؤون الاحرار أو الماسونية» لأن معنى هذه الكلمة في اللاتينية «مهندس المباني». وأصبحت الماسونية نقابة سرية لا تقتصر على المهندسين، ولا اليهود؛ لكن ظلت اللمسة اليهودية فيها، فالمحفل هو الهيكل، وأكثر رموزه عبرية. ورئيس المحفل هو عندهم خليفة سليمان، وكل رموز الماسونية مأخوذة ـ حقا أو باطلاً ـ من خرافات خاصة بالهيكل، مع أنهم لو أطالوا التفكير لتبيّن لهم أن هيكل سليمان لم يكن معجزة معمارية في ذاته، وإنما خلع عليه هذا الشرف أنه كان أول رمز ديني وسياسي لشراذم من الناس وحّدها داود وسليمان، وأسسا منها مملكة مزدهرة، ثم جاء دورها في الاضمحلال سريعا.

فقبل تدمير بختنصر لأورشليم والهيكل كان الإمبراطور الأشوري «سنْخاريب» قد أعطى أمرًا لقائد جيوشه في فلسطين «ربْشاقه» بالزحف على أورشليم وتخريبها، نحو عام 710 ق.م، وفعلاً اتجه ربشاقه إلى المدينة، وكان ملك اليهود إذ ذاك «حزقياهو»، فأرسل إلى سنخاريب منحة كان قد فرضها جزية على حزقياهو «ثلاثمئة قنطار من الفضة وثلاثين قنطاراً من الذهب، فأدّى إليه حزقياهو جميع الفضة التي وجدت في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك. وكان حزقياهو قد نزع إذ ذاك غشاء الذهب عن أبواب هيكل الرب وعن الأعمدة التي كان حزقيا ملك يهوذا قد غشّاها بالذهب ودفعه إلى ملك أشور. ومع ذلك أرسل ملك أشور «تَرْتان» و«ربساريس» و«ربشاقه» من

تسييس الصهيونية لهيكل سليمان!

لاكيش إلى الملك حزقياهو بجيش عظيم إلى أورشليم. فصعدوا وأتوا أورشليم. ولما وصلوا جاؤوا وعسكروا عند قناة البركة العليا التي في طريق ساحة نشر نسيج القصَّار» (الملوك الثاني 18:14-17). وبعد مفاوضات طويلة؛ ووباء انتشر في الجيش الأشوري راح ضحيته مئة وخمسة وثمانون مقاتلاً. وكانت هذه هي (المعجزة) التي عَجَّلت بجلاء الجيش الأشوري عن أورشليم ببركة داود، كما قال حزقياهو.

تدمير الهيكل.. والسبي البابلي

وأخيراً جاء بختنصر بجيش كبير يقوده «نبوزَرْدان» فضرب الحصار على المدينة. وفي هذا الوقت كان نبيهم إرميا ينصحهم بالتفاهم السلمي مع بختنصر فيرفضون. وكانت أزمة رهيبة، وانقسام فظيع، وعشرات من الأنبياء يأمرون بالمقاومة؛ على حين كان إرميا ينصح بمسالمة العدو، لقوته الهائلة التي تمكنه من ابتلاع أورشليم بسهولة. وبعد شهور من الحصار التي تتخللها مفاوضات حول التسليم؛ وفي كل مرة تزداد شروط الإمبراطور قسوة.

ولكن كيف كانت تجرى هذه المفاوضات السرية؟ كان الجيش البابلي يسمح لليهود بالخروج والعودة من المدينة وإليها، لدفن الموتى، لأنهم كانوا يعلمون أن دفن الموتى محرم عند اليهود في أورشليم. فكان النبي إرميا يقول لأتباعه أن يضعوه في نعش، ويحملوه، حتى إذا غادر باب الحرس أطلقوه، فيذهب إلى القائد «نبوزردان» أو من ينوب عنه لبحث المشكلة، ثم يعود إلى أورشليم أكثر تشاؤماً مما ذهب. وطال هذا الأمر حتى انتهى جنود نبوزردان من ردم جزء بين السور والأرض يرقون به إلى المدينة. وفعلاً نزلوا على المدينة من السور، فأمعنوا فيها قتلاً وإحراقاً وتدميراً وسلباً ونهباً (كان ذلك نحو عام 690ق.م). وفي غضون هذه الأزمة العصيبة مات الملك اليهودي حزقياهو، فخلفه ابنه مَنَسَّى، وكان عمره عند توليه العرش اثنتي عشرة سنة، وجلس على العرش اليهودي في أورشليم خمسا وخمسين سنة، وهو الرابع عشر في الملوك الذين جلسوا على عرش أورشليم.

أما السامرة ـ مملكة الشمال المنشقة على أسرة داود ـ فإنها كانت إذ ذاك قد سقطت وتفرق من فيها من الإسرائيليين، وحلت محلهم جموع من غير شعب بني إسرائيل أغلبهم من العرب ومنهم إدوميون (من الأردن) وأشوريون (من العراق) وآراميون (من سورية) وبعض الحثيين (من آسيا الصغرى). وهكذا كثر الأنبياء والمتنبئون في أورشليم/ القدس، وأسلم الملك الصغير قياده إلى الأنبياء ومدعي النبوة. ونحو عام 675ق.م هاجمه الإمبراطور الأشوري «آسرحدُّون» ووصل به إلى أرض بابل أسيراً مكبلاً بالسلاسل. وبعد مداولات أعيد إلى أورشليم واسترد عرشه.

ونلاحظ هنا ما وصل إليه هذا العرش من هوان في هذه الحقبة الأخيرة، إذ ما عاد أحد يحسب له حسابا. واشتهر مَنَسَّى بميله إلى السحرة والمتنبئين والعرّافين. وتوالى بعد موته ملوك ضعاف آخرهم «صدقياهو» وهو العشرون في ترتيب ملوك اليهود، وآخرهم أيضا. جلس على عرش أورشليم وهو ابن احدى وعشرين سنة (سنة 510ق.م)، وفي عهده جاء جيش بختنصر البابلي وحاصر أورشليم، ثم أحرقها ودمرها وسوّاها بالأرض، كما قلنا، ونقل كل من له شأن أو صناعة أو معرفة في أمر من الأمور إلى بابل، حيث أسكنهم في مكان يسمى «تل أبيب»، التي أعطى اسمها للمدينة الصهيونية المعروفة على الساحل الفلسطيني، بجوار يافا، وكأنهم يعلنون أنهم عادوا من «السبي البابلي» ـ كما يسمونه ـ، وصارت لهم مدينة وميناء وعاصمة. ثم لم يكتفوا بذلك فسيطروا على كل فلسطين وجزء مهم من سورية هو الجولان، وجزء آخر مهم جداً في جنوب لبنان ذاك الذي يسمونه الآن «الشريط الحدودي الأمني» الذي فيه كل شيء إلا الأمن. ولولا أن مصر لقمة ضخمة تغص بها قوة طفيلية حقيرة كالصهيونية، لتمسكت بقناة السويس وسيناء، وهي لم تتركها إلا يأساً وبقوة السلاح.

ويبقى هيكل سليمان يغذى الحقد الصهيوني إلى يومنا هذا، فعندهم قطعة شعرية زعموا أنها قيلت في منفاهم في بابل، وحتى يكسبوا أصوات الجهلة من أتباعهم وضعوها في مزامير داود!! مع أن الذي جادت بها قريحته كان أسيراً من الأسرى اليهود في بابل، بعد داود بخمسمئة سنة على أقل تقدير. يقول المزمور 37:

هناك، على أنهار بابل، جلسنا وبكينا عندما تذكرنا صهيون..

في وسط أشجار الصفصاف علقنا قيثاراتنا..
هناك سألنا الذين أسرونا الترنّم، والذين عذّبونا الغناء
أن نترنّم لهم من غناء صهيون!
كيف ننشد ألحان الرب في أرض غريبة؟
إن نسيتك يا أورشليم، فلتنسني يميني
ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك
إن لم أرفع أورشليم على قمة فرحي
اذكر يارب إدوم في يوم أورشليم
اقتلعوا فيها، اقتلعوا.. إلى أساسها
يا بنت بابل المقدَّرة للدمار!
طوبى لمن يجازيك بما قدّمت لنا!
طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخر.

تربة خصبة لغرس بذور الحقد!

وتوهمت الصهيونية أن هذا المعبد الصغير، الذي لا تبلغ مساحته عُشر فدّان ـ مع التساهل الشديد ـ هو الرمز الأعظم، وهو صك الملكية، وحجة الوراثة الصهيونية للعشرين من ملوك يهوذا الذين ـ باستثناء داود وسليمان عليهما السلام ـ كانوا يسيرون بهذه الأمة إلى المصير الذي قرره بختنصر. وهم إلى الآن لا يتصورون أنهم إخوة للبشر من كل لون وجنس وعقيدة، وإلا فلماذا أرسل فيهم كل أولئك الأنبياء؟ وليتهم صدقوهم! على العكس تآمروا عليهم واغتالوا بعضهم وأخافوا بعضهم الآخر حتى سكتوا أو اختفوا. أما هم فقد أنستهم الصهيونية ـ بجشعها وشحّها وأنانيتها ـ موسى وداود وسليمان وربهم سبحانه وتعالى، وصارت هذه الصهيونية تربة خصبة لغرس بذور الحقد والفساد وسفك الدماء؛ دماء أمم من أسلافنا كانت ترفض التسليم للقوة، وترضى بأي شريعة ليس فيها قتل ولا اغتصاب.

وقارئ التاريخ اليهودي يعجب من كثرة العلماء والحكماء والعقلاء فيهم، ويعجب كذلك من وجود الحمقى والجهلة والمتطرفين والأغبياء. وكان صلف هذا الفريق، وغطرسته، وتشدده، والتنكر لأي تسامح، والبخل بأية ثقة؛ مع التبرع من جانبهم بالتعطيل والكذب وإخلاف المواعيد، مما أثار حفيظة أمم شتى من بني الإنسان ضدّهم؛ فرفعوا لواء اللاسامية الظالمة الممقوتة، وأصبحت لا بخجل منها أحد، وعمَّت أمما غير بني إسرائيل، بل غير الأمم السامية كلها. فالألبان والبشناق والأكراد والتاميل والمغول والهنود الحمر في أمريكا، وغيرهم كثير في أنحاء العالم، أصبحوا أيضا وقودا وحطباً في نظام العالم الجديد، الذي مازال يخطو خطواته الأولى، تاركاً خلفه جياعا وقتلى وجرحى ومرضى وفقراء معدمين، وآخرين يتاجرون في الموت، وفي البشر، وفي المخدرات، وفي كل ما هو حسّيّ أو مضلّل أو لا مكان له في عالم نظيف. فكيف يستقيم النظام العالمي الجديد إذا كانت هذه بدايته؟

لقد تعاقبت الهياكل على القدس، وأرجو أن أواصل التعريف بأهمها إن شاء الله.

الصهيونية ـ بجشعها وشحّها وأنانيتها ـ أنست اليهود ربهم وأنبياءهم، بل أصبحت تربة خصبة لغرس بذور الحقد والفساد وسفك دماء الأمم من غير اليهود!

منتدى الفيصل

الشيخ محمد بن صالح بن سلطان

في «منتدى الفيصل»



ضيف «منتدى الفيصل» القادم شخصية تجارية بدأت خطواتها العملية وكفاحها التجاري والعملي في سن مبكرة جداً. فقد بدأ صاحبها العمل في سن السابعة فلاحاً ببلدته «حريملاء»، ثم بائعاً للّبن والقهوة في مدينة نجران في ريعان شبابه. ومع أنه دخل بلاط الملك عبدالعزيز كاتباً للبرقيات، ثم مشاركاً بعد ذلك في عدد كبير من المناصب الإدارية؛ إلا أن شغفه بالتجارة ظل مستمراً حتى أصبح من كبار رجال الأعمال، ومن أصحاب المشروعات الاستثمارية الكبرى، وهو مع ذلك صاحب برامج خيرية ناجحة.

هذا الضيف هو الشيخ محمد بن صالح بن سلطان، الذي يرأس أكبر مؤسسة صحفية ثقافية ناجحة في الرياض بالمملكة العربية السعودية.

نبذة من سيرته:

- من مواليد حريملاء 1337هـ.
- أول عمل حكومي أُسند إليه كان - بصحبة حسن بن دغيثر، رحمه الله - بما يعرف بـ«المجاهدين».
- انتقل إلى «رَنْيه» في عام 1356هـ.
- عمل كاتباً للبرقيات بالديوان الملكي في بلاط الملك عبدالعزيز، يرحمه الله، عام 1366هـ.
- أصبح رئيساً للمكتب الخاص لوزير الدفاع والطيران، بطلب من سمو الأمير منصور بن عبدالعزيز في 1369/2/22هـ.
- تعيَّنَ مديراً عاماً بوزارة الدفاع والطيران عام 1373هـ، ثم وكيلاً لوزارة الدفاع والطيران بأمر ملكي كريم عام 1376هـ.
- انتقل للعمل بالديوان الملكي رئيساً لمكتب الشؤون الإسلامية عام 1383هـ.
- عمل مديراً عاماً لشركة إسمنت اليمامة السعودية (مدة سنتين)، ثم مديراً عاماً لشركة كهرباء الرياض وضواحيها (مدة سنتين)، فرئيساً للمجلس البلدي لمدينة الرياض مدة دورتين.
- كان عضواً بمجلس إدارة شركة الغاز والتصنيع، وعضواً بمجلس إدارة بنك الجزيرة عام 1989م، ثم رئيساً لمجلس إدارة بنك الجزيرة مدة دورتين. وهو الآن المدير العام لمدارس الصالحية بحريملاء.

المناصب الوظيفية الحالية:

- رئيس مجلس إدارة مؤسسة اليمامة الصحفية.
- عضو بإدارة جمعية البر بالرياض.
- رئيس مجلس إدارة الجمعية التعاونية بحريملاء.

ومن آرائه:

- كان لي شرف الخدمة بوزارة الدفاع والطيران مدة من الزمن شعرت خلالها أن العمل الحكومي يُصيبه النجاح متى كان الهدف شريفاً والنية فيه خالصة.

من لقاء ببرنامج إذاعي «ضيف الليلة» رمضان 1416هـ.

- حكومة مولاي خادم الحرمين الشريفين، أعزّه الله، كانت وراء كل نجاح في حياتنا اليومية الطموح، وأولها القطاع الخاص. فلولا الدعم السخيّ وفتح المجال أمامنا كرجال أعمال لما وصلنا إلى ما نحن عليه الآن بحمد الله.
- لم أتوقع أن تتجمع لدي هذه الثروة من المال. أنا سعى إليّ المال ولم أسع إليه قط؛ فالتوفيق كله من الله. المهم: الاتكال على الله، والعمل بنية سليمة.

لقاء في البرنامج التلفازي «علمتني الحياة» 1418/6/19هـ.

- من كان يصدِّق - وأنا شاهدت هذا بعيني - أن يكون في الرياض مدرسة واحدة، ثم الآن فيها مئات بل آلاف المدارس للبنين والبنات. وكذا الجامعات وروافدها من المعاهد والمؤسسات الثقافية الأخرى.

من كلمة له خص بها البرنامج الإذاعي «ضيف الليلة» رمضان1416هـ.

- وقفت المملكة إلى جانب المنكوبين في كل بلاد العالم الإسلامي وأنا أشهد على ذلك. وسلمان بن عبدالعزيز أمير الرياض والابن البار لها في مقدمة أهل الخير لهذا المجال الخيّر.

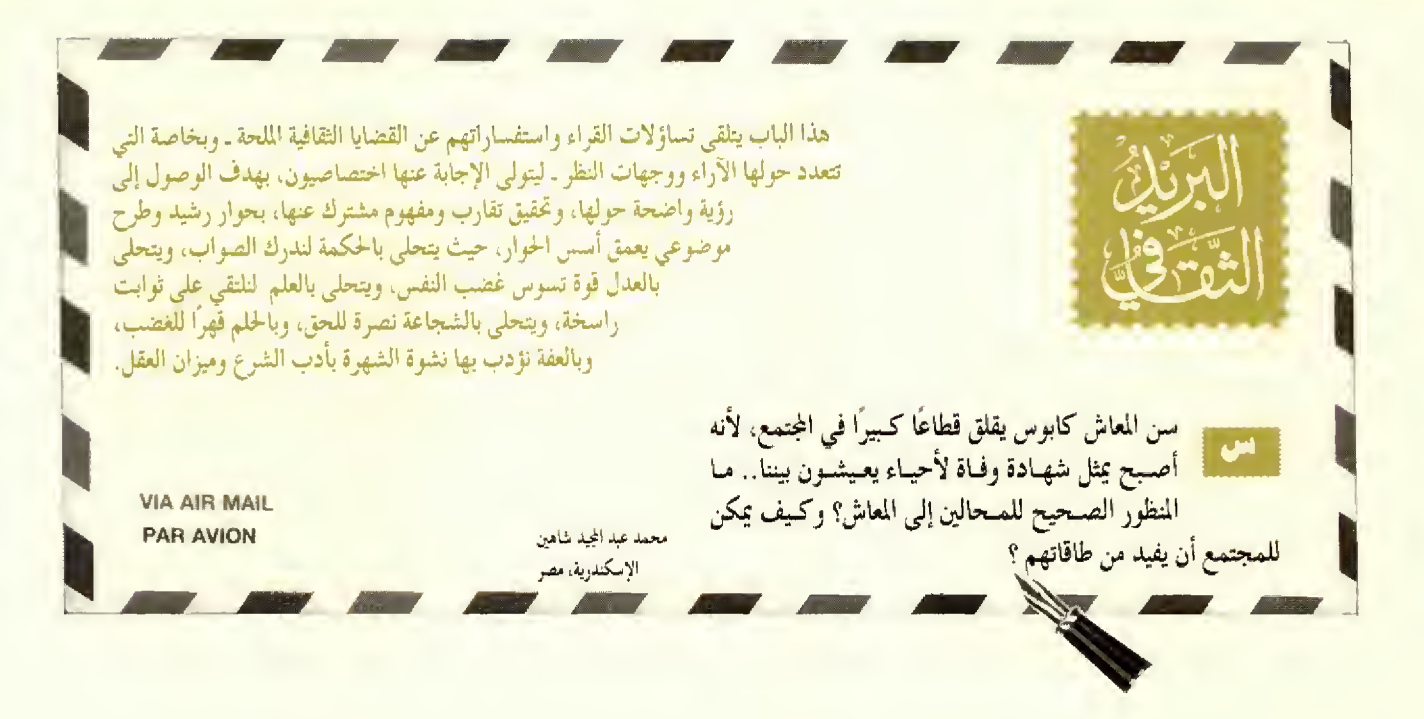
من كلمة له بمناسبة الأسبوع السنوي للبوسنة والهرسك 28 رمضان 1414هـ.

- شركة الغاز والتصنيع كادت تتلاشى لولا توفيق الله وعزم الرجال واليد الواحدة من أهل الرياض.
- غُربتي.. لم أشعر بها يوماً من الأيام. فأنا منذ سن السابعة من عمري وأنا أكافح، وأعمل، فلم أجد فراغاً للتفكير بالغربة. فرَنْيه، وعسير، والرياض، وحريملاء، ونجران كلها وطن واحد تحت راية التوحيد الخفاقة.

من لقاء إذاعي في عام 1414هـ.

- أسأل الله تعالى أن يكون عملي وما أقدمه مع إخواني في بلد الخير خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون ما نقدمه مما يدخره الإنسان ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.
- هذا جهد متواضع. ومدارس الصالحية نفعها - بحول الله - سيلمسه الذين يتخرجون فيها بعد سنوات طوال. فأسأل الله أن ينفع بها بلدي ووطني.

من كلمة له بمناسبة توزيع شهادات التخرج على المتفوقين بالمدرسة الصالحية.



هذا الباب يتلقى تساؤلات القراء واستفساراتهم عن القضايا الثقافية الملحة ـ وبخاصة التي تتعدد حولها الآراء ووجهات النظر ـ ليتولى الإجابة عنها اختصاصيون، بهدف الوصول إلى رؤية واضحة حولها، وتحقيق تقارب ومفهوم مشترك عنها، بحوار رشيد وطرح موضوعي يعمق أسس الحوار، حيث يتحلى بالحكمة لندرك الصواب، ويتحلى بالعدل قوة تسوس غضب النفس، ويتحلى بالعلم لنلتقي على ثوابت راسخة، ويتحلى بالشجاعة نصرة للحق، وبالحلم قهرًا للغضب، وبالعفة نؤدب بها نشوة الشهوة بأدب الشرع وميزان العقل.

س سن المعاش كابوس يقلق قطاعًا كبيرًا في المجتمع، لأنه أصبح يمثل شهادة وفاة لأحياء يعيشون بيننا.. ما المنظور الصحيح للمحالين إلى المعاش؟ وكيف يمكن للمجتمع أن يفيد من طاقاتهم؟

محمد عبد المجيد شاهين
الإسكندرية، مصر

يخيل لبعض الناس عندما يصل إلى سن المعاش أن حياته العملية قد انتهت، وما عليه إلا أن يمكث في بيته منتظرا نهاية الأجل. وقد يلجأ فريق آخر إلى قضاء مرحلة ما بعد سن المعاش فيما لا يفيد ولا ينفع، كأن يقضي وقته في الجلوس في المقاهي أو في النوادي، أو في التجول هنا وهناك دون هدف أو غاية. وهناك نوع ثالث من هؤلاء يقبع في منزله، ويحاول أن يجد لنفسه ما يشغل به فراغه سواء بالقراءة أو البحث، وأحيانًا بالتدخل في شؤون المنزل التي لم يكن يدري عنها شيئًا من قبل، وفي هذه الحالة الأخيرة تنشأ المشكلات بين المتقاعد وأهل بيته، ويدب الخلاف بين حين وآخر.

والواقع أن الأمر ليس بهذه الصورة السيئة، فلكل مرحلة من حياة الإنسان أهميتها، وينبغي للإنسان أن يحسن استغلال كل مرحلة من مراحل حياته، فالإنسان عندما يصل إلى سن المعاش يكون قد انتهى، في الغالب، من تربية أولاده وتنشئتهم، وأصبحوا في غنى عن إشرافه المباشر، وبهذا يكون قد أدى واجبه نحوهم، واعتمد كل منهم على نفسه، بل ربما كوّن كل منهم أسرة مستقلة شُغل برعايتها.

وهنا يتسع الوقت للمحال إلى المعاش لكي يقوم بواجبات أخرى نحو مجتمعه الكبير بعد أن أدى واجبه نحو مجتمعه الصغير، ويكون ذلك بتقديم خبراته التي اكتسبها عبر سني عمره إلى الجهات المختصة، حتى لو لم يطلب منه أحد ذلك، فكلما تقدم الإنسان في العمر ازدادت خبراته وتجاربه بالحياة من ناحية، وبمجال تخصصه من ناحية أخرى. ومن هنا فإن كل ما يقدمه سيكون ذا قيمة وفائدة. لذلك رأت بعض الجهات الحكومية في بلداننا العربية مدّ خدمة بعض الكفاءات التي يندر وجودها، وخير مثال على ذلك ما فعلته مصر حيال أساتذة الجامعات المصرية، فقد قررت مدّ خدمة أعضاء هيئة التدريس بعد سن التقاعد القانونية، والاستفادة من خبراتهم التي اكتسبوها عبر سنين طويلة؛ حيث يعين عضو هيئة التدريس أستاذًا متفرغًا مدى الحياة، ويتقاضى الراتب نفسه الذي كان يُصرف له قبل إحالته إلى المعاش. وإذا نظرنا إلى هذا الوضع من الناحية العملية، وجدنا أن هؤلاء الأساتذة قد أفادوا طلاب الجامعة فائدة كبيرة ولاسيما في مجال الدراسات العليا والإشراف على الرسائل وإعداد المناهج التعليمية في التخصصات المختلفة، وكذا الاشتراك في لجان الترقية وتقويم الأبحاث العلمية. وهذه في رأيي فكرة طيبة ينبغي أن تُطبق في المجالات كافة، وبخاصة بالنسبة للمتميزين في التخصصات المختلفة. ويمكن للمحالين إلى المعاش أيضا أن يشاركوا في خدمة المجتمع من طريق طرح أفكارهم وآرائهم في الصحف والمجلات، مستفيدين في ذلك من خبراتهم الطويلة، وبهذه الطريقة لا تُحبس أفكارهم وتجاربهم وراء قضبان سن التقاعد. ونحن نقرأ بين الحين والآخر مثل هذه الأفكار والآراء في الصحف اليومية والمجلات التي تصدر في بلداننا العربية، إلا أنها في الواقع قليلة وتحتاج إلى المزيد.

أضف إلى هذا أن المتقاعد يمكنه عمل محاضرات عامة أو ندوات؛ سواء من طريق الجهة التي كان يعمل بها أو أية مراكز ثقافية أو تدريبية أخرى، ويحاول فيها تقديم خبراته التي اكتسبها لكل من يعمل في مجال عمله، كما يمكن لأجهزة الإعلام تنظيم بعض اللقاءات مع ذوي الخبرة من هؤلاء المتقاعدين لكي يقدموا فيها خبراتهم.

هناك مسألة أخرى مهمة؛ فنحن نعلم أن بعض البلدان العربية تعاني من نسبة كبيرة من الأمية، ويمكن من طريق إسهام المحالين إلى المعاش محو أمية العديد من المواطنين، وبهذا يقدمون خدمة جليلة لأوطانهم ومواطنيهم، مما يساعد على تقدم بلادهم ورقيها.

وفي رأيي أيضًا أن كتابة المذكرات، خصوصا لمن تولوا مناصب حكومية مهمة، يعد من الأمور المستحبة والمفيدة؛ فإن هذه المذكرات سوف تقدم خبرة وحكمة نافعة لكل من يقرؤها، وسوف تشغل ـ في الوقت نفسه ـ وقت فراغ المحال إلى المعاش، وتجعله يحس أن حياته وخبرته التي اكتسبها لم تذهب هباء.

ويمكن الاستفادة من المحالين إلى المعاش أيضًا في تنظيم الدورات التدريبية التي تقام في المصالح الحكومية المختلفة، وذلك بإلقاء بعض المحاضرات على المتدربين الجدد من الموظفين الحكوميين، حتى يستفيدوا من خبرات من سبقوهم، ويتمكنوا من القيام بأعمالهم على أكمل وجه.

أما من يتمتع منهم بخبرة في المجالات التجارية أو الزراعية أو الصناعية، فعليه أن يستفيد من خبرته في هذه المجالات ويفيد مجتمعه، ويحاول إقامة بعض

المشاريع التجارية أو الزراعية (ولاسيما في مجال استصلاح الأراضي) والصناعية التي تشغل وقت فراغه، ويستفيد منها ماديا، ويفيد المجتمع الذي يعيش فيه بما ينتجه من منتجات، وكذلك بتشغيل بعض الخريجين وتوظيفهم في التخصصات المختلفة. وليس من الضروري أن تكون هذه المشاريع ضخمة، بل يمكن أن تكون محدودة وصغيرة، إلا أنه يمكن التوسع فيها فيما بعد.

هذا بالنسبة للخدمات التي يمكن أن يؤديها المحالون إلى المعاش لمجتمعاتهم. أما بالنسبة لشغل أوقات الفراغ، فإن القراءة تأتي في مقدمة وسائل قضاء الوقت، يلي ذلك القيام بالرحلات السياحية التي يتمتع فيها الإنسان بمشاهدة معالم بلاده أو البلاد الأجنبية، وربما حُرم الإنسان قبل سن التقاعد من القيام بمثل هذه الرحلات، ولكن حياة ما بعد التقاعد تتيح له فرصة السياحة والتجوال، وبخاصة السياحة الدينية كأداء الحج والعمرة.

ومن هنا نجد أن المحال إلى المعاش يمكنه أن يستفيد من وقته ويفيد بلده ومجتمعه بطرق ووسائل مختلفة، مما يجعله يحس بأنه مازال مواطنًا صالحًا نافعًا لوطنه، ولا تضيع خبراته وتجاربه سدى خلال ما تبقى له من عمر، وبذلك تكون مرحلة ما بعد المعاش امتدادا لمرحلة ما قبل المعاش.

د. محمد نورالدين عبدالمنعم

الصّواب

أن تُدعى مرحلة المعاش «الحياة الجديدة البهيجة» بدلاً مما يُشاع من نعوت متشائمة، كقولهم: «شهادة وفاة..»، أو نحتهم لفظ المتقاعد من «مُتْ قاعدًا». وإني أنطلق في رأيي هذا من صعيد التجربة! فمنذ أُحلتُ إلى المعاش تتالت عليّ أسئلة الزملاء: كيف تجدُ حياة التقاعد؟ ماذا تعمل؟ وكأنهم يعبّرون عن قلق يراودهم، ومجهول مُريب يترصَّدهم فكنتُ أجيب: «صدقوني، إنّها من أجمل أيام حياتي، أشعرُ كأنّي غدوت كالفراشة في الضياء، أو الطائر حرًا في الفضاء!».

وبالفعل إن مرحلة المعاش هي سنّ «الحريّة المنتجة». فأنا أجدني سيّدَ نفسي والمتصرّف بوقتي وعملي. وطالما سمعت من بعض المتقاعدين أحاديث الرضا عن حياتهم الجديدة وأسفهم على سنوات أمضَوْها في سجن الوظيفة أضاعت عليهم فرصًا ثمينة من النشاط الحرّ والكسْب الطيّب، ويقولون: يا ليتنا خرجنا من الوظيفة من زمان..!

وفي الحقيقة يكفي المتقاعد من الرضا شعُوره بأنّه أدّى واجبه كاملاً نحو أمّته، وانصرف في صحة جيّدة واستقبل حياة جديدة مُمتّعًا بالعلم والخبرة والمقدرة، واكتسب كثيراً من الأصدقاء والمعارف، وأصبح له امتداد اجتماعي واسع ومحيط عائلي حنون، وانفسح أمامه شوطٌ واعدٌ خصب ليس يدري منتهاه.

من أين يأتي المتقاعدَ شعورُ القلق؟ أمن انخفاض مرتَّبه المفاجيء وتقصيره عن مطالب العيش، في حين تتعاظم المسؤوليات وتتصاعد الأسعار؟ أم من غول الفراغ الرهيب، الذي يشعره بأنه غدا بلا فائدة، وأن وجوده صار عبئًا على الآخرين؟ أم من العزلة الاجتماعية حين ينفضُّ من حوله جيشٌ من الزملاء والرؤساء والمرؤوسين وحشدٌ من أولي الحاجات والمراجعين؛ فإذا به في سجن الوحدة القاتلة والعزلة المقيتة؟ وقد يسري القلق إلى الأسرة، فمكوث شيخ في البيت يُربك الزوجة وأفراد الأسرة، وقد يسبّب بعض المضايقة بكثرة طلباته وسوءِ مزاجه وتدخله في أمور لا تعنيه من شؤون المنزل! وإذا كان الأمر كذلك فسنّ التقاعد هو الموت المبكّر البطيء.

ولأجل تحاشي هذا القلق وذلك المصير يترتب على الموظف أن يُعدّ نفسه سلفًا لاستقبال المعاش، المصير المحتوم لكلّ موظف، وعليه أن يهيئ لنفسه عملاً ضمن مجال خبرته ومقدرته، يستنفد طاقته الجسميّة والنفسية ويسدّ بعض فراغه، ويشعره باستمرار قيمته وفائدته، ويجعل له جواً جديدًا اجتماعيًا، ويدرّ عليه كسبًا يضاف إلى مرتّبه، وينهي قلقه وقلق أسرته. وبعد العمل يغدو كل شيء سهلاً إذ لا بدّ من تنظيم أوقات الراحة والنّوم والترفيه، وتنظيم أوقات الزيارة والاستقبال والسباحة والرياضة والنزهة والرحلات والجلوس مع العائلة وإحاطة الصغار والفتيان بالرعاية، وتكوين مجموعات صداقيّة جديدة، وتسوّق الحاجات الشخصية والبيتيّة، ورعاية الحديقة وأُصُص الأزاهير، والمطالعة والمشاركة في الأنشطة الثقافية والاجتماعية... إلى غير ذلك من ضروب النشاط التي يضيق عنها الليل والنهار! وهكذا تجري حياة المتقاعد في أجواء متجددة دائبة الحركة متنوّعة الألوان، وفي مناخ من التلقائية والحريّة الواعية وحسن الاختيار والتنظيم. وإن المتقاعد الذي يتمتع بإمكانات إبداعية أدبيّة أو فنيّة يستطيع أن يجد خير فرصة لمزاولة إبداعه سواء أكان في التأليف والنشر أم في المحاضرات أم في الرسم والموسيقا والنحت والمسرح أو غيرها من الفنون. ولا أزال أذكر أني رأيت مرةً في هنغاريا فرقة كورال مؤلفة من مجموعة من المتقاعدين والمتقاعدات تمارس هوايتها وتدريبها في أوقات الفراغ في أحد بيوت الثقافة.

أما المجتمع فتقع عليه مسؤولية مساعدة هذه الفئة، وأهمّ ما يُطلب منه أمران: الإقلاعُ عن النظرة السلبيَّة إلى المتقاعد التي ترى فيه إنسانًا عاجزًا، عاطلاً من العمل، عديم الفائدة، يستحق الرثاء وتجوز عليه الصدقة، إن لم تتجاوز ذلك إلى السخرية والاستهزاء والتندّر كما يحلو أحيانًا لبعض الشعراء ورسامي الكاريكاتير. والأمر الثاني تقدير كفاءات المتقاعد وخبراته والاستفادة منها في نطاق الأعمال الخاصّة والجمعيّات والنقابات والمؤسّسات، فكلها تحتاج إلى كتبة ومحاسبين وملاحظين ووكلاء ومدربين ومستشارين ومبدعين. ولا ريب أنّ موظفًا قضى في الخدمة قرابة أربعين عامًا يتمتع بكلّ مؤهلات الانضباط والتنظيم والأمانة والخبرة العملية مع التواضع والجدّ وخدمة المواطنين، ويعدُّ وجوده في أية مؤسسة مكسبًا ومفخرة ومدعاة إلى النجاح.

أما الدولة فيجب أن تتجه إلى إنصاف فئة المتقاعدين بتخصيص المرتّبات المجزية لهم وسنّ مشروعات الضّمان الاجتماعي. وقد وصلت بعض الدول في ذلك إلى إنجازات رائعة جديرة بالاحترام والاحتذاء. وقامت الأوساط الاجتماعية في الدّول الراقية بمسؤوليتها نحو أصحاب المعاش خير قيام من حيث فتح مجالات العمل، بأجر حسن ولساعات قليلة في اليوم، وإتاحة مشاركتهم في الأنشطة الرياضية والفنية والاجتماعية.

وهكذا يتأكد خطأ التصوّر المنكود لمرحلة المعاش وصحة الاعتقاد بأنها مرحلة جديدة حافلةٌ بالعطاء والخير والفائدة واعدةٌ بالبهجة والسّعادة. فالإنسان الذي كرمه الله تعالى يبقى عضواً فعالاً ونافعًا ولاسيّما في عصر يزخر بالمخترعات المساعدة التي تيسّر العمل وتزيد في طاقة الإنجاز.

عبدالرزاق الأصفر





الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري



إسلام جارودي! 2

نصّ جارودي على دينه الإسلامي الجديد، وهو أن السنة ليست حجة، وإنما هي علاج من محمد صلى الله عليه وسلم لقضايا عارضة، وهو علاج وقتي وليس وحيًا يوحى!!.. ودينه الجديد: مواجهة سيطرة رأس المال، والمضاربة البنكية، والهيمنة الأمريكية على العالم!!.

ويثلج صدر بعض الحركيين هذا التصريح الخطير من جارودي الذي يقول عن هذا الدين الجديد: «لخصت مجمل أفكاري هذه في بيان من ست صفحات وأرسلته إلى أصدقائي في العالم العربي.. وبالذات في مصر والسودان وسورية والأردن، ومنهم من يُعَدّ من كبار الشخصيات الإسلامية، فمنهم من وافقني من حيث المبدأ، ومنهم من عارضني.. لكن الصلات معهم لم تنقطع.. الترابي قال لي: لو قلت هذا الكلام في الشارع لرجمك الناس!».

ويشرح هذا الكفر الذي سماه إسلامًا ليخدع السذج: «أستطيع هنا أيضًا أن أشرح رأيي في كل ذلك: الصلاة مثلاً ركن أساسي في كل الأديان، وعددها في القرآن ثلاث صلوات.. وعامة المسلمين يصلون خمس صلوات في أوقات معينة في كل يوم.. أما أنا فإني لا أصلي خمس مرات في اليوم بل عشرين مرة؛ لأن الصلاة واجبة في كل وقت ليلاً ونهارًا.. أربع وعشرين ساعة على أربع وعشرين، والصلاة عندي ليست حركات رياضية؛ لكنها تفكير عميق في الذات الإلهية.. وكلما تذكرت الله وأمعنت في التفكير في ذاته فأنا أصلي، هذه هي الصلاة الحقيقية التي أدعو إليها، وليس صلاة الخمس مرات التي هي حركات رياضية أكثر مما هي شيء آخر(1).

وما يهمني ليس صيام الامتناع عن الأكل والشرب، ولكن معاني الصيام وأهدافه، فالنوع الأول من الصيام صالح فقط في البلدان العربية، وسواها الواقعة على مستوى جغرافي معين حيث يتساوى الليل والنهار تقريبًا.. في هذه البلدان يمكن الصيام منذ طلوع الفجر إلى غروب الشمس.. أما في البلدان التي يطول نهارها ويقصر ليلها (أي القريبة من القطبين الشمالي والجنوبي) فإن القياس الزمني للصيام لا يمكن تطبيقه والعمل به، مثل هذه الأمور لم يهتم بها الفقه الإسلامي التقليدي في حين يجب أخذها في الحسبان اليوم. وأؤكد أن كل شيء قابل للتجديد والتطوير في نظري، فقطع يد السارق مثلاً لم يعد ممكنًا اليوم؛ لأن السرقات لم تعد تُقترف بالجوارح، بل بالعقول والحاسبات الألكترونية، وتتمثل في التحايل على نقل مبالغ مالية ضخمة من بنك إلى آخر.. إذن يجب التخلي عن قطع يد السارق.. أما الميراث فأمره بسيط عندي؛ ذلك أنه لو كنت أنا قاضيًا وجاءني أخ وأخته يتنازعان في قضية ميراث لأعطيت البنت ضعف ما أعطي الولد.. خصوصًا إذا كانت أم أطفال مسؤولة عن إعالتهم، ففي مثل هذه الحالة أنا لا أقضي برأي أبي حنيفة، بل أقضي برأيي، وأدعو كل مسلم إلى القضاء برأيه حسب ظروف البلد الذي يعيش فيه.

ولا أظن أن هناك حرامًا مطلقًا، والأمور كلها نسبية؛ فما هو حرام في بلد معين يمكن أن يكون حلالاً في بلد آخر.. خذ الخمر مثلاً لم يتم تحريمها مطلقًا في الإسلام؛ لأن القرآن حرَّم مضار الخمر فقط.. ومثلما نقول اليوم عن التدخين إنه مضر بالصحة دون تحريمه، فهذا الأمر يمكن أن ينطبق على الخمر، وهكذا دواليك.. فنقول: الإسراف في الخمر مضر بالصحة».

قال أبو عبدالرحمن: ويهز الأريحية بحق هذه الكلمة المخلصة لتيسير علوني من غرناطة، وهو أحد الصحفيين بوكالة الأنباء الإسبانية.. قال: «تعقيبًا على ما نشرتم في العدد 839 حول المقابلة مع روجيه جارودي ـ وكان أفضل ما فيها هو العنوان الذي تصدَّر غلاف المجلة الذي يقول: جارودي يكشف عن قناعه الديني.. إلخ ـ: أحب أن أعلق على ما تبعه من ردود الشيخين جاد الحق علي جاد الحق رحمه الله، ويوسف القرضاوي(2) من خلال تساؤلات أرجو أن تجد مكانًا على صفحات المجلة وهي:

1ـ أما كان أولى بشيخينا الفاضلين أن يبدأ ردهما على الرجل بوضعه في ميزان العقيدة الإسلامية؟

2ـ أما كـان أولى بهمـا أن يُكَفِّرا عن الخطأ الذي ارتكبـه المسلمون بمؤسسـاتهم الرسمية وغير الرسميـة بإعطاء هذا الرجل حجـمًا ووزنًا لا يستحقه ولمدة عشر سنوات؟

3ـ أما كـان أولى بهمـا أن ينبريا قبل وقت طويل لكشف حقيقته لملايين المسلمين الذيـن انخدعوا بالأضـواء والتـضخيم الإعـلامي الذي لاحقه طوال هذه السنين؟!

أظن أنهما لو كـانا فعلا لتمكنا من تبـرئة ذمتهمـا أمام الله عز وجل من ذنب السكوت عن السـؤال الأول الذي تجـاهلاه تمامًـا في معـرض ردهما، وأقـول للشيخ القـرضاوي بشكل خاص: مـاذا يفيـدنا قولك: إن الرجل كبـر في السن وخرف بينما لا تزال الألوف المؤلفة تصغي لأقواله باهتمام، وقد تنحرف عن دينها بالزاوية نفسها كما فعل جارودي؟

مـا قـولك يا فـضيلة الشـيخ لو أسـقطنا أقـوال جـارودي في السنة المحمدية الشريفة على الآية الكريمة التي تقول: *فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بينهم ثم لا يَجِدوا في أنفسهم حَرَجًا مما قَضَيْتَ ويسلِّموا تسليمًا*. **النساء:65**.. هل يبقى لجارودي شيء من الإيمان؟

أنا شخصيًا أبغض مصطلح التكفير، ولا أحب لأحد أن يُكَفِّرني أو أكفِّره، وأنتظر القول الفصل من كـبار العلماء الذين تضل الأمة بضلالهم وتهتدي بهدايتهم، فماذا لو فعلنا الشيء نفسه مع بقية أقواله حول حدود الله عز وجل وأحكام الإرث والعبادات.. إلخ؟

وبالنسبة إلى السؤال الثـاني أقول: إن جـارودي وموريس بوكـاي وأمثـالهمـا الذين طبَّلنا لهم وزمَّرنا بدافع عـقدة النقص التي تسيطر علينا بسبب جهلنا بديننا وحضارتنا العظيمـة: ليسا سوى رقمـين يضافان إلى المليار مسلم.. وإن كنا نطمح [إلى] أن يتأثر الغربيون أو غيرهم بإسلامهم فنحن مخطئـون.. وانطلاقًا من واقع معايشـتي للتفكير الغربي استنتجت أن الناس هنا لن يحملونا على محمل الجد إلا إذا رأوا إسلامًـا حيًا يمشي على الأرض، ويوصلهم إلى جنة الحياة الدنيا قبل الآخرة.. وما دام واقعنا يقدم الإسلام مسخًا مشوهًا بهـذه الصورة، فأنا ـ وأرجو أن أكون مخطئًا ـ لا أنتظر هداية الغربيين بهذه الطريقة.

وكـان أولى بنا أن نقـتدي بأمير المؤمنين عـمر بن الخطاب عندمـا أسلم أحـد كبار قـادة الفرس «الـهرمزان» فـقال للصـحابة الكرام: خذوا أخـاكم فعلمـوه دينه!.. ولم يقل ولوه قـيادة جـيوش الفـتح، أو ضعـوا له الميكروفونات، وأفردوا له الصفحات، وافتحوا له قاعات المحاضرات.

أما سؤالي الثـالث فمبعثه قلقي على شريحة كبـيرة من المسلمين لا يتمـتعون بالوعي الكافي لتـمحيص أفكار جارودي.. وخـصوصًا الفخ الكبير الذي نصبه لـهم حول إيمانه بدين إبراهيم وأفكاره عن تمييع الالتزام بأحكام الشريعة وتحويلهـا إلى «شوربة» و«حارة كل من إيدوا ألو».. كما يقـول المثل الشـامي، فكلنا على ملة إبراهيـم، ولكننا أخـذناهـا على يد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

هذه الشريحة يمكن أن تستمع لقول شيخ كبـير مثل القرضاوي أو جـاد الحق رحـمـه الله.. أمـا العبد الفـقـيـر فـقـد جـرب حظه مع بعض نماذجـهـا، فكان الجـواب المتـوقع: مـن أنت، وأين هي عـمـامـتك، ومؤلفاتك.. إلخ.

وأعتب أكـثر على وسـائل الإعلام التي يسمـونها «إسـلامية»، فـقد تجاهلت كل الـنداءات التي وجههـا كثير من «النكرات» من أمـثالي: «يا جماعـة الخير.. الرجل لم يفهم الإسـلام بعد.. يا إخواننا الصـحفيين: إن دعوى الرجل بأنه على دين إبراهيم هي دعوى مشبوهة، وتندرج في إطار التطبيع مع «أولاد العم».. يا أحبـابنا: إن الرجل يريد إسلامًـا على قياسه وقياس أهدافه التي لا يعلمها إلا الله عز وجل.. ولكن لا حياة لمن تنادي.

أما علماؤنا الأفـاضل فقد ذكرني سلوكهم بتوفيق الحكيم وكتابه «عودة الوعي» الذي كتبه بعد وفاة الرئيس عـبدالناصر مباشـرة.. يعتذر من خلاله عن غياب وعيه طيلة **18** سنة، ويقترح إقامة تمثال لعبدالناصر في إحدى سـاحات تل أبيب بدل القاهرة؛ لأنه خـدم بسياسـته أهداف إسرائيل أكثر من خدمته للعـرب، وقد حذا العلماء حذو الحكيم وانبروا للدفـاع عن أنفسـهم أولاً، وعن سلوكـهم المعوج الذي لا أسـاس له في تراثنا عندما انضموا إلى جوقـة الطبل والزمر وراء جارودي وأمثاله بدافع عـقدة النقـص، وظنوا أن الغرب سـيأخـذ بـشهـادة حـسن السلوك التي منحها جـارودي لديننا، ويدخل في دين الله أفواجًا.. ولا أدري في أي محـفل ماسـوني يقـترحـون إقـامة تمـثال لجارودي الآن، وقـد عاد إلـيـهم وعيهم؟!».

قال أبو عـبدالرحمن: لا تعجبوا من هذا الكفر من مـاسوني فرنسي ما دخل فـي الإسلام أصلاً حـتى يخرج منه!!.. ولـكن اعجبـوا من هذه الأنوثة القلمية لدى كـاتب مـحسـوب على المسلمين ومـحسـوب على الفكر!!.. أعني فهمي هويدي الذي دافع عن كـفر جارودي بقوله: «هل يسـعـد المسلمـين أن يقرؤوا ذات صـبـاح أن جـارودي أعـلن ردته عن الإسلام؟»».

خطر لي هذا السـؤال بعـدما قـرأت الحـوار الذي أُجـري معـه على صـفـحات «المجلة» قبل أسـبـوعين العـدد **839**، وبدا لي أن كاتبـه يدفع بالرجل دفعًا إلى قـفـص الاتهام، ويحاكمه مـسـتخدمًا عـبارات وإيحاءات تصنفه في مربع الضلال ـ وهذه قالهـا صراحة ـ والردة، وهذه إشاراتها لا تخطئها عين.

أزعـجني مـبدأ المحـاكـمـة، وما تمنيت أن يوضع الرجل (لا هو ولا غـيره) فيـمـا وضع فيه.. وبرغم أنني لم أكن سـعيـدًا بـبعض الآراء التي أبداها جارودي الفيلسوف إلا أنني وجدتها بحاجة إلى مناقشة ومراجعة، وليس إلى اتهـام وإدانة وتشهير قام أسـاسًا على تجـريح الاعتـقـاد والطعن فيه.

لم أفاجأ بالأفكار المشوشة، أو الالتبـاسات التي وقع فيها جارودي؛ إذ تظل في كل أحوالهـا غير مـستغربة من فـيلسوف غربي أولاً وأخـيرًا.. من الصــعـب أن نطالبــه وهو في عـقـده الـثـامن أن ينخـلع من ثقـافـتـه وتاريخه.. لـكنني فوجـئـت حقًا بصـدى ذلك كله لدى زميلنا مـصطفى اليحياوي الذي أجرى الحوار معه، وكان قاسيًا ومتعسفًا في الحكم عليه.

وليـست هذه هي المرة الأولى التي يواجـه فيـها داخل في الإسـلام بمثل ذلك الأسلوب المتعسف والمعاملة القاسيـة، فبعض المثقـفين العرب الذين تحولوا من المار كـسية إلى الإسلام تعرضـوا لاتهامات ومحـاكمات مماثلة من قبل نفر من مخالفيـهم الإسلاميين.. حـدث ذلك في مصر على

الأقل حين تم تجريح بعض أولئك في كتابات نشرتها الصحف؛ لمجرد أنهم عبروا عن آراء شابها بعض الالتباس، أو لم تعجب الآخرين.. فلم يناقَشُوا في آرائهم، ولكنهم اتُّهموا في التزامهم واعتقادهم، ونُسب إليهم أنهم لا يزالون متأثرين بأفكارهم الماركسية!!

وقتذاك كتبت في المعنى الذي أوردته في السطر الأول من هذا المقال، وتساءلت هل يكون هؤلاء الناقدون القساة أكثر رضا وسعادة لو أن أصحابنا أولئك ظلوا على ماركسيتهم؟.. وهل يريحهم أن يعودوا إليها مرة أخرى؟

حين قرأت في «المجلة» الحوار الذي أُجري مع جارودي استعدت ذلك المشهد القديم، وأدركت أن الرجل مظلوم أكثر منه ظالمًا.. كيف؟.. تعالوا نتابع وقائع الحوار وملابساته:

في مقدمة الحوار قال الأستاذ اليحياوي: «إن جارودي يبحث لنفسه عن دور ريادي في العالم الإسلامي، ويطمح لأن يكون (الرجل المهدي) الذي يجدد للمسلمين دينهم على رأس الألف سنة الجارية، ثم ذكر أنه أقرب إلى العبث والضلال منه إلى العلم الصحيح.. وبعد أن غمزه في علاقة أقامها مع إيران (هل يكون مقبولاً لو أنه أقام علاقته مع إسرائيل؟!).. انتقد الحفاوة البالغة التي قوبل بها الرجل حين دخل إلى الإسلام، ثم أشار إلى مسألتين غريبتين هما: أن أحدًا لم يخطر على باله أن يمتحنه أو يناظره في مسائل الدين، وأن هناك شكًا في صحة دينه وتهاونه في أداء الواجبات الدينية على الوجه الصحيح.

بذلك التمهيد المتميز والقاسي قدم زميلنا حواره بعد أن دمغ جارودي بتهم عدة.. قطع فيها بضلاله، وشكك في التزامه بواجباته الدينية، وأعرب عن أسفه لأنه لم يُمْتَحَنْ حين قرر الدخول في الإسلام؟

وحين وجه إليه الأستاذ اليحياوي أسئلته بدا لي وكأنه يحاول القيام بدور الممتحن؛ لأن الأسئلة كانت على النحو التالي: ماذا يعني الإسلام بالنسبة إليك؟.. لماذا بدأت إسلامك من عهد إبراهيم؟.. وحين أجاب الرجل عن السؤال الثاني استنكر زميلنا الممتحن إجابته، وعلق قائلاً: هذه أفكار فلسفية وليست عقيدة دينية.. فهل هذا هو معنى الإسلام عندك؟.. وبعد أن رد على السؤال، ووجه جارودي بسؤال آخر يقول: أنت على أي دين إذن؟.. وهكذا. ففي هذه الوجبة من الأسئلة كرر جارودي حديثه عن أن الإسلام جاء مكملاً للديانات الأخرى وملخصًا لها، وأن الإسلام بالمعنى اللغوي والمعنى اللاهوتي بدأ مع سيدنا إبراهيم الذي هو أول المسلمين طبقًا للنص القرآني، ومن ثم ذكر أنه حين جاء إلى الإسلام بدأ مشواره معه من عهد إبراهيم ملتزمًا النص القرآني فقط، وتاركًا ما عداه.

قال جارودي أيضًا: إنه جاء إلى الإسلام نتيجة اقتناع شخصي، وتجربة ذاتية، وبعد مسيرة طويلة تنقل فيها بين الفلسفة المحض والمسيحية والماركسية، وانتهى بالإسلام.. وأن مجيئه إلى الإسلام لا يعد انقطاعًا عن الماضي، بل هو تواصل مع ذلك الماضي الطويل الذي عاشه، والدين الذي هو عليه توفيق بين الإسلام وبين ما سبقه من الديانات، وكونه صار مسلمًا لا يعني أنه تخلى عن معتقداته الدينية والفلسفية السابقة.. وهذه الفقرة الأخيرة أبرزت في عناوين الحوار التي كان أحدها يقول: إنه لم يتخل عن المسيحية والنظرية الماركسية.. وتلك عبارة حَمَّالةُ أوجه، تفتح الباب لسوء الظن باعتقاد الرجل.. بينما يمكن أن نفهمها على نحو أفضل لو سألنا عما لا يزال باقيًا عنده من المسيحية والماركسية، وهل هو كل أو بعض، وإن كان البعض فما هي طبيعته، وهل فيه ما يجرح الاعتقاد أم لا؟

مثل هذه المناقشة الدقيقة ليس مكانها صفحات الصحف ولا المنابر العامة؛ لأنها تثير قضايا علمية وفلسفية لا مجال لتمحيصها إلا مع أهل العلم والاختصاص وحول طاولة البحث.. إذا كان لا بد من حسمها، ولكن أما وقد نشر الكلام وصار بين أيدي الناس، فإنني أزعم أن ما قاله جارودي صحيح من الناحية النظرية، لكنه مشوش ومسكون بالالتباس.. وفي كل أحواله فإنه لا يخرجه من الملة.. هو صحيح لأن سيدنا إبراهيم حقًا أول المسلمين؛ ولأن الإسلام في الخطاب القرآني ليس مقصودًا به الدين الذي نزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وإن جرى الاصطلاح على ذلك، وهو ما أثبته الشيخ محمد عبدالله دراز، وهو من أعلام الأزهر في كتابه «نشرات في القرآن».

لكن الالتباس كامن في أن القول بأن الإسلام جاء مكملاً للديانات الأخرى.. ينبغي ألا يعني تخليطه مع المسيحية واليهودية، ولا يُعفى أحد من التكاليف والتزام أركان الدين وأصوله المقررة في القرآن الكريم.

في كل الأحوال فالقدر المتيقن أن الرجل ظل متمسكًا بانتمائه إلى الإسلام، لكن الطريقة التي فهم بها ذلك الانتماء هي التي تحتاج إلى مناقشة وضبط.

جارودي أيضًا قال: إن من مشكلات زماننا أن المسلمين خلطوا بين الشريعة (المنزلة من الله) وبين الفقه (الذي هو من صنع البشر)، وهذا الكلام صحيح ولا غبار عليه.

قال أيضًا: إن الرسول مبلغ وليس مشرعًا، وأنه إذا كان قد شرع شيئًا فيكون صالحًا لعصره، وكذلك الفقهاء لا تكون أحكامهم صالحة إلا لعصورهم فقط.. حينئذ سأله الأستاذ اليحياوي: هذا ما قادك إلى القول بوجوب سن أحكام فقهية جديدة، وهل يعني ذلك التخلي عن كل ما سبق، بما في ذلك السنة؟

رد جارودي قائلاً: نعم، بالتأكيد السنة كانت صالحة لوقتها، ولم تعد صالحة لعصرنا، وكذلك الفقه الإسلامي. فما كان يفعل النبي محمد ويحكم فيه كان معالجة لقضايا عُرضت عليه في حياته، والشافعي وأبو حنيفة أصدرا أحكامًا مناسبة جدًا لمشكلات عصرهما، لكنها لم تعد تمثل حلولاً صالحة لمشكلات عصرنا.. إلخ.

هذا الكلام عدّه زميلنا الصحفي خطيرًا من حيث أنه صنفه بحسبانه مطالبة بالتخلي عن السنة النبوية وعن الفقه الإسلامي، لكن لا أتفق مع ذلك الرأي، فلا هو خطير كما قيل، ولا هو دعوة للتخلي عن السنة، وعن الفقه.. فقط أعتبره كلامًا مشوشًا اختلط فيه الصواب والخطأ، ويحتاج بدوره إلى ضبط.

فأهل العلم يعتبرون أن النبي عليه الصلاة والسلام كانت له صفات عدة، فهو رسول مبلغ عن الله سبحانه وتعالى، وكان حاكمًا وقائدًا وقاضيًا وأبًا وزوجًا.. إلخ، ويقولون: إن السنة فيها تشريع وغير تشريع، والأول هو ما صدر عن النبي لكونه رسولاً ومبلغًا عن الله سبحانه

وتعالى، ومن ثم فهو ملزم للمسلمين في كل زمان ومكان.. أما ما ليس تشريعًا عن النبي فهو ما صدر عنه عليه الصلاة والسلام بصفاته البشرية الأخرى.. ينبغي أن يقدر ويحترم حقًا، لكنه لا يعد تشريعًا للأمة ولا يلزمها.

والأمر كذلك، فلا غضاضة فيما قاله جارودي إذا كان المقصود به هو التفرقة بين السنة التشريعية وغير التشريعية، وقصر الإلزام على الأولى دون الثانية.. وأي دارس للفقه والأصول يمكن أن يفهم هذا الكلام، ولا يعده تخليًا عن السنة النبوية كما قال زميلنا الصحافي.

الكلام الذي قاله عن الفقه الإسلامي صحيح في أصله، لكنه يحتاج بدوره إلى ضبط، فالفقه يظل اجتهادًا بشريًا لا يلزم أحدًا، وينبغي أن يتغير من زمان إلى زمان، وفقهاؤنا هم من قالوا بتغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال.. مثل هذه الأفكار التي عبر عنها جارودي، قال بمثلها تمامًا الأستاذ جمال البنا ـ شقيق الإمام حسن البنا ـ في كتاب أخير له بعنوان (نحو فقه جديد).

ولو أن جارودي قال إننا بحاجة إلى فقه لكل مرحلة في ضوء متغيراتها، ولم يتحدث بخفة عن أئمة المذاهب، ولم يهاجم فقهاءنا المعاصرين ويتهمهم بالجهل.. لو أنه فعل ذلك لما وجدنا وجهًا للتحفظ على مقولته.

في كل الأحوال فما قاله يدخل في باب التشويش، وتداخل الخطوط، لكنه يظل صحيحًا في إطاره العام، ويقينًا فإنه لا يعد معيارًا للحكم على الرجل بالضلال.. ناهيك عن اتهامه بالخروج من الملة.. وبقدر من سعة الصدر والسماحة في الفهم والمراجعة، يمكن تصويب الكلام، ومن ثم فهمه وقبوله»ا.هـ.

قال أبو عبدالرحمن: يا ليت هويدي حافظ ـ على الأقل ـ على سمعته الفكرية، فلم يقبل لنفسه هذه البرودة الفكرية العلمية في مواجهة البدهيات المعروفة من دين الله بالضرورة.. وكل من كتب منتميًا للإسلام، مدعيًا التماس الصواب وحسن النية، فله من علماء المسلمين حق الإيضاح والبيان: إيضاح الحجة، وبيان الشبهة، حتى تذعن النفس للحق في سياق الانقطاع عن المعارضة المعتبرة في ميزان الفكر.. أما لجاجة اللسان، وحرية العناد فلا عناء ولا غناء ـ بالعين المهملة والمعجمة ـ للمفكر المسلم في قطعها، وقديمًا قال الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله ما معناه: إنما علينا قصر الأنفس على قبول الحق لا الألسن.. لهذا أكتفي برسم هذه الملامح:

1ـ إن صح أن جارودي كان يومًا ما مسلمًا حقيقة فلا يسعد مسلم (أي مسلم) بخير ردة من كان يومًا أخًا له في الإسلام!

ولو صح أن جارودي كان يومًا مسلمًا فلا تعني محاورته (كمحاورة اليحياوي له) السعادة بردته.. بل تعني المضض، والتحذير، وكشف الواقع المستجد من الردة.

2ـ اليحياوي المحاور لجارودي فعل ما يوجبه عليه دينه إذ سمع من جارودي عفنًا من الكفر البواح، فلفت نظره ونظر القارئ إلى خطورة هذا القول من رجل يدعي الإسلام(3).. ولكن هويدي ادعى على اليحياوي ما لم يكن منه؛ إذ زعم أنه دفع جارودي دفعًا إلى قفص الاتهام!.. ووالله ما حصل منه دفع له، وإنما سأله مستوضحًا عن شنائع من الكفر السافر قالها مسبقًا، ولم يدفعه إلى نية لم يصرح بها.. فلعل لهذا الكلام الشنيع وجهًا يخرجه من الكفر السافر؟!

وزعم هويدي أن اليحياوي استخدم عبارات وإيحاءات تصنف جارودي في مربع الضلال!!.. وهذا افتراء على اليحياوي، فلم يأت بإيحاء، وإنما عبّر بصراحة عن كفر صَرَّح به جارودي وأملاه على محاوره.

واستمر هويدي في مداهنة لأعداء الله مائعة فقال: «أزعجني مبدأ المحاكمة، وما تمنيت أن يوضع الرجل (لا هو ولا غيره) فيما وضع فيه»!!

قال أبو عبدالرحمن: إنما نشر اليحياوي الوضع الذي كان فيه جارودي من الكفر بدين الله، ولم يفتر عليه موضعًا لم يضع نفسه فيه.

والمحاكمة مرافعة قضائية في ظل حكومة ومجتمع يثور الدم فيه غضبًا لله ولرسوله ولدينه.. محاكمة تُدين الجاني بمقتضى حكم دين الله فيه وتنفذه.. وما نُشر مقابلة صحفية صرح فيها جارودي بكفره!!

وإن أريد بالمحاكمة النقاش الفكري تجوزًا، فالواقع أنه ليس في ذلك اللقاء مناقشة فكرية، وإنما اللقاء من صوت واحد هو جارودي يطرح كفره.. والطرف الثاني «اليحياوي» يستوضح منه فقط، ولم يناقشه بنقض واحتجاج.

ثم يقول هذا الهويدي عن الآراء الكفرية للماسوني جارودي: «وجدتها بحاجة إلى مناقشة ومراجعة.. وليس إلى اتهام وإدانة وتشهير قام أساسًا على تجريح الاعتقاد والطعن فيه».

قال أبو عبدالرحمن: مرحى مرحى لأهل الغيرة على دين الله، والولاء والبراء من أجله!!.. يقول جارودي بنص صريح ـ وليس بتعبير مجازي إيحائي قد يوصف الحكم فيه بالاتهام ـ: «الصلاة ثلاث.. وأنا لا أصلي خمسًا ولا ثلاثًا.. بل الصلاة عندي تفكير عميق في الذات الإلهية.. الصيام ساقط عن المسلم في أوربا.. للبنت مثل حظ الذكرين في الإرث.. ليس هناك حرام بإطلاق!!».

فهذا عند هويدي آراء تحتاج إلى نقاش، ومعارضة هذا الكفر اتهام وإدانة وتشهير وتجريح للاعتقاد!!

وصف هذه المعارضة في سياق الذم لها.. والمؤمن يرى جرح اعتقاد الكافر وإدانته والتشهير به ـ ولاسيما إذا أراد إضلالنا ـ من أمهات الإحسان.. إلا أن هويدي يتحرج من إدانة الباطل إشفاقًا على سمعة المعاصرة والتحررية التي يجدها صفة تمجيد لدى الدهماء.

ولست أدري بعد هذا كيف يكون المدان متهمًا.. كيف يكون متهمًا من نُسب إليه صريح عبارته لا مجازها؟!!

ولا يكف هويدي ـ في أنوثته الفكرية المداهنة ـ عن الافتراء على اليحياوي، فيزعم أنه كان قاسيًا ومتعسفًا في الحكم على جارودي.

قال أبو عبدالرحمن: والله ما رأينا قسوة في الحكم على جارودي، وإنما وجدنا تصريح جارودي بكفره، وإصرار اليحياوي على وضع النقاط على الحروف!.

ويزعم هذا الهويدي أن هذه الأفكار المشوشة أو الالتباسات التي وقع

فيها جارودي «غير مستغربة من فيلسوف غربي أولاً.. وأخيراً من الصعب أن نطالبه وهو في عقده الثامن أن ينخلع من ثقافته وتاريخه؟!»

قال أبو عبدالرحمن: ما هذه المداهنة.. وبربكم أيهما المفتون؟!

إن كان هذا الكفر غير مستغرب على جارودي؛ لأنه ماسوني لم يدخل الإسلام أصلاً حتى يخرج منه: فتلك كلمة حق.. ولكن هذا الهويدي لا يريد هذا المعنى.

وإن كان وجه عدم الاستغراب أن جارودي مسلم حقّاً، ولا يعكر ما تفوَّه به على دعواه الإسلام: فذلك حكم هويدي في جهله، أو رقة دينه، أو في تظاهره بالتدين.. وليس هذا حكم الله الذي بين لنا بكتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم البيان الشافي ولم يجعلنا في لبس، وكان بيانه الفرقان بين الكفر والإيمان، والصدق والنفاق.

وإذا لم يكن ما ذكره جارودي كفراً فلن يكون للكفر معنى في اللغة والدين، بل سيكون من الكلام المهمل مثل ديز ـ مقلوب زيد ـ!

وليس في كلام جارودي تشويش ولا التباس على أعسر الناس فهماً، بل ضلالة بالنص التقريري الصريح المباشر.

والمسألة الآن ليست كفر جارودي، فقد يقال: لا تلازُمَ بين الكفر والتكفير لاحتمال وجود العذر من جهل أو تأويل؛ ولهذا لا يكون التكفير إلا عن مرافعة قضائية؛ لما يترتب على التكفير من أحكام!!.. قد يقال ذلك، ولا ضير أن يقال ذلك، فليست القضية قضية تكفير جارودي.. إنما المسألة عن العفن الذي تفوَّه به هل نسميه كفراً أو إيماناً؟!.. لئن كان هذا الهويدي يصلي إلى قبلتنا ويأكل ذبيحتنا فليتق الله ربه، ويستفتي النصوص من دين ربه: هل جحد الصلاة هيئة معينة، واستبدال التفكير في الذات الإلهية بها.. هل هذا إيمان علمه جبريل محمداً صلى الله عليه وسلم وهو يشرح له معاني الإيمان والإسلام والإحسان، وكذلك وهو يعلمه الوضوء، وكذلك وهو يعلمه الصلاة من ناحية ابتداء الوقت وانتهائه.. أم إنه الكفر البواح؟!

إن الهويدي اليوم أخضر، وغداً يكون يابساً، ولن تُغني عنه سمعة التحررية والتقدمية شيئاً إذا كُشفَ عنه غطاؤه وصار بصره حديداً!

قال جارودي: ليس في الشرع حرام بإطلاق.

وقال اليحياوي: يقول جارودي: ليس في الشرع حرام بإطلاق.

ثم جاء هويدي مداهناً في دين الله فقال: جارودي مظلوم!!.. ويا ليته بَيَّنَ وجه الظلم لعلنا نثق بحسن نيته!

وليس في العقل أي احتمال لوجه الظلم: إلا أن يكون اللقاء مكذوباً على جارودي، أو يكون ما قاله من كفر لا يثير الغثيان.. ودعك من الامتعاض.

والاحتمال الثاني هو القاصمة، وهو ما يأخذ به ـ للأسف ـ هذا الهويدي!.

ومن التساذج المتعمد حصره القضية في مطالبة جارودي بالتخلي عن ثقافته وتراثه.. كلا، إنما المراد تخليه عن الكفر مادام يدعي الإسلام، أو يدعيه غيره له.. وهويدي محام فضولي، وتصرف الفضولي لا ينفذ عند الفقهاء؛ لأنه ادعى لجارودي من التدين ما لم يدعه جارودي لنفسه.. والمقدمة الماتعة التي قدمها اليحياوي كانت تلخيصاً لمسيرة جارودي المريبة في شرقنا العربي الإسلامي.. بيد أن هويدي يتوجع من هذه المقدمة لأنها غمز.

قال أبو عبدالرحمن: الغمز ليس باطلاً، بل هو أمانة إذا كان إخباراً بالواقع، وهو ظلم وعدوان إذا كان إخباراً بغير الواقع، أو كان كلمة حق يراد بها باطل، أو كان تجسيد سيئة صغيرة عن قصد، أو عن غير قصد وهي مغتفرة أمام حسنات كثيرة.. فعلى هويدي (إن كان يحتسب ليوم ينفع الصادقين فيه صدقهم) أن يستعلي على مجَّانية التعبير والتاول، ويكون في موقف الفحولة العلمية، فينفي بعلمٍ ما لم يتبرأ منه جارودي نفسه، أو يذكر بفحولة علمية حسناته بميزان دين ربه.. ثم يبين أن تلك الحسنات يُغتفر لأجلها ما سلف بيانه من أقواله الكافرة!!

وافترى جارودي على خليل الرحمان إبراهيم عليه السلام فزعم أن دينه التوحيد فحسب، ثم أحال دينه إلى الاختيار من القرآن الحق، والكتب المبدلة، والفلسفة المحض، وهجر الوحي غير المتلو الذي أوحاه ربنا إلى محمد صلى الله عليه وسلم.. وفسر دين إبراهيم الذي يزعم أنه عليه بترك العمل، وتعطيل الحدود، وإنكار الحرام في الشرائع!!

وهذا ليس محل استغراب عند هويدي.. إنما المستغرب عند هويدي أن يقوم اليحياوي بامتحان جارودي المظلوم بطرحه الأسئلة عن دينه، وحكمه بأن أجوبة جارودي آراء فلسفية لا عقيدة دينية!!

والمفترض في اليحياوي أن يعدّ كفر جارودي من الخلاف الفقهي الذي يكون بين المسلمين كما فعل هويدي نفسه!

ولهذا راح هويدي يصوغ أفكار جارودي بتعميم وابتسار لم يَدَّعه جارودي نفسه.. ابتسره ليكون خلافاً فقهياً يحدث بين المسلمين، وليس خلافاً عقدياً يكون بين المسلمين وغيرهم.. ولهذا فكفر جارودي غير مخرج من الملة عند هويدي!! فلننظر كيف يكون النفاق والمداهنة من أناس ظاهرهم أنهم أبناء جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويزعمون أنهم يُصَلُّون إلى قبلتنا؟!!

الحواشي:

1ـ الأسلوب ركيك، ولعل المعنى: وليست الصلاة خمس مرات إلا حركات رياضية.

2ـ قال جارودي في لقائه مع مجلة المجلة: «لا تحدثني عن علماء الإسلام، فقد عملت معهم عندما كنت عضواً في المجلس العالمي للمساجد، واكتشفت أنهم أناس جهلة، بل إنهم من أجهل الناس إطلاقاً، فهم لا يتكلمون اللغات الأجنبية، ولا يعرفون شيئاً عن عطاء الديانات والحضارات الأخرى، ويرددون بطرق آلية الأحاديث النبوية وآراء فقهاء القرون الوسطى التي حفظوها عن ظهر قلب، ولا أعتقد أن لدي استعداداً للتعاون مع هؤلاء بشأن أي موضوع كان، بسبب الانطباعات السيئة التي تركوها في ذاكرتي.. وأذكر من ذلك مثلاً صداماً كلامياً جرى بيني وبين الشيخ القرضاوي، فقد كنت أحاضر ذات مرة في مدينة بسكرة في الجزائر «لمناسبة أسبوع الفكر الإسلامي» وكان موضوع مداخلتي «حب الرب» فقام القرضاوي وقال لي: إنك تتحدث لغة لا يفهمها المسلمون، فقلت له: ما العلاقة التي تربط الرب بمخلوقات إذا لم تكن رابطة الحب، فرد علي قائلاً: هي علاقة خالق بمخلوقه وعبد بمعبوده، فقلت له: إنك يا شيخ تدافع عن علاقة استعباد وليس عبادة، فغضب من كلامي وانصرف فارتحت كثيراً بسبب مغادرته قاعة المحاضرات. وهناك مثل آخر وهو ما جرى مع الشيخ جاد الحق عميد الأزهر، الذي زار أوربا ذات مرة وتحدث في التلفزيون الفرنسي عن ضرورة إقامة الحدود الإسلامية بما فيها حد السرقة كوسيلة لمقاومة انتشار الجريمة، وبعد وقت قصير ذهبت لزيارة مصر، واستقبلني وزير الأوقاف وعرض علي مساعدة وزارته قائلاً: ماذا نستطيع أن نفعل لمساعدتكم أنتم الذين تدافعون عن الإسلام في بلاد الغرب؟.. فقلت له: إن أكبر خدمة يمكنكم أن تقدموها لنا هي منع جاد الحق وغيره من علماء التقليد من زيارة الغرب والحديث في تلفزيوناته».

3ـ ولكن بمفهوم غير مفهوم دين الله لمعنى الإسلام.

أبو حيان التوحيدي

الشقي بثقافته

د. نوره صالح الشملان

كان أبو حيّان علي بن محمد بن العباس التوحيدي (311-400هـ) إنسانًا موسوعي الثقافات متعدد الاهتمامات، ولم يبعد أحمد أمين من الحقيقة حين وصفه قائلاً: «إن أبا حيان كان واسع الأفق متعدد النواحي، إذ كان فيلسوفًا مع الفلاسفة، ومتكلّمًا مع المتكلّمين، ولغويًا مع اللغويين، ومتصوفًا مع المتصوفة»(1).

وإذا بحثنا عن جذور هذه الثقافة الموسوعية وجدناها فيما درسه أبو حيان من شتى ألوان المعارف، فقد أكبّ على العلم منذ صغره، وتتلمذ على أيدي أبرز علماء عصره مثل أبي حامد أحمد بن عامر المروروذي القاضي (ت:362هـ)، وهو إمام من أئمة الدين، واسع الاطلاع، عالم بالأدب، وقد درس التوحيدي على يديه الفقه الشافعي. كما درس النحو على يد أبي سعيد السيرافي (ت:368هـ)؛ وكتاب «الإمتاع والمؤانسة» وكتاب «البصائر والذخائر» يَعُجّان بالمسائل النحوية التي تدل على استيعاب الرجل لهذا العلم والخوض في مسائله الدقيقة، ولا نستغرب ذلك من تلميذ السيرافي الذي كان من ألمع نجوم عصره في النحو، وهو شارح كتاب سيبويه.

وكما كان التوحيدي ملمًا بالنحو فقد كان كذلك ملمًا باللغة. وكتاب البصائر والذخائر يشهد على ذلك. فقد بحث في الاشتقاق والمصادر. وصدق أحد نقاده حين قال: «.. وما كان تدفق أسلوبه، وامتداد نفسه، وتباعد ما بين آفاق مباحثه إلا مظهراً من مظاهر هذا الثراء اللغوي. وإن المرء ليأخذه فضل عجب إذ يراه حاضر الجواب عند كل سؤال يُلقى عليه في مسائل اللغة، ومع الجواب شاهده من مأثور القول في شعر أو نثر»(2). ودرس الفلسفة وعلم الكلام، واستطاع أن يجادل متكلمي عصره، وأن يدحض حججهم بالبرهان القاطع، ومزج الفلسفة بالأدب؛ ومن هنا فقد أطلق عليه ياقوت: فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة.

بحث في النفس وكمالها والإنسان وحَدِّه، والفرق بين النفس والروح، والعالم وقدمه وحدوثه، وصلة العالم السفلي بالعالم العلوي، وعن النفس وتجردها وأخلاقها وما يمكن إصلاحه من هذه الأخلاق(3) ودرس التصوف وهضم مسائله. ومن هنا فقد أطلق عليه ياقوت: شيخ الصوفية(4).

إن مؤلفاته الكثيرة والمتنوعة تشهد على سعة ثقافته، فإذا أردت أن تختبر سعة اطلاعه في الفلسفة وعلم الاجتماع، وتناول مسائل اللغة بتعابير فلسفية، وأن تجمع آراء علماء القرن الرابع في هذه المسائل، فإن كتاب «المقابسات» يغنيك عن الكثير. قال عنه مارجليوث: «إنه ثبت للمجادلات الفلسفية التي يقول أبو حيان إنه استمعها بنفسه»(5).

كما أشاد بفائدته محمد كرد علي وزكي مبارك(6). أما «الإشارات الإلهية» فهو كتاب تصوف يدعو إلى تهذيب النفوس، والتجرد عن مطامع الدنيا، والدعوة إلى التعلق بالله، والانقطاع والالتجاء إليه وحده في جميع الأحوال(7).

إن أبا حيان مثقف موهوب بكل ما تحمل هاتان الكلمتان من معان، والموهوب دائمًا شديد الاعتزاز بنفسه لأنه يؤمن بأهميته وامتيازه.

إن هذا الصراع بين ما يشعر به الرجل وما اضطرته الأيام إلى سلوكه، كان يؤرق حياته وكان يؤلمه، ونحن لا نستطيع أن نفصل الرجل عن عصره، ذلك العصر الذي اتسم بالتذلل والخضوع لأصحاب الشأن.

كان التوحيدي يعاني من المسألة، ويطلب من الله أن يغنيه عن الناس، مما يدل على أنه كان متألمًا مزدريًا لنفسه التي تمد يدها طالبة الرِّفد عند من لا يستحقون، وكان يؤلمه أن يستخدم أدبه وسيلة للثراء أو جمع المال، وتسخير قلمه لمدح من لا يستحق المدح، ومن هنا فقد توجه إلى خالقه تعالى بالدعاء قائلاً: «اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبذلها بالإقتار، فنسترزق أهل رزقك، ونسأل شرار خلقك، فنُبتَلى بحمد من أعطى وذمّ من منع، وأنت، من دُونهما دليل الإعطاء، بيدك خزائن الأرض والسماء»(8).

إن اعتداده بنفسه وثقافته واضطراره للاسترزاق وإحساسه بوطأة ذلك، ولّد في نفسه نفوراً من الناس، لأنهم لم يُقدّروه حق قدره. فزهد في كل شيء، حتى كتبه ضنّ بها على مجتمع لا يُقدِّر العلم فأحرقها. وارتباط العلم بالمال أو انفصالهما مسألة أرّقت أبا حيان، فما فائدة العلم إذا لم يغنِ صاحبه؟

لقد علّل النفس وحاول تقبل الواقع وفلسفته لصالحه، فقرر أن العلم والمال قلما يجتمعان ويصطلحان، ويعلي من شأن العلم فيقول: «.. فالعلم نفسيّ والمال جَسَديّ، والعلم أكثر خصوصية بالإنسان من المال، وآفات المال كثيرة وسريعة، لأنك لا ترى عالمًا سُرق علمه وتُرك فقيراً منه، وقد رأيت جماعة سُرقت أموالهم ونُهبت وأُخذت، وبقي أصحابها محتاجين لا حيلة لهم. والعلم يزكو على الإنفاق، ويصحب صاحبه على الإملاق، ويهدي إلى القناعة، ويسبل الستر على الفاقة، وما هكذا المال...»(9).

ولما لم يحقق له العلم ما أراد أعلن هزيمته وانعزاله؛ وصرخ شاكيًا في مجتمع يُقدِّر الناس بما يملكون لا بما يعلمون، وكان المنطق يقتضي أن يتعاطف أبو حيان مع الفقراء الذين يشتركون معه في الشكوى من بطش الأغنياء، ولكن ما أصابه من هؤلاء من ضرر جعله يلسعهم بسياط نقده كما فعل مع الأغنياء(10).

فحين قام الفقراء(11) بثورة على الأوضاع المتردية، والتي أطلق عليها ثورة العيّارين، دخلوا بيت أبي حيان وسرقوا ما فيه، ومن هنا أعلن ثورته عليهم فوسمهم بالبعد من الحق، وتحدث عنهم باشمئزاز واستنكار فقال: «وهذا الرهط ليس لأحد فيهم أسوة، ولا هم لأحد قدوة، لغلبة الباطل عليهم، وبُعْد الحق عنهم»(12).

الهوامش:

1- مقدمة أحمد أمين لكتاب الهوامل والشوامل، ص9.
2- أبو حيان التوحيدي لعبد الرزاق محيي الدين، ص132.
3- أبو حيان عالم النفس لزكريا محيي الدين، مجلة الرسالة، العدد 1042، سنة 1964م.
4- معجم الأدباء لياقوت 380/5.
5- دائرة المعارف الإسلامية مادة: أبو حيان.
6- أمراء البيان لمحمد كرد علي، ص483. والنثر الفني في القرن الرابع الهجري، ص167.
7- الإشارات الإلهية، تحقيق عبدالرحمن بدوي، ص37.
8- مثالب الوزيرين، تحقيق ونشر إبراهيم الكيلاني، ص361.
9- الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين 225/1.
10- الإشارات الإلهية.
11- الإمتاع والمؤانسة.
12- مثالب الوزيرين.

قـــراءة فـــي الأبعاد التربوية والفلسفية

ودورها في التقدم العلمي والتقني في اليابان

عبدالله سليمان القفاري

الباحث في مشروعات النهضة والمشتغل بحيثيات التقدم مأخوذ على الدوام بالنظر فيما حوله من نماذج وحلول. والنظر في أحوال الأمم وتدبر سنن نشوء الحضارات وأفولها بعين بصيرة أمر لازم لنا في سبيل تشريع نهضوي؛ ليس من أجل استيراده جاهزًا كما نستورد مُؤنَنَا ومتاعنا الآن. بل من أجل اكتشاف خصوصياتنا وذواتنا والبحث عما يلائمنا وما يمكن أن نفيده في سبيل بناء مشروع حضاري، يمكننا من تحقيق موقع لنا بين أمم الأرض الناهضة، يتناسب مع خصوصيتنا الحضارية وعظم الرسالة التي نحملها.

ولقد علّمنا القــرآن الكريم أن ننظر في تجارب الأمم، وأن نسير في الأرض لنُخرج من هذه المسيرة المتبصرة سنن الله في خلقه، وندرك أحوال الأمم في نشوئها وصعودها وأفولها.

والناظر في بواكير مشروعات النهضة العربية وما تلاها من مشروعات، ونتائجها على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، منذ إطلالة هذا القرن الذي يؤذن بالأفول حتى يومنا هذا، يدرك الإخفاق «النسبي» الذي جناه العرب منها، حيث كانت هذه المشروعات استجابة وصدى لمشروع النهضة في أوربا (دون الخضوع لاشتراطاته)، وما تلا ذلك من تطورات وبروز اتجاهات سياسية ظهرت هناك، ووُلدت شوهاء في بعض دول المشرق كاستجابة لتطلعات شعبية وسياسية (دغدغت أحلام البسطاء)، ولم تكن منسجمة في سياق فكري يدرك خصوصية الأمة وعمق تراثها.

ونحن نعيش في السنوات الأخيرة من هذا القرن الذي يشهد تحولات مادية جذرية أثرت تأثيرًا بالغًا في مستقبل أجيال أبصرت النور بين ميلاده ووداعه، قد نكون مطالبين - أكثر من أي وقت مضى - بالبحث عن صيغة جديدة لاشتراطات التقدم، لا نتصور أن تكون نقلاً باهتًا وقطيعة مع الماضي، ولا انكفاءً على الذات واكتفاءً بما ورثناه عن أسلافنا.

إنّ ما تحقق من تقدم سريع ومذهل في العقدين الماضيين في بعض دول جنوب شرقي آسيا (مجموعة النمور الآسيوية)، ومنها دول تشاركنا خصوصيتنا وملامحنا الثقافية كأندونيسيا وماليزيا، هذا التقدم جدير بالتقدير والتتبع والدراسة للإفادة منه.

وإذا كنا نعتقد أنّ تجارب هذه الدول قد تكون متأثرة إلى حد كبير بجارتهم الصناعية الكبرى «اليابان»، فإن تلمس الأبعاد التربوية والفلسفية لظاهرة التفوق الياباني جدير بأن يكون مدخلاً لفهم أكثر عمقًا لهذه الظاهرة في سبيل الإفادة منها والتأثر بها، وفي سبيل اكتشاف خصوصيتنا (كأمة) مثلما اكتشف جيراننا في المشرق خصوصياتهم ثم انطلقوا منها إلى معارج التفوق والتميز.

يذهب بعض الباحثين إلى أن التربية اليابانية هي ثاني أبرز تفسير لظاهرة التفوق يمكن تقديمه بعد المقومات العامة لطبيعة الأمة اليابانية التي استمد منها النظام التربوي أهم خصائصه(1).

وإذا كان عام 1868م هو البداية التاريخية الرسمية لعصر النهضة اليابانية «عصر الميجي»، فإن عام 1872م هو التاريخ الرسمي لبدء التعليم الحديث فيها بظهور «إعلان نظام التربية والتعليم» في ذلك العام. وفي سباق تعليمي عُدّ هدفًا مصيريًا استطاعت اليابان في سنة 1910م أن تبلغ فيها نسبة المتعلمين تعليمًا ابتدائيًا رقمها القياسي النهائي 100٪، ولتصبح هذه العلامة المئوية التامة التي حققتها اليابان - والقرن العشرون مازال في بداياته - رمزًا لتفوقها على جميع أمم الشرق والكثير من أمم الغرب في آخر هدف من أهداف الإنسانية في العصر الحديث وهو هدف محو الأمية بالكامل.

إلاّ أنّ إعجاز التربية اليابانية ليس في محو أمية شعب بأكمله من خلال مراحل زمنية قصيرة من عمر الشعوب فقط، وإنما تبرز آثار التربية اليابانية كما أبرزها بعض الباحثين(2) في:

1- إن أول حقيقة وأبرزها تفرض ذاتها على دارسي النموذج الياباني في مجال التربية والتعليم هو ترسخ روح «التلمذة» الجادة في الأمة اليابانية

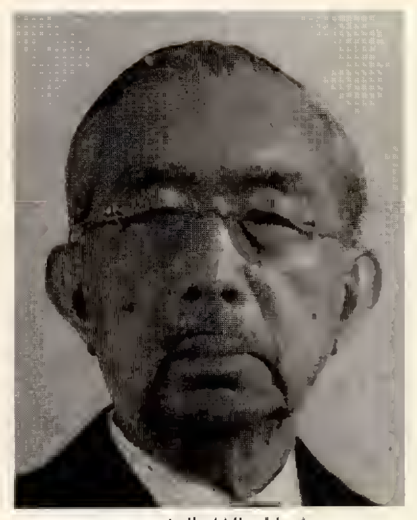
بعامة عبر مراحل تاريخها، واستعدادها لأن تقف موقف التلميذ المجد من الحضارات والنماذج المتقدمة، حيث يُجمع دارسو التجربة اليابانية ـ من مختلف المدارس والاتجاهات ـ على هذه السمة البارزة في السلوك الياباني.

يقول المفكر العربي الإسلامي مالك بن نبي في موازنة بين الموقف الياباني والموقف العربي من الحضارة الغربية: «إن اليابان وقفت من الحضارة الغربية موقف التلميذ، ووقفنا منها موقف الزبون. إنها استوردت المعارف بوجه خاص، ونحن استوردنا منها الأشياء بوجه خاص»(3).

إن نظام التربية والتعليم الياباني يستمد قوته من روحه ودقته وصرامته وتصميمه على الكسب والتحصيل، بالإضافة إلى قدر كبير من الفضول المعرفي الذي يدفع إلى استطلاع ما لدى الآخرين من معارف وتجارب.

2ـ من العوامل المهمة التي أثرت في النظام التربوي الياباني ظاهرة التجانس والتماثل والتوحّد في التكوين القومي الياباني الذي لا يعاني من تعدديات فئوية في تركيبه العرقي والطائفي واللغوي، ومن ثم لم يتعرض لتعدد الولاءات الناجمة عن ذلك وتناقضها. وعندما مثّل التبشير النصراني في القرن السادس عشر خطراً على الوحدة القومية لليابان تمّ منع التبشير بحزم، وأُعيد اليابانيون الذين اعتنقوا النصرانية وأظهروا الولاء للأوربيين إلى حظيرة الشعب الياباني بأقصى درجات الحسم. وهناك من يعيد ظاهرة التجانس هذه التي ورثتها اليابان بحكم موقعها الجغرافي وحافظت عليها فيما بعد، ليجعلها العامل الأهم في نشوء نظام تربوي تعليمي موحد خاضع لإدارة توجيه واحدة منذ ما قبل عهد النهضة الحديثة وخلالها إلى يومنا هذا. وهذا أيضًا يقود إلى تلمس عامل آخر مرتبط بهذا العامل وهو أن اليابان لم تشهد انشطاراً أو انفصامًا في نظامها التربوي بين نظام تقليدي ونظام مدني حديث؛ وهكذا نشأ جيل ياباني جديد موحد في تكوينه وتعليمه وثقافته وأفكاره ولغته وانتمائه؛ مما أدّى إلى تجنّب التمزّق والتصدّع الاجتماعي والصراع الفكري.

لقد بدأ النظام التربوي الياباني في مسيرته ليس بصفته مجموعة من صيغ ونظريات وتنظيمات وتصورات تربوية حديثة مستجلبة من



امبراطور اليابان السابق هيروهيتو

النماذج الغربية أو موضوعة بإشراف خبراء أجانب، وإنما انطلق اليابانيون في بناء نظامهم التربوي من خلال تقاليدهم ومؤسساتهم التربوية التي بنوا عليها وطوروها، ومن هنا نمت ظاهرة التواصل والاستمرارية في تاريخ التربية اليابانية.

3ـ التعليم الياباني لم يكن نظريًا نصيًّا، وكان أميل إلى النواحي التطبيقية والمهنية، وذلك بتأثير النزعة العلمية والنفعية للشعب الياباني.

4ـ اعتمدت اليابان لغتها القومية في التعليم ولم تنحز إلى اللغات الأجنبية، وأدركت منذ البدء أنه لا يمكن لأمة أن تبدع علميًا إلا بلغتها الأم، وأن العالم لا يستمع إلى أمة تتحدث بلغة غيرها.

لعل هذه أبرز السمات التي أغنت ـ تاريخيًا ـ التجربة التعليمية اليابانية التي انتظمت في فلسفة خاصة جعلت هناك خصوصية شديدة لهذه التجربة. هذا من جانب. ومن جانب آخر أبرزت ثراءً وعمقًا لمحصلات هذه التجربة، لا زالت تتواصل حتى اليوم بغنى وتدفق؛ مما أذهل صناع القرار والمفكرين الذين بدؤوا يطلقون صيحات التحذير لأخذ زمام المبادرة وإصلاح أنظمتهم التربوية والتعليمية وتطويرها لتكون في مستوى الامتياز والتفوق في عالم شديد التنافس(4).

ولعل ما يعنينا هنا أكثر هو مناقشة تلك الأبعاد وتلمس آثارها ودورها في التقدم العلمي والتقني الذي أحرزت فيه اليابان إنجازات مذهلة، وخطت فيه خطوات واسعة، وقد نكون أحوج ما نكون إلى تلمس تلك الخطا والاستفادة منها.

لقد أدرك اليابانيون وهم يحاولون نقل أسرار التقدم التقني من الغرب ـ وهم الذين ترسخت فيهم روح التلمذة الجادة والدقة والصرامة والتصميم على الكسب والتحصيل ـ أن الطريق إلى نيل ذلك التقدم يكمن في جدية التحصيل، واعتمدوا سياسة ما عرف فيما بعد بـ(فك الحزام) كجزء من عملية نقل التقنية بغية اكتشاف خباياها، ثم البدء في تصنيعها جزءًا جزءًا على مراحل متعددة، ثم العمل على إعادة تصنيعها محليًا تمهيدًا لتطويرها وابتكار تقنيات ذاتية.

وليس غريبًا أن نقرأ أن الفتى «أوساهيرا» أحد الفتيان اليابانيين الذين ابتُعثوا للدراسة في ألمانيا، كان هو الذي نقل سرّ صناعة السيارة، وسر قوة أوربا إلى اليابان(5).

يقول الفتى أوساهيرا الذي أصبح بعد ذلك علمًا من أعلام صناعة السيارات في اليابان والعالم: «وجدتني أقرأ كثيراً من الكتب والبحوث، ولكني أحسست أن هذا الذي أقرؤه لم يكن هو الذي يحتاج إليه قومي في اليابان!! وذات يوم سقطت عيناي على إعلان في إحدى الصحف عن بيع محركات سيارات قديمة، فذهبت واشتريت واحدًا منها بكل ما أملك من مال، وعدت إلى حجرتي حيث أسكن وأغلقت الباب على نفسي، وحدثتها قائلاً: إنني لو استطعت أن أفك هذا المحرك إلى أجزائه الأولية، فإني أكون قد حققت شيئًا نافعًا لبلدي. وأخذت أعمل بهمة ونشاط، وكنت آكل وجبة واحدة في اليوم، وأعمل ثماني عشرة ساعة، دون كلل أو

ترسخ روح «التلمذة» الجادة في الأمة اليابانية، والتجانس في التكوين القومي الياباني، واعتماد اللغة القومية في التعليم، من أبرز سمات التجربة التعليمية اليابانية!

ملل. وكنت كلما نجحت في فك قطعة من المحرك، قمت برسمها بدقة على لوحة ورقية أعددتها لذلك، وكنت أعطي كل قطعة أفكها رقمًا معينًا. ونجحت أخيرًا في تفكيك المحرك (الموتور) جميعه، وتناثرت أجزاؤه أمامي في الحجرة، وحدثت نفسي قائلاً: لو استطعت أن أعيد تركيب هذا الشيء وتشغيله، فإن نجاحي سوف يصبح كاملاً. وبالفعل أخذت أعيد أجزاءه بعضها إلى بعض، حتى إذا ما انتهيت من ذلك، حاولت تجربته، ولدهشتي انطلق المحرك يعمل، وكدت أجن من الفرح».

وحمل أوساهيرا نجاحه إلى المستشار الثقافي (الملحق التعليمي) الياباني، في ألمانيا، المشرف على الطلاب المبتعثين، فكافأه الرجل بمبلغ من المال.. وأسرع أوساهيرا يشتري محركًا آخر، ويقوم بالعمل السابق، مضيفًا نجاحًا إلى نجاح.

ووصل خبر تفوقه إلى إمبراطور اليابان.. المهتم بشؤون أبنائه المبتعثين، فبادر بإرسال خمسة آلاف جنيه استرليني إليه، هدية لتفوقه ونشاطه. فماذا فعل بها أوساهيرا هذه المرة..؟ اشترى بها جميعًا عددًا وآلات، سوف يحتاج إليها فيما بعد لصناعة المحركات، ثم ذهب يعمل ويتعلم في أحد مصانع الحديد والصلب الألمانية، بكل الهمة والإخلاص والتفاني.

يقول عن نفسه: «كنت أخدم العامل الألماني الذي كنت أتعلم منه سر الصناعة، أخدمه في المصنع، وحتى في المنزل، على الرغم من أني من أبناء طائفة «الساموراي» المحاربة في اليابان، التي يعتد أفرادها بأنفسهم في مجتمعنا جدًا، ولكني هنا، في ألمانيا، كنت أعلم أني أخدم بلدي، اليابان، قبل كل شيء».

وحين عاد أوساهيرا إلى وطنه وجد من يدعوه للتشرف بالسلام على الإمبراطور «ابن الشمس» - كما يطلق عليه هناك - واعتذر أوساهيرا..!! ودهش الذين حضروا الموقف. لكنه قال لهم بأدب شديد: «أمهلوني قليلاً فلم أصنع شيئًا أستحق به شرف المثول أمام الإمبراطور» وأمهلوه.



مالك بن نبي

وبعد تسع سنوات... (!!) ذهب أوساهيرا إلى القصر الإمبراطوري، ومعه حمولته: عشرة محركات «يابانية الصنع» خالصة، وأفردوا له قاعة كبرى خاصة، وضعها فيها، وأخبر الإمبراطور بوصوله، فهبط إليه. وحين دخوله القاعة أسرع أوساهيرا يشغل المحركات جميعًا، لتنطلق في هدير يصم الآذان، في القصر الهادئ الممتلئ بالزهور، والصمت!

ويقترب أوساهيرا من جلالة الإمبراطور، قائلاً: «سيدي... لقد نقلنا سر قوة أوربا إلى اليابان». ويبتسم الإمبراطور السعيد - ولا شك - قائلاً: «هذه أعذب موسيقى سمعتها في حياتي»!!

لقد كانت هذه بداية صناعة السيارة اليابانية، التي نعرف جميعًا الآن موقعها في ميدان صناعة السيارات في العالم.

وإذا كان عامل التجانس والتماثل والتوحد في التكوين القومي الياباني، هو من عوامل القوة التي أسهمت في صياغة بنية اجتماعية ذات توجهات واحدة وأهداف متشابهة بعيدًا من ظاهرة الولاءات الناجمة عن الانقسامات الطائفية والعرقية والدينية، مما أتاح فرصة تاريخية لقيادة مجتمع منسجم نحو الرقي والتقدم المادي الحضاري، إذا كان هذا العامل، كما يذهب بعض المفكرين، أحد العوامل التي أسهمت بفعالية وأثرت بعمق في النظام التربوي الياباني، فإنه كذلك يعد عاملاً يفسر الانقسامات وتعدد الولاءات وضعف الانتماء الذي عانت منه المنطقة العربية في مراحل مختلفة من تاريخها الحديث.

والذين يحاولون أن يؤطروا التجربة اليابانية ويقابلوها بنظيرتها العربية يجب ألا يغيب عن أذهانهم الاختلاف الطبيعي والتاريخي والثقافي بين هذين المجتمعين. فالمجتمع الياباني مجتمع منسجم مع توجهات التحديث والعصرنة، ولا يجد إشكالية ثقافية في تبنيه المدارس الثقافية الغربية سواء على مستوى الحياة السياسية أو الاجتماعية، وتراثه البوذي والكونفوشي لم يشكل عائقًا أمام تبنيه صادقًا التوجهات الغربية في السياسة والاقتصاد.

أما المنطقة العربية ففي هذا المجال يجب ألاّ يأخذنا حجم الانبهار بالسبق الياباني ونغفل حقيقة تمثل عقدة مازالت قائمة ولم يُقدَّم إلى الآن النموذج الحضاري الذي يحل إشكاليتها ويتبنى برامجَ تزيح العبء القائم من الصدام بين أهل الحداثة والعصرنة، الآخذين بالنموذج الغربي، والآخرين المتكئين على مقومات التراث والأصالة، بين أصحاب المشروع الإسلامي السلفي، وأصحاب المشروع العلماني (التمغربي) الحداثي، بين أهل الرفض وأهل القبول، بين اليمين واليسار، بين وبين...

إن تعدد النماذج الوافدة وابتغاء الحلول في مشروعات لم تثمر تجربتها التاريخية عن تقدم يُذكر، والرصيد الحضاري الذي بذره الإسلام في الوسط العربي، لم يكن كل ذلك ليتيح فرصة بناء مقومات تقدم مادي حضاري دون الاستناد إلى شرعية تاريخية فاعلة في تاريخ الأمة، مرتبطة بتراثها، أساسها الإسلام، وتطلعاتها نماذج حضارية متميزة وفريدة. إن صراع الأفكار قد تولّد منذ بدأ الاستعمار الغربي يبذر اتجاهاته الفكرية وينشر مدارسه الطائفية بين قطاعات واسعة وطبقات نافذة في المجتمعات العربية. وعليه فإن عقد موازنة في هذا الجانب بين المجتمع الياباني والمجتمع العربي، ضمن ظروف تاريخية ثقافية متباينة، قد يذيب فروقًا عميقة نحن في حاجة إلى تلمسها

اهتمت اليابان بتأسيس قاعدتها العلمية التقنية الصناعية، وأولت التعليم المهني والفني اهتمامًا كبيرًا، جعل منه القوة الأساسية في النظام الياباني!

قراءة في الأبعاد التربوية والفلسفية

ودورها في التقدم العلمي والتقني في اليابان

وإدراكها ليأتي تشخيصنا أمينًا ودقيقًا، ورؤيتنا أكثر شمولية ووضوحًا.

وإذا كان ما ميَّز التجربة اليابانية ـ كما وضحنا سابقًا ـ هو تواصل العملية التعليمية بين القديم والحديث، حيث اعتمدت مبدأ التواصل والاستمرار في خط سيرها منذ ما قبل النهضة وخلالها وبعدها، حيث لم تتعرض للانقطاع والتجريب المخل والتقلبات الفجائية، إذا كانت هذه إحدى ميزات التربية اليابانية فإنها تعد، في الوقت ذاته، نقطة ضعف كبيرة في النظام التربوي العربي، الذي اعتمد عبر تاريخه الحديث صيغًا تعليمية متقاطعة مع مؤسساته التربوية والتعليمية التراثية، أو مَرَّ بتجارب لم تعكس تواصلها واستمراريتها (مثل ما حدث لنظام التعليم المصري بعد محمد علي، ثم في عهد كرومر بحكم الضغط الأجنبي، حيث صُفيت معاهد التعليم التطبيقي المتقدم، وتم التركيز على تخريج كتبة الدواوين، وحلت الإنجليزية محل العربية في المراحل الدنيا من التعليم، ثم بدأ إصلاح آخر بطيء مع عهد الاسقلال).

ولا يغيب هنا الربط البيّن بين عدم التواصل والانقطاع الذي عانت منه الأنظمة التربوية العربية خصوصًا في المناطق التي كانت تمثل ثقلاً حضاريًا وتمثل بواكير نهضة واعدة كمصر، لا يغيب الربط بين هذا والوضع السياسي والثقافي السائد في المنطقة إبان مرحلة التحديث وانبعاث مشروع النهضة العربي.

فهذا المشروع افتقد تواصله مع الماضي وبدأ يبحث عن مشروعية جديدة مصدرها التجربة الأوروبية، فكان من الطبيعي أن يكون هناك انقطاع بيِّن بَيْنَ التقاليد التربوية العربية الإسلامية والأنظمة التربوية التحديثية المستوردة من النموذج الأوربي الذي اتخذته الطبقة السياسية والشرائح الثقافية المؤثرة شعارًا لها. ولعل ما حدث مثلاً في حالة نشوء الجامعة المصرية (1908م) التي تمت في خط مستقل ومنفصل، بل متناقض مع الجامع الأزهر، يقرب للأذهان الصورة التي بدت تظهر في أكثر من موقع وبلد عربي.

لقد انحازت اليابان إلى التعليم بلغتها الأم منذ عام 1890م، ومع ما يكتنف اللغة اليابانية من صعوبات ـ اتفق عليها دارسو الشؤون اليابانية ـ في طريقة كتابتها وفي قواعدها وأساليب تعبيرها إلا أن ذلك لم يحل دون اعتمادها لغةً للتعليم، وقد شكل هذا التحول علامة مميزة في التجربة اليابانية حذت حذوه دول كثيرة فيما بعد مثل كوريا وبعض دول جنوب شرقي آسيا وغيرها.

لقد أدرك اليابانيون منذ وقت مبكر أن انتشار العلوم والمفاهيم العلمية والتقنية بلغتهم يشكل توطينًا في حقيقة الأمر لهذه العلوم في بلادهم، فالعلوم والتقنية لا تستوطن بلدًا وعامة شعبها لا يفهم لغتها.

ولعل من أبرز المفارقات التاريخية أنه في الوقت الذي انتقل فيه اليابانيون من التعليم باللغات الأجنبية في جامعاتهم إلى التعليم بلغتهم القومية في أواخر القرن التاسع عشر، حدث تحول معاكس في أبرز جامعات العالم العربي، حيث تم الانتقال من استخدام اللغة العربية التي كانت لغة التعليم الجامعي بالفعل في المعاهد المصرية في عصر محمد علي وفي جامعة بيروت الأمريكية إلى التدريس باللغة الإنجليزية.

ولعل الخاصية المميزة في التجربة اليابانية التي قادتها إلى نهضتها الصناعية الكبرى، تكمن في أنها اهتمت كثيرًا بتأسيس قاعدتها العلمية التقنية الصناعية، وأولت التعليم المهني والفني اهتمامًا كبيرًا مما جعل منه القوة الأساسية في النظام الياباني حيث تزاوجت جدية التحصيل وطلب المعرفة بنزعة التعليم النفعي التطبيقي.

إن اليابان لم تؤخذ ببريق الدراسات النظرية الغربية من فلسفات وحقوق وإنسانيات، وإنما انصرفت إلى تأسيس معاهدها التقنية المتوسطة التي تمثل العمود الفقري في النهضة اليابانية، حيث أصبحت الممارسة العملية التدريبية أبرز واجبات الياباني منذ طفولته، وأصبح العمل المهني واجبًا مقدسًا يحظى بالاحترام والتقدير.

ومن المفارقات المؤلمة أن تكون هذه الخاصية لدى اليابانيين هي نقطة الضعف التي عانتها النظم التربوية العربية (التي بنت أمجادها على كليات الحقوق والآداب كما هو معروف في تاريخ التربية العربية) حيث مازالت النظرة تجاه العمل المهني والحرفي دون مستوى تطلعات أمة تدرك أن الاهتمام بهذا النوع من النشاط هو مفتاح التقدم المادي، وأن المصانع العملاقة في العالم لا يديرها سوى تلك الشرائح، وأن عجلة التقدم الصناعي بدأت من تلك السواعد والعقول. ولعل ما تعانيه بعض الاختصاصات النظرية في معاهدنا وجامعاتنا العربية من اكتظاظ يفسر كيف أن الدراسة الفنية والتقنية لا تزال لا تحظى بالأولوية في عقل المجتمع ولا في سلم أولوياته التعليمية.

إن التجربة اليابانية تجربة غنية تأثرت بها تجارب دول أخرى لحقتها وحققت قفزات باهرة في حقل التقدم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وما تجربة (النمور الآسيوية) منا ببعيدة. إن هذه التجربة العملاقة التي بدأت تهدد في سباقها الحضاري تجارب دول أعرق وأسبق في ركب التقدم العلمي والتقني كدول أوربا وأمريكا، لم تكن قبل بضعة عقود سوى إرهاصات وبدايات متواضعة، وقد تكون تجارب بعض الأقطار العربية سبقتها في بعض المجالات. ولعل من المفارقات التاريخية أن نشير إلى أن اليابان أرسلت وفدًا في بداية عصر الميجي لتعرّف سرّ النهضة المصرية في عصر محمد علي وعصر إسماعيل. ويكفي أن نذكر أنه حتى عام 1913م كانت نسبة الإنتاج القومي العام في مصر للفرد الواحد أعلى منها في اليابان، وكذلك معدلات التجارة الخارجية المصرية التي كانت ضعف المعدل الياباني للفرد الواحد. بالإضافة إلى كون نظام السكك الحديدية المصرية ـ حتى ذلك الوقت ـ أكثر تغطية للمساحة العامة للبلاد من السكك اليابانية مقابلة بالميل المربع الواحد في البلدين.

إلا أن اليابان كسبت السباق الحضاري. وما أحوجنا أن نعيد قراءة هذه التجربة مرات ومرات علّنا ندرك كيف تُبنى الحضارات.

المراجع:

1ـ أ. ر. بوشامب والتربية في اليابان المعاصرة، ترجمة محمد عبدالعليم مرسي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1406هـ/1985م.

2ـ د. محمد جابر الأنصاري، جذور التربية اليابانية وخصائصها، مجلة رسالة الخليج العربي.

3ـ مالك بن نبي، حديث البناء الجديد، ترجمة عمر مسقاوي.

4ـ أمة معرضة للخطر ـ حول حتمية إصلاح التعليم ـ تقرير مقدم من اللجنة الوطنية المكلفة دراسة وسائل تحقيق التفوق والسبق في التعليم بالولايات المتحدة الأمريكية 1983م، ترجمة يوسف عبدالمعطي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

5ـ التربية في ألمانيا، نزوع نحو التفوق والامتياز، هانزج لينجر، وباربارا لينجر، ترجمة وتعليق محمد عبدالعليم مرسي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1987م.



مكابرة وندامة

د. محمود جبر الربداوي

قال جبلة بن الأيهم (ت20هـ):

تَنَصَّرتِ الأشرافُ من عارِ لطمةٍ ... وما كان فيها لو صَبَرْتُ لها ضَرَرْ

تكنَّفني(1) فيها اللَّجاجُ(2) ونَخْوَةٌ ... وبِعتُ بها العين الصحيحة بالعَوَرْ

فيا ليت أُمّي لم تلدني وليتني ... رجعتُ إلى القول الذي قال لي عُمَرْ

ويا ليتني أرعى المخاض(3) بقفرةٍ ... وكنتُ أسيرًا في ربيعةَ أو مُضَرْ

ويا ليت لي بالشام أدنى معيشةٍ ... أُجالِسُ قومي ذاهب السمع والبصر

أدين بما دانوا به من شريعةٍ ... وقد يُحبَس العَوْدُ الضَّجورُ على الدَّبَرْ(4)

***

أبياتٌ قليلة تخفي وراءها قصةً طويلة. ومنذ الشطر الأول من البيت الأول يصرِّح الشاعر بدوافعه لنظم القصيدة، هذه الدوافع التي تتلخص بـ (اللطمة) و(عار اللطمة). فما قصة اللطمة هذه التي تكنَّفة فيها اللَّجاج والنخوة، وباع بها العين الصحيحة بالعَوَر؟ ما قصة اللطمة التي جعلتْ ملكًا يتمنى ويكثر التمني؛ يتمنى أن أمه لم تكن قد ولدته ويتمنى أن يعود راعيًا يرعى الإبل في البراري والقفار، يتمنى أن يكون أسيرًا عند قبيلة من قبائل العرب، ويتمنى أن يعود إلى وطنه بالشام ولو استبدل بالعيشة المترفة التي يحياها في بلاد الروم عيشةً بائسة بين قومه ولو كان ذاهب السمع والبصر، يتمنى لو أنه استجاب للكلمة التي قالها له عمر بن الخطاب، فما هي تلك الكلمة؟

لكي نحيط بقصة القصيدة بأبعادها التاريخية المختلفة، قصة شريف تنصَّر، لأنه تمرد على كلمة عمر، لا بدّ من العودة إلى حياة الشاعر وتبيان الظروف والملابسات التي عاشها حتى انتهت به إلى هذه النهاية التي صَوَّرَتْها هذه المقطوعة.

فالشاعر هو جبلة بن الأيهم بن جبلة، وهو آخر ملوك آل جفنة من الغساسنة تُمثِّل حياتُه حياة ملك عربي ينتمي لقبيلة ـ أو قل لقبائل ـ تعيش خارج الجزيرة العربية، وتحديدًا في بلاد الشام، حياة ملك عربي تمثل حياته مرحلةً انتقالية بين حياة التشرذم القبلي والتشتت التي كان يحياها العربي في الجاهلية وحياة التوحد ـ وإن شئت فقل التوحيد ـ التي صاغها الإسلام بعد اجتياحه الجزيرة العربية وأطرافها، هذا على المستوى القبلي. أما على المستوى الفردي فحياته تمثل المد والجزر الذي ينتاب نفسية امرئ مرموق المكانة يعيش في ظل ثورة فكرية ودينية وسياسية وَفَدَتْ عليه بزخمها من وراء الحدود، فاضطرب كيانه مع ما نلاحظه في أصل تكوينه، وتذبذب في سلوكه، فقد انتهى إلينا من أخباره في المرجعية التاريخية أنه عربيٌّ مازالت فيه نخوة الجاهلية، وملكٌ انحدر من أسرة معرقة في الرئاسة؛ فيه نزوعٌ للعظمة وتمرُّدٌ على الجديد، ورغبةٌ جامحة للجاه والسلطة.

وفي رواية لابن هشام ذكرها ابن خلدون أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم بعث إليه شجاع بن وهب (وفي رواية أخرى: بعث الرسول للحارث بن أبي شمر)(1) يدعوه إلى الإسلام، ويرغبه في الدين فأبى. فجبلة كان رجلاً يحلم بطموحات كبيرة، ويطمع في مناصب عالية في دولة الإسلام، كما كان لأسرته من المناصب العالية في الجاهلية، ولكنّ إخلاصه للعقيدة الجديدة لم يكن يؤهله لذلك، فإذا أضفنا إلى هذا ضيق عَطَنه والظروف العامة والخاصة التي وضعته في مواقف لا يُحسد عليها، أحرجتْه وأحرجت

المســؤولين، كل ذلـك نأى به عن الإســلام، ودفعـه للتَّنصُّر. وقـد صرّح بهذا الـطموح في مخـاطبته لعمـر، عندما أراد عـمر أن (يَقـيد) الرجل الفزاري منه، فقـال جبَلة: قد ظننتُ يا أمير المؤمنين أني أكـون في الإسلام أعزَّ مني في الجاهلية(2)، فكلمة عـمر جاءت مخيّبة لكل طموحـاته، تلك الكلمة التي تتلّخص بأنّ عمر قال له ـ عندما لـطم الرجل الفزاري الذي وطئ أطراف إزاره وهو يطوف بالبيت (وفي رواية أخرى تَسَـابَّ مع الرجل الفزاري في المدينة) ـ: «إمّا أن تـرضيَ الرجل وإمّا أن أقيده منك، قـال جبـلة: وكـيف ذاك يا أمير المؤمنين وهو سُوقَةٌ وأنا ملك؟

قـال عـمـر: إن الإسـلام جَـمَـعَك وإياه، فليس تفـضله بشيء إلا بالتقى والعـافيـة، قال جبلة: إذًا أتنصّـر، قـال عـمـر: إن تَنَصَّـرت ضَـربتُ عنقـك؛ لأنك قــد أسلمت فــإن ارتددتَ قتلتُك»(3).

هذا الحـوار السـاخن بين الخـليـفـة وجـبلة جعله يُسقط شيئًا من حماسته للإسلام وهو ما يزال حـديث عـهـد به؛ لذلك قـرر النزوح عن ديار المسلمين، ولاسـيـمـا أن ملك الروم كـان يتـمنى ارتداد جبـلة عن الإسلام؛ لأنه حليف قديم لدولة الروم وعلى دينها؛ لذلك قرَّر جبلة الرحيل مع خـمسـمئة رجل من قـومه إلى بلاد الروم، فتلقاه هرقل بكل الترحـاب وعدَّه صيدًا عـربيًّا ثـمـينًا سـاقـه الله إليـه من بلاد أعـدائه العرب، فأغدق عليه النعمة وجعله من سُمّاره. وفي المراجع التـي ترجـمتْ لجبلة صـفـحـات مفعـمـة بوصف الحياة المرفهة التي عاشـها جبلة في بلاط هرقل(4)، ولكنّ عـمـر لم يـيأس من عودة جبلة إلى دين قومه العرب على الرغم من كل مظاهر الأبّهـة والعظمـة والإغـراء التي أحـاطـه بهـا ملك الروم؛ فلذلك أرسل عـمـر لهرقل وجبلة رسولاً من قِبَله يُسَمَّى «جثامة بن مساحق الكناني»، فلمـا انتهى إلى هرقل أجابه إلى كل شيء ما عدا الإسـلام، ويبدو أن هرقل حـدثته نفسه بأن يقـوم بحـركـة (دبلومـاسيـة) فطلب من جثامـة أن يعرّج على منزل جبلة في القسـطنطينيـة، ليطلع على النعيم الذي أغدقـه هرقل عليـه وأحاطه به، فلعل هذا النعيم يكون مغريًا لأمثال جبلة من العرب، الذين لم يتمكن الإسـلام من نفـوسـهـم، ويبـدو أيضـًا أن هرقل أوحى إلى جبلة بهـذا المعنى الذي اعـتمـل في نفـسه، فمـا إن دخل جثـامة المنزل الـذي كان ينزله جبلة حتى رأى مظاهر الترف والبحبوحة في النعـمة التي أعـدّها جبلة ليبـهر بها رسـول عـمـر، وعلى تفننه في إظـهـار نفـسـه بمظهـر الإنـسـان المبـجّل فـي كنف هرقل لاصطنـاعـه لدينه؛ إلا أن رسـول عـمـر أعـرض عن هذه الألوان من زخرف الحياة الدنيا واستـهان بها، وقـال لجبلة: «مـا يمنعك أن تعود إلى قـومك والإسلام؟! فـالتفت إليه جبـلة مستغـربًا وقال: أبَعْدَ الذي كان؟»(5) فردّ عليه جثامة موردًا له خـبـرًا في غـايـة الذكـاء والفطنة: لقـد ارتدَّ الأشعث بن قيس عن الإسـلام ومنعهم الزكاة، وضـربهم بالسيف، ثم رجع إلى الإسـلام(6) وقُبل منه، وارتدَّ عـيينه بن حـصن الفزاري، ثم أسلم بعـد ذلك على يد أبي بكر»(7). غـير أن جبـلة ـ على رغبـته في قرارة نـفسه في الـعودة إلى قـومه والإسـلام ـ كـان يطمح إلى أن يظل مـحـتـفظًا بالمكاسب الدنيـوية الـتي تحيط به، فلهـذا طـلب من رسـول عـمـر أن يـضـمن له شيئين: أن يزوجـه عـمر ابنته، وأن يضـمن له الإمـرة على المسلمين بعـده، فـقـال له رسـول عمر: أما الزواج من ابنة عمر فيمكن أن أضمنه لك، وأمـا الإمرة فـهـذه قضـيـة بين أيدي أهل الحل والعـقد من المسلـمين. فلما رجع جثـامة وأخبـر عمر بشروط جبلة قال له عمر الخليـفة البـعيـد النظر في السـياسـة واصطنـاع الرجـال: «فهـلا ضمنتَ له الإمرة أيضًا، فـإذا أفاء الله به إلى الإسلام قـضى عليه بحكمـه عز وجل. ثم قال جثامة: جَهَّزَني عمر إلى قيـصر وأمرني أن أضـمن إلى جبـلة مـا اشترط به. فلمـا قـدمت القـسـطنطينيـة وجـدتُ الناس منصـرفينَ من جنازة جبلة»(8).

وينقل البـغـدادي عن صـاحـب الأغـاني خـبرًا مـفـاده: أن معـاوية بن أبي سـفـيـان هو الذي أرسل عـبدالله بن مـسعود الـفزاري إلى ملك الروم وجبلة، وعرض عـلى جبلة العودة إلى قومه والإسلام، فاشترط جبلة على معاوية أن يعطيـه الثنيّـة وعـشـرين قـرية في الـغـوطة، ويفرض لجماعتـه، ويُحسن جوائزهم، فلما بلَّغ الوسيطُ معاوية وافق على شروطه وأوفده ليبلغه موافـقة معـاوية فوجده قـد مات»(9). والرواية الأولى أصح تاريخيًا.

ومن تمام قـصة هذه القـصيـدة وخبر جـبلة الإشارة إلى جـانب آخـر من جـوانب نفـسـيـة جـبـلة، يعـزّز مـا وصـفناه به من حـب مظاهر العظمـة والتباهي بعـراقة النسب قـديمًا وبما لديه من نعـمـة حـديثًا؛ تلـك الجلسة الـتي وصفـهـا رسـول عـمـر وهو في منزل جـبـلة في القسـطنطينية محاطًا بالجواري يغنّينه، ويقلن:

لله در عصابة نادمتهم

يومًا بجلق في الزمان الأوّل

إلخ...

ويذهـب من المغنيـات فوج ليـقبل فـوج آخر يغنينه قائلات:

لمن الديار...

فـيقـول جبـلة لرسـول عـمر، مُـدلاً بمجـده القديم إلى جانب دلاله ببذخه الحديثَ: أتعرف لمن هذه الأبيات؟ ويردف جبلة: إنها لحسان بن ثابت، وهذه منـازلنا في ملكنا بأكـناف الشـام. وتأخـذ النشـوة والنـخـوة برأس جـبلة فـيرسل لحسان هدية ثمينة، ولكنه يطرق إطراقة طويلة، وأكـثـر المصـادر التي ذكـرت القـصـة روت أنه بكى بكاءً شديدًا وقال:

تنصرت الأشراف ....

غريب الألفاظ:

1- تكنّفه: اعتراه وأحاطه.
2- اللّجاج: الخصومة والجَلَبَة.
3- المخاض: الحوامل من الإبل، واحدتها: خَلِفَة من غير نوعها.
4- العَوْد: المسن من الإبل، والضجور: كثير الضجر، والناقة الضجور: التي ترغو عند الحلب. والدَّبَر: الإصابة بالدبرة، وهي القرحة في الجلد تحدث من الرّحل.

الهوامش:

1- تاريخ ابن خلدون 282/2.
2- الأغاني 126/15 ويقيد: ينتصف.
3- الأغاني 126/15.
4- انظر في وصف ذلك: الأغـاني 128/15، ونهـاية الأرب 313/15، وخزانة الأدب 365/4، والعقد الفريد 57/2.
5- خزانة الأدب 396/4.
6- خزانة الأدب 396/4 والأشعث بن قيس من ملوك كندة كما ذكر ابن سعد في طبقاته.
7- الاشتقاق 284، والإصابة 6146.
8- خزانة الأدب 399/4.
9- خزانة الأدب 400/4، والأغاني 7/14.

التلفاز

وتنشئة الأطفال في المجتمع المسلم

د. محمد عبدالعليم مرسي

الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع، وهي كذلك الركيزة الأساسية التي تمد ذلك المجتمع بالعناصر البشرية الصالحة لتحقيق أهدافه. ومعروف أن الطفل يتشرَّب قيمه وعاداته الأولى، وكذا معاييره في الحكم على الأشياء، وفي التعامل معها، من أفراد أسرته، وبالتحديد من والدته أولاً، ثم من باقي أفراد الأسرة بعد ذلك.

وفي داخل الأسرة تكتمل قدرات الطفل الجسمية والعقلية، والحسية والانفعالية، كما أن قدراته على تعلم اللغة، وعلى التعبير عن نفسه، وعما يريد أن يعبر عنه، تتم في أثناء تفاعله مع أفرادها. وهذا التعامل الحيّ هو الذي يُكسب الكلمات والجملَ معانيَ يحسها الطفل ويتفاعل معها، حتى إن بعض العلماء يعدّ هذا التفاعل - داخل الأسرة - من أهم الأمور في نمو الطفل، وفي تكوين شخصيته.

كذلك فإن عملية التنشئة الاجتماعية SO-CIALIZATION تتم داخل الأسرة؛ حيث تُبنى وحيث تتكون الشخصية الثقافية الاجتماعية لإنسان المستقبل، في إطار جماعة تتميز بأن أفرادها تجمعهم مشاعر مشتركة، وأحاسيس واحدة، وألفة توثق بينهم.

ومعروف أن المولود البشري لا يستطيع أن يعيش بعد مولده أكثر من ساعات قليلة دون مساعدة الآخرين، لذلك فإن الميلاد العضوي أو الجسدي (البيولوجي) BIOLOGICAL BIRTH ليس هو الأمر الحاسم في وجود ذلك المولود، وفي استمراره، وإنما العامل الحاسم في ذلك الوجود في واقع الأمر هو الميلاد الثاني THE SECOND BIRTH، ونعني به تكونه شخصية اجتماعيةً ثقافيةً، تنتمي إلى مجتمع معين، وتعيش داخل ثقافة بذاتها.

وتتكون أبعاد شخصية الفرد وطباعه ابتداء من السنة الأولى حتى السنة الرابعة من عمره، وذلك في نطاق الأسرة المحدود، أي في مجال العلاقات بين الطفل ووالديه، وإخوته، وأقربائه الذين يشاركون الأسرة معيشتها. وينبغي أن نعي هنا أن من أخطر الأمور التي تتم في تلك المرحلة تعلُّم الطفل وتشربه قيم VALUES الجماعة الصغيرة، والمجتمع الكبير من طريق محاكاة أفراد الأسرة الصغيرة.

كذلك فإن كل المؤثرات الثقافية التي تدخل في نطاق الأسرة تتسرب إلى شخصيته، سواء بالاستماع إليها، أو بمشاهدتها، أو حتى بملاحظة بعض المناقشات التي تدور حولها بين أفراد الأسرة أو بملاحظتها جميعًا. ولا يتصورنَّ أحد منا أن ذلك الطفل الصغير الجالس في مقعده، أو اللاهي مع لعبه، لايرى ما يجري حوله، ولا يستمع لما يدور أمامه من مناقشات، إذ الحقيقة العلمية المؤكدة أنه هناك يسجل في ذهنه، ويختزن في ذاكرته كل ما يدور حوله - ربما دون إرادة منه - ولكنه على أي حال هناك، غير غائب، وما يسجله، وما يحتفظ به، يظهر في سلوكياته وردود أفعاله فيما يستقبله من أيام حياته.

مسؤوليات الكبار

وإذا كان الطفل الصغير يتشرب القيم والعادات والتقاليد - في مطلع حياته - من أسرته الصغيرة، قبل أن يخرج لمواجهة المجتمع الكبير، ويحتك بأفراده، فإن ذلك يلقي عبئًا كبيرًا على هذه الأسرة الصغيرة؛ لأن مسؤولياتها هنا تصبح عظيمة، بل يبلغ من خطورتها أنها تدخل في عداد التكاليف التي لا تعفي الشريعة الإسلامية صاحبها منها، وذلك لأنها تنضوي تحت الواجبات التي تدخل ضمن المسؤوليات الدينية والأخلاقية والاجتماعية حيث «كلكم راع، وكل راع مسؤول

عن رعيته»، وهي ذروة تلك المسؤوليات الكبرى، أمام الله عز وجل، يوم القيامة، كما يقول الدكتور عبدالله التركي.

وما دمنا نتحدث عن جانب المسؤولية، أو مسؤولية الأسرة FAMILY RESPONSIBILITY في قضية التنشئة الاجتماعية فإننا نقصد ذلك في نطاق المجتمع المسلم، ومن هنا فإن التنشئة في البيت المسلم، أو الأسرة المسلمة ينبغي لها أن تهتم بجانب «القدوة» أو«النموذج» فيها: قولاً وعملاً، عبادةً وتقربًا إلى الله عز وجل، صلةً بكتابه الكريم، قراءة آيات وسور، وتنفيذ أحكامٍ ومعاملات، صلة بسيرة النّبي الكريم، والمعلم الأسمى، صلى الله عليه وسلم، واتباعًا لأوامره ونواهيه، وتنفيذًا لتعليماته وتوجيهاته، عملاً بقول الله عز وجل: *وما آتاكم الرسولُ فَخُذُوهُ وما نَهَاكم عنه فَانْتَهُوا*. **الحشر**:7.

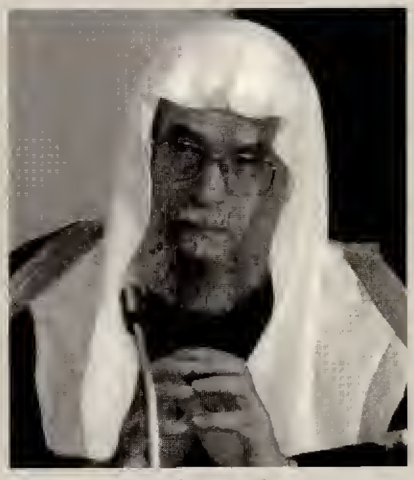
إن قيام العلاقة بين أفراد الأسرة على الحب والتعاون، وعلى التشاور والتسامح، والحرص على أداء العبادات، خالصة لوجه الله عز وجل، يشيع في البيت المسلم روحًا إسلامية خالصة. وفي تصوري أن هذا خير ما يُورَّث للناشئة من أبنائنا وبناتنا في عالم اليوم الذي غلبت عليه الماديات، وشاعت في أرجائه عوامل التفكك والانحلال.

وضمن مهام الأسرة المسلمة، في قضية التنشئة الاجتماعية، أن عليها أن تغرس في نفوس أبنائها وشخصياتهم، من طريق القدوة الحسنة والنموذج الحي الواقعي، عددا من القيم الإسلامية العظيمة والمهمة، التي يمكن الإشارة إليها فيما يلي: الإيمان بالله عز وجل، الصدق في القول والعمل، الحب في الله خالصا لوجهه الكريم، التعاون لما فيه خير المجتمع المحيط، التشاور فيما يهم الجماعة، التسامح فيما بين المسلمين، السلوك الحسن والنظيف مع الجميع، الرفق والهوادة واللين، احترام كبار السن وتوقيرهم وتقديرهم، العطف على الصغار والرفق بهم، بر الوالدين وخفض جناح الذلّ لهما، الاعتداد بالنفس واحترامها دون تكبر أو تزيد، تحمل المسؤولية بأمانة وصدق، الاعتراف بالخطأ والاعتذار الشجاع عند الوقوع فيه..

ولقد أكد القرآن الكريم أهمية الاهتمام بالأسرة، اهتمامًا بالغًا، وما ذلك إلا لأن تلك الأسرة هي أساس بناء المجتمع، كما أنها المنوط بها إقامة قواعد ذلك المجتمع قوية متينة لا تهتز ولا تتمايل.



د. عبدالله بن عبد المحسن التركي



الرئيس الأمريكي كلينتون

إن طور الطفولة يحتل الأهمية العظمى في تقرير أساس الحياة، وإن السلوك الطيب أو الفاسد للأفراد يعود إلى الأساليب التربوية الصالحة أو الفاسدة المتخذة في حقهم، حيث يسير الفرد طوال عمره على أساس الخلفيات الخاصة به، وهذه الخلفيات تنشأ منذ أطوار طفولته الأولى.

نماذج عالمية

الصراع بين القوى العظمى، على مستوى العالم، في يقيني، سوف تحسمه قضية التنشئة الاجتماعية للأطفال على أيدي الأمهات في أسر تلك المجتمعات وبيوتها، واقرؤوا الانتقادات التي وجهت لتربية الأطفال في الاتحاد السوفيتي، بسبب عمل المرأة في المصانع والمزارع، واقرؤوا كذلك ما قاله المفكر الأمريكي «بول كيندي» صاحب الكتاب الرائع «قيام القوى العظمى وسقوطها THE RISE & FALL OF THE GRAET POWERS»، الذي أجاب، حين سأله الصحفيون عن الاستراتيجية السليمة لمواجهة التحدي الياباني بقوله: إن أحد الحلول الجادة المطروحة هو أن تعود المرأة الأمريكية لبيتها.

إن الدولة العملاقة التي نصفها اليوم بأنها علامة دالة على التقدم والازدهار وعلى النمو الاقتصادي المتسارع، وهي اليابان، دولة يسود الاستقرار العائلي، والهدوء النفسي جميع أفرادها، كما يميزها ـ دون شك ـ أنّ السلطة الأولى فيها مركزة في يد الرجل، رب الأسرة، أما الأم فتقف معظم حياتها وجل وقتها على خدمة الأسرة ورعاية شؤونها، وكل ذلك ـ أي تقسيم الأدوار الدقيق هناك ـ ينعكس بوضوح على تنشئة الأطفال في البيت الياباني.

وعند الموازنة بين المجتمعين الياباني والأمريكي نجد أن السلطة الأبوية أقوى بكثير في المجتمع الياباني منها في المجتمع الأمريكي، كما أن الروابط الأسرية التي تجمع بين أفراد الأسرة أقوى وأمتن في الأسرة اليابانية كذلك. ويقول سفير أمريكي سابق لدى اليابان: إن «الأسرة النواة» في اليابان اليوم تذكرنا بنظيرتها في الولايات المتحدة الأمريكية منذ أكثر من خمسين عامًا، وذلك كما نص في كتابه الرائع «اليابانيون».

إن المواطن الياباني يُعدّ أكثر إنسان تنظيمًا في العالم، حيث يصل مستوى تنظيمه لشؤونه إلى درجة مُثلى IDEAL لا نظير لها في العالم كله، كما يقول صاحب المرجع السابق. وفي رأينا أن هذه الصورة لا يمكن أن تُعزى إلا إلى التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة اليابانية التي يمثل البيت الياباني فيها الأصل والأساس، بحسن ترتيبه وتنظيمه، وبالعناية الرائعة التي تبديها المرأة اليابانية بزهوره وتزيينه.

وهذا التنظيم الياباني الذي يبدأ مع الأطفال في سنهم الباكرة يستمر معهم طوال حياتهم، ونجده منتشرًا بينهم، ابتداء من الباعة الجائلين في الشوارع، إلى أعضاء الاتحادات الكبرى، على مستوى الأمة اليابانية كلها، تلك الاتحادات التي تمثل أضخم المصارف والمؤسسات، ومنتجي الحديد والصلب، وهي تنتشر في طول البلاد وعرضها،

بوصف اليابان دولة صناعية كبرى، لذلك فهي سمة من سمات ذلك المجتمع المتميز.. صناعيًا.

والأسرة اليابانية تنشئ أبناءها على العمل تحت مظلة «روح الجماعة» بعيدًا من الأثرة وحب الذات والأنانية، وينتقل أثر هذه التنشئة أو التربية خارج نطاق الأسرة، فنجد أن التركيز على روح العمل مع الجماعة له تأثيره في حياة اليابانيين، حيث يميل الشعب الياباني عامّةً إلى ممارسة النشاطات الجماعية المتنوعة، فهناك مثلا يوم نشاط كامل يعرف بيوم المدرسة، أو يوم الشركة، أو يوم الرحلة، حيث يقضية الأعضاء في نزهات جماعية تنظمها الجمعيات المختلفة، ويهوى طلاب الجامعات الخروج في رحلات ريفية، كما يحبون التزلج على الجليد، أو تنظيم الرحلات العلمية في مجموعات.

ويعجب اليابانيون، الذين تبهرنا تقانتهم، ويشدنا تقدمهم، بقيم «التعاون» و«الموضوعية» و«التفهم».. وغير ذلك من القيم الجماعية، وليتنا نتذكر دومًا - نحن المسلمين - حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «يد الله مع الجماعة».

لقد أثّر تأكيد أهمية «الجماعة» في أسلوب العلاقات الفردية، فالمواطن الياباني الذي يشترك في رياضة جماعية يحظى بالتقدير الواضح أكثر من المواطن الذي يكون «نجما»STAR على المستوى الفردي، وروح الفريق TEAM SPIRIT لها تقديرها الكبير الذي يفوق كثيرا - عندهم - الطموح الفردي.

ولقد أسهمت المهارات الجماعية، والقيم الاجتماعية التي نجح اليابانيون في تنميتها في تشكيل نموذج الشخصية اليابانية التي عُرفت برقتها ولطفها ودماثة خلقها من حيث المظهر الخارجي على أقل تقدير. إن هذا المجتمع الياباني العجيب نادرًا ما ترتفع فيه أصوات الناس، اللهم إلا في ساعات المرح التي تقضيها بعض مجموعاته في ممارسة نشاطاتها المتنوعة.

ويقال إنه من النادر أن نجد أمًا سليطة اللسان توبخ أبناءها، أو شابًا يتحدث بصوت مرتفع، أو زوجة طويلة اللسان تحادّ زوجها، أو تخاصمه، بينما نجد هذه النماذج في أي مكان آخر في العالم. وعمومًا يكره اليابانيون بشدة كل صور التعبير المكشوف عن المشاعر، سواء كانت مشاعر حب أو غضب.

ومن ملامح التنشئة الاجتماعية الطيبة في اليابان أن الرضيع والطفل يلقيان معاملة طيبة جدًا في داخل الأسرة، وهما ملتصقان بأمهما التصاقا شبه دائم. إن الأم اليابانية لا تترك طفلها وحده على الإطلاق. وهذا الأسلوب في تربية الطفل الياباني هو النقيض تمامًا لأسلوب التربية الأمريكية الذي ينشئ الطفل من خلال نظام صارم في تناول الطعام والنوم، حيث يُترك الأطفال، منذ البداية، ينامون وحدهم، بدعوى تنشئتهم على معاني الاستقلال والتفرد، وإشعارهم بمعاني الحرية الشخصية PERSONAL FREEDOM، تلك الحرية الزائدة التي عادوا اليوم يجنون كثيرًا من ثمارها المرة: تفكّكَ أُسَر، وانحلالَ أخلاق، وتفسخَ روابطَ وعلاقات، وانغماسًا في الرذائل والمحرمات. واستمعوا لعبارة خطيرة نطق بها أحد حكمائهم الذي توفي العام قبل الماضي، وأعنى به السيناتور الأمريكي وليم فولبرايت W. FOLBRIGHT رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس الأمريكي عدة دورات متتاليات، وصاحب كتاب «حماقة القوة» THE ARRAGANCE OF POWER، ذلك الكتاب الذي واجه به أمته وحكومته في أثناء حرب فيتنام، وكان الصحفيون قد حاصروه في شهر تموز/ يوليو 1969م وهم مأخوذون ومنفعلون بالانتصار التقاني والعلمي المذهل والخطير حين نجحت أمريكا في وضع أول إنسان على سطح القمر، وفي استعادته.. ثانيا، وكانوا يريدون رأيه.. فقال لهم: «حقًا لقد وضعنا رجلاً على سطح القمر، ولكن أقدامنا مغروسة في الوحل». وكان الرجل يشير بذلك إلى الموبقات الرهيبة التي تعمّ كثيرًا من قطاعات الأفراد في المجتمع الأمريكي، وخاصية الشبان الصغار منهم، من الاندفاع الرهيب في الجنس المحرم (مليون لقيط سنويًا في الشوارع، باعتراف الرئيس الأمريكي الحالي.. كما كتب منذ عدة أشهر فقط!) إلى الانغماس المجنون في تناول الخمور والمسكرات، إلى الاندفاع الهائل والخطير في تعاطي المخدرات (آخر إحصاءاتهم تقول إن ذلك يكلفهم أكثر من 120 مليار دولار سنويًا)، وبقتلى على الطرقات من الشبان الصغار تزيد أعدادهم على 80000 سنويًا يُقتلون وهم سكارى، بخلاف مئات الألوف من الجرحى والمعوقين.

وللعلم.. وحتى تكتمل الصورة ينبغي أن نسجل هنا بأن اليابان لا تعرف المخدرات، على الأقل حتى الآن، وإن كانت قد بدأت تلوح بعض النذر نتيجة للتقليد الأعمى الذي بدأ يتسرب إليها من الحضارة الغربية بسبب عوامل الاحتكاك المختلفة.

ماذا عن واقعنا؟

ونصل إلى واقعنا نحن المسلمين، في قضية التنشئة الاجتماعية، من جانب بعض مؤسساتنا الاجتماعية، ونكتفي هنا بمؤسسة واحدة هي

الصراع بين القوى العظمى، على مستوى العالم، سوف تحسمه قضية التنشئة الاجتماعية للأطفال على أيدي الأمهات

وتنشئة الأطفال في المجتمع المسلم

الإعلام.. وسوف نركز على بعض الجوانب السلبية في أخطر أجهزة الإعلام قاطبة، ونقصد بذلك التلفاز، وسوف يكون ذلك في نقاط محددة وسريعة، تضع النقط على الحروف، وعلينا أن نفكر فيها، وفي علاقتها بقضية التنشئة الاجتماعية:

أولاً: العزلة الاجتماعية داخل الأسرة

لقد أخذ ذلك الجهاز الساحر أبناءنا منا، كما أخذنا منهم، حتى إن وُجدنا معا في المنزل نفسه، بل في الحجرة الواحدة، وفي الوقت ذاته. إنه ـ حقا ـ جمّعنا أجساما، ولكنه ـ للأسف الشديد ـ فرّقنا أرواحًا وعقولاً، وأحاسيس ومشاعر.

فبسبب التلفاز أصبح كل فرد في الأسرة معزولاً عن أفرادها الآخرين، سواء كانت هذه العزلة جسمانية في شكل انفصال عن الآخرين، عند مشاهدة بعض البرامج في حجرات خاصة، أو كانت معنوية، حين يجلس نفر من أفراد الأسرة لمشاهدة بعض البرامج سويًا، بينما يلفهم الصمت التام، حيث يعيش كل فرد منهم بمشاعره الخاصة مع أحداث مايشاهده. ومن هنا أطلق بعض العلماء على جهاز التلفاز مصطلح «الجهاز المجمّع..المفرّق» لأنه جمع الناس أجسامًا وأبدانًا، ولكنه فرقهم عقولاً وأرواحًا..

ثانيًا: الحض على العنف

لا يستطيع أي منا أن ينكر أن جرائم العنف التي تعرض على الشاشة الصغيرة ذات أثر خطير في حياة أطفالنا. تقول بعض الدراسات الأمريكية: إن الطفل الأمريكي حين يبلغ سن الثانية عشرة من عمره يكون قد شاهد اثني عشر ألف جريمة قتل..!! على الشاشة الصغيرة بطبيعة الحال.

هكذا تقول إحصاءاتهم هم، حتى أصبح بعض المفكرين يطلقون على التلفاز «مدرسة الجريمة» SCHOOL OF GRIME، وإذا قفز إلى ذهن واحد منا سؤال مؤداه: ما علاقتنا نحن هنا بالتلفاز الأمريكي، قلنا له: إن الإحصاءات تقول: إننا نستورد ما بين 75- 85٪ من برامجنا التي نبثها من الخارج، ثم نحيل هؤلاء المتسائلين إلى القنوات الفضائية التي غزت بيوتنا، بل استقرت حتى في حجرات نوم أبنائنا وبناتنا!

كذلك فإن الدراسات العلمية المتعلقة بتأثير العنف التلفازي، وبعض الدراسات المتعلقة بالسلوك الاجتماعي التي أجريت على الأطفال، على أساس نظرية التعلم من طريق الملاحظة، أثبتت أن التعرض لمشاهدة السلوك العدواني من خلال الأفلام يزيد من رد الفعل العدواني لدى الأطفال. ولقد بينت دراسات عديدة أن هناك علاقة وثيقة بين السلوك الإجرامي ووسائل الإعلام، كما بيّنت أن الأطفال يقلدون الأفلام التي تعرض الإجرام بأنواعه، وأنّ معدل الجرائم يرتفع في المجتمع نتيجةً لعرض تلك الأفلام.

بل إن نفرًا كبيرًا من علماء النفس لديهم اعتقاد بأن استمرارية مشاهدة الأطفال للأفلام العنيفة التي تستخدم فيها الأسلحة النارية أو السكاكين أو الأيدي لابد أن تترك أثرًا فيهم، حيث تنمي لديهم بعض المشاعر العدوانية، بل قد تكسبهم بعض أنماط السلوك العدواني. وقد بيّنت بعض الاختبارات الشخصية النفسية التي طبقت على الأطفال، أن الذين يقضون منهم وقتًا طويلاً في مشاهدة برامج العنف في التلفاز لديهم ميول عدوانية بنسبة أعلى من زملائهم الذين لا يشاهدون تلك البرامج.

ومن الولايات المتحدة الأمريكية إلى ألمانيا، ومن بريطانيا إلى مصر، ثم إلى إسبانيا.. فإن التحقيقات التي أجرتها الجهات الأمنية في أعقاب عدد من حوادث القتل في قطارات الأنفاق، واستخدام الأسلحة الرشاشة، ومهاجمة العجائز في منازلهن، بغية الحصول على مدخراتهن ومصاغهن، أثبتت أن هذه الجرائم قد ارتكبت بعد أن شاهد مرتكبوها ومقترفوها أفلاما قريبة جدًا منها.

ويضيف أحد الباحثين بُعدًا آخر حيث يبين أن التلفاز لا يقدم الانحراف للأطفال من خلال الأفلام والتمثيليات فحسب، ولكن من خلال الإعلانات التجارية: «إن أطفالنا يرون الجريمة، وكذا الجنس، بل سائر الانحرافات الاجتماعية في سياق التمثيليات والأفلام التي تعرض من خلال التلفاز، حتى الإعلانات التجارية تقدم ذلك بطريقة أو بأخرى».

وقد نشرت منظمة «الائتلاف الدولي ضد العنف التلفازي» بحثا استغرق اجراؤه اثنين وعشرين عامًا، أظهر الأثر التراكمي للتلفاز، الذي يمتد حتى عشرين سنة لتظهر نتائجه، وقد قال الباحثون إن هناك علاقة مباشرة بين أفلام العنف التلفازي في الستينيات، وارتفاع الجريمة في السبعينيات والثمانينات.

كذلك قالت تلك المنظمة إن ما يتراوح بين 25٪ و 50٪ من أعمال العنف في سائر أنحاء العالم سببها مشاهد العنف في التلفاز والسينما، وإن العروض التلفازية الأمريكية العنيفة التي تعرض

في سائر أنحاء العالم ساعدت على انتشار الجريمة.

ويحدثنا أحد الباحثين عن جرائم لأطفال في عمر الزهور ارتكبت في إحدى بلادنا العربية، وكان التلفاز ببرامجه هو المحرض الأول على ارتكابها، فمن حرائق شبت في عدد من المدارس، إلى تخريب بخزائن مدارس أخرى، ومن إتلاف للملفات، إلى تمزيق للشهادات، إلى إحراق للكتب والمستندات. وقد أدلى أستاذ للطب النفسي بدلوه حين قال: إن ذلك كله راجع - بطريقة مباشرة - إلى مسلسلات العنف في التلفاز، تلك التي لها تأثير مباشر في الشباب الصغار الذين هم في سن المراهقة.

ويعلق أساتذة علم النفس، وبخاصة الباحثون منهم في مجال علم نفس (سيكلوجية) الطفولة والمراهقة، على موضوع العدوان المكتسب من التفاز، ويقولون: إن الطفل مادام يقضي من الوقت في مشاهدة التلفاز أطول مما يقضي في أي نشاط آخر، عدا النوم، فإنه عندما يصل إلى سن المراهقة يكون قد شاهد عدداً من الساعات تصل في جملتها لما يزيد على خمسة عشر ألف ساعة، ونتيجة لذلك فإن هذا الطفل لا يملك إلا أن يتأثر بهذا الجهاز سلبا أو إيجابا.

ثالثا: إضاعة الوقت

ذلك الوقت الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأنه لن تزولَ قدَمَا عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع، اثنتان منها تتعلقان بالوقت: العمر بأكمله عامة، ومرحلة الشباب بالتحديد، لأنها مرحلة القدرة على بذل الجهد، والعمل النشيط، والعطاء. وجاء التلفاز ليسرق أوقات الناشئة من أبنائنا بنهم فظيع.

يقول ديفيد إنجلاند DAVIED ENGLAND مؤلف «التلفاز وتربية الأطفال» الخبير الأشهر المتعمق في هذا المجال: «إن تحكم شبكات التلفاز الرئيسة في أوقات الأطفال يعد من الأمور المخيفة فعلاً. وبصرف النظر عن جودة البرامج، وعن محتواها.. مهما كان، فإن الأطفال الذين يشاهدون التلفاز مدة ست ساعات في اليوم، أو حتى ثلاث ساعات، هؤلاء الأطفال - على وجه اليقين - قد حُرموا مما يمكن أن يعدّه معظمنا حياة الطفولة العادية والبريئة».

ويتحدث العلماء عن تزايد مشاهدة التلفاز باطّراد خلال مرحلة ما قبل المدرسة، وفي أثناء المرحلة الابتدائية، إلى أن تصل إلى أعلى مستوى لها ما بين سن العاشرة والثانية عشرة، ثم تبدأ في الانخفاض في أثناء مرحلة المراهقة؛ حتى يصل الأطفال إلى مستوى من النمو العقلي والمعرفي، بحيث يتوقف التلفاز عن كونه مصدر إلهام وإثارة لهم.

أما الوقت الذي يقضيه الأطفال أمام التلفاز فهناك دراسات أجنبية تقدره بقرابة 28 ساعة في الأسبوع، أي بمعدل أربع ساعات يوميًا، وذلك في أمريكا وكندا، بينما ينخفض هذا المعدل في السويد إلى ساعتين أو ساعتين ونصف الساعة، في الوقت الذي لا يزيد فيه على ساعة واحدة ونصف الساعة في النرويج.

ولكن القارئ العربي المسلم ينبغي له أن يكون واعيا لبعد مهم هنا، حيث ينبغي لنا ألاّ نجعل الموازنة بين أوقات أطفالنا وأطفالهم تخدعنا. إن أكثر، أو حتى كل ما يتعرض له الأطفال في الغرب برامج تربوية مدروسة ومنسجمة في معظم الأحوال مع ثقافة مجتمعاتهم وتوجهاتها، وجلها من صنع أساتذة وخبراء وفنيين في التربية؛ حتى البرامج والأفلام التي تصمم خصيصاً للأطفال عليها ضوابط أسرية ومجتمعية، بل قانونية أحيانًا، بحيث تجعل التعرض لها من جانب الطفل مشروطًا، أو محدودا للغاية.

وفوق هذا كله فإن المدرسة هناك قد نجحت في استيعاب أجزاء مهمة من البرامج التلفازية بين جدرانها، وفي صلب عملها، كما أن هذه المدرسة نجحت كذلك في تعليم أطفالها كيفية التعامل مع وسائل الإعلام، وكيف يميزون بين الغث والسمين، وكيف ينتقون - في معظم الأحوال - ما ينفع وما يفيد.

ويؤكد بعض الباحثين أن الأطفال في العالم العربي، يصرفون ما يزيد على 33 ساعة أسبوعيًا أمام جهاز التلفاز، وذلك خلال شهور الصيف، بينما ينخفض ذلك المعدل إلى 24 ساعة أسبوعيًا في الشتاء.

رابعًا: عزلة الطفل وانفصامه عن الواقع

إن جهاز التلفاز يعزل الأطفال عن الواقع الحقيقي المحيط بهم، وربما عن واقع مجتمعهم الصغير، ومجتمع الأسرة، كما يعزلهم عن واقع مجتمعهم الكبير بما يجري فيه من أحداث، وما يتعرض له من مشكلات حقيقية. إن خطورة هذا الجانب تتمثل في أن الأطفال الذين يجلسون أمام شاشات التلفاز مدداً طويلة، قد يتصورون أن الحياة تجري على أساس النمط أو الأنماط التي يشاهدونها في الأفلام والمسلسلات، وأنها - دومًا - ظريفة وهادئة، بل ملونة.. وساحرة تصاحبها الموسيقى التصويرية المدغدغة للأحاسيس والمشاعر..!!

وهذا، في حقيقة الأمر، عزل اصطناعي للأطفال ARTIFICIAL ISELATION عن واقع

جهاز التلفاز يعزل الأطفال عن الواقع المحيط بهم، كما يعزلهم عن واقع مجتمعهم الكبير بما يجري فيه من أحداث!

وتنشئة الأطفال في المجتمع المسلم

الحياة كلها بكل ما فيها، قد يؤثر في تكوينهم النفسي والانفعالي، كما يؤثر في درجات استعدادهم للتعامل مع الحياة الواقعية فيما يستقبلهم من أيام، مما قد يؤدي ببعضهم إلى الهروب، والانسحاب من واقع تلك الحياة، حيث أصبحوا ينقادون وينصاعون للوهم والخيال بسهولة، بينما أصبح تقبُّلُ الحقائق بالنسبة لهم أمرًا مؤلمًا ومرفوضًا.

خامسًا: تعطيل الكثير من النشاطات الهادفة المفيدة

إن الساعات المقتطعة من حياة أطفالنا لمشاهدة التلفاز مقتطعة بالضرورة من نشاطات أخرى مفيدة كان من الممكن أن يقوم بها هؤلاء الأطفال، وأن يستفيدوا منها في بناء شخصياتهم، وكذا في تنمية هواياتهم العديدة.. كالقراءة والاطلاع والكتابة، وممارسة الهوايات المختلفة، والنشاطات الرياضية المتنوعة.

إن التلفاز يحد من النشاطات الحركية للأطفال، ونظرة عابرة لهيئة الأطفال في أثناء متابعتهم للبرامج تبين ذلك، فأجساد صغيرة مستلقية على ظهورها فوق الأرض، أو في حالة انبطاح على البطون، وعقول شاردة، وأحاسيس متناقضة، بحيث صار هؤلاء الأطفال كأنهم قطع من الإسفنج تتشرب كل ما يعطى لها دون تفكير!

إن جهاز التلفاز يستحوذ على مشاهديه، ولا يدع لهم فرصة لممارسة أية هوايات أخرى، أو الانشغال بعمل آخر، كما يحدث حين نستمع إلى جهاز المذياع (الراديو)، وذلك لأن التلفاز يسيطر على سمع المشاهد وبصره وعقله.

ثم إن المشاهدة تعطل طاقات الخيال حيث يزود التلفاز الأطفال بخيالات جاهزة، ومن ثم يقل اعتمادهم على قدراتهم الخيالية الخلاقة أو المبدعة، وهذا البعد الأخير هو ما قالته بالتحديد مجلة اليونيسكو في دراسة لها عن تأثير التلفاز في الأطفال.

سادسًا: تأثر منظومة القيم لدى الأطفال

مما لاشك فيه أن كل مجتمع، وبخاصة المجتمع المسلم، يحرص على أن ينشئ أطفاله في إطار مجموعة من القيم التي ارتضاها، ويحرص عليها، لأنها تشكل سياجًا حافظًا لأفراد المجتمع يحول بينهم وبين الزلل، ويحفظهم من السقوط.

وجزء كبير من قيم المجتمع العربي المسلم مستمد من الدين الإسلامي الحنيف، ونستطيع أن نشير من بعيد إلى بعض هذه القيم، دون الدخول في كثير من التفاصيل، فهناك قيم: الإيمان والصبر والصدق والأمانة والوفاء والإخلاص واحترام كبار السن، والوالدين خاصة، والعطف على الصغير، والرحمة بالضعيف والمسكين، والاهتمام بالجار وحسن رعايته، وغير ذلك كثير من القيم التي تربى عليها أجدادنا وأسلافنا، والتي نحاول أن نربي عليها أبناءنا وأحفادنا.

ودخل التلفاز حياتنا، وتغلغل في داخل بيوتنا وأسرنا، وبدأ أطفالنا يتعرضون لأنماط جديدة من القيم الوافدة والدخيلة علينا، التي حمّلتها إليهم برامجه وأفلامه ومسلسلاته، وبما أن قسطًا كبيرًا منها أُنتج في مجتمعات مختلفة جذريا عن مجتمعاتنا؛ فإن القيم التي حملتها إلى أطفالنا كانت مختلفة تمامًا عما لدينا، وكان لابد أن تتأثر الأجيال الناشئة بما تشاهد وبما تسمع مما يعرض عليها من برامج التلفاز. والأدهى أن بعض هذه المسلسلات يأتينا، وقد رُكّبت عليه أصوات عربية (مدبلجة)، وفيها من الخنا والفحش وانهيار العلاقات الأسرية والزوجية ما لامزيد عليه!

سابعًا: تأثر أخلاق الأطفال سلبًا

فيكفي أن يتعود الأطفال (بنين وبنات) رؤية إعلانات التلفاز، بما فيها من ميوعة فتيات الإعلانات، ومشاهدة حركاتهن، حتى تتكون لديهم صورٌ غير التي نرتضيها لأبنائنا وبناتنا.

يقول باحث إن 76٪ من الإعلانات التلفازية اعتمدت على مواصفات خاصة في المرأة كالجاذبية والجمال، 51٪ على حركة جسد المرأة، 12,5٪ من هذه الإعلانات استخدمت فيها ألفاظ جنسية.

وتقول إحدى الباحثات: إن أكثر المواقف انحطاطًا وتناقضًا أن تكون البرامج والحلقات، وخاصة المقدمة للأطفال، تكون بطلتها ممثلة، أو راقصة، وتأتي بكامل بهرجها، وتبرجها، وتميّعها، وزينتها، لتعلم الأطفال الفضيلة، والقيم، والأخلاق.. وبطريقة راقصة..!!

وقد دلت بعض الدراسات التي أجريت ميدانيا في المنطقة العربية على تأثير التلفاز في الأطفال أخلاقيًا بسبب تقديم «النموذج»، و«القدوة»، أو «الأبطال»، وهم يستعينون على حل مشكلاتهم باللجوء إلى احتساء الخمر وبالتدخين، وربط ذلك بالقدرة على التفكير السليم، والخروج من المآزق، وطرح مفهوم «البطولة» على أنها نوع من المغامرات الجنسية أو العاطفية، وتصوير الخيانة الزوجية على أنها عواطف مشروعة، واستخدام كلمة «الحب» بديلاً عن «الزنا».

ورحم الله عليًا بن أبي طالب، وخالدا بن الوليد، وسعدا بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وربعيا بن عامر، وكثيرين غيرهم من مغاوير الإسلام وأبطاله الذين دُرِّسوا لنا ولأجيالنا على أنهم هم الأبطال، وهم المُثل التي اقتدت بسيد الخلق أجمعين، صلى الله عليه وسلم.

والخلاصة:

فهذه هي بعض السلبيات المتضمنة في برامج التلفاز، أحد أشهر الوسائل وأخطرها في المؤسسة التربوية الإعلامية التي لا يمكن لنا أن ننكر تأثيرها في تنشئة أطفالنا. والله المستعان وهو الهادي إلى سواء السبيل..

أهم المراجع:

1- إدوين رايشاور: اليابانيون، ترجمة ليلى الجبالي.
2- حسن عبدالعال: أثر التربية الإسلامية في الحد من الجريمة.
3- ديفيد إنجلاند: التلفاز وتربية الأطفال، ترجمة محمد عبدالعليم مرسي.
4- سلطان عبدالعزيز العنقري: وسائل الإعلام (التلفزيون) وتأثيرها في الطفل.
5- عبدالله بن عبدالمحسن التركي: توجيهات الإسلام في نطاق الأسرة.
6- عاطف شحاته زهران: ضحايا العنف في التلفزيون.
7- عبداللطيف دبيان العوفي: التلفزيون والطفل.. ماهية الوسيلة وكيفية القراءة.
8- علي خليل مصطفى أبو العينين: القيم الإسلامية والتربية.
9- علي بن محمد التويجري: على الطريق.. استرداد لدور الأم في أمتنا، هكذا تتحدث القوى الكبرى.
10- محمد أحمد الصالح: التكامل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية.
11- فوزية العلي: التلفزيون والطفل، مراجعة للأدبيات.
12- سعدية محمد بهادر: البرامج التلفزيونية للأطفال بين النظرية والتطبيق.
13- كافية رمضان: تربية الطفل من خلال وسائل الإعلام.
14- كرم شلبي: التلفزيون والطفل.. التربية الإسلامية في برامج الأطفال.
15- محمد أحمد الغنام: التعليم والإعلام من أجل تربية أفضل للمواطن العربي.
16- محمد السنعوسي: التلفزيون والأطفال.
17- يوسف خليفة غراب: التأثير السلبي للإعلام غير الموجه في الطفل العربي.

أبو بكر محمد بن داود الأصبهاني الظاهري

وكتابة الزهرة

د. محمد خير البقاعي

إنّ كتاب «الزهرة» من الكتب الجليلة التي تفخر بها المكتبة العربية، وقف مؤلفه القسم الأول منه على معالجة أحوال الحب فأسس بذلك لضَرْبٍ من التأليف وجد كثيراً من المهتمين.

وصاحب الكتاب هو محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني الظاهري (255-297هـ)، يعرف بأبي بكر، وهو من أكابر علماء عصره وفقهائهم وأذكيائهم(*)، ويكاد من ترجم له من القدماء يجمعون على علوّ رتبته في الأدب، وسعة تصرفه في اللغة، وتفننه في موارد المذاهب، وقدرته على الإفتاء في سن مبكرة. وتحدث عنه الخطيب البغدادي (ت: 463هـ) فقال: «كان عالمًا أديبًا، وشاعرًا ظريفًا...».

وقال ابن خلكان (ت:681هـ): «كان فقيهًا أديبًا، شاعراً ظريفًا، وكان يناظر أبا العباس بن سريج...». وأحمد بن سريج (ت:306هـ) هذا قاض من أتباع المذهب الشافعي، وكانا يتناظران ويترادّان في الكتب، إلاّ أنّ هذه الخصومة لم تمنع ابن سريج من الجلوس للتعزية عندما تُوفّي ابن داود وقال: «ما آسى إلاّ على تراب أكل لسان محمد بن داود...».

وقد ضمّن ابن داود كتاب الزهرة كمّا هائلاً من الشعر بعالج موضوعات الحب والهجر والودّ وغير ذلك من أحوال المحبين. وتبرز في الكتاب ظاهرة نسبة كثير من الشعر إلى بعض أهل العصر، ويبدو أن الكثرة الكاثرة ممّا جاء بهذه النسبة هو لمحمد بن داود، ولعلّ هذا الأمر هو السبب الرئيسي في أن كتب الأدب لم تشر إليه ولم تتحدث عن شاعريته، وحال طمس المؤلف لمعالم شعره وشاعريته دون شهرته. وقد عرف بعض القدماء هذه الحقيقة فقال عليّ بن الحسين المسعودي (ت:346هـ): «ومما قال فيه فأحسن، في عنفوان شبابه وأثبته في كتابه المترجم بالزهرة، وعزاه إلى بعض أهل عصره، وإن كان محسنًا في سائر كلامه من منظوم ومنثور...».

وكان محمد بن داود طاهراً في عشقه عفيفًا، لكن يبدو أنه لم يكن راضيًا عن ميله هذا، وكان يريد أن يحصر شعره ويحول دون انتشاره، وربما كان انصرافه إلى التفقه في علوم الدين، والردّ على الذين ناظروه، والانتصار لأبيه من معارضي مذهبه فضلاً عمّا ذكرناه من عوامل، حالت دون استمراره في الشعر وأدت إلى انصرافه عنه.

ويقول محققا كتاب الزهرة (المقدمة، ص12): «لقد أحصينا الأبيات التي نسبها إلى بعض أهل هذا العصر في كتاب «الزهرة» فوجدناها أكثر من أربعمئة وأربعين بيتًا وهي تؤلف عُشر الكتاب تقريبًا... وإنّ دراسة دقيقة لشعره المتناثر في النصف الأول من «الزهرة» توضّح قيمة هذا الشعر من الناحية الفنية، وتبرز اتجاهه العفيف في معالجة هذا الجانب الشعري المتميز».

ويبدو أنّ شاعريته تفتحت مبكرة فهو يقول: «... بدأت بعمل كتاب «الزهرة» وأنا في الكُتّاب، ونظر أبي في أكثره». وقال ابن خلكان: «وصنّف في عنفوان شبابه كتابه الذي سماه الزهرة». وقد جمع الدكتور القيسي - رحمه الله - ما وجده من شعره في كتاب الزهرة وغيره من كتب الأدب ونشرها بعنوان «أوراق من ديوان أبي بكر محمد بن داود» (بغداد 1972م). وقد ذكر له ابن النديم (ت:438هـ) عدداً من الكتب في الفقه وأضاف إليها الصفدي (ت:764هـ) في الوافي بالوفيات 58/3 عدداً آخر، انظر: الفهرست لابن النديم ص217.

ويبدو أنّ ابن داود مات كمداً وعشقًا في سن مبكرة، وإن كان بعض من ترجم له ذكر أنه مات ببغداد مقتولاً؛ يقول الصفدي في الوافي: «ولم يزل في حبه حتى قتله». ويُجمع من ترجم له أنه مات وله اثنتان وأربعون سنة، ويختلفون في سنة وفاته، فالمسعودي في المروج 296/4، وابن الجوزي (ت:597هـ) في المنتظم 95/6، وابن خلكان في وفيات الأعيان 392/2 يقولون إنه توفي سنة 296هـ. أما الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 262/5، والقفطي (ت:646هـ) في «المحمدون من الشعراء» ص319، وابن خلكان في رواية ثانية، والصفدي في الوافي بالوفيات 8/3 فيقولون إنّه توفي سنة 297هـ، وبذلك تكون سنة ولادته 254هـ في الرواية الأولى و255هـ حسب الرواية الثانية.

وقد حذا ابن حزم الفقيه الظاهري المعروف (384-456هـ) حذو محمد بن داود فألف في الحب، ولكنّ كتابه كما نعلم كتاب «مذكرات» بينما نجد أنّ كتاب ابن داود كتاب أدب وعلم ومعالجة لأحوال الحب والهجر، جمع فيه مؤلفه أروع مقطعات العشق التي تداولتها كتب هذا الضرب من التأليف بعده، ولم يخل كتاب «الزهرة» من نقد للمعاني ولمسالك القول عند الشعراء في طريقة تعبيرهم عمّا يجول في أفكارهم. ويُعدّ ما جاء به ابن داود نقداً معنويًا له علاقة بأسلوب الأداء في أشعار الحب مستعينًا بأقوال الحكماء والفلاسفة وغيرهم ممن أدلوا بدلوهم في هذا الموضوع؛ فتجده يقول في «الزهرة» 388/1: «.. ولا أعلم أحداً استطال اللّيل ممّن خبّر بعلّة استطالته، ولا ممّن لم يُخبِرْها شرح السبب المُضجّر من الليل ماهو غيْرَ الطِرمّاح (ت:125هـ) حيث يقول:

ألا أيّها الليلُ الطويلُ ألا اصْبح
بصُبحٍ وما الإصباحُ منك بأرْوحِ
على أنّ للعينين في الصُّبحِ راحةً
بطَرحِهما طرْفَيْهما كُلَّ مَطْرَحِ

وهذا قول امرئ القيس:

ألا أيّها الليل الطويل ألا انْجلِ
بصُبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ

إلا أنّ امرأ القيس لم يقلْ لِـمَ صار النهارُ، وإن لم يكُن

أمثلَ من الليل والقلوب إليه أميل منها إلى الليل، كما بيّنه الطرماح؛ ومَنْ سرق معنى فزاد فيه احتمل له جرم سرقته، لموضع زيادته...». وسنجد قول ابن داود في السرقات وقد صار قاعدة قَعّدها ابن وكيع في القرن الرابع (ت:393هـ) في كتاب «المنصف» في سرقات المتنبي.

وإنّ مثل هذا النقد في كتاب الزهرة كثير مطّرد حتى ليُشكّل بحثًا طريفًا أرجو إنجازه في قابلات الأيام.

ويقول الدكتور مصطفى عبدالواحد في كتابه «دراسة الحب في الأدب العربي» ص42: «إن كتاب الزهرة لابن داود يُعدّ أول دراسة عربية وصلت إلينا في موضوع العشق. وكل ما سبقه في هذا المجال لا يرقى إلى درجة الدراسة والبحث، وإنما هو بالتمهيد أو الجمع أشبه». وألّف بعده أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج (ت:366هـ) كتاب «الحدائق» على نهج كتاب «الزهرة» إلاّ أنّه أكثر مادة كما ذكر ذلك ابن حزم في رسالة الميزان، ثم أتى كتاب الحصري «المصون في سر الهوى المكنون»، وتلاه ابن حزم في «طوق الحمامة». وقد اهتم الأدباء بالموازنة بين كتابي «الحصري» و«ابن حزم» (انظر كتاب الدكتور محمد بن سعد الشويعر: الحصري، حياته وأدبه والنقد في كتابه زهر الآداب، دار عبدالرحمن الناصر، الرياض 1404هـ/ 1984م، الجزء الأول، ص176-249).

ويبدو أنّ أول من جذب النظر إلى الموازنة بين «المصون» و«طوق الحمامة» هو الشاذلي بو يحيى في مقالة له بعنوان «حول تاريخ وفاة إبراهيم الحصري» نشرتها حوليات الجامعة التونسية في العدد الأول 1964م. ووجدت أنّ الدكتور محمد بن سعد الرويشد وازن بين الكتابين في مجلة «الفيصل»، العدد رقم 10، السنة الأولى، ربيع الآخر 1398هـ، مارس - أبريل 1978م، ص16-21، وعنوان مقالته «بين الحصري وابن حزم».

وقد كان من الأولى أن يوازن هؤلاء بين كتاب «الحصري» وكتاب «الزهرة» لأنّ هذا الأخير من أهم المصادر التي اعتمد عليها الحصري، وقد أشار الدكتور الشويعر إلى ذلك إشارة عابرة دون أن يدقق في ذلك، على أنّه ذكر في كتابه الأماكن التي أحال فيها الحصري إلى محمد بن داود (انظر الجزء الأول، ص190). ولو دقّق في الكتابين لوجد كثيراً من الأماكن التي لم يُصرّح الحصري بنقلها عن ابن داود، وتُثبِتُ المقابلة أنّه نقلها عنه، وقد أشرت إلى ذلك في مقالة عنوانها «من مصادر الحصري القيرواني، قراءة في كتابه المصون في سر الهوى المكنون»، ستظهر قريباً بعون الله.

والكتاب في قسمين نترك لابن داود الحديث عنهما، إذ يقول في مقدمة القسم الأول ص40: «... وهو كتاب سميته كتاب «الزهرة» واستودعته مئة باب، ضمّنتُ كل باب مئة بيت. أذكر في خمسين بابًا منها جهات الهوى وأحكامه وتصاريفه وأحواله. وأذكر في الخمسين الثانية أفانين الشعر الباقية. وأقتصر في ذلك على قليل من كثير، وأقنع من كُلّ فنٍّ باليسير، إذا كان ما نقصدُه أكثر من أنْ يتضمنه كتاب، أو يُعبّر عن حقيقته خطاب...».

ويقول في ترتيب أبواب القسم الأول: «وقد جعلت الأبواب المنسوبة إلى الغزل من هذا الكتاب أمثالاً، ورتّبتُها على ترتيب الوقوع حالاً فحالاً. فقدّمت وصف كون الهوى وأسبابه، وبسطت ذكر الأحوال العارضة فيه، بعد استحكامه من الهجر والفراق، وما توجبه غلباتُ التشوّق والإشفاق. ثم ختمتها بذكر الوفاء بعد الوفاة، وبعد أنْ أتيتُ على ذكر الوفاء في الحياة. وأجريتُ ما بين أول الأبواب وأوسطها، وما بين أوسطها وآخرها على المراتب بابًا فبابا، لم أقدّم مؤخرًا، ولم أؤخّر مقدمًا».

ثم يذكر بعد ذلك عناوين الأبواب التي جعلها كالأمثال نذكر من هذه العناوين/ الأمثال: «من كثُرت لحظاتُه، دامت حسراتُه، من غاب قرينُه كثُر حنينه، من شابت ذوائبه، جفاه حبائبه».

إبراهيم طوقان

وقد كانت النظرة النقدية متأصلة في نفس محمد بن داود الذي يقول - المقدمة 44: «وأفاضل بين الأشعار على ما توجبه الحال التي ادّعاها صاحبها، ولا أحملُ الناس على اختيار أحدهم فأكون ظالمًا لهم، لأنّ الرجل لا يلزمه أن يقودَ ما أصّله غيره، وإنّما يلزمه أن يفي بما شرطه على نفسه، وليس لهذا الشأن أصل مقدّم وطريق مفوّض، فمن خالف ترتيبه كان معنفًا...».

ونجده ينقل في الكتاب أقوال عدد من الفلاسفة والمتطبين - كما يسميهم - وقد نقل ذلك عنه الحصري وابن حزم ومن ذلك نقلهم قوله في الزهرة 53/1: «وزعم بعض المتفلسفين: أنّ الله جل ثناؤه خلق كل روح مدوّرة الشكل على هيئة الكُرة. ثُمّ قطعها أيضًا، فجعل في كُلّ جسد نصفًا، وكُلّ جسد لقي الجسد الذي فيه النصف الذي قُطع من النصف الذي معه، كان بينهما عشقٌ للمناسبة القديمة. وتتفاوت أحوال الناس في ذلك على حسب رقّة طبائعهم».

وقد نقل هذا القول ابن حزم في طوق الحمامة (ط. الصيرفي) ص6، والحصري في المصون في سر الهوى المكنون ص64.

وكنت عُنيت بكتاب «الزهرة» مطبوعًا وبالدراسات التي كُتبت عنه فكان الجزء الأول منه مشحونًا بالتصحيف والتحريف، وقد طُبع هذا القسم بعنوان: «النصف الأول من كتاب الزهرة»، وذلك في بيروت 1351هـ/1932م بتحقيق لويس نيكل البوهيمي ومساعدة الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان. وصدر القسم الثاني بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور نوري حمودي القيسي في وزارة الإعلام بالعراق 1975م.

وعاد الدكتور إبراهيم السامرائي فأخرج القسمين في مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، وبين يدي الطبعة الثانية 1406هـ/ 1985م.

والجزء الثاني الذي صدر في العراق يعجّ بالأخطاء المطبعية، وهذا ما يشير إليه الدكتور السامرائي في مقدمة طبعته الجديدة ويعزو كثرة الأخطاء المطبعية إلى «سهو المصححين الذين عهد إليهم هذه المهمة العسيرة».

وكم كان سروري بالغًا عندما رأيت الكتاب في طبعته الجديدة لأنّ اجتماع شمل جزأيه كان أمنية طالما تمناها الباحثون؛ لأنّ القسم الأول صار نادر الوجود وليس حال القسم الثاني بأحسن من ذلك.

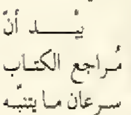
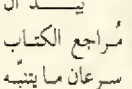
ووجدت الدكتور إبراهيم السامرائي يقول في مقدمة طبعته الجديدة ص21: «وقد وقفت على النصف الأول المطبوع الذي نشره نيكل وطوقان فبدا لي أنّ عمل الناشرين معوز، وأنّ فيه من الأوهام ما يحفزني على إعادة نشره... إنّ الأوهام التي حفل بها هذا النصف الأول من الكتاب تتصل بمسائل عدة، منها أنّ الأعلام قد عرض لها من التصحيف والخطأ الشيء الكثير... ومن الأوهام ما يتصل برواية الشعر، فقد حفل الكتاب بمختارات كثيرة وقد عرض التصحيف والخطأ لكثير من الشعر، وفيه ما اشتهر وعُرف في روايته، وليس من عذر في ارتكاب الخطأ فيه، وقد

كتاب الزهرة لابن داود يُعدّ أول دراسة عربية وصلت إلينا في موضوع العشق. وكل ما سبقه في مجاله هو بالتمهيد والجمع أشبه

أبوبكر محمد بن داود الأصبهاني الظاهري

وكتابه الزهرة

عرض شيءٌ من هذا إلى القسم المنشور من الكتاب»، ثم يشير الدكتور السامرائي إلى مقالة له في التنبيه على هذه الأوهام نشرتها مجلة معهد المخطوطات العربية (الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين، يوليو - ديسمبر 1984م - شوال - ربيع الأول 1404هـ). ويقول في أول الجزء الثاني ص495 تحت عنوان «تنبيه»: «هذه نشرة جديدة للجزء الثاني من كتاب «الزهرة» راجعْتُ فيها النشرة الأولى فصحّحتُها وبرّأتها ممّا عرض لها من خطأ في الطبع، وما أدى إليه سهو المصحّحين الذين عهدنا إليهم هذه المهمة العسيرة، وما فاتنا نحن المحققيْن ممّا يجب ألاّ تقع فيه، ثم إني ضبطتها بالشكل وزدت في تعليقاتها لتكون أوفى بالغرض الذي ابتغيناه في نشرتنا الأولى». هذا جملة ما أورده الدكتور السامرائي في تقديم طبعته الجديدة.

د. إبراهيم السامرائي

يُسند أنّ مُراجع الكتاب سرعان ما يتنبّه إلى جوانب الخلل والتقصير التي مازالت تعتور نص الكتاب، وخصوصًا في نصفه الأول، ويبدو أن الدكتور السامرائي أخرج هذا الجزء بعيداً من مكتبته فغابت عنه لبعده وسرعته أمور لا يمكن أنْ تغيب عن مثله؛ وهو الفارس المجلي في هذا الميدان، وعندما يُذكرُ العاملون في تحقيق التراث فإنّ الدكتور السامرائي من أكابرهم الذين لهم في خدمة لغة القرآن تحقيقًا وتأليفًا اليد الطولى.

ووجدتها فرصة لأشارك في تقويم نصّ هذا الكتاب فسجلت مجموعة كبيرة من الملاحظات التي تتناول كل ما أخذه الدكتور السامرائي على الطبعة الأولى من كتاب «الزهرة»، وإذا كان نيكل معذوراً في عام 1932م لأن السواد الأعظم من كتب التراث ودواوين الشعراء كافة لاتزال مخطوطة، فإنّ هذا العذر غير مقبول من الدكتور السامرائي في الثمانينيات وقد ظهر كثير من كتب التراث وجُمعت أشعار كثير ممن ضاعت دواوين أشعارهم، وانتشرت فهرسة كتب التراث فهرسة علمية تساعد المحققين في عملهم.

وكانت حصيلة ما سجلته من ملاحظات على الجزء الأول كتابًا في 165 صفحة نشرتُ قسمًا منه في مجلة التراث العربي التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق في العدد 63، 1995م بعنوان «نظرات في كتاب الزهرة»، وأنتظر صدور قسم آخر منه في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني بعنوان «من طرائف التصحيف والتحريف في كتاب الزهرة»، ولدي قسم آخر أرجو أن يُسهّل الله نشره.

وإنّ ما حزَّ في نفسي إسقاط اسم الدكتور القيسي - رحمه الله - عن الجزء الثاني لأنّ ذلك لم يكن له مسوغ؛ فالمقابلة البسيطة بين الطبعة الجديدة والقديمة تُظهر أن المراجعة التي قام بها الدكتور السامرائي لم تعْدُ بعض التصحيحات التي لا تجيز له ذلك.

ولم يكن للدكتور السامرائي منهجٌ في تخريج أشعار القسم الأول فتجده مرة يحيل إلى ديوان الشاعر أو مجموع شعره ويترك ذلك في مكان آخر، والمقابلة بين تحقيق الجزء الأول والثاني توضّح أهمية العون الذي قدّمه الدكتور القيسي ممّا جعل التخريج يسير على منهج معين يتميز بالاستقصاء الذي يتطلبه إخراج مثل هذه الكتب.

التصحيحات التي أجراها د. السامرائي على الطبعة الثانية من الجزء الثاني لا تُجيز إسقاط اسم الدكتور القيسي عن ذلك الجزء

لقد ترك الدكتور السامرائي في الجزء الأول من الكتاب كثيراً من الشعر بلا تخريج، وكان يكفيه أن يعود إلى الكتب التي حذت حذو كتاب الزهرة ليجد فيها كثيراً من الشعر والأخبار التي تناقلتها هذه الكتب نقلاً عن الزهرة والتي نذكر منها على سبيل الاستشهاد لا الحصر: كتاب «الموشّى» لأبي الطيب محمد بن أحمد الوشّاء، وكتاب «مصارع العشّاق» للسراج، و«ديوان الصبابة» لابن أبي حجلة المغربي، وكتب «زهر الآداب وثمر الألباب» و«جمع الجواهر» و«المصون في سر الهوى المكنون» للحصري، وقد ظهر لي من مقابلة نصّ كتاب «المصون» بكتاب الزهرة أنّ كثيراً من الشعر الذي في المصون، فضلاً عن الأخبار والنوادر، مصدره كتاب الزهرة، ووجدت أيضًا أنّ كثيراً مما جاء في أمالي الزجاج من أخبار وأشعار ونوادر مصدره كتاب الزهرة.

وقد كانت الاستعانة بهذه الكتب وغيرها من كتب الأدب والمختارات الشعرية ضرورية لتقديم نص مضبوط موثّق من كتاب «الزهرة»، وهذا ما لم يفعله الدكتور السامرائي، وأضرب مثالاً دالاً كلّ الدلالة في هذا المجال:

فقد جاء في الزهرة 314/1:

وقال أبوالقمقام الأسدي:

خليليّ طال الليل واشتعل القذى
بعيْنيّ واستأنسْتُ برقًا يمانيا
خليلي إلاّ تبْكيا لأخيكُما
....ما بي أقُلْ....

ولم يخرج الدكتور السامرائي البيتين وترك ما سقط من الشطر الثاني على حاله. ولم أجد البيتين إلاّ في كتاب المصون 189 وصواب البيت الثاني:

خليلي إلاّ تبْكيا لأخيكُما
ويُصبْكُما ما بي أقُلْ خذلانيَا

وقد حدث ذلك في عدد من المواضع التي كان يمكن أنْ تُصحّح وتُوثّق بالاعتماد على الكتب التي ذكرتها، بل إن عدداً من النصوص التي نقلها الحصري مثلاً عن الزهرة لم أجدها في مصدر آخر غير كتبه.

وخلاصة ما يمكن قوله: إنّ كتاب «الزهرة» يحتاج إلى طبعة جديدة بوصفه نصًا مؤسِّسًا؛ وقد تناول هذا الكتاب بالدراسة عددٌ من الباحثين معتمدين على الطبعة القديمة، وأهم هذه الدراسات: كتاب الدكتور أحمد عبدالستار الجواري «الحب العذري» 1948م، وكتاب «الغزل عند العرب» لجان كلود فاديه وقد ترجمه عن الفرنسية أستاذنا الدكتور إبراهيم الكيلاني، وكتاب «سوسيولوجية الغزل العربي، الشعر العذري نموذجًا» تأليف طاهر لبيب وترجمة الأستاذ حافظ الجمالي، وكتاب الدكتور محمد حسن عبدالله «الحب عند العرب» في سلسلة عالم المعرفة الكويتية 36، 1980م.

هذا مايمكن قوله في الحديث عن نصّ من نصوص المكتبة العربية يُعدّ من أقرب النصوص إلى النفس البشرية لما فيه من حديث تطرب له الآذان وتهفو إليه النفوس.

الحواشي:

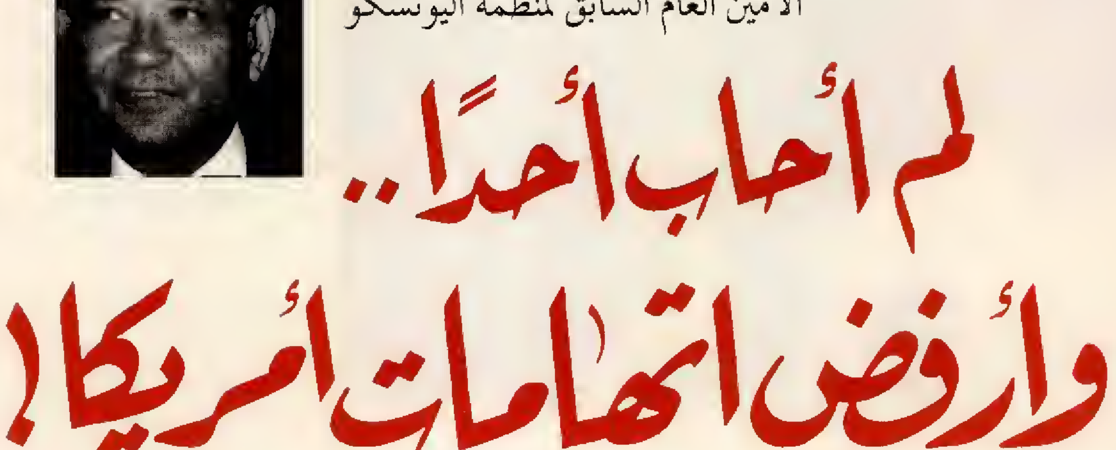
(*) ترجمته في: الفهرست (تجدد) 272، وتاريخ بغداد: 256/5، ووفيات الأعيان 390/3، والوافي بالوفيات 58/3، والعبر للذهبي 108/2، والشذرات 226/2.

وانظر: تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج1، ج3، ص253-254، ومج2، ج1، ص121، ومقدمة كتاب «أوراق من ديوان أبي بكر محمد بن داود الأصبهاني» للدكتور نوري حمودي القيسي - رحمه الله - بغداد 1972م.



أحمد مختار أمبو

الأمين العام السابق لمنظمة اليونسكو



أجراه من قسم التحرير:

حسين حسن حسين ـ محمد بن علي القعطبي

تأسست منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في 4 نوفمبر/ تشرين الثاني 1946م بهدف فتح مجالات التربية والمعرفة لكل الناس أينما كانوا، والسعي لحل المشكلات التي تعترض الإنسانية والسلام في العالم. ومع أن هناك كثيرًا من الإنجازات التي تحققت على صعيد الأهداف المرسومة لهذه المنظمة الدولية، التي أريد لها أن تكون بمنأى عن متاهات السياسة، إلا أن السياسة تلقي عليها بظلالها دائمًا، وتؤثر في مسيرتها، ولا أدل على ذلك من انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة من عضوية هذه المنظمة. وقد كان الأستاذ أحمد مختار أمبو وزير التربية والتعليم السابق في السنغال، الذي ظل على رأس هذه المنظمة في المدة من 1975ـ 1987م، من أكثر الذين تعرضوا لانتقادات الدول الكبرى التي اتهمته دومًا بالانحياز إلى بلدان ما يسمى بالعالم الثالث.

في هذا الحوار يطرح الأستاذ أحمد مختار أمبو كثيرًا من آرائه ووجهات نظره المتعلقة بنشاط هذه المنظمة، وما حققته من إنجازات، وما واجهته من صعوبات على مدى سنوات مضت.

ـ هل لكم أن تجملوا للقراء أهداف منظمة اليونسكو والوسائل المتبعة لتحقيقها؟

* في ميثاق المنظمة الذي وضع في عام 1945م تحديد واف لهذه الأهداف، فقد اتفقت الدول الأعضاء على التعاون فيما بينها في الميدان الثقافي، ولكن هذا التعاون لا يمكن أن يتم إلا من طريق تحقيق الأمن والسلام، فتؤكد اليونسكو أن السلام والأمن يعتمدان أساسًا على ربط الأواصر الأخلاقية والثقافية بين الدول المعنية.

وقد اتجهت المنظمة منذ نشأتها إلى ميدان التعليم، باذلة أقصى الجهود لتحقيق نهضة تعليمية في الدول الأعضاء في ميدان العلوم والتقنية، واهتمت بتطوير تبادل الخبرات بين هذه الدول.

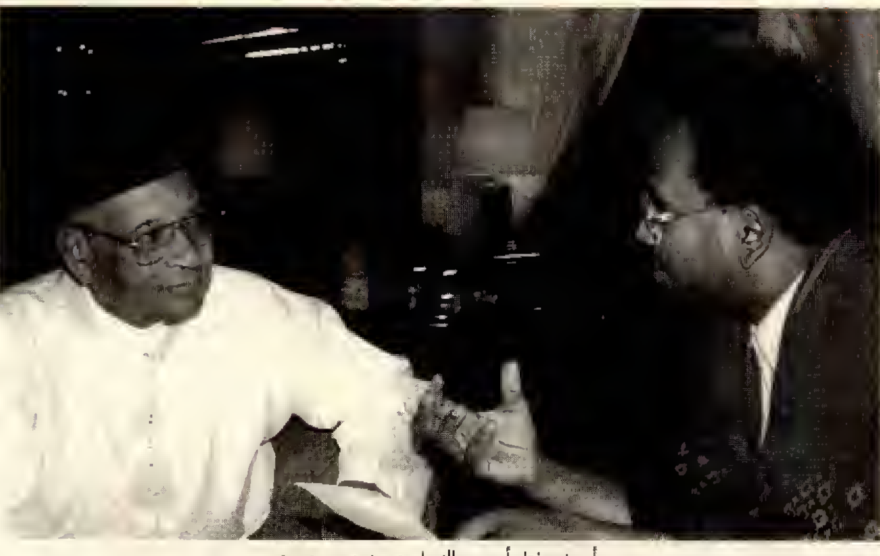
وفي الميدان الثقافي، وهو المجال الأكثر حساسية، أسست المنظمة عملها على مقولة التنوع والاختلاف بين الحضارات، وعلى ضرورة التوصل إلى تفهم الشعوب لاختلافاتها الحضارية، لأن التعاون في هذا المجال سيقود ـ حتمًا ـ إلى الفهم المتبادل لحضارات الشعوب. هذا هو البرنامج العام للمنظمة، ولا يمكننا هنا ذكر التفاصيل.

أما عن الوسائل، فإن كل دولة عضو ملزمة بالإسهام في ميزانية المنظمة، وهذا الإسهام يتحدد اعتمادًا على عدة عوامل؛ منها عدد السكان والدخل الوطني. وتتلقى المنظمة ـ كذلك ـ إسهامات خارجة عن الميزانية من بعض الدول وبعض المنظمات الدولية التابعة للأمم المتحدة، مثل برنامج الأمم المتحدة للتطوير، واعتمادات البنك الدولي المخصصة للتعليم.

ـ ما أهم الإنجازات التي حققتها اليونسكو؟

* حققت اليونسكو كثيرًا من مقاصدها، وبخاصة في الدول التي أسهمت أكثر من غيرها في ميزانية المنظمة، ويعترض الأمناءَ العامّين لليونسكو كثيرٌ من المصاعب. فقد كان الأمين العام الأول إنجليزيًا، والثاني مكسيكيًا، وكان هذا الأخير يتمنى الحصول على الأموال الكافية للقيام بحملة لمحو الأمية، لكن طلبه جوبه بالرفض؛ مع أنه بيّن أن هذه الاعتمادات المطلوبة تعادل سعر طائرة قاذفة، وأن من السخف رفض تحقيق تقدم في محاربة الأمية بتكلفة طائرة واحدة، مما أدى إلى رفضه البقاء على رأس المنظمة.

أما فيما يخصني شخصيًا، فقد اعترضتني المصاعب المالية نفسها التي اعترضت أسلافي، ولكن بحكم انتمائي للدول النامية، ونظرًا لأن دول العالم الثالث تشكل الأغلبية في المنظمة، فإن الأمر اختلف معي، لما كانت تتسم به نظرة هذه الدول من جدية فيما أطلبه، وكانت ترى أن الأهداف أكبر بكثير من


أحمد مختار أمبو مع الزميل حسين حسن حسين

الإمكانات المتاحة، لكنها كانت تعتقد أن اقتراحاتي تلبي دائمًا احتياجاتها وتطلعاتها، لذا كانت تصادق دائمًا على البرامج التي أقدمها.

وفي عهدي، انسلخت دولتان من عضوية اليونسكو، مما سبب عجزًا بنسبة الربع في ميزانية المنظمة، لكنني أفلحت - مع ذلك - في تحقيق معظم البرامج المدرجة خلال السنوات الثلاث التي قضيتها بعد انسحاب هاتين الدولتين، وبقي أداء المنظمة بالمستوى الملائم لحاجات الدول المسهمة وتطلعاتها.

- ما الأسباب التي دعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الانسحاب من اليونسكو؟

* لم تذكر الولايات المتحدة قط - بدقة - الأسباب التي دعتها إلى الانسحاب؛ وذكرت - فقط - موضوع الإدارة، لكن كل مَنْ كان يحق لهم مراقبة عمل المنظمة أشادوا بمستوى الإدارة، بل يمكن القول إن اليونسكو كانت أفضل منظمات الأمم المتحدة إداريًا باعتراف مجموعة المفتشين التابعين للأمم المتحدة، والمهتمين بمتابعة برامج المنظمة الدولية كذلك.

والحقيقة أنني لا أعرف الأسباب التي دعت الولايات المتحدة للإعراض عن اليونسكو، لكن بوسعي أن أذكر بعض الأسباب، منها اعتراض الولايات المتحدة على السياسة العامة لليونسكو، إذ كانت هذه السياسة مخالفةً لاتجاه بعض القوى الدولية الساعية لمراقبة هذه السياسة وتوجيهها وفق رغباتها ومصالحها. فقد كانت المنظمة تعتقد أن التنمية يجب أن تكون بحصول الدول الفقيرة على متطلبات العلم والتقنية ومواءمة ذلك كله مع ثقافة كل شعب على حدة، وأنه لا يمكن فرض نمط تنموي معين على أمة بعينها.

وكانت هناك مشكلات أكثر خصوصية، منها قضية انتقال المعلومات بين الدول، فكانت هذه المعلومات تنتقل في خط أحادي لا يفي بحاجات الدول النامية، لتعرّض هذه المعلومات للتلاعب كلما تعلق الأمر بهذه الدول التي كانت تعاني من الأفكار المسبقة عنها، ومن أجل ذلك كان من الصعب تحديد الأوضاع الحقيقية لها في ظل هذا الوضع المعلوماتي.

وكانت هناك قضية حماية التراث الوطني، فقد رأت المنظمة أن من الضروري حماية التراث الثقافي والتاريخي للقدس الشريف الواقع في الأراضي المحتلة، الأمر الذي لم يرق للولايات المتحدة، مع أن اليونسكو كانت تطبق في ذلك مواثيق الأمم المتحدة الخاصة بحماية التراث الإنساني والوطني للمدينة المقدسة، والعمل على فرض عقوبات على إسرائيل حتى تتوقف عن القيام بحفريات تهدد هذا التراث، أو إقامة نفق تحت المسجد الأقصى الشريف.

- ماذا كان موقفكم من التهم التي وجهتها الولايات المتحدة إلى منظمة اليونسكو؟

* كانت التهمة الأولى التي وجهتها إليّ الولايات المتحدة في العام 1975م، هي المتعلقة بالقدس الشريف، وفي هذا الصدد، قابلت ممثلها في الأمم المتحدة، وناقشت معه الموضوع، ودافعت عن موقف المنظمة في قضية القدس، ورفعت الأمر إلى الهيئة التنفيذية، وفيما يتعلق بي لم يكن يهمني إن كانت الحفريات التي كانت تجري في القدس تنفذ بطريقة سليمة أم لا، وإنما كان الأمر متصلاً بعمل ممنوع وغير شرعي من أساسه.

كنت أعمل في إطار المنظمة كميزان حرارة كما كان يقال لي، وفي تلك الحقبة، كان الصراع بين الغرب والشرق على أشده، وكان هناك من يرى وجود موقفين لا ثالث لهما، فإما أن تكون مع السوفييت أو الأمريكان، ووفق هذا الرأي، لم يكن باستطاعتنا أن نتخذ موقفًا مستقلاً، لذلك، كنت أقول إن المواقف التي تتخذها البلدان المعروفة بالعالم الثالث لا تسير في ركاب السوفييت أو الأمريكيين، وإنما هي مواقف تعبر عن مصالحها واحتياجاتها وتطلعاتها.

أما القول بانحيازي لمواقف دول العالم الثالث من موقعي في رأس المنظمة، فهو إخلال بميثاق اليونسكو، ولا يتماشى مع قرارات المجلس التنفيذي أو المؤتمر العام؛ فمثل هذا القول لا أساس له من الصحة.

وبوصفي مديرًا للمنظمة، فإنني كنت أسعى فقط لتطبيق مقررات الهيئة التنفيذية والمؤتمر العام حسب ما وردت بالنص، وليس لصالح أي طرف ما.

لذلك، فإن ما استنتجه كثير من المديرين هو أن الدول العظمى تريد أن تأخذ القرارات حسب ما تمليه مصالحها الخاصة؛ وأنا أرى هذا العمل خيانة

هناك من يريد أن يفرض على الناس جميعًا مذهبية (أيديولوجية) خاصة به، وهذا أمر مرفوض تمامًا!

للعهد الذي أخذته على نفسي، والقسم الذي أقسمته يوم أسندت إليّ إدارة المنظمة، وذلك أننا نقسم يوم تولّينا المسؤولية ألا ننفذ أي تعليمات تصدر إلينا من أية حكومة، فالمدير يسعى لتحقيق مصلحة المجموعة الدولية، وفي اليوم الذي أضطر فيه إلى تنفيذ مصالح لا تتفق مع ميثاق المنظمة، ولا يقبلها ضميري، فإنني سأطلب يومها من أعضاء المنظمة اختيار مدير آخر. وأنا أرى أن القرارات التي اتخذتها قرارات طبيعية، وتتماشى مع المقاصد التي أنشئت المنظمة لتحقيقها، والتي - بالطبع - تتفق مع مصالح المجموعة الدولية بأكملها، لذا، كنت أسعى لتنفيذها، مهما كلفني الأمر.

ـ ما دور اليهود والعرب والمسلمين في اليونسكو، وبخاصة فيما يتعلق بمدينة القدس؟

• فيما يخص القدس، لم يكن الأمر يتعلق باليهود، وإنما بالقانون الدولي. فالقدس حسب قرار الأمم المتحدة رقم 242 تقع في أرض محتلة، مما يستوجب حمايتها. وإسرائيل مطالبة وفقًا لهذا القرار بعدم تغيير المعالم الأثرية الواقعة في هذه المناطق، ومن ضمنها بالطبع القدس الشريف.

ومن هذا المنطلق، فإن منظمة اليونسكو التي عليها مسؤولية تطبيق ميثاق الأمم المتحدة المتعلق بحماية الآثار التاريخية في مناطق الصراعات المسلحة، والتوصية الخاصة المعتمدة من طرف المؤتمر العام لليونسكو عام 1956م، مخولة بالسعي لتنفيذ كل هذه المقررات المتعلقة بالقانون الدولي. ومن ثم، كان من حق اليونسكو حماية تراث القدس الذي أصبح مهددًا منذ اليوم الأول لاحتلال المدينة المقدسة. وأنتم تذكرون أن حي المغاربة قد مُسح تمامًا لإقامة ساحة عامة، أمام ما يسمى بحائط المبكى، وقد بعثتُ - مدة سنة على الأقل - ممثلاً خاصًا من اليونسكو لإعداد تقرير حول معالم القدس، وقد أعلمت بذلك المؤتمر العام والمكتب التنفيذي، واتُّخذ القرار بحماية آثار القدس.

إذن، فعلى المستوى الديني فإن الأمر يهم - أساسًا - المسلمين، أما على المستوى العام، فإن الأمر لا يتعلق بالمسلمين فحسب، وإنما باحترام القانون الدولي الذي يطبق على الجميع.

ـ ما موقف المسلمين من ذلك؟

• المسلمون، بالطبع، كانوا مهتمين جدًا بالوضع، وأثاروا خلال المناقشات الوضع الجديد في المدينة المحتلة، وطالبوا بتطبيق القانون الدولي في هذا المجال.

ـ من واقع تجربتكم الثرة في العمل، ما رأيكم في القول بوجود ثقافة كونية واحدة؟

• الأمر يتعلق بمفهوم الثقافة لدى كل أمة. فالثقافة هي التعبير عن الهوية الخاصة لأي شعب، وهي التي تمكن من التفريق بين مختلف الشعوب، ومن دون الثقافة لا يمكن التمييز بين هذه الشعوب.

وتُحدَّد الثقافة أولاً بالتاريخ المشترك، وباللغة المشتركة في أغلب الأحيان، وبالتجارب المشتركة، وبالإبداعات المشتركة، والشعور بالانتماء للمجتمع نفسه، والاحتكام إلى المعايير الأخلاقية نفسها، مثل المعايير الدينية وغيرها. فالثقافة - إذن - مهمة جدًا، وكثيرًا ما يقع الخلط بين ثقافة الهوية والثقافة الإنسانية، فالثقافة الإنسانية هي الثقافة الفردية والشخصية، واعتمادًا على هذه الثقافة يستطيع الفنان أن يبدع. والقضية التي نوقشت كثيرًا في الغرب والشرق في أثناء سنوات الحرب الباردة هي مسألة إبداع الفنان، ففي الوقت الذي يُعترف له فيه بحرية العمل، فهو مقيد بمعايير المجتمع وسياسة الحكومة، وهذا ما يلغي تمامًا حرية الإبداع الفني، إلى جانب أن العلاقات بين الدول هي علاقات سياسية تتأسس على القيم الثقافية.

ـ كثر الحديث عن حقوق الإنسان، كيف تنظر اليونسكو إلى هذا الموضوع؟

• لقد ساندت المنظمة حقوق الإنسان، ولاسيما في السنوات الأخيرة، وفي أثناء الحرب الباردة. واليونسكو تتدخل أساسًا عندما تتعلق هذه الحقوق بالمسائل الثقافية مثل حق الإبداع والبحث، فهي تسعى بالتعاون مع الدول التي تُنتهك فيها هذه الحقوق لإصلاح الأمر. وتهتم المنظمة - أيضًا - بميدان الإعلام، وهذا من صلاحياتها وصلاحيات الأمين العام الذي يعمل، قبل كل شيء، على التأكد من صحة المعلومات التي تصل إليه عن الانتهاكات التي تتعرض لها الحقوق الثقافية، وعندما نتأكد من صحة هذه المعلومات ودقتها نبلّغ الدول المعنية بصفة

لم أحاب أحدًا..
وأرفض اتهامات أمريكا

سرية، ولا نعلن ذلك على الملأ، وهذا أدعى للوصول إلى نتائج إيجابية بطريقة سلمية.

ـ ما موقف اليونسكو من الدول الإسلامية؟

• يمكنني الإجابة عن هذا السؤال بطريقة خاصة، أو بصفة عامة في الوقت نفسه. فالدول الإسلامية تتميز بدينها، والمنظمة، من وجهة نظرها، ترى أن الدين خارج نطاق الثقافة، وعندما نقوم بدراسات لا ننظر إلى المسائل من وجهة نظر دينية؛ فاليونسكو تضم أعضاء ينتمون إلى مختلف الديانات، وتولى إدارتها مديرون كانوا يرون أنه يجب ألاّ يُقحم الدين في الدراسات التي تقوم بها المنظمة. أما أنا، في مدة عملي مديرًا للمنظمة، فقد كنت أرى العكس، لاعتقادي أن الدين عنصرٌ أساسيٌ في تحديد الهوية، وأن الأفكار الحديثة في الغرب هي نفسها نتاج القيم الدينية التوراتية أو الإنجيلية. فإسبانيا مثلاً، جرى تهميشها في التوجه الثقافي لليونسكو، مما استوجب تعديل ذلك، ويبدو هذا التهميش في الدراسات التي أجريت حول إسبانيا وتطورها العلمي والثقافي، فهناك عناصر كثيرة حول إسبانيا، جرى إلغاؤها أو تناسيها، وهناك عناصر أخرى تعرضت للتشويه مما استلزم إصلاح ذلك كله.

والمسلمون يطالبون المنظمة بالاعتراف ببعدهم الديني، وهم في ذلك لا يريدون امتيازًا خاصًا بهم، ولكنهم يودون - على الأقل - أن يعامَلُوا بمثل ما عوملت به إسبانيا.

والدول الإسلامية أعضاء في اليونسكو، وبرامج اليونسكو يتم وضعها كل سنتين من طرف المؤتمر العام، ومن حقهم النظر في هذه البرامج وتعديل ما يرونه تشويهًا لبعض القضايا المتصلة بهم، فهذه الدول عليها أن تقوم بمجهودات لعرض وجهة نظرها، وفرضها على برامج المنظمة.

لا أعرف سببًا محددًا لانسحاب أمريكا من اليونسكو. وبعض القوى الدولية تسعى لتوجيه سياسة اليونسكو وفق مصالحها!



ـ تعرضت الأمة الإسلامية لتشويه تاريخها، ما دور اليونسكو في عكس الحقائق عن الأمم والشعوب بلا تشويه؟

• لقد ذكرت فيما سبق أن هناك معلومات خاطئة، لكنَّ هناك أيضًا تعديلاً يتم لهذه المعلومات، وأنا أعتقد أن هذه القضية تعود إلى ترسبات الماضي. لأن القضايا الإسلامية كثيرًا ما أسندت إلى غير المسلمين، وهم في الغالب من المستشرقين الذين قد يتقن بعضهم اللغة العربية، مع بعض الإلمام بالدين الإسلامي. لكن هؤلاء لا يستطيعون تقديم وجهة النظر الإسلامية الصحيحة، لأن أفضل من يقوم بدراسات وموضوعات عن مسألة ثقافية معينة، من ينتسبون إلى هذه الثقافة. وفي عهدي، كنت أتوجه إلى المسلمين عندما يتعلق الأمر بالقيام بدراسة عن قضية إسلامية، فأنا أرى أن المسلمين هم أقدر من يقوم بمثل هذه الدراسات، كما أن النصارى هم أفضل من يقوم بدراسات واضحة وموضوعية فيما يتصل بدياناتهم.

ـ ما رأيكم فيما يشهده العالم من صراعات، وهل يسير هذا العالم إلى صراع حضاري أم إلى حوار حضاري؟

• إنكم تطرقون موضوعًا أساسيًا، وهو السبب الذي يمنع الوصول إلى تفاهم مشترك بين الشعوب، ويشيع الفرقة التي يشهدها العالم. فكل شعب له ثقافته ونظرته الخاصة للعالم، وله تراثه، والعادة أننا عندما نكون من أبناء ثقافة ما لها قيمها وعاداتها، فإننا نسعى بطريقة عفوية لتطبيق هذه التوجهات الخاصة على الآخرين، والحكم عليهم من خلالها، وهذا يؤدي إلى سوء التفاهم. وللتوصل إلى تفهم كل شعب لما تتميز به الشعوب الأخرى من خصوصية وقيم وعادات ووجهات نظر، عملت اليونسكو على تطبيق مبدأ التعاون، ولشرح ذلك، دعنا نرجع مثلاً إلى القرن التاسع عشر، فقد كان الخطاب الاستعماري بأكمله مرتكزًا على نظريّة عدم المساواة بين الأجناس والشعوب، وحسب هذا المبدأ، فإنهم يزعمون بوجود شعوب متحضرة عليا، وأخرى دنيا لا ثقافة لها، وكانت هذه المقولة الغربيّة الأساس الذي ارتكز عليه الغزو الاستعماري، ولكن ـ خلال الحرب العالمية الثانية ـ اتضح أن الأفكار المسبقة التي كانت تروِّج عن الأفارقة والآسيويين وسكان أمريكا الأصليين، كانت هي نفسها التي يحملها بعض الأوربيين عن بعض الشعوب الأوربية الأخرى، وقد جرى تحليل هذه الأفكار في اليونسكو، وتوصل الباحثون إلى نظرية تقول بتعدد الثقافات، ومن ثم تنوع الحضارات، وفي الإطار نفسه يصبح شرعيًا التساؤل عن عملية عولمة الثقافة الكلية من خلال قيام وسائل الإعلام الجماهيرية في الغرب بنشر مفاهيم غربية، وهل يمكن أن يؤدي ذلك إلى نوع من تجانس العواطف والأداء لكل شعوب العالم؟ في رأيي أن المقولة بوجود قيم عالمية يجب فرضها على العالم كله خاطئة من أساسها، لأن تحليل مثل هذه النظرية يوضح أن القيم التي يراد فرضها ليست في النهاية إلا قيم الغرب، ولنأخذ ـ مثلاً ـ مسألة العائلة كما طرحت في مؤتمر السكان، ففي التوصية النهائية للمؤتمر أراد المكلفون وضع الصيغة النهائية تمرير فكرة أن العائلة تتكون من شخصين على الأقل، سواء أكان هذان الشخصان من الجنس نفسه أو من جنسين مختلفين.

والمسلَّم به أن هذه الفكرة مرفوضة عند النصارى والمسلمين، لأن الزوجين هما رجل وامرأة، ولا يمكن أن يكونا رجلين أو امرأتين، ومع ذلك كانوا يريدون أن تقبل المجموعة الدولية بهذا التعريف المنحرف للعائلة، وهذا أمر خطير جدًا، فقد كان المؤتمر من تنظيم إحدى مؤسسات الأمم المتحدة التي تمثل المجموعة الدولية بأكملها، ولم يكن من المعقول تَقَبُّل تقديم وثائق من هذا الطراز، فهذه مسألة مذهبية (أيديولوجية)، وهناك من يريد أن يفرض على الناس جميعًا مسائل أيديولوجية خاصة به، وهذا أمر مرفوض تمامًا؛ لأنه إذا كانت لديك قيم أخلاقية خاصة، فعليك أن تطبقها في مجتمعك، ولا تسعى لفرضها على المجتمعات الأخرى. ولو كنت على رأس اليونسكو لقدمت ملاحظات عن هذه المسألة قبل انعقاد المؤتمر، ولكنت أكدت أن فرض مثل هذه الأمور لا يمكن القبول به في مؤتمر عالمي كهذا.

ولهذا، فأنا أرى أن قضية عالمية الثقافة وتوحدها تمس أساسًا خصوصية الشعوب وثقافتها، وأن وسائل الإعلام التي يقال إنها تعمل على تحرير الشعوب ليست إلا أدوات تبث الأفكار التي يطلب منها أن تنشرها.

وعلى الدول الإسلامية أن تكون لها وسائلها الإعلامية الخاصة التي تستطيع من خلالها التعريف بالفكر الإسلامي وبقيم الإسلام ونشرها في العالم، والتصدي للإعلام الغربي، ولتلك النظرية الغربية التي ترى أن كل مسلم ليس سوى هدف من أهداف العولمة.

ـ أهم غايات اليونسكو نشر التعليم ومحاربة الأمية، إلى أي حد نجحت اليونسكو في القيام بهذا الدور؟

• أعتقد أن دور اليونسكو في هذا المجال دور ريادي، وأن خصوصيتها تنبع من أنها جمعت تجارب العالم الإيجابية والسلبية جميعها في هذا الحقل؛ ومن ثم، فإن الدراسات المقارنة التي تقوم بها المنظمة بين الأنظمة التعليمية لها أهمية قصوى. وهي تهتم بنظم التعليم وأهدافه ووسائل كل نظام تعليمي وإيجابياته حسب المجتمع الذي يطبقه. وهكذا، فإن أي دولة تريد تغيير نظامها التعليمي، يكون لديها مجموعة كبيرة من الدراسات والتجارب التي تمكنها من اختيار ما يلائمها بعد الاطلاع على تفاصيل الأنظمة الأخرى مثل المواد التي تدرس في كل مستوى دراسي، والوسائل التعليمية المستخدمة، إضافة إلى قضية التمويل. وأنا أعتقد أن دور اليونسكو في هذا المجال ذو أهمية قصوى؛ وأنا لا أقول إن النظام التعليمي في بلد ما يجب أن يُتّبع في بلد آخر، ولكن البحوث التي تجرى وتوضح الإيجابيات والسلبيات، يمكن أن يكون لها مردود كبير في البلد الذي يتوخى إجراء إصلاحات في نظامه التعليمي سواء في المحتوى أو التنظيم الإداري؛ وغيرهما.

ـ هل صحيح ما يقال عن تدني المستوى التعليمي في العالم؟

• هذا أمر ملاحظ في كثير من بلدان العالم،

على الدول الإسلامية أن تتصدى للنظرية الغربية التي ترى أن كل مسلم ليس سوى هدف من أهداف «العولمة»!

ولاسيما دول العالم الثالث، فتزايد أعداد الطلاب أدى إلى تضاعف عدد الدارسين في الفصل الواحد، مما جعل المعلم عاجزًا عن الاهتمام بجميع الطلبة. وحتى في البلدان الغنية، فإن الشباب يقع تحت أنواع مختلفة من الإغراءات التي تجعله غير جيد التركيز، مثل التلفاز وغيره.

أما في زماننا، عندما كنا نذهب إلى المدرسة، كانت حياتنا كلها مُسَخَّرة للتعليم، فكنا نتعلم في الكتاتيب القرآنية وفي المدرسة الفرنسية، ومع أن آباءنا كانوا لا يفقهون شيئًا من الفرنسية، ومما نتعلم، فقد كانت عندنا الرغبة في العلم، أما الشباب اليوم، فإنهم أقل رغبة.

ويرجع ذلك إلى ثلاثة أمور: مستوى الدارس، والتعليم نفسه، ومحتوى التعليم؛ أي المواد التي تدرس للطالب، فالطلبة في عصرنا الحالي أقل اهتمامًا بالتعليم، مما كان عليه آباؤهم، لكن ينبغي التحذير هنا من التعميم، إذ يجب دراسة كل حالة على حدة، والوصول إلى قرارات خاصة، ولا يمكن اتخاذ قرارات عامة إلا بعد إيفاء الموضوع حقه من الدراسة، بل إن بعض الباحثين يرون أن الطلبة اليوم أكثر اهتمامًا من سابقيهم، فعلى مستوى معين من المعرفة يتبين أن معلوماتهم أكثر غزارة وأفضل من معلومات سابقيهم في المستوى الدراسي نفسه، لأن النظام التربوي ـ في رأيهم ـ أفضل مما كان عليه سابقًا.

ـ هل لليونسكو برنامج للتعريف بمختلف حضارات العالم؟

• لا يمكنني التحدث عما يجري الآن، لأنني لست على اطلاع كاف على ما يحدث داخل المنظمة، ولكن البرامج كانت موجهة خلال مرحلة زمنية معينة تمتد إلى عام 1950م، ولم تهتم المنظمة بالتنوع الثقافي إلا في أواسط الستينيات بعد حصول كثير من البلاد على استقلالها، واكتسابها عضوية المنظمة، إذ طالبت هذه البلاد بضرورة الاهتمام بالهوية الثقافية لها ولشعوبها، ولما لم يكن منطقيًا أن يكون الغرب وحده محور الأنشطة الثقافية للمنظمة، فقد نشطت المنظمة في اتجاه تحقيق التفاهم بين الشعوب المنتمية إلى ثقافات مختلفة.

وهكذا فإن برامج اليونسكو هي برامج تعتمد على رغبات الدول الأعضاء، فهي التي تستطيع أن تطالب بتغييرات في برنامج المنظمة من خلال المؤتمر العام.

وفي هذا الإطار، تندرج الأهمية المتزايدة للثقافة الإسلامية في برامج اليونسكو، وعلى الدول الإسلامية أن تدعم هذا التوجه.

ـ ما تقويمكم لدور اليونسكو في مجال نقل التقنية إلى البلدان النامية؟

• عندما كنت في اليونسكو دافعت عن فكرة لازلت أدافع عنها، وهي أن نقل التقنية يُحدث آثارًا اجتماعية ينبغي مراعاتها، والانتباه لها. ولا يعني ذلك منع نقل التقنية، ولكن يجب أن تخضع هذه العملية لإجراءات دقيقة، فعندما يتم ذلك يجب أن يكون لأهل البلد الذي ينقل التقنية القدرة على السيطرة عليها، لأنه ليس منطقيًا أن تنقل التقنية مع جيش من الفنيين الأجانب إلى بلدك، ومن ثم، فإن كل نقل للتقنية ينبغي أن يكون مسبوقًا بتدريب المختصين القادرين على استعمالها، والفنيين الذين يقومون بإصلاحها وإدارتها بكل استقلالية عن المصدر.

وأنا أفضل بدلاً من نقل التقنية، أن تبدع الدول الناقلة تقنيات خاصة بها، وأبرز مثال على هذا: الصين؛ فقد عمل الصينيون على تعلم التقنيات الحديثة؛ ثم شرعوا في تصنيع ما يلائم أوضاعهم وظروفهم. أما نقل التقنية بحذافيرها، فيعني أن تظل الدول الناقلة ترزح في أغلال التبعية، من غير أن تصل إلى معرفة أسرار هذه التقنية، ومن ثم، يتعين على الدول الفقيرة أن تعمل على السيطرة على المعارف الأولية الخاصة بالتقنية، ثم تطويرها بما يتناسب مع حاجاتها وظروفها وإمكاناتها.

ـ يدور حديث مستفيض عن اختلال التوازن في تدفق المعلومات، هل لكم أن توضحوا مسؤوليات اليونسكو في هذا الميدان الحيوي؟

نقل التقنية قضية لها آثارها الاجتماعية؛ لذا فعلى من يريد نقل التقنية أن يكون قادرًا على السيطرة عليها!

لم أحاب أحدًا.. وأرفض اتهامات أمريكا

• كان اهتمام اليونسكو في البداية منصبًا على نقل المعلومات باتجاه واحد، ولكن بعد انضمام الدول المستقلة حديثًا إليها، وطرحها قضية الهوية الثقافية، قامت اليونسكو بدراسات عن الاتصال والمعلومات أوضحت عدم وجود مساواة في تدفق المعلومات، وأن بلدان الجنوب ليست سوى رجع الصدى لما يقال في الشمال، لتلقيها المعلومات التي يبثها الشمال، ثم إعادة بثها لهذه المعلومات.

ولأن هذه المعلومات تسهم في تشكيل الرأي العام حول القضايا المختلفة، يصبح من الضروري أن يتحقق التوازن في تدفقها. وقد قامت اليونسكو بدراسة مهمة عن هذا الموضوع، تم إصدارها في كتاب، وهو موجود بالعربية، وانتهت هذه الدراسة إلى أنه يجب إصلاح الخلل، على الرغم من اعتراضات الدول المسيطرة على وسائل الإعلام.

أما الآن، فقد تغيرت الأوضاع، وأصبح في إمكان أي شخص أن يضع المعلومات التي يريد إيصالها على شبكة الإنترنت، وأصبح هذا الأمر متاحًا للدول النامية كما هو متاح للدول الغربية، والأمر أيضًا صحيح فيما يتصل بالإسلام الذي أصبح هدفًا للهجوم من أطراف عدة، وعلى الدول الإسلامية أن تضع كل ما تستطيع من معلومات عن الإسلام في هذه الشبكة ليتم تداولها على نطاق واسع، ولتكون في متناول المختصين الذين يستخدمون هذه التقنية الحديثة؛ لأن لمثل هذه المعلومات أثرًا كبيرًا في تشكيل القيم.

ـ سؤال عام: ما مستقبل اليونسكو في رأيكم؟

• أنا لا أتكلم عن مستقبل اليونسكو، ولكن عن الدول الأعضاء، فالمنظمة لا وجود لها إلا بأعضائها، وعزمهم على تحقيق ما يرغبون فيه؛ وهذا لا يتم نظرًا لاختلافاتهم. ويحتاج الاتفاق والتراضي فيما بينها إلى تقديم تنازلات؛ وهذا ما لم تكن تقبل به بعض الدول الأعضاء في عهدي.

وكنت أقول لهم عندما يرفعون إليّ خلافاتهم لأنظر فيها: إنه من الضروري أن نأخذ في الحسبان رغبات كل طرف ومصالحه، ثم البحث بعد ذلك عن سبيل للتوفيق بين المصالح والتطلعات كلها، لكن بعض الدول كانت ترى أحقيتها في أن تكون لها الأولوية، وأن تفرض رأيها باستخدام حق الاعتراض ـ الفيتو ـ مستغلة إسهامها المادي المرتفع في ميزانية اليونسكو، فكنت أقول لهم: إن اليونسكو منظمة ديمقراطية، وكل عضو فيها له صوت مثل غيره من دون أي تمييز.

التَرجمَةُ وَالتّعْريبُ

مُنذ الجَاهليّة إلى القرن الهجريّ الأوّل

د. عون الشريف قاسم

كانت صلة العرب بالأمم المجاورة لهم قديمة وقوية، فمعظم الأمم في أطراف جزيرة العرب ـ ولاسيما في منطقة الهلال الخصيب التي تشمل وادي الرافدين ومشارف الشام وشرقي البحر المتوسط وحوض البحر الأحمر بما فيها مصر والحبشة ـ من الأمم السامية التي خرجت من جزيرة العرب وتربطها بالعرب صلات واشجة في العرق واللسان والثقافة (1).

وكان لدولتي الفرس والروم مصالح استراتيجية وتجارية مهمة جعلت من جزيرة العرب محوراً من محاور الصراع القائم بينهما تطلّب إقامة دويلتين على حدود جزيرة العرب لتأمين تلك المصالح: دويلة المناذرة في الحيرة في العراق، ودويلة الغساسنة في غوطة دمشق(2). وكان العرب في اليمن وشمال الجزيرة على اتصال بأمم الشرق البعيد، وبخاصة الهنودُ والصينيون الذين كانت سفنهم تتخذ من ميناء الأُبُلَّة قرب البصرة مرفأ لها حتى سُمِّيت المنطقة ببوابة الهند(3). وارتحل العرب إلى من جاورهم للتجارة وعقدوا الاتفاقات مع الفرس والروم والحبش مما عُرف بالإيلاف الذي تحدث عنه القرآن الكريم في سورة قريش(4). وكانت هناك بجانب التجارة دواعٍ أخرى دفعت بالعرب جماعات وأفراداً إلى هذا الاتصال كما رأينا في ذهاب امرئ القيس الكندي إلى إمبراطور الروم طلبًا لمناصرته على أعدائه الذين أزالوا دولة كندة(5). وكانت في كل هذه المناطق مراكز اختلط فيها العرب بغيرهم وتبادلوا فيها المنافع المادية والثقافية كما عبّر عن ذلك الأعشى في قوله(6):

وطوّفت للمال آفاقه
عُمَانَ فحمصَ فأُوريشَلِمْ

أتيت النجاشيَّ في داره
وأرضَ النبيط وأرضَ العجمْ

وكان الشاعر عديّ بن زيد العبادي من أهل الحيرة حاذقًا بالعربية والفارسية، وقد تولى ديوان العرب عند الأكاسرة، وكان كاتبًا باللغتين، وكذلك كان أبوه مع أنه كان نصرانيًا ولم يكن مجوسيًا، وكانت معرفته بالسريانية تامة لأنها كانت لغة ديانته(7). ومن ثمّ ترجم العرب عن هذه الأمم وعرّبوا من ألفاظها ما اعتنت به اللغة العربية وانعكس أثره على القرآن الكريم الذي شمل، إلى جانب الأربعين لهجة من لهجات العرب، ألفاظًا أصلها المعرب من عشر لغات غير عربية، منها: الفارسية والحبشية والنبطية والسريانية والقبطية والعبرية والرومية والهندية والصينية (التي ذكروا الكرسي مثالاً لها)(8).

مصطلحا الترجمة والتعريب

اختلف المعجميون العرب حول أصل مصطلح الترجمة: هل هو عربي أصيل أم معرب؟ وذهب الذين يذهبون إلى عربيته أنه من رجم. وذكر ابن قتيبة في أدب الكاتب أن الترجمة تفعلة من الرجم. ووقع الخلاف في هل هو من الرجم بالحجارة لأن المتكلم رمى به، أو من الرجم بالغيب لأن المترجم يتوسل لذلك به. وممن ذهب إلى ذلك أبو حيان النحوي والجوهري(9). وذهب الآخرون إلى أنه مُعَرَّب «دَرْغُمان» الذي تصرفوا فيه كما يذكر صاحب تاج العروس(10). واختلفوا كذلك في لفظ الترجمان أهو: تَرْجُمان أم تُرْجُمان أم تَرْجَمان، وانتهوا إلى أن الصيغتين الأوليين هما المعتمدتان وأن الثالثة من مناكير الجوهري وليس بمسموع من العلماء الأثبات(11). وذكر صاحب اللسان أن تَرْجُمان من المُثُل التي لم يذكرها سيبويه. وذكر ابن جنيّ الصيغتين المتفق عليهما. وعرّفوا الترجمان بأنه الذي ينقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، أو هو المفسر لِلّسان، وقد ترجمه وترجم عنه إذا فسر كلامه بلسان آخر(12). ويبدو أن أصل الكلمة ساميٌّ قديم ولعله دَرْغُمان الذي ذكره الزبيدي في تاج العروس أعلاه وقد ورد في الأكادية، وعن الساميين أخذه الإغريق واللاتين في لفظي Drogman وDragman بمعنى ترجمان، ومنها انتقل إلى اللغات الأوربية الحديثة وبالذات الإنجليزية والفرنسية ومنه اصطلاح Traduction بمعنى ترجمة(13).

أما التعريب فهو من عَرَّب الاسم الأعجمي كي تتفوه به العرب على منهاجها. نقول: عرّبته العرب وأعربته أيضًا وأعْرَب الأغتم وعَرُب لسانُهُ ـ بالضم ـ عُروبةً أي صار عربيًا(14).

الترجمة في الجاهلية والإسلام

تطورت الثقافة العربية باتصالها بتيارات حضارية مختلفة في أماكن بعينها أشهرها الحيرة والأنبار على الفرات، وتدمر وحرّان والبتراء ودومة الجندل في شمال جزيرة العرب؛ حيث اختلط العرب بالفرس والروم والسريان والأنباط، وكانت إلى جوارها مراكز للثقافة اليونانية في جُنْدَيْسَابور ونَصيبين والرها وغيرها؛ حيث شجع الأكاسرة هجرة العلماء النساطرة الذين فروا من دولة الروم أمام الاضطهاد الديني. وشجع الفرس، على مجوسيتهم، أصحاب المذهب النسطوري النصراني المناهض لمذهب الدولة البيزنطية، وإلى هذا يعزى انتشاره في بعض أجزاء جزيرة العرب، وقد رأينا بعض آثاره في بعض العرب مثل ورقة بن نوفل الذي كان يقرأ التوراة. ولا شك أن أعدادًا كبيرة من العرب قد تنصرت وتهودت منذ أزمان بعيدة. ويُستشف من تطور الحَرْف والخط العربيين الذي تم في بعض هذه المناطق، ولاسيما في الأنبار والحيرة ودومة الجندل، وانتقاله من الصورة النبطية إلى الصورة التي هو عليها الآن، وتأثره في صورته الكوفية بالخط السرياني السطرنجيلي، أنّ تأثر العرب بمن حولهم كان بعيد المدى، وأن أعدادًا منهم كانت تعرف لغات الأقوام المجاورين لهم وتنقل عنهم، ولاسيما التجار الذين تخصص بعضهم في التعامل مع مناطق بعينها كما دلت على ذلك اتفاقيات الإيلاف التي ارتبط كل منها بشخص بعينه، فعقد هاشم بن عبد مناف الإيلاف مع الروم، ونوفل مع الفرس، وعبد شمس مع الحبشة، والمطّلب مع اليمن. وقد رأينا أثر هذا الاتصال

الثقافي في ما راج عند أهل مكة أيام البعثة النبوية من قصص رستم وإسفنديار الفارسية. وكان النضر بن الحارث (2هـ) يتتبع النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا قام النبي من مجلس يُحَدِّث الناس فيه عن الإسلام جلس النضر مكانه وقرأ عليهم أقاصيص الفرس ثم يقول: «والله ما محمد بأحسن حديثاً مني وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها»(15). وكان لقيط بن يَعْمَر الإيادي مثل عدي بن زيد المتقدم ذكره يكتب بالعربية والفارسية، وكان مترجماً في بلاط كسرى. وكان ورقة بن نوفل يكتب باللسان العبراني، وكان عبدالله بن عمرو بن العاص كثير العناية بكتب أهل الكتاب، وكان يقرأ بالسريانية والفارسية والرومية والقبطية والحبشية؛ تعلم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسن. وكان سويد بن الصامت يقرأ على أهل مكة مجلة لقمان وهو كتاب فيه حكمة لقمان، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: «اعرضها عليّ» فعرضها عليه، فقال له: «إن هذا الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله تعالى، هو هدى ونور». ونحن نعلم أن الرسل الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك خارج جزيرة العرب برسائله المشهورة كانوا يعلمون ألسنة القوم الذين أُرسلوا إليهم، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم مترجمون خاصون(16).

واشتهرت قريش وثقيف بالكتابة حتى أوكلت إليهما كتابة المصحف، وقال سيدنا عمر: «لا يُملِيَنَّ في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف». واشتهر بنو حرب والأمويون عامة بصلاتهم القوية مع الروم، وقد رأينا أبا سفيان في بلاط هرقل يحدثه عن سيدنا محمد أول ظهوره (17). وقد اتهم الدكتور علي سامي النشار أستاذ الفلسفة الإسلامية في كتابه «مناهج البحث عند مفكري الإسلام» السفيانيين والمروانيين من بني أمية بتبني الفكر الغنوصي قبل الإسلام وبعده، وشجعوا تبعًا لذلك نقل الفكر اليوناني واحتضنوا علماءه، وكان في بلاط معاوية عدد منهم. ونعلم اهتمام خالد بن يزيد بن معاوية بفكر اليونان، وكان له مترجمون خاصون، وتحدث عن عمر بن عبدالعزيز ووالده الذي نقل ما تبقى من مدرسة الإسكندرية وعلمائها من اليونانيين إلى دمشق. وفي حملته عليهم شطط، ولكن الشاهد في اهتمام الأمويين بتراث اليونان الذي بدأت ترجمته بتوسع في عهدهم مثلما حدث للتراث الفارسي الذي جَدَّ في ترجمته ونقله إلى العربية أمثال عبدالله بن المقفع وعبدالحميد الكاتب وغيرهما من علماء الفرس.

التعريب في الجاهلية

كانت نتيجة اتصال العرب بغيرهم واتصال غيرهم بهم داخل جزيرة العرب أن دخلت إلى اللغة العربية حصيلة ضخمة من مختلف المصادر، حوّرها العرب وصاغوها وفق معاييرهم اللغوية مما دعوه بالتعريب، وعلى دخولها في اللسان العربي فإن في بعضها من الشواهد ما يشير إلى أصلها القديم. وقد عدّ اللغويون من الدخيل كل لفظة خرجت عن الأوزان العربية نحو: إبريسم (الحرير) بالفارسية، وكل كلمة أولها نون ثم راء نحو: نرجس، أو يكون آخرها زاي بعد دال مثل: مهندز (التي أصبحت مهندس)، أو أن يجتمع فيها الصاد والجيم نحو: الصولجان والجص، أو أن يجتمع فيها الجيم والقاف نحو: المنجنيق، والجردقة، والجرموق، والجوسق والجلاهق، أو أن تكون خماسية أو رباعية عارية من حروف الذلاقة (فل من رب)، أو أن يجتمع فيها الجيم والطاء نحو: الطاجن، أو الصاد والطاء نحو: صراط، ويندر اجتماع الراء مع اللام مثل وَرَل(18).

وعلى اشتراك العربية مع غيرها من الساميات في كثير من الأصول اللغوية فقد ميز اللغويون ما عدّوه دخيلاً من الساميات الأخرى وعرّبه العرب، وفيما يلي نماذج من ذلك:

المعرب من الأكادية:

دين (بمعنى القضاء)، حكم، سبت، سطر (كتب)، تلميذ، ترجمان، تاجر، جسر، نجار، آجر، فخار، جص، أتون، كانون، كور، الحداد، أرجوان، تل.

ومن السومرية:

هيكل، كرسي (قيل أصلها صيني)، آس (طبيب).

ومن الحبشية:

خوخة، مشكاة، هرج، كفلين، حواريون، نافق، منبر، محراب، مصحف، برهان، مائدة، سكة، بغل. ودخل من الأرامية من طريق الحبشية: قدوس، تابوت، جهنم.

ومن اليونانية:

إبليس، جنس، زوج، إزميل، فندق، لص، شرطة، أخطبوط، أسطول، أسطورة، إفريز، إقليم، إسفنج، برج، بقدونس، طاجن، فانوس، قانون، قصدير، قلنسوة، قميص، منديل، ناموس، نافورة، دكان.

ومن اللاتينية:

من طريق اليونانية والأرامية: صراط، ميل، قصر، قنطرة، قنطار، قبان، دينار، بلاد، بطريق، إسطرلاب، ترياق، فردوس، قسطاط، بطاقة. ومن طريق الحبشية أو الفارسية: إنجيل، قلم، درهم.

ومن الفارسية:

كوز، جرة، إبريق، طشت، خوان، طبق، قصعة، سنجاب، لحام، خز، ديباج، سندس، فيروزج، بلور، كعك، فالوذج، جلاب، فلفل، كراوية، زنجبيل، نرجس، بنفسج،

اختلف المعجميون العرب حول أصل مصطلح الترجمة: هل هو عربي أصيل أم مُعرَّب؟ وعرَّفوا الترجمان بأنه الذي ينقل الكلام من لغة إلى أخرى

نسرين، ياسمين، جلفار، مسك، عنبر، دهقان، مرزبان، ديوان، دولاب، طنبور، فرسخ، خشاف، سراب، سراج، خندق، سرموج، قفطان، سرجين وبرواز.

ومن السنسكريتية:

ألفاظ الملاحة مثل: البارجة. والأحجار الكريمة مثل: الألماس والدر والياقوت (وقد تكون دخلت من طريق الفارسية)، توتيا. والأفاويه مثل: كافور، صندل، عود، ألوة، زباد، قرنفل. وخشب الساج، والألوان مثل: قرمز، نيلج، تارنج، ورس. والمنسوجات مثل: الشيت، والفوطة. والفواكه مثل: نارجيل، موز، ليمون، نارنج. والحيوانات مثل: فيل، كركدن، جاموس. وشطرنج. ومما هو موجود في السنسكريتية: صبح، وبهاء، وضياء بالمعنى العربي نفسه: الإشراق أو الإضاءة، وكذلك سفينة(19).

الهوامش:

1. ولفنسن: تاريخ اللغات السامية، ص5.
2. د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 626/2.
3. الهمداني: صفة جزيرة العرب 204، وياقوت: معجم البلدان 641/1.
4. الطبري: تفسير سورة قريش.
5. د. جواد علي: نفسه.
6. الأعشى: الديوان.
7. كارلو نلينو: تاريخ الآداب العربية 89-90.
8. ابن حسنون: اللغات في القرآن.
9-11. الزبيدي: تاج العروس، مادة: ترجم.
12. ابن منظور: لسان العرب، مادة: ترجم.
13. انظر معجم كاسل الإنجليزي تحت هاتين المادتين.
14. لسان العرب: نفسه.
15-17. ابن هشام: السيرة 383/1، 68/2.
18. د. رمضان عبدالتواب: فصول في فقه العربية 363.
19. انظر ابن قتيبة: أدب الكاتب، والسيوطي: الإتقان في علوم القرآن، وجورجي زيدان: اللغة العربية كائن حي، فلسفة اللغة.

محمود محمد شاكر

أمة وحده!

د. محمد بن لطفي الصباغ

عرفته من نحو أربعين سنة، عندما زرت مصر أول مرة، وقد اصطحبني إلى دارته صديقي العلامة الأستاذ أحمد راتب النفاخ، رحمه الله، الذي كان يلازم جلساته المسائية اليومية. واستمرت الصلة بيننا إلى أيامه الأخيرة؛ كلما زرت مصر ذهبت إليه، وأفدت من علمه. وكان رحمه الله يغمرني بكرمه المعهود الذي يشمل كل من يدخل بيته. وعندما أقمت في مصر حينا من الزمن كنت أتردد إلى داره العامرة، وكانت هذه الجلسات تمتد إلى ما يقرب من منتصف الليل.

وكان يؤم تلك الدار نخبة من رجال العلم والأدب ومن الأعيان من بلاد العرب: من مصر وسورية وفلسطين والأردن والعراق والسودان ونجد والحجاز والمغرب وتونس وغيرها. أذكر منهم الأستاذ أحمد راتب النفاخ، والدكتور إحسان عباس، والدكتور شاكر الفحام، والدكتور محمد يوسف نجم.

وأول ما يجذب نظرك عند دخولك داره تلك المكتبة الضخمة التي تملأ المنزل كله.. فالدار من أولها إلى آخرها مكتبة، لا تستثني غرفة ولا ممرًا. وفيها من نفائس الكتب والنوادر ما لا يوجد في مكتبة أخرى. وعلى كثير منها تعليقات واستدراكات وتصحيحات وفوائد.

وكنت أسعد بلقائه كلما جاء إلى الرياض.. فلقد كان ودودًا لا ينسى تلامذته وأبناءه من طلاب العلم مهما تباعدت الأوقات والمسافات، وإن مما أعتز به في مكتبتي المتواضعة بعض كتبه التي أهدانيها ووقع عليها توقيعًا بليغًا.

كان الأستاذ محمود أمة، يتميز بصفات تجعله نموذجًا فريدًا من الناس:

كان شديد الغضب للحق ولما يرى أنه حق. شديد الانفعال إذا غضب، يظهر أثر ذلك على وجهه ويديه وصوته. لا يخشى في الحق لومة لائم.

وقد رأيته مرة يتحدث عن جماعة سيئة قامت بعمل قبيح، فكان يبالغ في الهجوم عليها وجَرْحها، فقال أحد الجلساء: حقًا إنهم مخطئون، فثار عليه الأستاذ رحمه الله ثورة شديدة وقال: تقول إنهم مخطئون فقط.. إنهم كيت وكيت.. وصبَّ جام غضبه على هذا المتكلم الذي نال من رشقات حدته، ومن سياط تقريعه الكثير.. ولكنه بعد لحظات عاد إلى طبيعته المؤنسة، ودماثته المحببة.

وأود أن أورد نبذة عن حياته استقيتها من الكتاب الذي أعدّه تلامذته ومحبوه بمناسبة بلوغه السبعين بعنوان «دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبي فهر محمود محمد شاكر»:

هو محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبدالقادر، من أسرة أبي علياء من أشراف جرجا بصعيد مصر، وينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما. ولد في الاسكندرية في العاشر من المحرم 1327هـ (الموافق 1909/2/1م).

وكان والده (1282-1358هـ=1866-1939م) عالمًا كبيرًا، وكان شيخًا لعلماء الاسكندرية. ولما عُيِّنَ وكيلاً للجامع الأزهر [بعد سنة 1332هـ] انتقل إلى القاهرة وانتقل معه أولاده.

وكان والده أمّارًا بالمعروف نهّاءً عن المنكر، دخل مرة يصلي الجمعة فسمع الخطيب السابق ينافق للسلطان الذي كان حاضرًا ويقول كلامًا فيه نيل من مقام النبي صلى الله عليه وسلم، فقام بعد الصلاة وقال: «أيهاالناس أعيدوا صلاتكم فإن الإمام قد كفر عندما قال ما قال»، وتقدم وصلّى بالناس.

تلقى الأستاذ محمود مراحل تعليمه في القاهرة، ومع بداية عام 1922م قرأ على الشيخ سيد بن علي المرصفي وحضر دروسه التي كان يلقيها في جامع السلطان برقوق، ثم قرأ عليه في بيته «رغبة الآمل من كتاب الكامل» وهو شرح الشيخ لكتاب الكامل للمبرد، و«أسرار الحماسة» وهو شرح الشيخ لحماسة أبي تمام، وكتبًا أخرى.. واستمرت صلته به إلى أن توفى 1349هـ (1931م). ثم التحق بكلية الآداب في الجامعة المصرية سنة 1926م، واستمر بها إلى السنة الثانية، ثم نشب خلاف شديد بينه وبين الدكتور طه حسين حول منهج دراسة الشعر الجاهلي، فترك الجامعة، وسافر إلى الحجاز سنة 1928م، وأنشأ مدرسة جدة الابتدائية بناء على طلب الملك عبد العزيز، ثم عاد إلى مصر بعد أن مكث في الحجاز سنة واحدة.

وقد أتاحت له نشأته في بيت والده، العالم الكبير، معرفة عدد من العلماء والسياسيين الذين كانوا يترددون إلى والده.

وقد اتصل بأمثال محب الدين الخطيب، وأحمد تيمور، والسيد محمد الخضر حسين، وأحمد زكي باشا، وأحمد شوقي، ومصطفى صادق الرافعي.

بدأ الكتابة في مجلة المقتطف منذ سنة 1932م. وفي سنة 1938م أخذ امتياز مجلة «العصور» من الأستاذ إسماعيل مظهر لتصدر أسبوعية بعد أن كانت شهرية، ولم يَصدُر منها إلا عددان.

ثم أسهم في إخراج «المختار» واستطاع أن يقدم مستوى للترجمة الصحفية لم يُعرف من قبل. وكان يعرف اللغة الإنجليزية معرفة جيدة، يدل على ذلك ما ذكره في الحوار الذي جرى بينه وبين أحمد تيمور باشا عن مرجليوث إذ قال:

«ثم بعد أيام لقيت أحمد تيمور باشا وأعدت إليه المجلة، فسألني: ماذا رأيت؟ قلت: رأيت أعجميًا باردًا شديد البرودة، لا يستحي كعادته! فابتسم وتلألأت عيناه، فقلت له: أنا بلا شك أعرف من الإنجليزية فوق ما يعرفه هذا الأعجم من العربية أضعافًا مضاعفة، بل فوق ما يمكن أن يعرفه منها إلى أن يبلغ أرذل العمر، وأستطيع أن أتلعب بنشأة الشعر الإنجليزي منذ شوسر إلى يومنا هذا تلعبًا هو أفضل في العقل من كل ما يدخل في طاقته أن يكتبه عن الشعر العربي، ولكن ليس عندي من وقاحة



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يحيط به الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية - في فروعها المختلفة - عام 1404 هـ، ويرى من بينهم الأستاذ محمود شاكر

التهجم وصفاقة الوجه، ما يسول لي أن أخط حرفًا واحدًا عن نشأة الشعر الإنجليزي» المتنبي 1/16-17.

شارك في عدد من المؤتمرات العربية، وألقى في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض سلسلة من المحاضرات عن الشعر الجاهلي.

وانتخب عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق، ثمّ دخل مجمع اللغة العربية في القاهرة.

اعتُقل أيام حكم جمال عبدالناصر مرتين، كانت مدة المرة الأولى تسعة أشهر سنة 1959م، وكانت مدة الثانية ثمانية وعشرين شهراً من سنة 1965 حتى سنة 1967م، وكان اعتقاله بسبب قوله كلمة الحق وانتقاده الأوضاع الظالمة.

نال من مصر جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام عن 1981م، ونال جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام 1404هـ (1984م).

كتب في معظم المجلات العلمية والصحف الشهيرة التي تصدر في البلاد العربية، ومن أهم هذه المجلات والصحف: الزهراء، والفتح، والبلاغ، والمقتطف، والمقطم، والرسالة، والدستور، واللواء الجديد، والمسلمون، والكتاب، والمجلة، والثقافة، والكاتب، والأهرام، والهلال، والعربي.

رحل إلى معظم البلاد العربية؛ فقد رحل إلى الحجاز ونجد والعراق والشام والمغرب وغيرها من بلاد العرب، وله في كل هذه البلاد تلامذة ومحبون.

ومن أهم ما يتميز به أستاذنا محمود بن محمد شاكر ما يأتي:

تميزه بشخصية فذة تتمتع بالأصالة، فللأستاذ محمود آراء ينفرد بها ولم يُسبق إليها، وقد يخالف في بعضها السواد الأعظم من المثقفين.

وكان ذلك واضحًا في مواقفه السياسية، فقد كان يبدي رأيه الجريء فيما ينتاب الأمة ويحلّ بها. ومن ذلك موقفه في محاربة الفساد في كل العهود سواء في عهد حكم عبدالناصر أم قبله. وقد تحمل في سبيل هذا التميز الكثير من الانتقاد والتضييق والسجن، وكذلك آراؤه في الأدب والفكر، فقد بيّن أهداف الاستشراق وارتباطه بالغزو المسلح الذي اتخذ الفكر وسيلة في غزوه الجديد.

قال: «فمنذ استيقظ العالم الأوربي لنهضته الحديثة، وهو يرى عجبًا من حوله: أمم مختلفة الأجناس والألوان والألسنة، من قلب روسيا، إلى الصين، إلى الهند، إلى جزائر الهند، إلى فارس، إلى تركيا، إلى بلاد العرب، إلى شمال أفريقيا، إلى قلب القارة الأفريقية وسواحلها، إلى قلب أوربا نفسها، تتلو كتابًا واحدًا يجمعها، يقرؤه من لسانه العربية، ومَنْ لسانه غير العربية، وتحفظه جمهرة كبيرة منهم عن ظهر قلب، عرفت لغة العرب أم لم تعرفها، ومن لم يحفظ جميعه حفظ بعضه، ليقيم به صلاته، وتداخلت لغته في اللغات، وتحولت خطوط الأمم الأخرى إلى الخط الذي يكتب به هذا الكتاب كالهند وجزائر الهند وفارس وسائر من دان بالإسلام. فكان عجبًا أن لا يكون في الأرض كتاب كانت له هذه القوة الخارقة في تحويل البشر إلى اتجاه واحد متسق على اختلاف الأجناس والألوان والألسنة، فمنذ ذلك العهد ظهر (الاستشراق) لدراسة أحوال هذا العالم الفسيح الذي سوف تتصدى له أوربا المسيحية بعد يقظتها، وعلى حين غفوة رانت على هذا العالم الإسلامي. فكان من أول همّ (الاستشراق) أن يبحث لأوربا الناهضة عن سلاح غير أسلحة القتال، لتخوض المعركة مع هذا الكتاب الذي سيطر على الأمم المختلفة الأجناس والألوان والألسنة، وجعلها أمة واحدة، تعد العربية لسانها، وتعد تاريخ العرب تاريخها. وبدأ الغزو المسلح، وسار الاستشراق تحت رايته، وزادت الخبرة بهذه الأمم. فمن كان منها له لسان غير اللسان العربي أعدّت له سياسة جديدة لإغراقه في لسان الغازي الأوربي حتى يسيطر عليه، ومن كان لسانه عربيًا أعدّت له سياسة أخرى لإغراقه في تخلّف مميت لخّصها وليم جيفورد بلجريف في كلمته المشهورة:

(متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة (يعني الحضارة المسيحية) التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه).

فكان بيّنًا أنه لا يمكن أن يتوارى القرآن حتى تتوارى لغته.

وتبين لهم أن لا وسيلة إلى إقصاء القرآن في الأرض المفتوحة إلا بالسيطرة على وسائل التعليم شيئًا فشيئًا» أباطيل وأسمار 157-159.

ومما يميز أستاذنا، رحمه الله، الموسوعية في العلم والمعرفة، فهو في علوم العربية على اختلافها إمام، وذلك أشهر ما اشتهر به من جوانب المعرفة.

وهو في الحديث النبوي عالم مقتدر، وقد شهد له أخوه علامة الدنيا في الحديث في العصر الأخير هذا الشيخ أحمد محمد شاكر، فقال في صدر تخريج أحاديث تفسير الطبري:

«.. ثم تفضل أخي السيد محمود بمعاونتي في التخريج، فخرّج الكثير من الأحاديث في كثير من الأجزاء، وهو لذلك أهل والحمد لله، بما أوتيه من دقة النظر، والدأب على البحث، والثقة فيما ينقل عن الدواوين والمراجع، وكنت - ولا أزال - مطمئنًا إلى عمله، واثقًا به عن خبرة وبينة، حتى إذا شغلتني شواغل جمة منذ أول الجزء التاسع تفرّد هو بالتخريج» مقدمة الجزء الحادي عشر من تفسير الطبري.

وكان صدّاعًا بالحق، يقول ما يعتقد بجرأة وحماسة ممزوجة بحدة، لا يخشى في الله لومة لائم.

وقد تكون بعض الآراء التي يراها موضع نظر عند بعض أهل العلم، وله رأي في مسألة الإعجاز، وقد ذكر لي أن هذا الموضوع أخذ منه اهتمامًا كبيرًا، وحدثني أنه سجل رأيه في كتاب أفرده لهذا الموضوع. وذكر الأستاذ أيمن فؤاد السيد أن من الكتب التي ألفها الأستاذ محمود وهي تحت الطبع كتاب «مداخل إعجاز القرآن». وله آراء خاصة في بعض الرجال المتقدمين والمعاصرين، ويشتد على من يريد نقدهم وتبدو شدته هذه في حديثه لا في كتابته غالبًا.

وإني لأشهد أنه كان صادقًا في قوله، وربما لا يوافقه كثير من الناس على آرائه في الرجال، ولكنه مصيب في كثير منها، وقد سمعت رأيه في عدد ممن كنت أحسن الظن بهم وتَبيَّن لي بعد ذلك أنه كان سديد الرأي فيهم.

ومهما يكن من أمر فالكمال لله والعصمة لرسله الكرام.

وكان الأستاذ محمود في علمه وسلوكه مدرسة مؤثرة، فقد ترك أثرًا كبيرًا في عدد من الرجال والعلماء الذين تلقوا عنه كثيرًا من المعارف، وأصول التحقيق، والتوعية وتقويم الرجال والأحداث، أذكر منهم على سبيل المثال أخي وصديقي العلامة الدكتور محمد رشاد رفيق سالم رحمه الله الذي كان وثيق الصلة به وقد أفاد منه في المجالات التي ذكرنا.

وكان غيورًا على الإسلام وعلى لغة القرآن، ومن أجل ذلك خاض معاركه الأدبية مع طه حسين، ولويس عوض، وعبدالعزيز فهمي.. ومع دعاة التغريب.

وكان يعيش قضايا عصره يعالجها في وعي عميق وإيمان قوي تلمس ذلك في إدراكه الأخطار التي تواجه هذه الأمة، ويتجلى هذا في الرسالة العظيمة التي أرى من المهم جدًا أن يطّلع عليها ويقرأها كل مسلم في هذا العصر وعنوانها «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» وهي في الأصل مقدمة الطبعة الجديدة لكتاب المتنبي أفردها بالنشر.

ويتجلى أيضا في تلك المقدمات الموجزة البليغة التي كان يُصَدِّر بها أجزاء تفسير الطبري. وأنا مورد لك أيها القارئ الكريم بعضا منها لتلمس هذا الإيمان الصادق العميق ولترى مشاركته أبناء عصره آلامهم من المحن الكثيرة التي يمرون بها.

قال في مقدمة الجزء الثامن - وكان قد أصدر هذا الجزء أيام العدوان الثلاثي على مصر المسلمة:

«اللهم نصرك يا ناصر عبادك المؤمنين، وقاهر الجبابرة المتكبرين، اللهم أيدنا بروح منك، وأنزل على قلوبنا السكينة، وثبت أقدامنا في الروع، ويسرنا لبذل أموالنا وأنفسنا في جهاد عدوك وعدونا، واجعل لنا من لدنك سلطانًا نصيرًا.

يوم من أيام البلاء الذي يبتلي الله به عباده الصابرين، ليمحص قلوبهم، ويلزمهم كلمة التقوى، وكانوا أحق بها وأهلها، ويثيبهم من بعد ذلك فتحًا قريبًا.

يوم يذكره كل مسلم في الأرض، يوم بغى فيه أهل البغي والفجور على أرض مؤمنة عدوانًا وظلما، يوم من أيام ملاحمنا الباقية في تاريخ الأمم، تعاونت علينا فيه دول الطغيان البذيء الفاجر بغدر وخسة ونذالة.

يوم باقٍ في قلب كل مؤمن يذكّره بهذه العداوة التي تلتهب بها صدور أقوام يخادعوننا في السلم، ليغتالونا في الحرب.

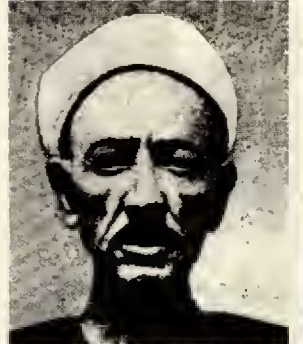
فاللهم أحْيِ في قلوبنا عداوة أعدائنا وأعدائك، وبصّرنا في ظلمة الفتن، واملأ قلوبنا صبرا، وابعث في نفوسنا نارًا تنهى عدونا أن يظن بنا التسليم لطغيانه، والمخافة من بأسه.

لقد بغي علينا، فاللهم حبب إلينا الإيمان بك، وثبتنا على التصديق بوعدك، واجعل الشهادة في سبيلك غايتنا، والجهاد في سبيل ديننا هادينا، وانصرنا نصرًا مؤزرًا، واجعل أيدينا نكالاً للباغين، وأنت وحدك أشد بأسا وأشد تنكيلا، فنكل بهم حيث كانوا، لك العزة في السموات والأرض، اللهم اغفر لنا وتب علينا، وانصرنا على القوم الكافرين».

وقال في مقدمة الجزء التاسع لتفسير الطبري:

«..اللهم هذه معاصينا نشهد بها على أنفسنا شهادة حق طلبا لمغفرتك، فاحملنا على سواء السبيل بهدايتك، فإنه لا يهدي إلى الخير إلا أنت، وأقل عثراتنا في ظلم أنفسنا، فإنه لا يقيل عثرات خلقك إلا أنت، وأَمسك على





د. شاكر محمد كامل الفحام — الشيخ محمد شاكر — سيد بن علي المرصفي

ألسنة الضلالة بقدرتك، فإنه لا يكف غرب الألسنة الضالة إلا أنت.

اللهم انزع من قلوبنا الغش لأهل دينك، فقد ألقينا في زمان فلما تتورع فيه صدور كبرائه عن غش من أصارهم الله ربُنا لهم رعية، وبذنوبنا سلطت علينا من مرجت عهودهم، وأطبقت الغشاوة على أفئدتهم، وأنت المسؤول أن تتداركنا برحمتك وعصمتك.

... اللهم نجنا من فتنة المحامد وحبها، في زمان غلب على ذوي سلطانه أن يحبوا الحمد بما لم يفعلوا، فكذبوا على عبادك واستجلبوا الثناء لأنفسهم بما ناقضته أعمالهم، فاستوعبوا إليه وإلينا غش الصدور، واستطلقوا لنا الألسنة متبجحة بما لم تفعل، وصرفهم حمد الناس بما لم يفعلوا عن إتيان ما فيه رضاك.

اللهم هذه أمتك قد أخليت بينها وبين عدوها وعدوك، فنسألك بجبروتك الذي لا يغالبه جبروت، وبغفرانك الذي لا يدانيه غفران، وبرحمتك السابغة التي وسعت كل شيء أن تتغمد عصيان عاصيها لطاعة مطيعها، لا يغفر الذنوب إلا أنت، ولك العتبى حتى ترضى يا من بيده ملكوت السموات والأرض».

وقد كان له فضل عظيم في توعية تلامذته وأبناء أمته، وأستطيع أن أذكر أهم معالم هذه التوعية فيما يأتي:

- الدعوة إلى الرجوع إلى المصادر، وعدم الاكتفاء بهذه الدراسات الحديثة عن الإسلام، والتحذير من بعض الآراء التي فيها.

- التنبيه على الدسائس التي دُسّت علينا في ثقافتنا، ولاسيما في التاريخ، كالوقوع في معاوية وعمرو بن العاص وعثمان رضي الله عنهم. لقد كان ينبه على ذلك في أحاديثه وفي مقالاته كمقالته التي عنوانها: «لا تسبوا أصحابي».

- بيان خطر مناهج المستشرقين وهدمهم الخفي في كيان الأمة وفكرها.

وكان عظيم الحفاظ على كرامته عظيم الاعتداد بنفسه وعلمه.

نعم لم يكن يتهاون في الحفاظ على كرامته، وكان يرد بعنف على من لا يرعاها، وقد حدثني عن موقف تعرض له عندما ذهب إلى بغداد بدعوة رسمية لحضور ندوة أدبية، فتصرف المستقبلون تصرفًا لم يره لائقًا.. إذ خصوا بعض أعضاء الوفد بلون من المعاملة والإكرام دون الآخرين، فما كان منه إلا أن صمم على الرجوع من المطار.. وكانت أزمة.. تداركها المسؤولون بالاعتذار إليه.

وقد شهدت له بنفسي موقفًا مماثلاً، رحمه الله رحمة واسعة.

وكان يرى ضحالة علم كثير من أصحاب الألقاب والمراكز.. فيبدون أقزاما أمامه فيحمله ذلك على تبيين حالهم وضعفهم عندما يُذكرون في مجلسه، ويظهر بذلك ضمنيًا اعتداده الكبير بعلمه ونفسه.

وكانت معرفته بأساليب التعبير عند العلماء القدامى وبمصطلحاتهم معرفة وافية، ومن أجل ذلك

أمة وحده!

كان قادراً على حلّ أصعب العبارات وفهم ما تضمنته من معان.

وكان ذواقة للنص الأدبي على نحو فريد قليل النظير. ولذلك كان كثيراً ما يسخر من بعض الكتابات التي كان ينشرها بعض الأقزام. والتذوق موهبة إذا رافقها العلم كانت شيئاً عظيماً (انظر ما كتبه عن التذوق في كتاب القيم: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا).

وكان كريماً في خلقه وعلمه وقراه.

لا يبخل على أحد في حلّ معضلة علمية، أو إرشاد إلى خطة، أو إجابة عن سؤال، أو دلالة على مرجع، أو بذل كتاب. وكانت داره مقصودة من قبل طلبة العلم والعلماء من مختلف الأقطار، وكان حاضر البديهة قوي الذاكرة.

وكان دمثاً في معاملته، له مداعبات لطيفة تدل على عظيم وفائه لتلامذته وإخوانه، يشكر من قدم إليه معونة في تصحيح كتاب أو في رعاية صحته.

فقد شكر الأستاذ أحمد راتب النفاخ والدكتور شاكر الفحام في مقدمة «طبقات فحول الشعراء» ص71، قال:

«ولا أستطيع أن أتجاوز هذا الموضع دون أن أذكر لكثير من أهل العلم والفضل ما أعانوني به في تصحيح هذه الطبعة الجديدة، أولهم أخي الأستاذ أحمد راتب النفاخ ثم أخي الدكتور شاكر الفحام...».

وذكر في مطلع السفر الثاني من كتاب المتنبي الأستاذ النفاخ فقال:

«ثم ألحقت بهذا التاريخ ثلاث تراجم للمتنبي لم تُنشر، لأن الكتب التي نُقلت عنها لم تزل مخطوطة، ولأن فيها شيئاً جديداً كثيراً عنه لم يقع لي ولا لأحد قبلي.. وكان الفضل كل الفضل في الوقوف على هذه التراجم الثلاث مصروفاً إلى أخي وصديقي الأستاذ الجليل أحمد راتب النفاخ عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.. وشكري له لا يفي بقليل كرمه فكيف بالكثير الذي غمرني به آسيا ومواسياً في كل ضراء لحقتني، أو آتياً وموانياً في كل سراء زادها بهجةً إسراعُه إليّ...».

وقد شكر سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز الذي قدم له العون في المداواة على نفقته مما ألمّ بعينيه، فقال في مطلع الجزء الأول من كتاب «المتنبي»:

«... وقد لطف الله بي، فردّ عليّ بصري بعد إظلام. أما الرجل الذي أجرى الله على يديه لطفه بي، واستنقذني بمروءته من العمى، وحاطني حتى عدت بصيراً، فإني لا أملك له جزاء إلا الإقرار بفضله، وإلا الدعاء له كلما أصبحت وأمسيت. صديق لا تنام صداقته عن أصحابه، ورجل لا تغفل مروءته عن غير أصحابه.

ثم هو بعد غني عن اللقب بمكارم أخلاقه، وفوق كل لقب بسماحة شيمه: نايف بن عبدالعزيز آل سعود.. لم يزل منذ عرفته قديماً يزداد جوهره على تقادم الأيام سناً وسناء. صرّحت بذكر اسمه مطيعاً لما يرضيني، عاصياً لما يرضيه».

وقد أثنى على علمه وفضله وكتابته عدد من الأعلام والشعراء، ولو أراد جامع أن يجمع ثناء رجال الفكر والأدب عليه لكان من ذلك سفر كبير.

مقالاته وكتبه:

سبق أن ذكرت المجلات والصحف التي كان ينشر فيها مقالاته وهي كثيرة جدا. وقد قال الدكتور محمد رشاد سالم:

«هذا وستظهر قريباً إن شاء الله مجلدات عدة تتضمن مقالات وأبحاث الأستاذ محمود شاكر المتناثرة في المجلات الثقافية والعلمية. وقد أشرف على حصرها وترتيبها بعض تلامذته» ص11 من مقدمة كتاب دراسات.

أما الكتب والتحقيقات التي أصدرها فكثيرة نذكر منها ما يأتي:

1- ستة عشر جزءاً من تفسير الطبري. بلغ فيها الأستاذ محمود الذروة في التحقيق، وجاء بمنهج لم يُسبق إليه، ففاق ما يعجب بعض الناس من عمل المستشرقين ومن على شاكلتهم، واخترع أنواعاً من الفهارس لا تُعرف عند غيره كفهرس المسائل النحوية، وفهرس المصطلحات، وفهرس الكلمات اللغوية التي لا وجود لها في المعجمات.. وغير ذلك.

2- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلاّم الجمحي: وقد نشره أول مرة سنة 1952م، ثم نشره نشرة أخرى موسعة سنة 1974م، وهي التي يعتمدها المحقق، وقد صدرت في جزأين.

3- برنامج طبقات فحول الشعراء: وهو كتاب رد الأستاذ محمود فيه على مقال للدكتور علي جواد الطاهر كان نشره في المجلد الثامن من مجلة المورد العراقية (1979م) وقد صدر البرنامج سنة 1980م.

4- المتنبي: كان الأستاذ شاكر قد نشر في مطلع سنة 1936م كتاباً عن أبي الطيب في عدد خاص من مجلة المقتطف، ثم أصدره بعد ذلك في سفرين في سنة 1977م، ثم أعاد طبعه سنة 1987م وكتب له مقدمة طويلة ومهمة. وقد نال عليه جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي عام 1404هـ/ 1984م.

5- فضل العطاءعلى العسر لأبي هلال العسكري: صدر سنة 1353هـ/ 1934م.

6- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع لتقي الدين المقريزي: صدر المجلد الأول منه سنة 1940م.

7- المكافأة وحسن العقبى لأحمد بن يوسف بن الداية: صدر سنة 1359هـ/ 1940م.

8- جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار: صدر سنة 1962م.

9- شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد السكري: حققه عبدالستار فراج وراجعه محمود شاكر، وصدر سنة 1965م.

10- أباطيل وأسمار: صدر 1385هـ/1965م، ثم صدر في جزأين سنة 1972م.

11- كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى لأبي تمام: حققه عبدالعزيز الميمني وزاد في حواشيه الأستاذ محمود محمد شاكر، وصدر سنة 1970م.

12- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار لابن جرير الطبري: صدر في ستة أجزاء سنة 1402هـ/1982م.

13- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني: صدر سنة 1984م.

14- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني: صدر سنة 1412هـ/ 1991م.

15- أخرج الأستاذ محب الدين الخطيب كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة سنة 1927م، وذكر في مقدمته أن الأستاذ محمود محمد شاكر صحح صفحات من هذا الكتاب. أي كان عمره حينذاك 18سنة.

هذا وقد كان الأستاذ محمود رحمه الله شاعراً مجيداً، وهذا جانب فيه لا يعرفه كثير من الناس، فقد نشر عدداً من القصائد في المجلات، وأحسب أن في أوراقه كثيراً غيرها، ومن أشهرها «القوس العذراء» وقد درسها عدد من الأدباء والنقاد.

وحبذا لو جُمعت في ديوان هذه القصائد وغيرها مما في أوراقه، وقد أحصى الأستاذ أيمن فؤاد السيد المنشور منها.

ويمتاز الأستاذ شاكر أيضاً ببيانه العظيم وأسلوبه الجزل المتين، فنثره قطع من البيان الساحر.

وبعد فقد مات هذا العالم الكبير في الرابع من ربيع الآخر من عام 1418هـ (الموافق 1997/8/8م) ولكن ذكره باق ما بقي الدهر إن شاء الله.

روى الإمام السمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء» عن يحيى بن أكثم أن الرشيد، وهو الذي دانت له المعمورة ولم يكن في عصره ملك أعظم منه، قال له:

«نحن نموت ونفنى، والعلماء باقون ما بقي الدهر» أدب الإملاء والاستملاء ص20.

رحم الله أبا فهر، وجزاه عن خدمة القرآن ولغة القرآن خير الجزاء، وأكرم نزله، وأحلّه في الفردوس مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

العناصر الدرامية في أعمال توماس هاردي

د. علي بن أحمد الغامدي

يبدو أن قصص الكاتب الإنجليزي توماس هاردي (1840-1928م) ورواياته وقصائده تحتوي على عناصر درامية أكثر من مسرحيته اليتيمة «ديناست» THE DYNASTS (1904م) التي تعدّ آخر ما كتب من أعماله الأدبية الكبيرة. ففي هذه المسرحية قام هاردي بإجراء تغيير كبير في البنية المسرحية مخالفا بذلك النمط المسرحي الذي كان سائدًا في عصره، كما تنكّر للأساليب المسرحية التي استخدمها بشكل فعال في رواياته.

فمثلاً يتصف بناء رواياته «أبناء الريف» WOODLANDERS و«عودة ابن البلد» THE RETURN OF THE NATIVE و «تس» TESS التي سبقت جميعها مسرحيته «ديناست»، بأنه ذو طابع مسرحي صرف. فقد عمد هاردي إلى إعطاء هذه الروايات صبغة درامية فركز على خط واحد من الأحداث التي تتابع حتى تبلغ ذروتها ثم تنحدر باتجاه النهاية. هذا النموذج من البناء الدرامي واضح جدا في روايته «عودة ابن البلد»؛ فقد قام بتقسيم الرواية إلى خمسة أجزاء أسوة بالمسرحية الإليزابيثية التقليدية ذات الفصول الخمسة. وتصل عقدة الرواية ذروتها في الفصل الرابع من الجزء الثالث عندما توافق أيوستيشيا على قبول عرض كلايم بالزواج منها، وذلك في أثناء ليلة خُسف فيها القمر. أما قصته «الغرباء الثلاثة» THE THREE STRANGERS فتحتوي على أسلوب درامي من نوع آخر. ففيها رسم هاردي منظرًا لحفلة جميلة مملوءة بشخصيات رئيسة وثانوية تجتمع كلها في مكان واحد تظهر وتختفي، وتحتاج هذه القصة إلى تغير بسيط لتتحول إلى مسرحية ذات فصل واحد محكمة الأحداث. أيضا «فالغرباء الثلاثة»، كرواياته الأخرى، تحتوي على حوار مسرحي واضح.

لقد اهتم هاردي بإعطاء كل شخصية من شخصياته نمطا خاصاً بها، وتكثر في رواياته المواقف المثيرة والصدامات بين هذه الشخصيات. ومثال ذلك لقاء زوجة فتزباير بخليلة زوجها في الفصل الثالث والثلاثين من رواية «أبناء الريف»، أو لقاء روضة مع زوجة عشيقها السابق في الجزء الرابع من قصة «الذراع الذابلة» THE WITHERED ARM، أو لقاء تس مع إنجل وحديث كل منهما عن ماضيه في رواية «تس». إن هذه الأحداث في رواياته المختلفة تكاد تتضرع إلى كاتبها كي يحولها إلى مشاهد مسرحية تؤدى على خشبة المسرح. وقد تحولت معظم روايات هاردي إلى أفلام سينمائية وذلك لتوافر العناصر المسرحية بها.

ومن ناحية أخرى، فإن هاردي قد برع في إيجاد منولوجات مؤثرة في أعماله النثرية كما في قصائده مثل قصيدة «العازف الكنسي» THE CHAPEL - ORGANIST. وفي حقيقة الأمر، فإن قصائده يمكن قراءتها على أنها حديث تأملي للشاعر مع ذاته الشعرية. علاوة على ذلك، نجد أن البناء الدرامي واستخدام الحوار والمنولوجات في الروايات يُظهر أن هناك اهتماما خاصا بالحركات المسرحية التي كانت سائدة في عصره. فبينما كان بعض رواد المسرح في ذلك الوقت من أمثال إبسن وشو وشيكوف مهتمين بالمسرحيات التي تعالج قضايا اجتماعية، كان السواد الأعظم من المسرحيات ذات الشعبية العالية هي من نوع «الميلودراما» MELO-DRAMA، وهي مسرحية عاطفية مثيرة تعتمد على الحدث والعقدة أكثر من اعتمادها على تصوير الشخصيات. وقد هيمن هذا النوع من المسرحيات على المسرح الغربي خلال القرن التاسع عشر. وقد استغل توماس هاردي إقبال الناس على هذه المسرحيات فنسج قصصه ورواياته على نمطها، فجاءت كتاباته ممتلئة بمواقف مثيرة وأحداث غير متوقعة. كما ركزت على عنصر المصادفة وعلى بناء شخصيات ذات صفات وسمات فردية مميزة.

وباستثناء روايته «عودة ابن البلد» الذي اضطر إلى تغيير نهايتها لتصبح نهاية سعيدة، نجد أن أعمال هاردي الأخرى تفتقر إلى المفهوم التقليدي لنزعات الخير والشر، وإلى الإيمان بروح العدالة المطلقة التي تكافئ المحسن وتعاقب المسيء. وهي الفلسفة ذاتها التي على أساسها قام مفهوم «الميلودراما». فعالم هاردي الروائي عالم تسوده عدم المبالاة؛ لذلك فهو عالم تنقصه العدالة. ومن هذا المنظور نجد أن هناك إحساسا بالخوف من القيود التراثية، واهتماما بإبراز فقدان العدالة الاجتماعية في مجتمع الروايات تماما كما هو الحال في مسرحيات إبسن وشو التي تعالج قضايا اجتماعية. وقد نرى بعضا من ذلك في روايته «تس». ففيها لا يركز هاردي على الخطيئة التي ارتكبتها تس وما جرّت عليها تلك الخطيئة من آلام ومتاعب وشعور بالندم مما اضطرها إلى السعي لتخطي هذه المرحلة الحرجة من حياتها كما هو الحال في مسرحيات «الميلودراما»، ولكنه ركز على قوة رد فعل مجتمع «تس» على الجرم الذي ارتكبته، وكيف استطاع ذلك المجتمع أن يصوغ رد فعل إنجل

على تجربتها المريرة مع ألك. أما في روايته «أبناء الريف»، فقد ركز على النواحي النفسية وعلى القوانين والأعراف الاجتماعية المترسخة في شخصياته كتلك التي تجعل أمر الحصول على طلاق مثلا من المستحيلات؛ مما يزيد الشعور بالإحساس بالاضطهاد والإحباط.

لذلك نجد أن أعمال هاردي النثرية تتفق مع الشكل المسرحي السائد في عصره. ولعله استخدم عناصر «الميلودراما» من أجل إشباع رغبات قرائه آنذاك، بينما واصل اهتمامه بتقديم موضوعات مهمة وناقش في رواياته أفكارًا غير عادية.

وأخيرًا عندما كتب هاردي مسرحيته «دايناست»، رفض التزام الوسائل المسرحية التي استخدمها بكفاءة عالية في رواياته، فجاءت المسرحية تحمل في جنباتها بناء أشمل من بناء رواياته تعدّى به مسرحيات عصره وحتى مسرحيات العصر الإليزابيثي التقليدية.

فبناء «دايناست» والأفكار التي أُودعت فيها له طابع إغريقي ذو صلة بالمسرحية الإغريقية القديمة. وقد افتقد الشعر الحر الذي كتب به مسرحيته الخصوصية التي نجدها في نثر رواياته. فهو يقدم هنا قضية ما ولكن لا يبرزها لنا مشحونة بالعواطف الجياشة كما هو الحال في رواياته. وباستثناء بعض المشاهد مثل تلك التي تتحدث عن ميلاد ابن نابليون والأخرى الخاصة بالمواجهة بين نابليون وجوزفين يظل الحوار فاترًا وغير مستساغ.

وهذا لا يعني إطلاقًا أن هاردي غير قادر على وضع شخصياته في مواقف درامية جيدة؛ فقد فعل ذلك في رواياته من قبل وبنجاح كبير، ولكنه أراد محاولة اتباع نوع آخر من الدراما في مسرحيته «دايناست». لذلك نجد أن قوة المسرحية تكمن في حديث الشخصيات مع ذاتها الدرامية وفي المشاهد الصامتة. وكأنه بذلك يرفض ـ وبطريقة واضحة وصريحة ـ كل الوسائل المسرحية التي سادت في زمنه، وتلك التي سبقته أيضا باحثًا، في الوقت نفسه، عن فضاء أرحب ومسرح فلسفي يستقر في عقل المشاهد. وبهذا فهو أقرب إلى المسرح الوجودي ومسرح (اللامعقول) أو مسرح برشت الملحمي منه إلى مسرح العصر الفيكتوري. فالوسائل المسرحية التي استخدمها في «دايناست» أقرب إلى عالم السينما الحديث، وأبعد ما تكون من الوسائل المسرحية التي سادت في عصره.

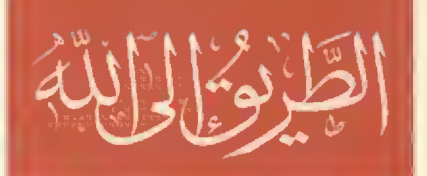
قصيدة

رحلة الخلود

شعر:

محمد علي آل توفيق

جاء يحبو وبعينيه بريق يتنوّر
يتغنّى مثل طير ألف الدوح فأزهر
قد أتى الروض وفي الروض جمالٌ ليس يُحصر
فاستدارت حوله الآمال سكرى فتبصّر
أيُّ حلم قد غزاه مفعمًا بالحب أثمر
بالصبا يحلمُ، بالأسحار، بالحبِّ المطهَّر
بشباب لفَّه الحبُّ فأضناه وشمَّر
بنخيل باسقات ومروجٍ تتدوَّر
بصداح البلبل المسحور لمَّا يتبختر
ونسيم الصبح ألقى رحله هونًا وعسكر
ترقص الآمال في عينيه لحنًا ليس يُقهر
تائهًا في الموج يعدو وخطاه تتطوَّر
باحثًا عن نسمة الصبح وفجر يتبلور
لاتقل لي كان بالأمس ضياء فتكدَّر
كان فجرًا حالمًا يعبق بالحسن ويفخر
كان إنسانًا له في الناس ذكرٌ ليس يُنكر
كان ينبوع مروءات وإيثارٍ وأكثر
راكضًا يلهث كالملسوع في صبحٍ تكوَّر
غافلاً عمَّا سيأتي وزمانٍ عنه أدبر
قد طواه الموت حتَّى صار حلمًا يتكرَّر
وغدا في العالم الآخر لحنًا يتفجَّر
كلُّ حيٍّ ليس يبقى والقضا أمرٌ مقدَّر
غاية الناس فناءٌ وصروف الدهر تزأر
هكذا الآمال تذوي والأماني تتقهقر
ثمَّ ماذا بعد هذا أيُّ شيءٍ قد تغيَّر
كيف هذا الحلم ولَّى عنه يومًا فتنكَّر
وإذا الصوت الذي أبحث عنه يتضوَّر
ذلك الصوت الذي قد شدَّ سمعي حين أسفر
فتوجَّهت إليه فنأى عنِّي وأدبر
ومضى يسرع كالريح إذا سار تدوَّرا!
فهو قد أصبح موجًا في خضم يتكسَّر



ياسين باينز

نفاق القساوسة شرح صدره للإسلام

ولد باينز ديديير عام 1960م لأسرة بلجيكية نصرانية غير ملتزمة، وقضى طفولته والسنوات الأولى من صباه وهو لا يذهب إلى الكنيسة إلا لماماً، حتى إذا بلغ سنوات الوعي في مرحلة الصبا، وجد نفسه تعفّ عن زيارة الكنائس، وتَملّكه إحساس بالنفور من القسيسين والرهبان لما رآه من تناقض أقوالهم مع أفعالهم، إذ أبت نفسه النقية أن تقبل بالحياة المزدوجة، وعافت نفسه زيارة الكنائس بعدما رأى القائمين عليها يُقَدِّمون التنازل تلو الآخر من أجل الحفاظ على استمرار مرتادي الكنيسة في زيارتها؛ إذ وجدهم يتغاضون عن موبقات كثيرة تُحَرِّمها النصرانية، مقابل أن يظل ولاء المنحرفين قائماً لعقيدة التثليث. فليس مهمّاً في عُرف هؤلاء أن يرتكب النصراني ما يشاء من محرمات وموبقات مادامت كل تصرفاته التي تخالف شريعة النصارى لا تمتد إلى إنكار التثليث والإيمان ببركات الآباء القسيسين والكرادلة وقدراتهم - التي يزعمون - على إدخال من يشاؤون الجنة، وحرمان مَنْ لا يحبون منها، وما عدا ذلك فللنصراني أن يفعل ما يشاء. وكيف لا يفعل؛ والأب القسيس على استعداد دائماً لأن يمنحه صك الغفران ويمسح خطاياه فيرجع بعد نطقه بسر الاعتراف نقيًا طاهرًا، كي يعود ليمارس من الموبقات ما يشاء، فباب الغفران تحت أردية القسيسين وعبر صناديق اعترافاتهم يسعه في أي وقت.

نفاق القساوسة وأسلوب التاجر

وعلى صغر سن باينز وكونه لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره، فإنه، بما حباه الله من عقل متفتح وفطرة سليمة، لم يستطع أن يستوعب هذا التناقض بين دعوة الكنائس إلى الفضيلة، وتغاضيها عن الرذائل التي يرتكبها رعاياها وأتباعها، وكأنها تتّبع في تعاملها معهم أسلوب التاجر الذي يعلق شعاره «الزبون دائمًا على حق»؛ فالمهم عندها أن تحتفظ بزبائنها أو أتباعها، وكيفما كانت التسمية، فالحقيقة واحدة لا تتغير وهي نظرة المصلحة التي تتعامل الكنيسة بمقتضاها.

كره باينز نفاق الكنيسة، وزاد ابتعاده منها، ومع ذلك لم يحاول أن يبحث عن عقيدة يعتنقها، ولماذا يبحث وها هي ذي العقيدة التي يؤمن بها أناسه وحكومته فارغة جوفاء، فتجربة الكنيسة كما رآها ألقت بظلالها السلبية على نفسه. فلم تعد لديه رغبة في اعتناق أية عقيدة، وبخاصة أن المجتمع المادي الذي نشأ فيه لا يجعله يحس بأنه يحتاج لغير المادة، والمادة فقط.

تساؤلات مُلِحَّة

لكنه مع ذلك كان كثيرًا ما يسأل نفسه عن حقيقة الكون وسره وكيفية نشأته، لكنها ظلت مجرد تساؤلات لأنه لم يجد وقتها الإجابة المنطقية عنها.

وعلى بلوغ باينز سن الخامسة عشرة؛ إلا أنه لم يكن قد سمع عن الإسلام شيئًا يُذكر، بل على الأصح كان ما سمعه عنه سبابًا مغرضًا من القسيسين ومتعصبي النصرانية، لذا لم يضعه ضمن خياراته في بحثه عن إجابة سؤاله عن الكون ومن أين جاء؟ حتى شاءت عناية الله عز وجل أن يذهب مع أسرته إلى تونس، والتقى شبابها، وقابل شُبّانًا مسلمين غير ملتزمين، فلم يؤثروا في نفسه. وحدث يومًا أن التقى معلم القرية التونسية المسلم، فدعاه الأخير إلى دخول الدين الإسلامي، وحاول أن يشرح له معنى أن يكون مسلمًا؛ ولم تجد هذه الدعوة صدى مباشرًا لديه، لكنها أثمرت في تشويقه لمعرفة حقيقة الإسلام.

الإسلام هو الحل

وما إن عاد باينز إلى بروكسل حتى بدأ يدرس اللغة العربية من الكتب، كما أمضى عامين في المركز الإسلامي يبحث ويدرس، وكان - آنذاك - لم يتجاوز بعد سن العشرين، وما لبث، بعد أن تمكّن من اللغة العربية، أن سعى إلى ترجمة لمعاني القرآن الكريم، وقرأها فلم يحس بشيء يجذبه كثيرًا إلى الإسلام، حتى إذا قويت لغته العربية وبات قادرًا على قراءة القرآن الكريم باللغة العربية بادر إلى قراءته من مصدره، وشعر بقلبه يهتز ويتفاعل مع إعجاز القرآن الكريم وروعة بيانه، ولم تطل به الحيرة كثيرًا، فأسلم واختار أن يتسمّى باسم «ياسين».

اعتناقه الإسلام

لقد وجد ياسين باينز في الإسلام ما يتوافق مع فكره ومنهجه في الحياة، كما وجد في كتاب الله إجابات عن تساؤلات كثيرة طالما عصفت بعقله، ولم يعرف أجوبتها حتى اعتنق الإسلام، الذي هو نظام شامل ينظم علاقة العبد

بخالقه، وعلاقته بمجتمعه، ويحقق للقلب والعقل والنفس احتياجاتها الروحية والمادية في توازن بديع دونما غلو أو تفريط.

لم يجد المهتدي الجديد معارضة من أسرته في مسألة اعتناقه الإسلام، ذلك أنها ـ أي الأسرة ـ لم تكن يومًا ملتزمة نصرانيتها، ومن ثم لم تهتم كثيرًا بتركه عقيدة التثليث واعتناق عقيدة الإسلام ـ على ما بين العقيدتين من اختلاف كبير ـ، بل إن الأسرة تقبلت الأمر بالرضا، ولاسيما أنها لاحظت مدى ما أصابه من ارتياح بعد اعتناق الإسلام، على عكس شباب بلاده من النصارى الذين يعانون من توترات نفسية لعدم وجود القاعدة السليمة في حياتهم. أما أصدقاء ياسين باينز فإنهم لم يكونوا ذوي تأثير كبير فيه. وقد شغله العمل والدرس عن لقائهم، ومَنْ ظل يقابلهم منهم كانوا يحترمونه، بل إن بعضهم بدأ يتعرف الإسلام من خلاله، ويغير من النظرة السلبية التي زرعها المتعصبون من النصارى في أذهان البسطاء عن الإسلام.

حياة جديدة

وقد مَنَّ الله على ياسين باينز بزوجة مسلمة متحجبة من سورية الشقيقة، شاء الله أن يُعَوِّضها عن يتمها وفقدها والديها بزوج صالح مؤمن، يراعي ربه في أعماله خافيها وظاهرها. وكلا الزوجين المؤمنين يعيشان اليوم في سعادة ورضا في بيت يظلّه الإيمان وتدفئه المودة، وقد أنجبا طفلين حرصا على تربيتهما تربية إسلامية صحيحة.

وياسين اليوم، كلما تذكر أيام جاهليته الأولى، يشكر الله أن أتاح له أن يحيا حتى يعرف العقيدة الصحيحة ويعتنقها، ويؤكد لكل مَنْ يقابله أنه عندما بدأيفكر في اعتناق الإسلام اقتنع عقليًا، ثم ما لبث، حين شرح الله صدره للإسلام، أن اكتمل اقتناعه العقلي مع انسجامه الروحي، فشكّلا معًا الأساس التنظيمي الجديد لحياته بعد انتقاله من ظلام الشرك إلى نور اليقين الساطع، وهي نقلة تحتاج إلى قلب ثابت، وعقل متفتح، ويقين لا تهزه عاصفات الحياة.

قصيدة

عُروبتي

شعر: فاطمة حداد

عشقتُ ترابَ بلادي ... عشقتُ وهج الرمال
وكل سهلٍ ووادِ ... وشاطئٍ وظلال
وشدو طير وحادِ ... ومنهلٍ ونهال
يا للهوى والجمال
العندليبُ لعوبٌ ... والغصنُ خلٌّ طروب
والغاب يهمسُ لحنًا ... تهتزُ منه القلوب
كلُّ الطبيعة حِسٌّ ... وخفقُ نبضٍ دؤوب
عطفًا وعزفًا يذوب
وقلبيَ الصبُّ نايٌ ... للأرض شدوًا يجود
ينسابُ في كلّ شبرٍ ... عاشت عليهِ الجدود
أرض العروبة أرضي ... ومبعثي والوجود
ونبعُ خيرٍ وجود
ربوعُ عهدي ومجدي ... ومجمع الأولياء
وبيت حجي وقدسي ... ومولد الأنبيَاء
أجواءُ همسي وجرسي ... وملتقى الأقربَاء
والخلُ والرفقاء
يا ناظرًا لسمائي ... هلاّ عشقت الرحاب
هل ذقتَ خمرة مائي ... وهل شممت التراب
هذا التراب انتمائي ... به سموت انتساب
ومبتدًا ومآب
هويتي وخضابي ... ونبع مجرى الحيَاة
أمن رمادِ ثقابي ... أم الحياة الممات
أم تنبت الأرض خلقًا ... أم ذا رجيع الرفات
يا خالق المعجزات

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح الفوزان

حكم البنوك الربوية

البنوك الحالية في سائر العالم الإسلامي، كما هو معروف، أغلبها يتعامل بالربا، وأنا أحد الموظفين في هذه البنوك، وأتقاضى راتبي من البنك الذي أعمل فيه، لذا أرجو المساعدة في معرفة:

- حكم هذا الراتب؛ علماً بأنه يأتي من الربا الذي يتقاضاه البنك من المتعاملين معه، حيث يبيع المال بالمال إلى أجل بعيد أو قريب بشرط الزيادة أيضاً من طريق الفوائد والعمولات.

- حكم المكافأة التي تدفع إلى موظف البنك في نهاية الخدمة أو الاستقالة.

صالح أحمد صالح عبود
ص.ب 16إربد، الأردن.

لا يجوز العمل في البنوك التي تتعامل بالربا، لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان. وقد لعن النبيُّ صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه. ولعن الكاتب والشاهدين لتعاونهم على الإثم والعدوان.

حكم الرشوة

هل هناك أنواع للرشوة غير رشوة المال تدخل ضمن حكم الرشوة؟

محمد عبدالغفار الرفاعي
ص.ب 36292، دمشق، سورية.

كل ما يُدفع للمسؤول من قبل المراجعين من أجل إنجاز أعمال الناس التي عنده فهو رشوة مُحَرَّمة من مال أو منفعة أو غير ذلك مما يُنتفع به. وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي. وبناء على ذلك لا يجوز للمسلم الإقدام على هذا العمل سواء في حق الدافع أم الآخذ؛ لأن الرشوة سُحْت ومكسب خبيث ولها آثار سيئة على متعاطيها وعلى المجتمع بأي شكل كانت وبأي اسم سُمِّيَت فالأسماء لا تغير الحقائق.

النساء المسنّات والمَحْرَم

في الحج نساء كبيرات جداً في السن أتين لأداء الفريضة من غير مَحْرَم، فهل هذا جائز إذا كنَّ ضمن فوج من الأفواج؟

مروة فكري حامد
القاهرة، مصر.

لا يجوز سفر المرأة من دون محرم صغيرة كانت أو كبيرة للحج أو غيره؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا مع ذي محرم». وَرَدَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم رجلاً من الغزو ليحج مع امرأته، والجماعة من النساء لا يكفين عن المحرم.

حكم قراءة الفنجان

اعتادت بعض النسوة قضاء أوقاتهن فراغهنّ بقراءة الفنجان كنوع من التسلية لا عن يقين، فهل هذا يجوز؟

عبير إسماعيل عبدالعظيم
الرياض.

قراءة الكف والفنجان من الشعوذات والخرافات المحرمة، فلا يجوز للمسلم الاشتغال به ولا إقراره. بل يجب إنكاره ومنعه لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان». وقراءة الفنجان من أعظم المنكرات لأنها تخل بالعقيدة؛ حيث يستعملونه لادّعاء علم الغيب.

البيع بالأجل

أنا أمتلك سيارة قيمتها 350000ليرة سورية، هل يجوز لي بيعها بمبلغ 500000 ليرة بحيث يدفع المشتري القيمة بعد ثلاثة أشهر أو ستة، علماً بأن هذه الطريقة تكثر في بلادنا، والعلماء بين مبيح لها ومحرم.

محمد علي بن شواخ
منبج، حلب، سورية.

يجوز بيع السلعة بقيمة مؤجلة أكثر من قيمتها الحالية وتكون الزيادة في مقابل التأجيل، لأن الأصل في المعاملات الحِلّ والإباحة، ولأن هذا من باب المداينات المباحة كدَيْن السَّلَم وغيره. وقد قال الله تعالى: *يا أيُّها الذينَ آمنوا إذا تَدايَنْتُم بِدَيْنٍ إلى أجَلٍ مُسَمّى فاكتبوه*.. الآية. وقد استدان النبي صلى الله عليه وسلم، وليس مع مَنْ مَنَعَ مِنْ ذلك دليل شرعي. وبالله التوفيق.

روّاد الأدب في بلادنا كـثـر. ولست بمدّعٍ أنني عرفتهم جميعاً. ولكن الأقطاب منهم كـان لي مع بعضهم لقاء، كما أتاح لي عملي في الصحافة الاقتراب كثيراً من آخرين منهم. وعن هؤلاء وأولئك يسعدني أن أكتب لـ «مجلة الفيصل» بعض ما عرفته عنهم أو تعلمته منهم.

1

حمزة شحاتة

عبقريّ زمانه!

.. من المؤكد أننا جميعًا مبصرون. ولكن الذي لا شك فيه أن المرئيات ـ حجمًا وقدرًا ـ تختلف من شخص لآخر بمقدار اختلاف قوة الإبصار، وتباين الموقع قربًا وبعدًا!

فعينُ القريب موقعاً ترى مالا تدركه الأبصار النائية، كما أن عين المحب تبصر مالا يراه سواه؛ بل إن لهوى الإنسان نظرة تتشكل بما للهوى من أحكام؛ ولعل هذا هو ما عناه الشاعر بقوله:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا



عبدالله عمر خياط

وللبوصيري تجسيد لهذا المعنى بتعبير آخر؛ إذ يقول:

قد تُنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

ومما يُروى في هذا المجال، مما تحكم به المشاعر أن «لبنى» التي مات «قيس» ولهًا بحبها، بعد أن أجبره أبوه على طلاقها، دخلت يومًا على أحد الخلفاء؛ فلم ير فيها من الجمال ما يسترعي الانتباه، فسألها: أي شيء رأى فيك قيس جعله يهيم بك؟

فردت عليه: لو نظرت بعينه لرأيت ما ملأ فؤاده بحبي!

وكما تختلف النظرة باختلاف المشاعر؛ فهي تختلف أيضًا باختلاف الموقع. فقد سُئل الرئيس التونسي السابق الحبيب بورقيبة، في أعقاب هزيمة 1967م، عن رأيه في الحرب وما انتهت إليه؟ فكان أن قال:

«إذا أردتم إجابة دقيقة وصائبة، فإنه لا بدّ لي من أن أقتعد مقعد الرئيس جمال عبدالناصر وأكون في موقعه لأتبين الدوافع التي قادته للحرب، وما كان لديه من إمكانات، والكيفية التي استخدمها بها، أو الموانع التي حالت دون الانتفاع منها، والرؤية التي أبصر بها وكانت دافعه لشن الحرب».

هذه سطور كان لا بد منها، وأنا أحاول أن أقدم للقارئ الكريم عملاقَ الرواد في بلادنا، الشاعر الكبير والأديب الفذ الأستاذ حمزة شحاتة رحمه الله. فعلى ما كان له من مكانة سامقة لم يستطع أحد من جيله أن ينازعه فيها، فإن كثيراً من الجيل الجديد لا يعرف عنه شيئًا. وإني لأذكر أنني كنت ونفرًا من شُدَاة الأدب في بيروت قبل حين من الدهر، فأخذت أقرأ عليهم شيئًا من الروائع التي أحفظها من شعر الأستاذ حمزة شحاتة مما أطرب الجميع.

ولكن الصديق أحمد عبدالعزيز الحمدان ـ وكان من بين المجموعة ـ رفع صوته وقال: رائع هذا الشعر.. وأنتم دائمًا ما تتغنون بالأستاذ شحاتة وشعره.. ولكن الكثير، وأستطيع أن أقول: إن الجميع ما عدا معاصريه، لا يعرفون عنه شيئًا، فلماذا لا تنشرون شعره، وتتولون طباعة ديوانه؟

قلت: إنني أتمنى ذلك . ولكن الأستاذ حمزة يرفض، وبإصرار، طبع أي أثر له. بل إنه لينشئ القصيدة، وما إن يسمعها القريبون منه، حتى تتوه بين الأوراق فلا يبقى منها أثر إلا ما حفظته ذاكرة من سمعها منه!!

قال: يا أخي إذا توليتم جمع ما أمكن من شعره، وأصدرتموه في طباعة فاخرة، فلا أعتقد أنه يرفض ذلك.

قلت: لقد سبقت لي معه محاولات عدة، كان آخرها منذ عامين في القاهرة عندما كنت ضمن الوفد الصحفي المرافق لجلالة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ في أثناء زيارته للقاهرة عام 1388هـ/1968م وهو في طريقه إلى الرباط لحضور مؤتمر القمة العربي الثالث.

فـفي صبيحـة أحد أيام الزيارة اسـتقبل الملك فيـصل ـ رحـمـه اللـه ـ أبناءه الطلاب الذين يتلقـون الدراسة بالقـاهرة، وبينمـا كان الملك يتحدث عن التطور الذي شمل جميع الأوضـاع والمرافق في بلادنا، وعن الشـبـاب ومـا ينتظرهم من مـسـتـقـبل زاهر، وصل إلى المجلس الأسـتـاذ حمزة شحـاتة برفقة صديقه الأسـتـاذ جـمـيل بـرنجي، ومـا إن رأى الملك فيـصل حمزة شحاته على الباب حـتى دعاه للتقدم، وأشار إلى معالي الدكتور رشاد فرعون بأن يترك مقعده حيث كـان المجلس مزدحمًا بالسابقين من الحضور.


عبد السلام الساسي


عباس غزاوي


عبد المجيد شبكشي

عزيز ضياء

في ذلك المجلس ظل الأستاذ شـحاتة يستمع لحديث الملك فيـصل وتوجيهـاته لأبنائه الطلاب دون أن ينبس ببنت شـفة، فكان أن سـألته بعـد أن انتـهى الاجـتـمـاع، واسـتـقـر بنا المقـام في مكتب الأسـتـاذ محـمـد صالح باخطمة الذي كـان يشغل منصب القنصل العـام بالقاهرة، والذي اسـتضـافنا لتناول الشـاي عنده بعـد ذلك الاجتـمـاع: مـا لي أراك لُذت بالـصـمـت ولم تـعلق أو تشــارك في الحديث؟

قال: باطل وقبض ريح أن تطلب مني الحديث أو التعليق على كلام يقوله الملك العظيم فيصل. ثم ألا تعرف أن كلام الملوك ملوك الكلام؟!

وهنا تَدَخّل الأسـتـاذ الشـاعـر مـحـمد صـالح باخطمة، وقـال: لقد حـصلت لك على قصـيدتين من شعر الأستاذ حمزة لنشرهما في عكاظ.

قلت: إن ذلـك يسـرني. ولكـني أرجـو من الأسـتـاذ حـمـزة أن يعطينا مـا عنـده من الروائع الشعرية ليس من أجل نشرها في عكاظ فقط، وإنما لإصدارها في ديوان يقرؤه الناس عامة!

فما كان من الأستاذ حمزة شحاتة الذي كان ممسكًا بـكأس الماء ليـشـرب منه، إلا أن وضـعـه بعصبية على المنضدة التي أمامه ليقول لي بحدة: كنت أحسب أنَّ فيك شيئًا من العقل يا أخي! أي شعـر وأي روائع تـتحـدث عنهـا؟ ثم لماذا تريد أن تكشف سوءتي للناس عامة؟!

قلت: يا سيدي الأستاذ، إن جـميع من قـرأ شيئًا من شـعرك يعدّه من الروائع. وأنا واثق بأن ما لم يطلع عليه الآخرون هو الأكثر روعة.

قال: دعك من هذه الحماقة يا عبدالله، فليس في شعري ما يستحق أن يُنشر أو يُذاع بين الناس.

قلت: إن أرقَّ وأعـذب مـا قـرأناه من شـعـر المحدثين، لا يبلغ في مـسـتـواه الفني بعض مـا في شعرك من عذوبة وما في معانيه من سمو.

قال: إذا كان هذا رأيك، فـأنت لا تعرف من الشعـر شيـئًا، وهات مـا تراه مما تسـمـيه روائع لي لأظهر لك ما فيها من غثّ وركاكة وتفاهة.

ثم واصل قائلاً: لماذا يا تُرى تريد أن تعرضني

حاولت مرارًا حث حمزة شحاتة على نشر ديوانه، فرفض رفضًا قاطعًا؛ بل وصل به الرفض إلى حد تهديدي برفع الأمر إلى المحاكم!

لمهاترات بعض الصبية الذين يمارسون النـقد من الذين لا يعرفـون غير مـدح أصحـاب الثراء الذين ينفـحـونهم بالمنح، وأصـحـاب الصـحف الذين ينشرون لهم ما يكتبون من عبث.

قلت له: وما الذي يجعلك تتوقع ذلك؟

قال: هي الحياة.. وطبيعتها منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها. دع يا أخي شعـري وما تدَّعيه فيـه من روائع، فإن كل ذلك لا يعـدو أن يكون حفنة من مشاعر لا تقدم ولا تؤخر.

قلت: سأجمع ما يتـوافر لي من شعرك الذي نُشر من قـبل، أو ما يحفظه لك بعض أصـدقائك وفي مـقـدمـتـهم شـيـخنا الأستاذ عـبدالحـمـيد مشخص، وأتولى طبعه على حسابي.

وبانفـعـال حاد قـال الأسـتاذ شـحـاتة: بيني وبينكما المحاكم، ولن تفلتا من السجن إن أقدمتما على هذه الجريمة التي لا أغفرها لكما..

هذا هو حـمـزة شحاتة رحمـه الله، وإصراره خلال حياته على عـدم نشر شيء من نتاجه. وهو ما يؤيده مـا كتبـه الأستاذ الكبير عزيز ضياء في رثاء شـحاتة، وقـد نشره فـي كتـابه «جسـور إلى القمة» الذي صدر ضـمن السلسلة التي أصدرتها «تهامة» ـ الكتاب العربي السعودي ـ حيث يقول:

«ما كاد يُنشر خبر وفاة الأستاذ حمزة شحاتة في الثـاني عـشر من شـهـر ذي الحـجة عـام ألف وثلاثمئـة واثنين وتسعين، حـتى ازدحـمت جـميع صحف المـملكة ومجلاتـها بما جاشت بـه نفوس الأدباء والشعراء من مـشاعـر الفجيعـة والتقـدير لمكانته، والأسى والحسرة للخسارة بفقده.

وكـانت هـذه الهـزة التي مـرت فـي نفـوس الكتّـاب والأدباء، وعلى الأخص منهـم الشـداة والناشئون، ظاهرة قلَّ أن التفت إلى عنصر الغرابة فيها أحـد ممن ظلوا يوالون الكتابة عنه راثين، وفي رثائهم دفقـات من الإعجـاب بأدبه، وزخات من الإشادة بعبقريته.

وعنصـر الغرابة، في هذه الهـزة، وفي هذه الدفقات من الإعجاب، والزخات من الإشادة هو أن الأستاذ حمزة شحاتة يرحمه الله، ظل يحرّض أقـرانه ورصـفـاءه على الزهد في نشـر روائعـه في الشـعـر، وأسمـاط لآلئـه في النثر، وشـوارده من الحكم، التي تدخل ساحة مـا يُسمى (أفوريزم) أو الأقــوال المأثـورة من أوسع الأبـواب، ليـس في الأدب العـربي الحـديـث فـحـسب، وإنما ـ ودون مبالغة أو اندفـاع عاطفي ـ في الأدب العالمي على أوسع نطاق.

فكيف يتفق، أن تتقرر لهـذه الشخصية، هذه الشهرة الغامرة والصيت البعيد، وأن تتبارى أقلام الشداة والشبان في التحدث عن عبقريته وفنه،

عبقري زمانه! 1

طوال أسابيع وربما حتى اليوم، دون أن يتاح لهم، أو أن يتيح لهم الشاعر أن يقرؤوا إلا أقل القليل من أعماله.

لا وجه للدهشة أو الاستغراب، قطعًا، حين نقرأ للأستاذ أحمد قنديل أجمل ما توهجت به مشاعره أو مشاعر الراثين من الشعراء، في القصيدة التي رثى بها حمزة شحاتة.

وليس مما يؤخذ مأخذ الانسياق والاتباع، حين نقرأ ما كتبه أو يكتبه الشاعر الضخم الأستاذ السيد محمد حسن فقي، ولا نتردد في التقدير والإعجاب بما يكتبه الغريد الصموت الأستاذ حسين بن سرحان، لأن هؤلاء هم الذين عاشوا مع الشاعر، وعرفوا تفتح عبقريته، وازدهار عطائه، وامتلأت نفوسهم انفعالاً وتأثرًا بإشعاع تلك العبقرية، ونفحات ذلك العطاء.

وإنما الدهشة والعجب من هذا الفيض الذي ظل يتدفق من أقلام الشداة والشبان الذين لا أشك أن بينهم من لم ير الشاعر إلا فيما نُشر من صوره، ولم يقرؤوا له إلا ما نُشر في (شعراء الحجاز في العصر الحديث) و(الشعراء الثلاثة) وهما مؤلَّفان للأستاذ عبدالسلام الساسي. لست أدري، ولعلّي أشك، في أنهم قد اطلعوا عليهما..

تجاوزنا الحقيقة والواقع في شيء».

ثم يكشف الأستاذ عزيز ضياء عن أوجه الإعجاب وسمات الإبداع فيما كان من عطاء حمزة شحاتة وفكره الخلاق فيقول:

«ووجوه الإعجاب والتقدير بالمرحوم الأستاذ حمزة شحاتة لا تنحصر فيما عُرف به من تحليق في الشعر وإبداع في النثر، وإنما في كثير غيرهما من الوجوه والأسباب؛ فقد كان رحمه الله يمتاز بخليقة، لعلها من خلائق العبقرية وخصائصها، وهي القدرة المذهلة على إتقان ما يولع بإتقانه، بحيث لم يكن يرضى قط إلا بأقصى مراتب التفوق، ولا يقف ما يولع به عند الشعر أو النثر أو ما يتصل بهما من المعارف وألوان الثقافة الأدبية، فقد تعشق العزف على العود مثلاً، ثم لم يكتف بإجادة العزف، وإنما طمع في دراسة الألحان والمقامات والأنغام، فكان - رحمه الله - قمة من القمم في الموسيقى العربية، بحيث لو أراد أن يكون في الطليعة من كبار الملحنين لما كان يرضى بأن يكون إلا في الكفة الراجحة بين الأفذاذ من المشهورين في العالم العربي. ومرت به فترة أحس خلالها بحاجته إلى معرفة بالقوانين لمواجهة بعض مشكلاته، فلم يترك كتابًا أو بحثًا في هذه

العامة بما فيه من الطرائف والملح والنوادر التي تنساق وتنسجم مع الموضوع».

.. صادق عزيز ضياء.. فإن الحياة الفكرية والمجالس الأدبية لم تشهد له نديدًا ولا حتى قريبًا من ذلك.

فقد رأيته، أول ما رأيته، بمطابع الأصفهاني، وقد جاء إلى جدة في زيارة خاطفة حرص خلالها على زيارة صديقه الذي رافقه في الهجرة إلى مصر حينًا من الزمن، والذي عُيّن رئيسًا لتحرير جريدة «البلاد» بعد ما تحولت الصحف إلى مؤسسات: الأستاذ عبدالمجيد شبكشي. ولكن زحمة العمل واشتغالنا بمهامه، لم تدع لي فرصة الحديث أو الاستماع إليه، ولذلك قلت إنها كانت رؤيا.. لكن الأستاذ الكبير عزيز ضياء دعانا في مساء اليوم التالي لتناول طعام العشاء الذي أقامه على شرف الأستاذ حمزة شحاتة، وحضره كبار الأدباء أذكر منهم من تسعفني الذاكرة بأسمائهم - مع حفظ الألقاب -: محمد حسين زيدان، أحمد قنديل، عباس فائق غزاوي، ضياء الدين رجب، عبدالمجيد شبكشي، وغيرهم كثير.. ومع ذلك ظلوا جميعًا وكأنهم في كُتّاب من تلك الكتاتيب التي تلقينا فيها مبادئ العلم قبل دخول المدارس حينما كان الأستاذ يتوسط طلابه ليلقنهم أصول العلم وهم في إنصات بالغ.

فلقد ظل الأستاذ حمزة شحاتة - يرحمه الله - يتحدث على امتداد ساعتين عن الفرق بين المدنيّة التي هي التأريخ والأصالة، والحضارة التي هي استخدام مكتسبات العصر؛ كاستخدام السيارة والطيارة والثلاجة والتلفاز مما يصنعه الآخرون، ونستعمله لنكون في مستوى حضارة العصر.

ساعتان من الزمن سبقتا العشاء وثلاث ساعات بعده، والأستاذ شحاتة يتحدث في مجلس يضم كبار الأدباء والشعراء، ومع ذلك لو رميت دبوسًا صغيرًا لسمعت له صوتًا أو رنينًا، انبهارا وتقديرا للمكانة التي احتلها الأستاذ حمزة شحاتة، وباعتراف الأستاذ عزيز ضياء الذي سبق هذه السطور، وشهادة بعض من كتب من معاصريه الذين سننقل عنهم في الحلقة القادمة شيئًا مما كتبوه عنه بعد تقديم نبذة عن حياته.

قال عزيز ضياء عنه: كان حمزة شحاتة يمتاز بخليقة، لعلها من خلائق العبقرية، وهي المقدرة المذهلة على إتقان ما يولع بإتقانه!

وإذا كان لابد من تفسير لهذه الظاهرة، ولابد أن نسميها كذلك، فهو أن أقل القليل هذا الذي نُشر له، كان له من الأثر في النفوس، والإيغال في المشاعر، والرسوخ في الأذهان ما لا يتوافر لغير حمزة شحاته إلا بالكثير والمتواصل من العطاء. على أية حال، لابد لنا أن نقول: إن الكلمة التي تناسب حجم عطائه النثر، وعبقريته النادرة في الأدب والفن والفكر، في هذا البلد، لا سبيل إلى أن تقال إلا بنشر ما لم يُنشر من شعره ونثره، ومن رسائله التي تكوّن وحدها لو أتيح جمعها كتابًا ضخمًا لا أشك في أنه سيغني الحياة الفكرية عندنا، ويضيف إلى تراثنا ما لو قلنا إنه الأقدر على أن يتسنم القمة بالنسبة لكل ما تمخضت عنه الحياة الأدبية والفكرية في العصر الحديث، لما

القوانين، إلا قرأه واستوعبه إلى حد يذهل من يوكله من المحامين. وعندما شاعت لعبة (الكيرَم) في أوائل الثلاثينيات من هذا القرن، أتقنها إلى حد كان يحمل المشهورين بالبراعة فيها على السفر من جدة إلى مكة أو بالعكس لمباراته فيها، والعجيب أنه كان الفائز في هذه المباريات في أغلب الأحيان.

أما حمزة شحاتة كمتحدث، فليس من المبالغة في شيء إذا قلنا: إن الحياة الفكرية عندنا، لم تشهد له مضارعًا قط.. حسبك أنه يملأ المكان مرحًا، وإعجابًا وحيوية، على رغم ما قد تكون عليه مادة الحديث وموضوعه من التوغل في قضية من قضايا الفكر التي يندر أن تشد جميع من يسمعون الحوار، وقد كان أسلوبه يشد حتى

العاصفة

إبراهيم .ح. عبدالله



عاد «جمال» الملازم في قوى الأمن الداخلي إلى منزله، وهو يشعر بأنّ حملاً ثقيلاً قد أزيح عن كاهله. فقد نجح بعد عناء طويل في كشف ملابسات جريمة قتل الشرطي حامد عبدالعزيز على يد الثري عبدالرحمن، وقام بتسليمه إلى العدالة. وقف أمام صورة أبيه المكني بأبي هشام، وقال: لقد سحقتُ سطوة المال يا أبي، وانتصرتُ لحقّ ضحيتين للسفاح عبدالرحمن الجابر. وإنني لأشعر الآن بسعادة تفوق كثيرًا راحة الضمير التي طالما أوصيتني بالتزامها.

دخل غرفة نوم ذات سريرين، وهو يردّد لنفسه: سأنام يومًا كاملاً، بل أيامًا. سأقضي إجازتي كلها في النوم. بدّل ملابسه واندسّ في الفراش.

دوّى في الخارج قصفُ الرعد، واشتد هبوب العاصفة، وأخذت حبّات البَرَد تضرب نافذته بعنف، وعلى مسافة قريبة كان ساعي البريد يندفع مسرعًا في اتجاه المنزل.

كانت الرسالة التي تسلّمها والموجهة إلى أبيه حدثًا محيّرًا، أثار في نفسه تساؤلات أودت بقدرته على النوم. وقف متردداً أمام درج مقفل في دولاب الملابس، ثم التفت إلى السرير الفارغ الذي كان مخصصًا لأبي هشام، وراح يحدّث طيفه مؤمّلاً في التوصل إلى قناعة تعفيه من وصيّته الملزمة بعدم فتح هذا الدرج قبل بلوغه سنّ الخامسة والعشرين. غلبه داعي الالتزام، فاستلقى على سريره، لكنّ تلك التساؤلات ظلّت تصدع رأسه.

فتح الرسالة من جديد، وراح يقرأ: «...آمل يا صديقي أن أكون مخطئًا في التقدير، وأن تكون قد بلغت أهدافك في تنشئة هذا اللقيط، ليصبح رجلاً فاضلاً وابنًا حقيقيًا يستحق ما أغدقت عليه من حنان وحب...».

ربّاه، من هذا اللقيط؟! أهو أنا؟! قلّب الرسالة التي لا تحمل اسمًا لمرسلها، وتأمل غلافها.. لماذا خلت من اسم كاتبها وعنوانه؟! حاول التركيز في استرجاع ماضيه، فلم يجد بين الوجوه القليلة التي دخلت المنزل ما يمكن أن يشفي غليله.

عاود وقوفه أمام الدرج وقال: لا بدّ من أن يكون الجواب هنا، ولكن عليّ الانتظار لعام وشهرين. سأخرج من البيت كي لا أخون الأمانة.

وقف أمام النافذة. كان المطر يسقط بغزارة بالغة، ونفحات الريح المتسرّبة إليه تنذر بخلع مصراعيها.. أخرج إلى أين؟ وماذا بعد؟

عاد إلى السرير. جعل رأسه بين طرفي الوسادة، وغدا فراشه في حالة يرثى لها بسبب تقلباته التي لم تهدأ. جلس وقد نال منه الإعياء. سأفتح الدرج. سامحني يا أبي. تناول المفتاح من علبة صغيرة موضوعة عليه، وأخرج عدة رزم من الأوراق النقدية ملفوفة بورقة كُتب عليها «هدية زواجك». وضعها جانبًا. ارتعشت يداه، وغمره الخوف وهو يفتح دفتر مذكرات متوسط الحجم.

«... جمال يا بني.. لقد غادرت الحياة وأنا مفعم أبوّةً وحبًا لك.. غادرتها، وأنت ولدي الوحيد الحبيب.. لا أدري كيف سيكون بك الحال لدى اطّلاعك على هذا السر الذي ربما أخطأت في كشفه.. وليسامحني الله على حقدي الذي لم ين يلازمني منذ لحظة سماعي لصراخك، وأنت معلّق طفلاً حديث الولادة في لفافة بغصن الشجرة التي انتحرت تحتها أمك المسكينة، والتهمت الوحوش قسمًا من جثتها. وظلّت صورة أبيك عبدالرحمن الجابر في مخيلتي واحداً من تلك الوحوش، ظلّت تلاحقني طوال عمري الذي لم أضيّع لحظة منه وأنا أعدّك للاقتصاص منه ومن أمثاله...».

كانت غضبة السماء قد بلغت ذروتها. ضرب صدغيه بعنف. سقط على سرير أبي هشام، وراح ينشج ببكاء مرير.

عِلْمُ الكَحَالَةِ عِنْدَ العَرَبِ والمُسْلِمِين

د. محمد رواس قلعه جي

الطب قديم قدم الإنسان، لأن صحة الأبدان مطلب الإنسان من حين أن خلقه الله تعالى؛ إذ الاعتلال يرافقه الألم، وإذا ظهر الألم أخذ الإنسان يفتش عما يخلصه منه.

وقد ظهر في العصور القديمة أطباء عظام، تبوّأت علومهم عند ممارسي حرفة الطب منزلة لا تُدانى، وكان على رأس هؤلاء: جالينوس وأبقراط، وغيرهما، وعنهم أخذ العرب جل علومهم في الطب.

وفي الطب العربي يمكننا أن نقسم العصور الطبية إلى خمسة عصور، هي:

- العصر الجاهلي: وينتهي بظهور الإسلام.
- عصر صدر الإسلام: وينتهي ببداية القرن الثاني الهجري.
- عصر الترجمة: وينتهي ببداية القرن الرابع الهجري.
- عصر الازدهار: وينتهي ببداية القرن العاشر الهجري.
- عصر الركود: ويمتد إلى بداية النهضة الحديثة.

وسنتكلم بكلمة موجزة على كل عصر من هذه العصور وما ظهر فيه من كبار الأطباء، وما أُلّف فيه من الكتب الطبية.

العصر الجاهلي

عرف أهل الجاهلية بعض الأمراض، ووضعوا لها أسماء منتزعة من البيئة التي عاشوا فيها، فقد عرفوا الجدري، وسموه بذلك تشبيهاً له بالأرض إذا جدرت، أي دفعت بعض أجزائها باندفاع النبات الذي تحتها؛ وعرفوا الحصبة، وسمّوها بذلك تشبيهاً لها بحصباء الأرض؛ وعرفوا اليرقان، وسمّوه بذلك تشبيهاً له بالزرع المصفر؛ وعرفوا الطاعون، وسمّوه بذلك تشبيهاً له بالطعنة القاتلة التي لا برء منها؛ وعرفوا داء الثعلب، وسمّوه بذلك تشبيهاً له بشعر الثعلب الذي يتساقط عنه كل عام، ... وهكذا.

وكانوا يعتقدون أن أسباب الأمراض إما آفة تصيب العضو، أو روح شريرة تدخل في الإنسان فتمرضه.

ولذلك كانت علاجاتهم إما عقاقير طبية غالبها عشبية، كالهليون المدر للبول، وعنب الثعلب القاطع أو المخفف لدم الحيض، وغيرهما. وإما مجموعة من الرُّقى والتمائم والنشْرات والخرزات وما شاكل ذلك، مما لا يمت إلى الطب بصلة، شأنهم في ذلك شأن كل الأمم المتخلّفة. ولذلك كان دواء المريض بالجنون هو ضربه على رأسه حتى تخرج الروح الشريرة منه؛ ودواء الصرع والإصابة بالعين هو تعليق خرزة تدعى «التميمة» بالعنق؛ ودواء العشق هو تعليق خرزة «السلوانة»، ودواء منع الحمل تعليق المرأة في حقوها خرزةَ «العقرة»؛ ولدفع كافة الأمراض تعليق خرزة «الوجيهة»... وهكذا.

وبناء على ذلك فإن أطباءهم كانوا على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أطباء يعالجون المرضى بالعقاقير على الأصول الطبية، وهم قلة، ومنهم الأخوان: داميان، وكوسم، في بلاد الشام، وقد اعتنقا النصرانية، وماتا في سبيلها، وقد نقل البابا «فيليكس» رفاتهما إلى روما، تقديراً لجهادهما. ومنهم: «ابن حذْيَم» وكان من تَيْم الرباب، وقد قيل في الأمثال: أَطَبُّ بالكيِّ من ابن حذْيَم.

النوع الثاني: أطباء يعالجون بالخبرة الشخصية، دون دراسة منهجية للطب، وخبرة هؤلاء قاصرة، وأدويتهم متوارثة.

النوع الثالث: أطباء يعالجون الناس بالخرافة، وهؤلاء هم العرافون والكهان.

عصر صدر الإسلام

١ـ تغيُّر جذري في المفهومات الطبية:

يمكننا أن نعدّ عصر صدر الإسلام فاتحة عهد جديد في الطب العربي؛ لأنه العهد الذي حاول القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم إقامة الطب فيه على أسس علمية، ومن دراسة القرآن الكريم

وأحاديث الرسول التي عُرفت فيما بعد بـ «الطب النبوي» يتبين لنا مدى التقدم الذي أحرزه الطب العربي.

2. المبادئ الطبية التي أرساها القرآن الكريم:

لقد أرسى القرآن الكريم أربعة مبادئ طبية رئيسة، كانت ركيزة التطور الطبي في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه المبادئ هي:

أ - حفظ الصحة: وذلك في قوله تعالى: *فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ*. **البقرة**:184. فقد أباح للمسافر الفطر في رمضان حفاظًا على صحته.

ب - عدم الإكثار من الفضول في البدن: وذلك في قوله تعالى: *يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ*. **الأعراف**:31. فإن كثرة الطعام تورث كثرة الفضول في البدن، وكثرة الفضول في البدن تسبب الأمراض.

ج - استفراغ المواد الفاسدة من البدن: من طريق التبرز والتعرق والقيء والحجامة وغير ذلك، وذلك في قوله تعالى: *فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ*. **البقرة**:196. فقد أباح للمُحْرِم حلق شعره إن كان بقاؤه يؤذيه، وذلك لتتفتح مسام جلدة الرأس لينفذ منها العرق.

د - الحمية عن كل ضار: وذلك في قوله تعالى: *وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا*. **النساء**:43. فقد أباح لمن يضره الماء أن يمتنع عنه، ويتيمم لصلاته.

3. المبادئ الطبية التي أرساها الرسول صلى الله عليه وسلم:

من استقراء أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطب نجد أنه عليه الصلاة والسلام أرسى العديد من المبادئ الطبية، ومنها:

أ - وجوب الوقاية من المرض، لأن الوقاية خير من العلاج، وتكون الوقاية من المرض بالابتعاد من مسبباته، كالإكثار من الطعام الذي يتسبب عنه الفضول في البدن، وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «ماملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يُقمن صُلبه، فإن كان لا بد فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنَفَسه»(1). كما تكون بعدم التعرض للعدوى، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»(2).

ب - وجوب العلاج من المرض، إذا أصيب به إنسان، لقوله صلى الله عليه وسلم: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء»(3).

ج - إثبات العدوى، ووجوب التحرس منها، وقد تقدم حديث الطاعون في ذلك؛ وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يوردن مُمْرِضٌ على مُصِحّ»(4)، وجُرح رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ادعوا له الطبيب»، فقال: يارسول الله هل يغني عنه الطبيب؟ قال: «نعم، إن الله تبارك وتعالى لم ينزل داءً إلا أنزل معه شفاء»(5).

د - التطبيب على الأصول العلمية، والتطبب عند الأطباء العلميين ولو كانوا كفارًا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زار سعد بن أبي وقاص وكان مريضًا، قال له: «ادع الحارث بن كلدة، فإنه رجل يتطبب»، وكان الحارث رجلاً مشركًا.

هـ - نبذ الخرافة في الطب، فقد قال رسول الله



صورة العين وطبقاتها ورطوباتها وأعصابها وعضلاتها والتقاطع الصليبي كما أثبتها صلاح الدين بن يوسف الكحال في كتابه «نور العيون وجامع الفنون»

صلى الله عليه وسلم: «إن الرُّقَى والتَّمائمَ والتِّوَلَةَ شرك»(6)، والتِّوَلَةُ كهُمَزَة، والتِّوَلَةُ كَعِنَبَة: من أنواع السحر. وسئل رسول الله عن النُّشْرَة فقال: «من عمل الشيطان»(7)، والنُّشْرَة: التعويذة.

و - وجوب مداومة البحث عن الدواء للمرض الذي لا يُعرف له دواء، لأن الله تعالى - كما تقدم في الحديث الشريف - لم ينزل داءً إلا أنزل له دواء.

ز - عدم التداوي بالأدوية التي لها مضاعفات ضارة، كالسموم ونحوها، إلا في حال عدم وجود غيرها مما يقوم مقامها، وإلا على يد الخبير، فقد «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء الخبيث»(8).

ح - اختيار أكثر الأطباء حذقًا بالعلاج، فقد أصاب رجلاً جرح، فاحتقن الجرح بالدم، فدعا رجلين من بني أنمار، فنظرا إليه، فقال رسول الله لهما: «أيكما أطب»(9).

ط - رفع معنويات المريض، بعيادته من قبل أحبابه، والتفريج عنه.

ي - الابتهال إلى الله تعالى والدعاء بالشفاء، فقد كان رسول الله إذا أتى مريضًا، أو أُتي به إليه قال: أذهب البأس ربَّ الناس، اشف أنتَ الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سَقَمًا»(10).

ك - إيثار الدواء المفرد على الدواء المركب، فإننا لو تصفحنا الأدوية التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أنه لم يصف دواء مركبًا قط، قال ابن القيم في الطب النبوي: «لم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم، ولا من هدي أصحابه استعمال هذه الأدوية المركبة التي تسمى «أَقْرَباذين»، بل كان غالب أدويتهم بالمفردات، وربما أضافوا إلى المفرد ما يعاونه، أو يكسر سَوْرَتَه»، أي حدّته.

ل - رتَّبَ مسؤولية على الطبيب، ففي الحديث: «من تطبَّب ولم يُعلَم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن»(11).

وبناء على ذلك فقد انعدم طب الخرافة، وظهر الطب العلمي، وكان على رأس هؤلاء الأطباء، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، «الحارث بن كَلَدة» الذي درس الطب في مدرسة جنديسابور، وقد توفي في عهد معاوية بن أبي سفيان نحو عام 50هـ، وابنه النضر بن الحارث الذي أخذ الطب عن أبيه، وابن أبي رمثة، وكان يجيد الجراحة، ومن الآسيات - الممرضات - رُفَيْدة الأسلمية التي

كان رسول الله ينصب لها خيمة في المسجد تمرض فيها الجرحى وترعاهم، وكعيبة بنت سعد الأسدية.

عصر الترجمة

يمتد عصر الترجمة من بداية القرن الثاني إلى بداية القرن الرابع الهجري.

1- نشاط الترجمة في هذا العصر:

بدأت الترجمة على يد خالد بن يزيد بن معاوية (90هـ)، فتُرجمت إلى العربية كتب الكيمياء والطب والنجوم. وأول كتاب في الطب علمنا ترجمته، كان في عهد مروان بن الحكم (65هـ)، وهو كُنَّاش «أهرن بن أعين» الإسكندراني، ترجمه «ماسرجويه» اليهودي، وحُفظت هذه الترجمة فلم تُنشر إلى أن كان عهد عمر بن عبدالعزيز (101هـ) الذي أمر بإخراجها للناس لينتفعوا بها.

ولكن الترجمات الطبية الحقيقية بدأت بتأسيس بيت الحكمة في بغداد التي أنشأها أبو جعفر المنصور (158هـ)، ورعاها هارون الرشيد (193هـ)، وألبسها تاجها العلمي المأمون (218هـ)، وبقيام مؤسسة بني شاكر، التي أقامها موسى بن شاكر (نحو200هـ)، وخلفه فيها أبناؤه الثلاثة: محمد وأحمد وحسن، والتي كانت تهتم باستقدام الكتب من شرق آسيا، ثم ترجمتها إلى العربية.

وقد تُرجمت في هذا العصر جميع الكتب لغورس وأفلاطن وأبقراط وجالينوس وأهرن القس، وغيرهم.

وقد بدأت أنهار الترجمة بالتدفق في عهد أبي جعفر المنصور حين استقدم جورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع (185هـ؟) لتطبيبه. ويمكننا أن نعدّ دخول جورجيس إلى بغداد بداية وصول الطب اليوناني إلى العرب، وذلك عندما طلب المنصور من جورجيس أن يطلعه على كتب الحكمة والطب التي بحوزته؛ ودهش الخليفة المنصور حين وجد فيها الفوائد العظيمة، فعهد بها إلى المترجمين ليترجموها إلى العربية، وجعل يستقدم الكتب من لدن الروم وغيرهم ويأمر بترجمتها.

كانت الكتب تُصنع من لفائف ورق البردي، إلى أن نقل الخليفة هارون الرشيد مصنع الورق الذي كان الصينيون قد أسسوه في سمرقند، ونصبه في بغداد، مما ساعد على ازدهار الترجمة في عصره.

ولما ولي المأمون فاق اهتمامه بالطب والعلوم اهتمام أبيه وجده، فكان إذا صالح دولة اشترط عليهم تسليم ما في حوزتهم من كتب العلم كالطب والحكمة، كما فعل في صلحه مع ملك قبرص.

وظهر أطباء تراجمة كثيرون ذكر ابن أبي أصيبعة منهم في الباب التاسع من كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ثمانية وأربعين طبيبًا مترجمًا، نقلوا كتب الطب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية، وكان من أشهر هؤلاء جورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع (185هـ)، وحنين بن إسحاق (264هـ)، وابنه إسحاق بن حنين (298هـ)، وحبيش بن الأعسم (300هـ)، وقسطا بن لوقا (220هـ)، ويوحنا بن بختيشوع (نحو290هـ)، ويوحنا بن البطريق (191هـ)، وثابت بن قرة (288هـ)، وغيرهم.

2- إفراد طب العيون بالتأليف:

وفي هذا العصر ظهر إفراد علم طب العيون - الكحالة - بالتأليف، فأُلّفت عدة كتب أهمها:

1- رسالة في عصب العين، لجبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس 213هـ.

2- دَغَل العين: وقد ألفه يوحنا بن ماسويه (242هـ) بلغة عربية رديئة، وفيه تجد الكثير من المصطلحات الطبية، وقد أثبتها ابن ماسويه بلغاتها الأصلية، كاليونانية والسريانية والفارسية، حيث أعياه إيجاد المقابل العربي لها، وقد تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية قسطنطين الإفريقي سنة 411هـ، ونسبه إلى نفسه، كما فعل بغيره من الكتب الأخرى.

3- معرفة مهنة الكحالين، ليوحنا بن ماسويه أيضًا.

4- المسائل في العين: وقد ألفه حنين بن إسحق لولديه إسحق وداود، في ثلاث مقالات: المقالة الأولى: في تشريح العين؛ والمقالة الثانية: في أسباب الأمراض؛ والمقالة الثالثة: في وصف الأمراض، وليس في الكتاب شيء من العلاج.

وقد ألفه على طريقة السؤال والجواب، وقد بلغت مسائله 217 مسألة في النسخة التي نشرها الدكتور فؤاد سزكين ضمن منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية تحت عنوان «طب العيون عند العرب والمسلمين، نصوص ودراسات وترجمات».

5- العشر مقالات في العين، وقد ألفه حنين بن إسحق أيضًا، وقد حققه ماكس مايرهوف وطُبع في المطبعة الأميرية بالقاهرة عام 1928م، والمطبوع من الكتاب عشر مقالات: الأولى: في طبيعة العين. الثانية: في طبيعة الدماغ ومنافعه. الثالثة: في أمر البصر. الرابعة: جملة ما يضطر إلى معرفته من أراد شيئًا من علاج البصر. الخامسة: في علل أمراض العين. السادسة: في الأمراض الحادثة في العين. السابعة: في قوى الأدوية المفردة. الثامنة: في أدوية العين وأجناسها وفنون استعمالها. التاسعة: في علاج أمراض العين. العاشرة: في الأدوية المركبة.

وذكر ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء: أن الكتاب يتألف من إحدى عشرة مقالة، وأن المقالة الحادية عشرة هي في الجراحة. وقد نقل الرازي في كتابه «الحاوي» شيئًا من هذه المقالة.

وفي الكتاب كثير من المصطلحات اليونانية والسريانية والفارسية، مع إثبات المقابل العربي لأكثرها.

وفي الكتاب أيضًا رسوم لرطوبات العين، ولعضلاتها، وللعصب النوري.

والقيمة العلمية لهذا الكتاب عالية جدًا، حتى إن كل من ألف في طب العيون بعده قد أخذ منه، ومنهم من أشار إليه، ومنهم من لم يشر إليه.

6- البصر والبصيرة: وقد ألفه ثابت بن قُرَّة، وهو كتاب شامل لجميع أمراض العين.

وينفي ماكس مايرهوف نسبة هذا الكتاب إلى ثابت بن قرة، ويدّعي أنه كتاب منحول من كتاب «المنتخب» لعمار بن علي الموصلي (نحو400هـ)، انتحله بعض الناس ونسبه إلى ثابت بن قرة، ويستدل مايرهوف على دعواه بما يلي:

أ - هناك تطابق كبير بين كتاب «البصر والبصيرة»، وكتاب «المنتخب».

ب - ذكر اسم الرازي في كتاب «البصر والبصيرة»، والرازي متأخر الوفاة عن ثابت بن قرة.

ج - ويوافق هيرشبورغ زميله مايرهوف فيما يدعيه، ويزيد عليه: بأن عملية قدح الماء من العين بالمقدح المجوف قد ذكرت في البصر والبصيرة، مع أن هذه العملية أول من أجراها هو عمار بن علي الموصلي صاحب كتاب «المنتخب».

وأنا لا أوافق مايرهوف ولا هيرشبورغ فيما يدعيانه، وما ساقاه من الدليل لا ينهض بدعواهما.

أ - أما التطابق بين الكتابين فإنني لا أنكره، ولكنني أرى أن «المنتخب» هو إصلاح لكتاب «البصر والبصيرة»، وإن المقابلة التي أجريتها بين الكتابين تؤكد ما ذهبت إليه (وقد قمت بتحقيقه بالاشتراك مع الدكتور محمد ظافر الوفائي).

ب - وأما ذكر اسم الرازي في «البصر

والبصيرة» فإن الرازي كان معاصرًا لثابت بن قرة، وقد دامت المعاصرة بينهما سبعًا وثلاثين سنة، حيث ولد ثابت بن قرة سنة 221هـ وتوفي سنة 288هـ، أما الرازي فإنه ولد سنة 251هـ وتوفي 311هـ. وهذه المعاصرة الطويلة، والنبوغ والشهرة التي تمتع بها الرازي كافية لتسويغ نقل ثابت بن قرة بعض المعلومات عن الرازي ولو كان معاصرًا له.

ج - وأما عملية قدح الماء بالمقدح المجوف التي أشار إليها هيرشبورغ، فإن فكرة قدح الماء بالمقدح المجوف كانت موجودة قبل «عمار» بزمن طويل، والمقدح المجوف كان موجودًا، ولكنه كان يصنع مدورًا، وكان يصنع من الزجاج، وكانت عملية قدح الماء به لا تنجح. كما نقل ذلك الرازي في الحاوي 346/2 عن «انطيلس» فطوّره عمّار، وجعله مثلثًا، وصنعه من النحاس، واستطاع بمهارته الفنية الفائقة أن يجري هذه العملية بكفاءة عالية، عجز غيره عنها.

والحق أن كتاب البصر والبصيرة هو أول كتاب (أكاديمي) يوضع على طريقته، وفي دقة معلوماته، وفي تكامله.

7- النهاية والكفاية في تركيب العين، وقد ألّفه خلف الطولوني (301هـ)، ولم أطلع على هذا الكتاب حتى الآن.

3- عدم وجود الطبيب المتخصص في طب العيون:

على وجود الكتب المتخصصة في الكحالة في هذا العصر، إلا أنه لم يوجد الطبيب المتخصص في طب العيون، فقد كان الكحالون أطباء عامين يمارسون جميع فروع الطب، بما في ذلك طب العيون.

عصر ازدهار الطب العربي الإسلامي

ويمتد هذا العصر من أوائل القرن الثالث حتى بداية القرن العاشر الهجري.

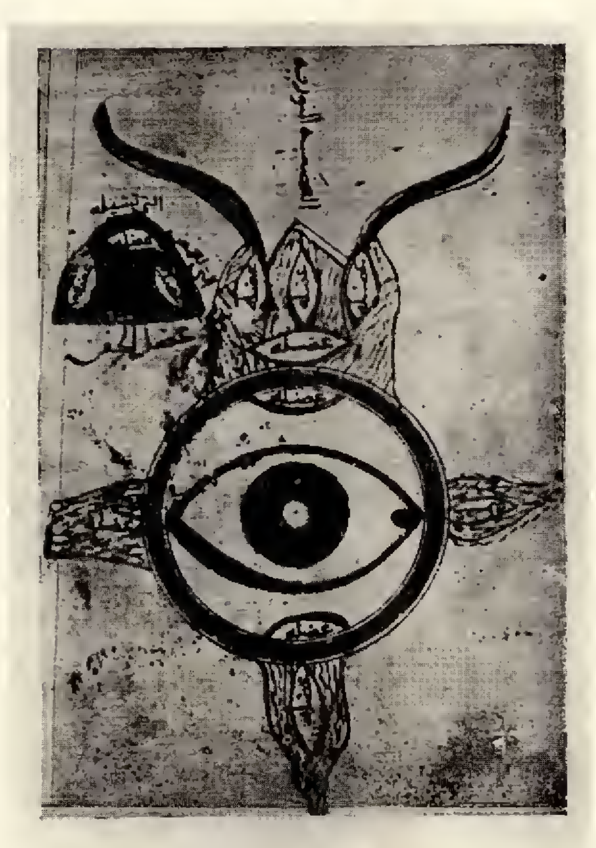
1- الموسوعات الطبية:

ظهر في هذا العصر عمالقة الطب العربي، ووُضعت فيه أعظم الموسوعات الطبية، ونُقلت هذه الموسوعات إلى اللغات الأخرى، وصارت منهلاً ينهل منه أطباء العالم آنذاك، وقد اشتملت هذه الموسوعات - فيما اشتملت عليه - على طب العيون، ومن أشهر هذه الموسوعات:

1- فردوس الحكمة، لعلي بن سهل ربّن - أي المعلم - الطبري المتوفى سنة 236هـ. وضعه مؤلفه باللغتين العربية والسريانية، وقسمه إلى سبعة أقسام في ثلاثين مقالة تشتمل على ثلاثمئة وستين بابًا.

«وفردوس الحكمة» أول كتاب شامل مبسط في الطب يوضع باللغة العربية وضعًا غير مُترجم من غيرها من اللغات الأخرى، وبقي هذا الكتاب المرجع العربي الوحيد للقُرّاء والممارسين في الطب، حتى صدرت كتب الرازي بعد ما يزيد على خمسين سنة. والمتأمل في هذا الكتاب يجد فيه الكثير من التداخل والتكرار، وفيه الكثير من العلوم التي لا تمتّ إلى الطب بصلة، كالطبيعة والفلك والحيوان وغيرها.

2- الحاوي، لمحمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة 320هـ. والرازي كما يقول السامرائي في مختصر تاريخ الطب العربي: «أخصب عقلية طبية ظهرت في القرون الوسطى». ووصفه ابن أبي أصيبعة: «أنه جالينوس العرب» من أقواله: «على الطبيب أن يوهم المريض أبدًا الصحة، ويُرجّيه بها وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس». وهذا القول يعدّ أساسًا في أثر الأمراض النفسية في الأعضاء.



عضلات العين كما أثبتها حنين بن إسحاق في كتابه «العشر مقالات في العين»

جمع الرازي مادة كتابه في خمس عشرة سنة، ولم يمهله الأجل حتى يرتبه، فلما توفي حصل محمد بن العميد على الكتاب من عند أخت الرازي مقابل مبلغ من المال، وإلى هذا يعزى عدم التنظيم الذي نجده في الكتاب، ولا يبعد أن يكون اسم الكتاب «الحاوي» من وضع محمد بن العميد، وليس من وضع الرازي، والمعلومات الموجودة في الكتاب قاصرة على وصف الأمراض، وبيان أسبابها، وذكر علاجاتها بالعقاقير، وليس فيه شيء من الجراحة.

وأمراض العين ومداواتها، نجدها في الجزء الثاني من الحاوي، إلا أنها، شأنها شأن الكتاب، تحتاج إلى التنظيم لتحسن الاستفادة منها، ولذلك أخذنا على عاتقنا تنظيم هذا الجزء الخاص بالعين منه.

3- القانون، لأبي علي الحسن بن سينا (370هـ). وقد تعلم ابن سينا الطب من دون معلم، فقد قال عن نفسه: «رغبت في علم الطب، وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه - وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة - وبرزت فيه في أقل مدة»، وهذا ما جعل خبرته النظرية كبيرة في الطب، ولكن هذه الخبرة لم تدعمها خبرة عملية، فهو لم يدخل أي بيمارستان للعمل فيه أو للتدريب، وهذا ما يفسر لنا عدم مهارة ابن سينا، وضعف كتابه القانون في الأمور العملية، وبخاصة الأعمال الجراحية.

ولابن سينا أرجوزة في طب العيون مطلعها:

الحمد لله الحكيم الشافي
الواهب النور العليم الكافي

وقد أثبتناها ملحقًا لطب العيون عند ابن سينا في جمعنا وتحقيقنا لطب العيون في كتاب القانون. وقد كان في أرجوزته هذه منهجيًا، فقد تكلم فيها على تشريح العين ثم على أمراض الجفن، ثم على أمراض المأق، ثم على أمراض الملتحمة، ثم على أمراض القرنية، ثم العنبية، ثم البيضية، ثم العنكبوتية، ثم الجليدية، ثم الزجاجية، ثم الشبكية، ثم المشيمية، ثم الطبقة الصلبة، ثم العصبة المجوفة، ثم الروح الباصر، ثم أمراض العضلات، ثم الأمراض التي لا تختص بعضو.

لكنه لم يكن كذلك فيما كتبه عن العين في القانون، فهو لم يستوعب أمراضَ العين، ولم يكن منهجيًا في توزيع ما ذكره من

الأمراض، فهو قد بدأ بكلام كلّي على العين، ثم أتبعه بالكلام على الرمد، وكان عليه أن يضع الرمد مع أمراض الملتحمة، وتكلم على البياض عقب أمراض الماق، وكان عليه أن يضع هذا المرض مع أمراض القرنية، ووضع الزرقة بعد أمراض الجليدية، وكان عليه أن يضعها مع أمراض العنبية، وهكذا.

ويظهر أن ابن سينا مولع بالإغراب ليثبت لنفسه من العلم ما لا يعلمه غيره، فقد ذكر مرضاً من أمراض العين سماه «السدية» ولم يفصح عنه الإفصاح المبين، ولم يذكر هذا المرض أحد قبله ولا بعده، وذكر بعض الأدوية التي لم يسمع بها أحد من أهل المهنة، وهذا ما دفع الغافقي إلى أن يقول في مقدمة كتابه «الجامع في الطب والأدوية المفردة» مبيناً الغرض من وضع هذا الكتاب: «.. وأن أشرح ما وقع في كتب الأطباء من أسماء الأدوية المجهولة، ومنهم من يكذب، كما فعل ابن سينا في مواضع كثيرة من أدويته فيه، وغلط الغلط الفاحش».

وقد حققنا قسم العين من هذا الكتاب، وتم طبعه بحمد الله.

4- الملكي، أو كامل الصناعة الطبية، لعلي بن العباس الأهوازي، المشهور بالمجوسي (384هـ).

نظر علي بن العباس فيما وضعه العلماء من كتب الطب، فلم يجد واحداً منها لم يسلم من النقص، فكتاب الفصول غير مفهوم العبارة، وجالينوس معارفه مشتتة لم يجمعها في كتاب، وأوريباسيوس كتابه غير شامل، والرازي لم يذكر في الحاوي الأمور الطبيعية، ولا الأمزجة والأخلاط، ولا تشريح الأعضاء، ولا الجراحة، فضلاً عن الفوضى الشائعة في الكتاب، ولذلك عقد العزم على تأليف كتاب جامع خالٍ من أي مطعن - كما يزعم - فوضع كتابه كامل الصناعة الطبية، فكان الكتاب حسن الترتيب، سهل العبارة، غزير العلم، فمال إليه الناس، ولزموا دراسته حتى ظهر كتاب القانون. ولكن - كما يقول القفطي - كامل الصناعة الطبية في العمل أبلغ، والقانون في العلم أثبت.

ترجم قسطنطين الإفريقي كتاب «كامل الصناعة الطبية» إلى اللاتينية، ونسبه لنفسه. وقسم العين في هذا الكتاب لا يشتمل على جميع أمراض العين، بل كثيراً ما نجد المؤلف يذكر المرض ولا يذكر العلاج، أو يذكر المرض ولا يذكر أسبابه، وقد حققنا قسم العين من هذا الكتاب، وهو الآن قيد الطبع.

5- المعالجات البقراطية، لأحمد بن محمد الطبري المتوفى سنة 332هـ، وقد خصص المقالة الرابعة منه لأمراض العين وعلاجاتها، وتقع هذه المقالة في أربعة وخمسين باباً، وقسم العين منه سيّئ الترتيب، ولكنه غزير العلم، فيه عرض ونقد لنظريات الأطباء القدامى، وإثبات ما يراه حقّاً. وقد تم تحقيق قسم العين من هذا الكتاب من قبلنا وهو الآن قيد الطبع، وقد تُرجمت المقالة السابعة منه الخاصة بالأمراض الجلدية إلى اللغة الألمانية.

6- التصريف لمن عجز عن التأليف، لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي المتوفى سنة 404هـ. قال أبو محمد علي بن حزم: «ولئن قلنا إنه لم يُؤلَّف في الطب أجمع منه للقول والعمل والطبائع والخبر لنصدقن»؛ وقد اشتمل الكتاب على ثلاثين مقالة، منها مقالة في أمراض العين، يقول المؤلف عنها: «إنها في غاية النفع». تُرجم هذا الكتاب إلى اللغتين اللاتينية والفرنسية.

2- الكتب المتخصصة في طب العيون:

في هذا العصر ظهر الكحالون المتخصصون في طب العيون، وكثر التأليف فيه، وأشهر ما أُلف فيه:

1-6- كَتَبَ الرازي عدة رسائل متخصصة في العين، هي: كيفية الإبصار. هيئة العين. علاج العين بالحديد. أدوية العين. العلة التي من أجلها تضيق النواظر وتتسع الظلمة. المشجرة.

7- أمراض العين ومداواتها، لأهرن بن أعين.

8- طب العيون، لجبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع المتوفى سنة 396هـ، ولم نقع على هذا الكتاب حتى الآن.

9- المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد، لعمّار بن علي الموصلي المتوفى سنة 400هـ، الذي سافر إلى مصر في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي، وأقام فيها، وكان إسماعيلياً مغالياً في أمر علي رضي الله عنه.

وكتاب المنتخب ما هو إلا تنقيح وتهذيب لكتاب البصر والبصيرة لثابت بن قرة الحراني، أضاف إليه عمار تجاربه في طب العيون.

لم يتكلم المؤلف على أمراض الرطوبة الجليدية، ولا الرطوبة الزجاجية، ولا الطبقة الشبكية، مع أن هذه الأبواب الثلاثة موجودة في كتاب البصر والبصيرة.

وعمار هو أول من عدّل المقدح المجوف، فجعله مثلثاً بعد أن كان أسطوانياً مدوراً، وجعله من النحاس بعد أن كان من الزجاج، ثم عدله ابن النفيس فيما بعد، فجعله رقيقاً حاداً كالسيف. وهو أول من اقترح جرح القزحية وإحداث علقة دموية يعلق فيها الماء إذا تعذر قدحه. وهو الرائد الأول في عملية تفتيت الساد وشفطه.

وقد حققنا هذا الكتاب (بالاشتراك مع الدكتور محمد ظافر الوفائي)، وتم طبعه في شركة العبيكان بالرياض.

10- تذكرة الكحالين، لعلي بن عيسى المتوفى سنة 400هـ، وهو أحسن كتاب متخصص في طب العيون وأوفاه، فقد أجاد مؤلفه تصنيفه، فكثر إقبال الناس عليه، والكتاب يحتوي على ثلاث مقالات:

الأولى: في تشريح العين «الطبقات والرطوبات والأعصاب والعضلات».

والثانية: في الأمراض الظاهرة في العين، كالانتفاخ والجرب وغيرهما.

والثالثة: في الأمراض الخفية عن الحس، وأمراض الروح الباصر، ومن يرى من بعيد ولا يرى من قريب، وأمراض الشبكية.

وقد طبع الكتاب محقّقاً في حيدر آباد الدكن سنة 1964م.

11-12- كتاب: تركيب طبقات العين، وكتاب: علاج انتشار العين لأحمد بن عبدالرحمن ابن مندويه الأصفهاني (410هـ).

13- المناظر، للحسن بن الهيثم (460هـ).

14- أمراض العين ومداواتها، لمنصور بن عيسى (460هـ).

15- تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها، لعلي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفرطابي المتوفّى بعد سنة 460هـ. رحل إلى مصر واليمن ومارس الطب فيهما. قال عنه مايرهوف: إنه لم يكن متخصصاً في طب العيون. ولكن الكتاب الذي بين أيدينا يثبت لنا تخصصه بطب العيون، وممارسته لهذه المهنة.

يرى المؤلف في كتابه هذا أن الطب قد اكتمل على يد جالينوس، حتى كانت غاية من أتى بعده فَهْم كلامه، ومع ذلك فإنه قد أضاف إلى أدوية طب العيون أدوية جديدة لم يسبقه إليها سابق.

ولما كان المؤلف لا يطمح إلى إضافة شيء في طب العيون، فإن السبب الذي دفعه إلى تأليف هذا الكتاب - كما يقول - هو صياغة طب العيون بعبارة مسجوعة، جرياً على عرف ذلك الزمن.

ومما يؤخذ على هذا الكتاب:

أ - إطالته الكلام في تشريح جسم الإنسان.

ب - إيراده في كتابه هذا المتخصص أشياء لا

علاقة لها بطب العيون، كدواء للأسنان، وآخر للبواسير.

ج ـ اختصاره الكلام في تشريح العين اختصاراً مخلاً.

د ـ خلل في التصنيف أحيانًا، فقد ذكر أمراض الجليدية، ثم أمراض البيضية، ثم أمراض الزجاجية، ثم عاد إلى الجليدية.

هـ ـ فيه قصور كبير، فقد عد أمراض البيضية، وأمراض الجليدية، وأمراض الزجاجية، وأمراض الروح الباصر، ولم يعالجها.

وقد حققنا هذا الكتاب (بالاشتراك مع الدكتور محمد ظافر الوفائي)، ونشرته شركة العبيكان بالرياض.

16ـ تدقيق النظر في علل حاسة البصر، لأبي المطرف عبدالرحمن اللخمي (467هـ).

17ـ العمدة الكحلية في الأمراض البصرية، لصدقة بن إبراهيم الشاذلي (550هـ).

18ـ المرشد في الكحل، لمحمد بن قسوم بن أسلم الغافقي المتوفى بعد 595هـ. والكتاب بجملته سيئ التصنيف، فهو لا يحسن تصنيف الأبواب، ويفرع عن الأبواب أبوابًا، مما اضطرنا في أثناء تحقيقه إلى إصلاح تصنيفه.

قسم المؤلف كتابه إلى خمس مقالات، مع أنه ذكر في المقدمة أنها ست مقالات، المقالة الأولى منه منحولة من «كامل الصناعة الطبية»، وباقي مقالاته منحولة من كتاب «تذكرة الكحالين» مع شيء من الإصلاح لها، وإضافة بعض الخبرات الشخصية إليها.

ذكر المؤلف فيه تسعة وستين دواء مركبًا، وأبدى رأيه في معظمها، وهذا يدل على خبرة واسعة وتجربة طويلة في طب العيون.

تحاشى المؤلف في كتابه هذا وصف دواء محرم في الإسلام، فهو يقول: «أما لحم الخنزير فلم نذكره لأنه محرم في شريعتنا».

والكتاب يحتوي على سيل من الأخطاء اللغوية.

وقد حقق هذا الكتاب الدكتور حسن علي حسن لنيل شهادة الطب من جامعة مدريد عام 1977م تحت إشراف البروفيسور «بيدو اندالفو»، وقد وقعنا على أخطاء قاتلة في تحقيق هذا الكتاب، وفي شرح بعض مصطلحاته، مما اضطرنا إلى إعادة تحقيقه (بالاشتراك مع الدكتور محمد ظافر الوفائي)، وقد نشرَ تحقيقَنا للكتاب مدينةُ الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية بالرياض.

19ـ نهاية الأفكار ونزهة الأبصار، لعبدالله بن قاسم الحريري الإشبيلي (624هـ)، وحقّقه حازم البكري، وشريف العاني، ونُشر في بغداد عام 1979م.

20ـ الكافي في الكحل، لخليفة بن أبي المحاسن الحلبي، المتوفى بعد سنة 654هـ. وقد جمع خليفة أقوال سابقيه في طب العيون ولخصها، فنقل عن 73 مؤلفًا، و41 كتابًا من كتب سابقيه، وهو أول مؤلف يضع رسمًا توضيحيًا لتشريح الدماغ وعلاقة العينين به، والطريق الذي يسلكه البصر بين العينين والدماغ (ر: ص64 منه).

وقد حوى الكتاب رسومًا توضيحية للأدوات الجراحية التي كانت تستعمل آنذاك في طب العيون، وجدولا للأوزان التي تستعمل في وزن الأدوية في ذلك العصر. وقد حققنا هذا الكتاب (بالاشتراك مع الدكتور محمد ظافر الوفائي)، ونشرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

21ـ نتيجة الفكر في علاج أمراض البصر، لأحمد بن عثمان بن هبة الله القيسي المتوفى سنة 657هـ، وقد حققنا هذا الكتاب وهو الآن قيد الطباعة.

22ـ23ـ كتابا: الشافي في الكحل والمهذب في الكحل، كلاهما لعلي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي، المعروف بـ«ابن النفيس» المتوفى سنة 657هـ. ويظهر أن الكتاب الثاني هو اختصار للكتاب الأول، والكتاب الأول مفقود على ما يظهر.

ولد ابن النفيس في دمشق، وبرع في الطب فيها، فاستدعاه الملك الكامل الأيوبي إلى مصر وعينه رئيسًا للمستشفى الناصري، ثم رئيسًا للمستشفى المنصوري في القاهرة.

عقلُ ابن النفيس عقلٌ مبدع، وتلاحظ إبداعه حين قراءتك للمهذب، فقد عرض طب العيون عرض متأمل ناقد، وليس عرض ناقل، فناقش كثيراً من النظريات التي كانت سائدة قبله في طب العيون، وأبطلها، كمناقشته لأسباب القمور ـ وهو ضعف رؤية القريب، وتعطل رؤية البعيد، وأن يرى الأشياء إلى بياض ـ، وفائدة الخَمَل في الوجه الخلفي للقزحية، وقرر لأول مرة أن الساد يقع خلف العنبية وليس أمامها، مخالفًا بذلك كل من سبقوه، وعدل المقدح المجوف الذي صنعه عمّار بن علي الموصلي مثلًا، فجعله ابن النفيس رقيقًا كالسيف، وغير ذلك، مما ذكرناه في مقدمتنا للكتاب.

وقد حققنا كتاب المهذب (بالاشتراك مع الدكتور محمد ظافر الوفائي)، ونشرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

24ـ نور العيون وجامع الفنون، لصلاح الدين بن يوسف الكحال الحموي المتوفى سنة 696هـ.

وهذا الكتاب هو أكبر جمع لما كُتب في طب العيون، في أحسن تأليف. وقد نقل فيه مؤلفه عن 94 كتابًا في الطب، وعن 31 مؤلفًا، فجاء الكتاب موسوعة في طب العيون، لا نعلم كتابًا فاقه في بابه.

وقد حققنا هذا الكتاب (بالاشتراك مع الدكتور محمد ظافر الوفائي)، ونشره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

25ـ القانون في أمراض العين، لعلاء الدين الكحال الصفدي (730هـ).

26ـ كشف الرين في أحوال العين، لابن الأكفاني المتوفى سنة 749هـ، وقد لخص فيه مؤلفه طب العيون، وقدمه للقارئ سهلاً يسيرًا.

وقد حققنا هذا الكتاب (بالاشتراك مع الدكتور محمد ظافر الوفائي)، ونشره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

27ـ الكفاية في أمراض العين، ليحيى بن علي بن الحكيم العنبري 839هـ.

عصر الركود

في هذا العصر لم يظهر أي مؤلف طبي ذو كيان غير ما كتبه داود الأنطاكي الضرير (1008هـ)، السوري الأصل، الأنطاكي المولد، المصري المهجر، وأشهر كتبه «التذكرة الكبرى»، وفيها يجد القارئ تلخيصًا لما كتبه السابقون في الطب، ويجد إلى جانب ذلك وصفات شعبية وخرافات لا تمت إلى العلم بصلة.

وكتاب وقاية العين، لنورالدين علي المناوي، المتوفى في أوائل القرن العاشر الهجري.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

الهوامش:

1ـ مسند الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه.
2ـ البخاري ومسلم.
3ـ البخاري.
4ـ البخاري.
5ـ مصنف ابن أبي شيبة 8/1.
6ـ أبو داود.
7ـ أبو داود.
8ـ أبو داود والترمذي.
9ـ موطأ الإمام مالك.
10ـ الترمذي.
11ـ أبو داود وابن ماجه.

من الحياة

تعدد الزوجات دون ضوابط.. والآثار النفسية

د. حسان المالح

مما لا شك فيـه أن العلاقـة بين الرجل والمرأة هي من أصعب الموضـوعـات الإنسانية من حيث فـهمـهـا وتنظيمـهـا وضبطهـا. والرجل والمرأة عـالمان معقـدان فـيـهـمـا من الأسـرار والخفايا، ومن النـوازع والرغبـات، ومن العـواطف والانفعـالات، ومن القـضـايا والمشكلات مـا يمكن أن يملأ صـفـحـات كل الكتب والمقالات.

وكـمـا هو معـروف فالحب بين المرأة والرجل هو من أعظم أسـرار الحيـاة، وقد شَغَلَ الأدباء وعلمـاء النفس والاجتماع والـقـانون والإنسان العادي منذ القـدم. وما نعرفه اليوم عن العـلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة يمكن له أن يتغير ويتعمق ويتوسع مع ازدياد معرفتنا بهذا الكائن الإنسـاني (الرجل والمرأة) من حيث تفكيره وعواطفه وعلاقاته ومشكلاته.

وفي ديننا الإسلامي يباح تعدد الزوجات ولكن ضمن حدود وضوابط معروفة في كتب الفقـه وعند العلماء. وأهم هذه الضوابط: العدل؛ وإلا فواحـدةً كما ذكـر القرآن الكريم في قـوله تعالى: *فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة*. النساء:3. ويبدو أن كثيـرًا من هذه الضوابط لا ينتبه إليه الناس؛ حيث نراهم يعددون دون سـبب واضح أو ضـابط واضح. ويـبـدو أن بـعض العـادات الشـائعـة في بعض المنـاطق وفي بعض الأسر قـد جعلت من التـعدد تقليدًا وعُرفًا يجب أن يُتَّبع دون النظر إلى مشروعية ذلك وحكمته.

كـمـا أن انتـشـار اتبـاع الـهـوى والصـراع بين المرأة والرجـل والمشكلات الاجتـماعيـة العامـة ومشكلات الحياة الزوجيـة والملل الزوجي؛ كل ذلك أدى إلى ازدياد حالات ظلم الرجل للمرأة وازدياد التعدد.

والآثار النفسية التي تلحق بالمرأة من جراء ظلم زوجـهـا لها عديدة، وقد تكون خطيرة فـي أحيان كـثيرة. وتـبدأ بالقلق والحسـرة والشعـور بالضعف وعـدم الأمان وفقدان الثقة بالرجل. وكثير من السيدات يصفن شعورًا «بأن الأرض قد تزلزلت من حـولها، وأن كل مـا بنتـه في حياتهـا من أسرة وزوج وأطفـال يواجـه خطر التهـدم والتـفكك، وذلك بسـبب قدوم الـزوجة الثـانيـة التي سـتحطم حـيـاتهـا وحـيـاة من حـولهـا». وهذا بالطبع شـعـور مـؤلم يسـتـدعي القلق والأرق وانشـغـال الذهن والاكـتـئـاب. ويمكن لهذا الشعور أن يستدعي تصرفـات وسلوكات دفاعية متنوعة تحاول المرأة من خلالها أن تدفع عن نفسهـا وعن ما حولها الخطر القادم. وقد يكون في هذه السلوكيـات ما ضرره أكبر ونتائجـه أسوأ من النواحي النفسـيـة والجسمية والاجتماعية.

والحقـيـقة أن الـشعـور بالظلم والغبن وأن «لا ذنب لي فـيـمـا حـصـل»، هو من أقسى المشاعر الإنسانية. وهو يولِّد مشاعر سلبية تتعلق بالغضب والعدوان والانتقام. وتحاول المرأة ضـبط هذه المشاعـر وتنظيمـها والحيـلولة دون انفعالاتهـا، بل إن بعض النساء تتجاهل هذه المشاعر أو تكبتها مما يؤدي إلى ارتداد هذه المشاعر والتفاعلات الانفعـالية إلى المرأة نفسـهـا وإلى أجهزتهـا الجسـمية وأعـضائهـا، فتراها تشكو من الصداع أو من الآلام المتعددة في البطن أو الظهر أو غير ذلك. وأيضًا يمكن أن يهيئ ذلك لظهور بـعض الأمراض الجـسـمية وتـطورها مثل ارتفاع ضـغـط الدم والسكري والقرحة المعدية والأمراض الجلدية وغير ذلك.

ونجد عـددًا آخر من النسـاء يبحثن في شخصـيـتهن وتصرفاتهن عـن السبب الذي دعا الزوج أن يفكر بثانية ويتزوجها. وتؤنب المرأة نفسها وتحاول أن تعدل من هيئتهـا بمختلف الوسائل. وبعضهنّ يتطور لديهن وسـاوس حول أخطاء قديمة تحاول إصلاحها وتعديلهـا ولكن مدفوعة بمشاعر الغيرة والتـنافس ودون هوادة. وكثيرًا ما تخفق هذه الطرق في إعـادة الزوج إلى بيتـهـا وأرضـهـا. وبعض النسـاء يَخْتـرنَ الانفصال والخصام ويهدِّدنَ بذلك، مما يحطم البيت الأول واستقراره، ويؤثر سلبًا في الأطفال وفي المجتمع الأكبر.

وبعض الرجـال لا يجاهر بزوجتـه الثانيـة. ويتغير جو المنزل وتـتغيـر كثير من التـصـرفات فيـه. وبعضـهم يحاول أن يعـوض زوجتـه عـما فـعله بشـراء الهـدايا والرحلات وغيرها. وقد يـثير ذلك قلق الزوجـة وإحساسـها أن زوجـها يضمـر لها شرًا؛ فهي لم تتعود منه مثل تلك العطاءات.

وتبدأ غيرة الـزوجة من منافستها المحتـملة لأسباب غير ذلك كثيرة. وقد تصل إلى مـرحلة الشك والتفتيش والملاحقـة والمرض مما يحوِّل حياة المرأة إلى عـذاب، وحيـاة الأسـرة إلى جـحيم لا يطاق. وعندما يشـهر الزوج سلاح «الـزوجة الثانية» تحس المرأة بالكـراهيـة الشـديدة والنفور والغـضب مـن الزوج. وقـد تـتـحـول هذه الكراهيـة إلى الزوجة الثـانية دون الزوج. وفي الأحوال كـافـة فإن الشـعور بعـمق الطعنة أو الجـرح، واهتـزاز القـيـمة الشـخـصـيـة هو الاستـجـابة الأولى، ويلي ذلك مشاعر متعددة مثل اليأس أو التمرد أو القبول.

وتـسـتيقظ مـشاعـر التنافس في داخل المرأة. والتنافس له مـقدمـات طويلة في التـاريخ الشـخصـي لـكل فرد ابتـداءً من التنافس بين الإخوة والأقـارب ومـا يرتبط بذلك من عُقد نفسية. والتنافس له وجه إيجـابي إذا كان في الخير وإذا كان يشحذ الهـمم للوصول إلى تحـصـيـل أفضل. وقـد يكون مدمـرًا ومعـطلاً ومسـتنزفًا لطاقة الإنسان النفسـية والعـصبية إذا كـان من دون قـواعد واضـحة مـقبـولة ومنطقيـة. وتختلف ردود أفعال الأفراد على ذلك باختلاف الظروف الخاصة المرتبطة بموضوع التنافس وطبيعة الشـخصية نفسها.

ولا بد في النهـاية من التـأكـيـد أن المرأة في حـاجـة إلى العـون في مـثل هذه الظروف التي تتعرض لهـا؛ وذلك ممن حولها من القريبـات والصديقات. ولا بد من استشارة أهل الخبرة والرأي أو الاختصاص، وأيضًا طلب العون من الأقرباء للتدخل لإصلاح ما يمكن إصلاحه؛ لتـأمين الحد الأدنى العادل والممكن للحفاظ على توازن الزوجة وعلى الحياة السعيدة المقبولة.

العنوان: أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية).
المؤلف: د. غيثان بن علي بن جريس.
الناشر: مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط1، 1417هـ/1997م، 584ص.

غلاف الكتاب

بدأ المؤلف كتابه بإهدائه إلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير. ثم الشكر والتقدير للأستاذ سليمان بن محمد بن عبدالله بن حبتر لنشره الكتاب على نفقته الخاصة. ثم بمقدمة لخص فيها أسباب تأليف هذا الكتاب، والمشكلات التي واجهته، وأوجز فيها عمله في الكتاب.

وقد انتظم الكتاب في مقدمة وخاتمة وسبعة فصول وبعض الملاحق التي لم تُنشر من قبل وفهرس بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها في كتابه.

ففي الفصل الأول ناقش المؤلف الطبيعة الجغرافية والسكانية لحاضرة أبها، فتحدث أولاً عن أبها وأصولها الجغرافية بدءاً من سبب تسميتها ووجودها في القديم، إلى أن أصبحت حاضرة عسير، ووصفها وذكر مساحتها وأحياءها وقراها وضواحيها وفئاتها السكانية، وأخيراً العوامل التي ساعدت على ازدهارها كدعم حكومة خادم الحرمين الشريفين، يحفظه الله، لمسيرة البناء، ووجود الأمير خالد الفيصل الذي عدّه أهم عامل في نهضة أبها وتطورها العمراني وتوسعها السريع.

وتناول ثانيًا أصولها السياسية، وذكر الأمراء الذين حكموها إلى أن جاء الأتراك وحكموا منطقة عسير مدة 48 سنة، وجعلوها متصرفية عثمانية يسري عليها النظام العثماني، وَعَدَّدَ الأمراء العثمانيين الذين حكموها. وبيّن أن أهلها لم يقبلوا بوجود العثمانيين، وظل الحكم فيهامضطربًا، إلى أن جاء الملك عبدالعزيز، رحمه الله، فطبق الشريعة ونشر التوحيد، وأصبحت عسير إمارة قاعدتها أبها. وذكر قائمة بأسماء أمرائها إلى أن جاء الأمير خالد الفيصل - الذي لا يزال أميرًا عليها منذ ربع قرن - فازدهرت في عهده ازدهاراً عظيمًا.

وفي الفصل الثاني تحدث عن التعليم الذي انتشر انتشاراً واسعًا إبان حكم الملك عبدالعزيز ومن بعده، وأصبحت المدارس الابتدائية والثانوية للبنين والبنات بالمئات، وكذلك التعليم الجامعي. كما بيّن أن هناك مكتبات ثقافية عامة ومراكز ثقافية، ونادي أبها الأدبي وجمعية الثقافة والفنون.

وتحدث في الفصل الثالث عن الحياة الاقتصادية متناولاً الزراعة وتربية الماشية، والتجارة، والصناعات والحرف المهنية، والغرفة التجارية الصناعية وأهميتها في دعم النشاط التجاري والصناعي في أبها، والقوى البشرية.

وفي الفصل الرابع تكلم على الحياة الاجتماعية والدينية؛ ففصّل القول في عادات مجتمع أبها وتقاليده من دينية واجتماعية وعمرانية. ودور الدولة في تطوير النشاط الاجتماعي لمدينة أبها؛ فذكر الجمعيات التعاونية، والنوادي الرياضية، ورعاية الشباب، والضمان الاجتماعي، والتأمينات الاجتماعية، وجمعية الهلال الأحمر السعودي. ووسائل الدولة في تدعيم الحياة الدينية الإسلامية، كجماعة تحفيظ القرآن الكريم للذكور والإناث، وجمعية البر، والحسبة، وهيئة الدعوة والإرشاد.

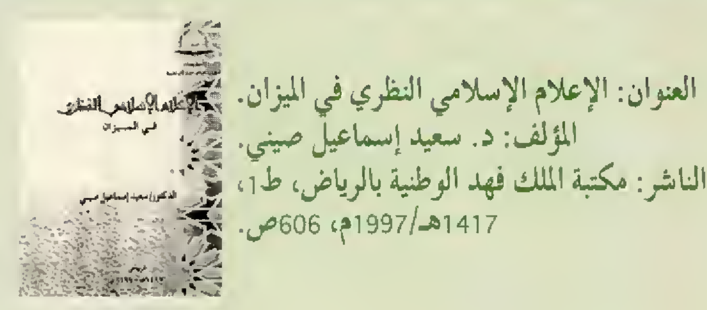
وتحدث في الفصل الخامس عن العمران في مدينة أبها وتطوره، فأشار إلى المساكن القديمة، والمساكن الحديثة، وبناء المساجد، وحفر الآبار وبناء السدود كسد أبها، والمنشآت العسكرية، والقلاع القديمة في منطقة عسير.

وعرض في الفصل السادس لجهود الدولة في خدمة المواطنين وما تقدمه لهم على جميع الأصعدة كالخدمات الصحية، وتوفير الكهرباء، وتأمين مياه الشرب والصرف الصحي، والمواصلات والطرق، والنقل الجوي، والاتصالات، والتلفاز، والشرطة والجوازات والدفاع المدني، والمرور، والبريد، وغير ذلك كثير.

وأخيراً تناول في الفصل السابع مستقبل أبها؛ فتحدث عن السياحة والآثار، وذكر الأماكن السياحية، والأماكن الأثرية والمتاحف. وختم الفصل ببعض التوصيات حول التنمية السياحية في أبها.

وفي الخاتمة طالب بإجراء دراسات تاريخية واقتصادية واجتماعية معمقة للمنطقة، لأنها جديرة بالبحث والدراسة.

العنوان: الإعلام الإسلامي النظري في الميزان.
المؤلف: د. سعيد إسماعيل صيني.
الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ط1، 1417هـ/1997م، 606ص.



غلاف الكتاب

يقع الكتاب في مقدمة وبابين وسبعة عشر فصلاً وملاحق ومراجع وقائمة بالأشكال.

ذكر المؤلف في المقدمة أن الغرض من الدراسة تقويم جهودنا نحن الذين نحاول جادين تأصيل الإعلام إسلاميًا، وتقويم كتابات من سبقونا في تنمية التراث الإعلامي الإسلامي؛ لأن العمل البشري غير معصوم ومعرض للقصور؛

ومحاولة إيجاد دراسات علمية منهجية إعلامية لخلو المكتبة العربية منها لانعدام نظرية متكاملة للإعلام الإسلامي، ولغموض المفهومات والمصطلحات الإعلامية الرئيسة.

وقد اختار الباحث تسعة مفهومات إعلامية عدّها العمود الفقري لدراسته، وهي: الإعلام والاتصال، والإعلام والدعوة، والإعلام والأنشطة البشرية، والإعلام الإسلامي والوضعي، والمصدر والوسيلة، والرسالة، والهدف والوظيفة، والترويح أو الترفيه، والجمهور.

وفي الباب الأول المقسم إلى تسعة فصول تناول المفهومات التسعة السابقة كل واحد في فصل.

أما الباب الثاني (مناهج التأصيل) فقد تناول فيه ـ عبر ثمانية فصول ـ مقدمة عامة للمنهج العلمي، ومناهج التأصيل المصرح بها، والمادة العلمية وتحليلها، وطريقة عرض النتائج، ثم الملخص والمناقشة والتوصيات.

وذكر المؤلف في مقدمة الباب الثاني (مقدمة عامة للمنهج العلمي) أنه قسم الموضوع إلى مصادر المعرفة عن طريق التلقي والملاحظة والتجربة والاستنتاج. ثم المناهج الرئيسة وسماتها وقسمها إلى: مناهج الأبحاث الوصفية، والمناهج التوثيقية (التأريخية)، ومناهج الأشياء الحاضرة التي قسمها ـ بدورها ـ إلى ثلاثة مناهج: المنهج التشخيصي والمنهج التفسيري والمنهج التقويمي أو النقدي. ثم مناهج الأبحاث الاستنباطية، ومناهج الأبحاث الاستقرائية. وميّز بين نوعين من الاستقراء: الاستقراء الذهني والاستقراء الحسي.

وتحدث عن أساليب جمع المادة الإعلامية وتحليلها، وقسم هذه الأساليب قسمين: الأسلوب الكيفي والأسلوب الكمي.

وأشار إلى أساليب عرض النتائج وذكر منها ثلاثة أساليب شائعة: الأسلوب الأدبي، والأسلوب العلمي، والأسلوب الدعوي.

وناقش نظريات الأنظمة الإعلامية الأربع: نظرية السلطة، نظرية الحرية، نظرية المسؤولية الاجتماعية، النظرية الاشتراكية (الشيوعية)، وأضاف إليها النظرية الإسلامية. وأخيراً خلص إلى مفهوم الإعلام على أنه: اتصال شخصي وجمعي وجماهيري وأنه هو الإخبار والتبليغ لتزويد الجمهور بمعلومات صحيحة وصادقة، وأنه هو الدعوة وهو الوحي والعبادات والتطبيقات الشرعية والنشاطات الدعوية والتعليمية والسياسية والعسكرية وبعض الأنشطة الاجتماعية.

وتحدث عن الترويح أو الترفيه في الإعلام الإسلامي، وعدّه نشاطات ترويحية تاريخية ليس لها صلة قوية بالمواد العصرية للترفيه، وكان الأولى أسلمة المواد الترويحية بعمق ينم على دراية وخبرة كافية. وذكر أخيراً عدة منطلقات لتأصيل الإعلام الإسلامي؛ مثل الإعلام الإسلامي هو الأسبق وهو الأحسن وهو الإيجابي. وأخيراً ذكر بعض المقترحات والتوصيات التي يجب مراعاتها والاعتناء بها للنهوض بالإعلام الإسلامي. وختم الكتاب بثلاثة ملاحق: الأول: قوائم محتويات الكتابات الإعلامية الإسلامية. الثاني: كشاف الأعلام العربية. الثالث: كشاف المؤلفين الأجانب. ثم قائمة بأسماء المراجع العربية والأجنبية.



غلاف الكتاب

العنوان: المكي والمدني في القرآن الكريم.
المؤلف: د. محمد بن عبدالرحمن الشايع.
الناشر: المؤلف نفسه، ط1، 1418هـ، 92ص.

يبدأ الكتاب بمقدمة تحدث فيها المؤلف عن أهمية علوم القرآن الكريم ودراساته، وأثر المكي والمدني في التفسير والترجيح بين أقوال المفسرين من جهة، ومعرفة تاريخ النزول والناسخ والمنسوخ من جهة ثانية، ومعرفة ما استقرت عليه الأحكام من جهة أخرى.

ولم يقسم الكتاب إلى أبواب وفصول وإنما اكتفى بوضع عناوين لكل فكرة.

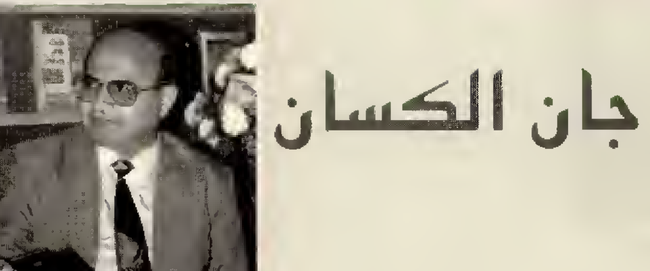
فأول ما تحدث عنه تعريف المكي والمدني بالنظر إلى مكان نزوله. فما نزل بمكة فهو مكي وما نزل بالمدينة فهو مدني. ثم تعريف المكي والمدني بالنظر إلى المخاطَب، فالمكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة. وكل ما بدئ بـ: «يا أيها الناس» فهو مكي، وما بدئ بـ: «يا أيها الذين آمنوا» فهو مدني. ثم تعريف المكي والمدني بالنظر إلى زمان النزول، فما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني.

وتناول في فكرة أخرى طرائق معرفة المكي والمدني، وذكر طريقين الأول: السماع والنقل، والثاني: القياس والاجتهاد.

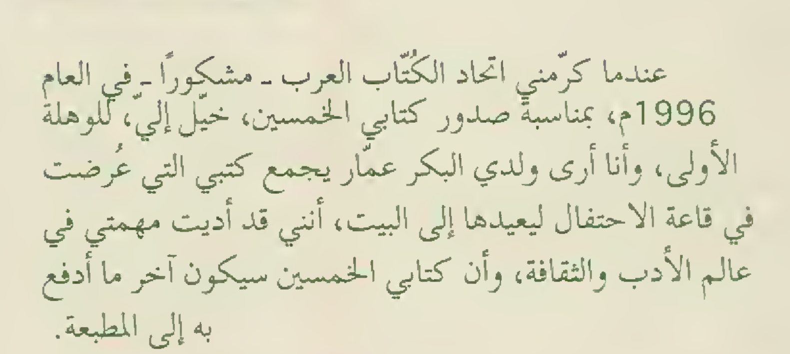
وأشار في فكرة أخرى إلى ضوابط السور المكية وعلاماتها، وذكر ثلاثاً وعشرين علامة للسور المكية، وتحدث عن الخصائص الأسلوبية والموضوعية للسور والآيات المكية. كما أشار أيضاً إلى ضوابط السور المدنية وعلاماتها وذكر اثنتي عشرة علامة للسور المدنية، كما تحدث عن الخصائص الأسلوبية والموضوعية للسور والآيات المدنية.

وصنع جدولاً ذكر فيه السور المكية والمدنية وعددها وما وقع فيه من اختلاف، والمصدر الذي أخذ منه، والراوية الذي روى ذلك الخبر. وذكر الراجح من هذه السور إلى المكي أو المدني. وصنع جدولاً آخر ذكر فيه السور المكية حسب ترتيبها في المصحف وكذلك السور المدنية، كما صنع جدولاً ثالثاً رتّب فيه سور القرآن كلها حسب نزولها برواية أبي عمرو الداني وابن الضريس. وانتهى في كتابه إلى التقرير بأن ترتيب سور القرآن توقيفي من الله لا مجال فيه للرأي. ثم ختم الكتاب بفهارس للمراجع والمصادر والموضوعات.

أربعون عامًا.. وخمسون كتابًا



جان الكسان



عندما كرّمني اتحاد الكُتّاب العرب ـ مشكورًا ـ في العام 1996م، بمناسبة صدور كتابي الخمسين، خيّل إليّ، للوهلة الأولى، وأنا أرى ولدي البكر عمّار يجمع كتبي التي عُرضت في قاعة الاحتفال ليعيدها إلى البيت، أنني قد أديت مهمتي في عالم الأدب والثقافة، وأن كتابي الخمسين سيكون آخر ما أدفع به إلى المطبعة.

ولكن وفي الليلة ذاتها، وجدت نفسي أجلس إلى مكتبي لأضع مخطط مشروعي الروائي الكبير الذي بدأته ـ مؤخرًا ـ وهو كتابة ثلاثية روائية أرصد فيها المجتمع السوري منذ نهاية مرحلة الحكم العثماني حتى اليوم، وهذا العمل الروائي هو طموحي الكبير، أو ما يمكن أن نسميه (مشروع العمر) إذا أمدّ الله عز وجل في عمري حتى أنجزه كاملاً.

معاناة متواترة مع القصة

كانت رحلتي مع الحرف، على مدى أربعة عقود من الزمن، وبخاصة في مجال كتابة القصة القصيرة، نوعًا من المعاناة المتواترة والرصد الدؤوب مع نخبة من الزملاء كُتّاب القصة الذين برز أكثرهم في عقد الخمسينيات، حيث كانت هناك قصة سورية تشق طريقها إلى تميزها على الصعيد العربي.

كانت القصة القصيرة فنًا أدبيًا جديدًا من فنوننا الأدبية أفرزته بدايات مرحلة التلاقح الفكري الحديث مع الغرب، وبدأت إرهاصاتها الأولى في سورية مع بداية عقد الثلاثينيات، وتبلورت في الأربعينيات مع محمد النجار، وفؤاد الشايب، ووداد سكاكيني، وعلي خلقي.. ثم جاء عقد الخمسينيات وتألق هذا الفن مع مجموعة كبيرة من القصاصين، وكان نشر قصة متميزة في صحيفة «النقاد» الدمشقية مثلاً، حدثًا يشغل الناس والقراء مدة طويلة حيث كانت تحتدم حولها الآراء والمناقشات.

وجاء عقد الستينيات يحمل الأمل بأن الجيل التالي من كُتّاب القصة سيُطَوِّرُ مسيرة الرواد، وتتبلور بين يديه قصة ناضجة في الشكل والمضمون تتجاوز التعريفات التقليدية التي ما يزال أبناؤنا يقرؤونها في الكتب المدرسية. لكن الواقع خيّب الآمال.. وبدت القصة السورية محكومة بكثير من (الاختلاطات) في العقود الثلاثة التالية وكأنها تراوح في مكانها، وإن كانت هذه المراوحة تدخل في مجال النسبي وليس المطلق إذا وضعنا في الحسبان تجارب استثنائية تظهر بين عام وآخر لدى هذا القاص أو ذاك.

وإذا كان هناك استثناءات للقامات الطويلة في القصة العربية الحديثة بعامة، فلأن محاولات التحديث والتجريب كثيرًا ما تعتمد على أسلوب المقافزة المقلدة للتجارب المتواترة من الشرق والغرب دون الوقوف، في أكثر الأحيان، على أرض صلبة من استيحاء البيئة، والخصوصية، واستلهام التراث، بالإضافة، إلى الخلط بين أسلوب القصة الحديثة والقصيدة الحديثة وخاصة في الترميز، مما جعل كتاب القصة يتجاوزون مفهوم (القصة) ـ ولا أقول (الحدوتة) ـ من (القص) إلى التداعي، ومن الحوار إلى المونولوج، فتشابهت القصص، وغاب عن أكثرها التميز المأمول.

الهاجس الأول

بدأت في الخمسينيات، وفي سن مبكرة كاتب قصة قصيرة، وكنت في السابعة عشرة من عمري عندما فازت قصتي «المطر يغسل الأرض» بجائزة مجلة «أهل النفط» بين عدد كبير من القصص التي شارك بها كتّاب، ومنهم محترفون، من جميع أنحاء الوطن العربي. كانت القصة بالنسبة لي هاجسًا من نوع خاص يختلف كثيرًا عن هواجس بقية أنواع الكتابة التي مارستها فيما بعد، في الأدب والصحافة.

في القصة أجد نفسي أكثر من أي فن أدبي آخر فرضته ظروف الحياة، أو نوعية وسائل النشر والإعلام السمعية والبصرية، ومن هنا فإنني لا أزال أعيش هاجس القصة من العذاب الجميل المتواصل، على الرغم مما يبدو فيه من مراحل متقطعة يسرقها جهد وافر في تحقيق أثر آخر، إبداعي أو توثيقي.

التعددية في الإنتاج

أما عن التعددية في الإنتاج والكتابة، ففي مجتمع مثل مجتمعنا العربي، لا تزال نسبة الأمية فيه عالية، وأصبحت وسائل النشر والإعلام المرئية والمسموعة: إذاعة، مسرح، تلفاز، سينما تطغى على وسائل النشر المطبوعة والمقروءة: كتاب، صحيفة، مجلة لابدَّ للأديب والكاتب، كي يصل بأدبه إلى الجمهور الواسع - وهذا هو أدب الأديب في النهاية - من اعتماد فنون متنوعة في العطاء، مادام المسلسل التلفازي يشاهده الملايين، بينما لا يُطبع من الكتاب الأدبي وسطيًا أكثر من ألفي نسخة لأكثر من مئتي مليون عربي، كما أن الأبواب والحدود العربية كثيرًا ما تُوصد في وجه الكتاب والمجلة والصحيفة وتُفتح أمام المادة التلفازية والسينمائية والمسرحية.

من هنا كان تحوّل القصة القصيرة مثلاً إلى سباعية تلفازية، وتحوّل الرواية إلى مسلسل من ثلاثين حلقة، والفكرة الموجزة إلى فيلم سينمائي، والحوارية إلى مسرحية.

بين الصحافة والأدب

كثيرًا ما تواجهنا جملة «الصحافة تقتل الأديب».. وأنا لا أجد تناقضًا بين مهمة الصحافة والعطاء الأدبي إلا في



جان الكسان في حفل تكريمه بين د. زهير غزاوي والدكتور عبدالله أبو سيف



أحمد أبو خليل القباني

أدوات التعبير، فقد يكون الأديب صحافيًا ناجحًا، والعكس صحيح.. وخاصة أن أسباب التفرّغ للإنتاج الأدبي غير متيسرة بصورة عامة للأدباء العرب.

أنا أخالف جميع الذين يقولون: إن الصحافة تأكل الأديب، بل على العكس من ذلك، إنها تفتح أمامه آفاقًا واسعة ليغني تجربته الأدبية من خلال معايشة هموم الناس بين طموح تطلعاتهم من جهة وانكسار أحلامهم من جهة ثانية، أو من خلال الاستطلاعات الميدانية التي يقوم بها، والشرائح الاجتماعية المختلفة التي يلتقيها أو يعايشها. وقد عمل كبار كتاب العالم في الصحافة سنين طويلة، وأنتجوا أعمالاً إبداعية متميزة، وفي الوقت ذاته كانوا يتابعون الكتابة في الصحافة، والأمثلة معروفة وكثيرة.

الأرشيف.. لغة العصر

ومن تجاربي التي أعتز بها، أنني نظمت أرشيفًا شخصيًا نادرًا، يحوي نصف مليون مادة وأكثر من مئة ألف صورة. وهذا ما ساعدني على إصدار مجموعة من المؤلفات التوثيقية (خمسة عشر مؤلفًا) إلى جانب كتبي الإبداعية الأخرى في القصة والرواية والمسرحية وأدب السيرة والنقد وأدب الأطفال، ومع هذا فإن عملية التوثيق التي تعتمد الأرشيف، وخاصة قبل عصر الميكروفتش والميكروفيلم والإنترنت، مهمة صعبة لا تقل أهمية عن عملية الإبداع، وبخاصة في حياة الصحفي الكاتب الذي أصبح الأرشيف عصب عمله المعاصر.

ولكني، ومن خلال التجربة، لاحظت انصرافًا لدى كثيرين من الكتاب والصحفيين والأدباء والمثقفين، عن

نحن العرب، لا نزال مقصرين في مجال التوثيق، ولاسيما في توثيق التراث في مختلف الآداب والعلوم والفنون!

جان الكسان

مهمات الأرشفة والتوثيق. صحيح أن هناك أرشيفًا عامًا في إدارات الصحف والمكتبات العامة، ومراكز البحوث، والمراكز الثقافية، وبعض المؤسسات، ولكن تظل هناك أهمية للأرشيف الخاص.

وهناك ظاهرة سلبية بادية لدى بعض كتابنا وصحفيينا، وحتى لدى بعض الباحثين، وهي أنهم لا يجهدون أنفسهم في العودة إلى الأرشيف لإغناء معلوماتهم وكتاباتهم، فلا يستطيع أحدهم مثلاً أن يكتب زاوية في صحيفة عن موقفه من الأحداث العالمية، من الحروب، والمجاعات وموت الأطفال إذا لم يعتمد معلومات يقف من خلالها على أرقام المبالغ التي تصرف في تجارة السلاح، أو التي تُصرف على الصحة العامة، وعلى عدد الأطفال الذين يموتون من الجوع والمرض، حتى تكون الزاوية التي يكتبها مقنعة، ونحن في عصر تجاوزنا فيه الأسلوب الإنشائي التقليدي إلى كتابات معاصرة لا تحتاج إلى ديباجة فخمة أو ألفاظ جزلة.

نحن العرب، لا نزال مقصرين في عملية التوثيق، حتى في توثيق التراث في مختلف موضوعات الآداب والعلوم والفنون، وقد نفاجأ عندما لا نجد في المكتبة العربية مثلاً كتابًا عن أحمد أبي خليل القباني الذي لم يكن رائد المسرح السوري فقط، بل رائد المسرح العربي، في حين نجد على الأرصفة ثلاثة كتب تجارية هزيلة عن مطربة ناشئة.

لقد ظهرت دعوات كثيرة لتطوير العمل العربي، في مجالات التوثيق العصري، لكن أكثر هذه الدعوات لم تلق الاستجابة، ولن يدخل العرب العصر إذا وضعوا مثل هذه المشاريع المعرفية، الحيوية والعصرية، في جدول اهتماماتهم الهامشية.

إن التحقيق والتوثيق مهمة ضرورية، يجب ألا تظل محصورة ضمن اهتمامات الأفراد، ولا بدَّ من اعتماد التوثيق العلمي المنهجي الذي يخدم مشاريع الإنماء، والتطور، والسباق العالمي المتسارع في مختلف الميادين، وخاصة أن مئة ألف صفحة أصبحت تُعبأ في أسطوانة صغيرة، وأن ثورة الحاسوب لا تنتظر القابعين وراء أكداس الأوراق الصفراء دون عمل. ولا بدَّ هنا من الاستدراك والإشارة بكثير من التقدير إلى ما تحققه المملكة العربية السعودية في هذا المجال، وكانت الموسوعة التي صدرت - مؤخرًا - برعاية سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز أحد هذه الجهود المتميزة في هذا الميدان.

الصحافة لا تقتل الأديب؛ بل تفتح له آفاقًا واسعة ليغني تجربته الأدبية من خلال معايشة هموم الناس ومشكلاتهم

الكتابة الأكثر صعوبة

وأقف مع تجربتي في مجال أدب الأطفال - ولي فيه عشرة كتب مطبوعة - لأقول: إن مهمة الكتابة للأطفال تلقي على عاتق الكاتب مسؤولية استثنائية في زحمة ما يُكتب ويُنشر ويُبث لأطفالنا، من الغث والسمين، وخاصة أن مثل هذا المجال - الجديد نسبيًا - أصبح مجالاً للارتزاق السريع في كتابة القصص وفي برامج ومسلسلات التلفاز.. وقد تعالت أصوات كثيرة هنا وهناك، تطالب بإنقاذ الأطفال من كثير مما يُبَثُّ لهم على الشاشة الصغيرة بأسلوب الإثارة، بدءًا من غراميات الملكة ماري أنطوانيت، ومرورًا بالقصص التي تمجد القوة الفردية الخارقة، وانتهاء بعوالم الفضاء المصورة بعيدًا من الحقائق العلمية، وما تقدمه الشاشة الصغيرة، ينسحب بشكل أو بآخر على بعض ما يُنشر في كتب الأطفال أو في مجلاتهم أو في الصفحات الخاصة بهم في الصحف والدوريات.

المثقفون والمجتمع

وأقف أخيرًا مع المشهد الثقافي اليوم، ومعطيات تقدمه أو انحساره، لأقول: إن العلاقة جدلية بين الثقافة والمثقفين من جهة، والمجتمع الذي يعيشون فيه من جهة أخرى، بحيث لا يمكن فصل القطاع الثقافي عن بنية القطاعات والشرائح الاجتماعية، لأن الثقافة إفراز من هذا المجتمع.. وبعيدًا من لغة التفاؤل أو التشاؤم أقول: إن الثقافة في وطننا العربي محكومة في كثير من الأحيان بظروف صعبة، وإن عددًا من مثقفينا في هذا القطر أو ذاك، يعزلون أنفسهم عن القضايا الأساسية والمصيرية للإنسان العربي، وبخاصة أولئك الذين هيأت لهم الظروف مناخًا من الراحة المعيشية أو المنصب المرموق، ولا أقصد هنا الأدباء فقط؛ لأن تعريف «المثقف» ينسحب على شريحة كبيرة من غير الأدباء.. مع الإشارة إلى بعضهم الآخر (المأزوم)، الذي يصمت أحيانًا حين يتطلب الأمر تأكيد الحضور، أو يتأزم في دائرة المعاناة الشخصية الضيقة، أو ينهزم أمام أبسط العقبات ويدعي أنه مضطهَد.. وهناك نوع ثالث استعراضي يركب الموجة ويحقق المكاسب.

وهكذا نجد أن عملية التثقيف الحقيقي في مجتمع ما هي التي تنمو في مناخ صحي، وأرضية مشتركة للعمل، ودعم حقيقي من الدولة، وواقع لا تكون فيه برامج محو الأمية تزيد في نسبة الأميين.

عندما يدور الشهر.. أو يستدير القمر
أنت على موعد دائم مع









«الصحافة الشابة لكل الأجيال»

AL JEEL

تقرأ فيها باستمرار:

- معالجات عميقة وجادة وشيقة لأحداث الرياضة السعودية والعربية والعالمية.
- لقاء مع نجوم الرياضة في مختلف الألعاب.
- تحقيقات في مختلف المشكلات والقضايا الاجتماعية الشبابية.
- حوارات مع كبار المفكرين والأدباء والفنانين.
- دراسات نقدية لروائع الأدب، ومتابعات لأحداث الفن والثقافة.
- إبداعات الشباب في مختلف الفنون الأدبية.
- كل ما يهم الأسرة من طب وعلوم وتربية واقتصاد.

لكل ذوق.. ونحن نرضي كل الأذواق
مع «الجيل».. أنت تقرأ في كشكول الحياة



فوائد عديدة واستعمالات كثيرة

بقلم: سيلفيا ديوران شارنوف

عرض وترجمه: **أدهم شاكر عضيمة**

غالبًا ما نمر بها مرور الكرام ولا نعيرها اهتمامًا، تلك هي العضويات التعايشيّة المعروفة بالأشنيات؛ كتلك التي تنتشر بقعًا على جدران البيوت في كروم العنب، وتستولي على الاهتمام حاليًا لخصائصها الطبية والتزيينية والكاشفة للتلوث.

أشنة الغزال ذات الاسم اللاتيني Cladina Stellaris تُعدّ الطعام المفضل لغزال الكاريبو في أمريكا الشمالية وأيضًا للغزال الآسيوي/ الأوروبي

تقول سيلفيا ديوران شارنوف: «بقيت أنا وزوجي خمسة وعشرين عامًا مأخوذين بالجمال الرائع والتنوع المدهش للأشنيّات. ومنذ سبع سنوات دفعنا انبهارنا بها إلى تصوير ما استطعنا من أنواع تجاوزت 3600 نوع في الولايات المتحدة وكندا. وفي متابعتنا للأشنيات سافرنا من آلاسكا إلى الجزر الصغيرة في فلوريدا. تسلقنا الأشجار والمرتفعات، خضنا المستنقعات وزحفنا فوق هضاب التوندرا ورمال الصحراء آملين على الدوام في العثور على نوع منها لم نعهده من قبل.

في وديان غرب آيداهو الكثيرة الرياح عثرنا على العديد منها، وقد ركّزنا الانتباه على بساط الأرض متجاهلين الشجيرات الأخرى الجميلة التي تزخر بها المنطقة. ورأينا أشنيات مائلة إلى الصفرة بحجم حبة اللوز معشّشة بين الحجارة الصغيرة. وتُعرف هذه بالأشنيات السائبة نظرًا لعدم



سفح إحدى
الغابات وقد
ظهرت فيها
الأشنيات بلون
أخضر



أشنيات تُغني التربة من نوع Peltigera Aphthosa منتشرة بين الطحالب النجمية. وهي من المواد المثبتة للآزوت (النتروجين) في التربة نظرًا لاحتفاظها بكميات كبيرة منه داخل الثآليل الداكنة الحاوية للبكتيريا الآزوتية

تمسكها بأي جسم آخر، لذا فهي عرضة لأن تذروها الرياح. وفي تجمعاتها عند المنحدرات الخالية من الثلج تكون غذاء للغزلان أيام الشتاء الطويلة القاسية. وفي الشرق الأوسط كان القرويون يجمعون هذه الأشنيات السائبة ويصنعون منها خبزًا.

التركيب العضوي للأشنيات

وإذا استبعدنا الأشكال الشبه النباتية من الأشنيات؛ فإن الأشنيات في الحقيقة ليست نباتات؛ وإنما هي عضويات مركّبة تتألف من شريكين في التركيب وربما ثلاثة شركاء شديدي الاختلاف عن بعضهم بعضا وإن أيًا منها لا يعدّ نباتًا. ولم يعد علماء البيولوجيا يرون مفهوم تسمية المملكتين النباتية والحيوانية مناسبًا لتصنيف كل الكائنات الحية. فالفطر والبكتريا والمتعضيات البسيطة التركيب كالطحالب تشكل حاليًا مملكة قائمة بذاتها. والشريك في التركيب المسيطر في الأشنيات التعايشيّة هو الفطر Fungus متحدًا مع مستعمرة من الطحالب Algae أو من البكتريا الزرقاء، وكلاهما يشكلان غذاء من طريق عملية التركيب الضوئي Photosynthesis.

وبفصل الفطر عن الشريك في التركيب فإنه في حد ذاته كتلة لا شكل لها. وفي السبعينيات أجرى عالم النبات فيرنون أحمد جيان، في دراساته

الأشنيّات

فوائد عديدة واستعمالات كثيرة

حول التعايشية، فصلاً في نوع من الأشنيات بين المركب الفطري المنشأ والآخر العشبي من طريق زرعهما ومن ثم دمجهما. والعالم أحمد جيان من جامعة كلارك في ولاية ماساشوسيتس كان أول من توصل إلى عملية دمج الأشنيات. ومن خلال عملية إخضاع ثانية لهذا النوع من الأشنيات للتحليل الضوئي ظهرت المراحل الأولى لمجموعات أشنية سُمِّيَت حاملة الأبواغ الحمراء، وهذا ما أعطاها التسمية المعروفة وهي «الجند البريطانيون».

أشنيّات للصباغة

يساعد ما يقرب من 600 من المركّبات الكيماوية الخاصة بالأشنيات على إبقائها على قيد الحياة في البيئات المنعزلة، وتدفع عن نفسها هجمات البكتريا والفطور الأخرى وآكلات العشب. وما يُطلق عليها اسم المستخلصات الأشنية كالأصبغة والسموم والمضادات الحيوية جعل من الأشنيات مادة كثيرة النفع للناس من مختلف الثقافات، ومصدرًا للأصبغة والعلاجات. وتأتي التدرجات الدافئة لمشتقات اللون البنّي للسجاد المصنوع بأيدي الحائكين في منطقة راما نافاهو Ramah Navajo في المكسيك من غلي الأشنيات السائبة. وتحوي الأشنيات، التي كانت تُستخدم في صبغ قماش هاريس تويد المشهور في اسكوتلندا، مواد كانت تعطي النسيج رائحة التراب، واشتهر بكونه نسيجًا مضادًا للعث. أما الأشنيات الرمادية المتشابكة التي كانت تغطي صخور سواحل البحر المتوسط، والتي كانت تُنقع في البول الغني بالأمونيا فقد أعطت بعض أشهر الأصبغة القرمزية الملكية في الحضارات القديمة.

والأشنيات من نوع عين الذئب Letharia Vulpina هي الأوسع انتشارًا بين أشنيات الصباغة لدى سكان أمريكا الأصليين. وكانت أقوام الشيلكات Chilkat في آلاسكا تقايض سلعها البحرية مثل زيت السمك مقابل أشنيات عين الذئب من أجل تلوين ما يقدسون من لباس الرقص. وما زال هذا اللباس مستخدمًا في الاستعراضات الراقصة لأقوام الشيلكات.

ومع ما يُعرف عن أشنيات عين الذئب بأنها سم للذئاب فإن لها مكانًا في كتب الوصفات الدوائية لسكان أمريكا الأصليين. وفي إحدى هذه الوصفات نجد منقوعًا من هذه الأشنيات يشبه منقوع الشاي يُستخدم خارجيًا لمعالجة مشكلات البشرة. وبينما تُستخدم العشرات من أنواع الأشنيات علاجات تقليدية؛ فإن القليل جدًا من هذه الزمرة يستطيع منافسة الأشنيات من عائلة أوزنيا Usnea بوصفها شافيات فعالة تُستخدم مع الشاي، أو مرهمًا ملطفًا في كل جزء من العالم تقريبًا.

ويُستخدم المستخلص (حمض الأوزنيا) في تركيب بعض المراهم الأوربية المضادة للحيويات.

صخور تجيد الرسم

هناك على سفوح كاليفورنيا في سييرّانيفادا تصادف العين شقوقًا صخرية بشكل صفائح مرصّعة بالأشنيات بأشكال توحي بأنها قد صُوِّرَت ولُوِّنَت بيد موهوبة فائقة العبقرية. وفي نيفادا الغربية يطلق هنود البايوته Piute على عناقيد الأشنيات الزاهية الألوان اسم لقاح السحالي Lizard Semen تلميحًا إلى ما تقذفه السحالي في أثناء عروض التزاوج، وهذه الأشنيات تُستخدم علاجات طبية.

وتذكر الأساطير عند شعوب شمال غربي أمريكا الأصليين أن شعر الضبع الطويل علق في غصن شجرة، وبفعل السحر تحول إلى طعام يتدلّى من الأغصان على شكل عناقيد كثيفة تشكّل طعامًا لذيذًا لبعض القبائل، ومقززًا لقبائل أخرى كانت تتناوله وقت المجاعات. كما كان بعض سكان نيفادا الأصليين يمزجون هذه الأشنيات بالطين



أشنة «حرير الصنوبر» ذات الاسم اللاتيني Usnea Longissima معروفة عند الصينيين منذ القرن السادس الميلادي ومازالوا يستخدمونها في العلاج الطبي

ويستخدمونها في تحشية الفراغات بين ألواح الخشب المستخدم في بناء الأكواخ، وآخرون استخدموه نسيجًا لصنع الثياب. وفي شمال أمريكا تبني السناجب الطائرة بيوتها من هذه الأشنيات التي تُستخدم بيتًا أنيقًا ومخزنًا للغلال يوفر لها طعام الشتاء. وقد اكتشف عالم الأجناس كريج كيرك باتريك من جامعة كاليفورنيا ـ مؤخرًا ـ أن نوعين آخرين من أشنيات برايوريا Bryoria يشكلان الغذاء الأساسي للقرد ذي الأنف المرفوع المهدد بالانقراض في مقاطعة يونّان Yunnan في الصين. والأشنيات المسماة بأشنيات الغزال Cladina Stellaris هي من أهم الأنواع، وتُعدّ الطعام المفضل لغزال الكاريبو Caribou في أمريكا الشمالية، وكذلك لنظيره الآسيوي ـ الأوربي. وعندما تغمر الثلوج الأشنيات تحفر الحيوانات حُفرًا بعمق متر تقريبًا للوصول إليها، وتقاتل المنافسين من الحيوانات الأخرى من أجل وجبة شهية. وقديمًا كان سكان القطب الشمالي يتناولون أشنيات الغزال طعامًا بعد غليها في الماء وذلك في الأيام العصيبة. وعُدّت هذه الأشنيات علاجًا بعد أن يأكلها غزال الكاريبو، ومن ثم تؤخذ من معدته بعد تخمرها.

الأشنيات المستعمرة

يكاد يكون أي سطح ثابت صالحًا لأن يصبح مرجًا



أشنة Xanthoria Parietina تنتشر مستعمراتها بقعًا تزين جدران البيوت في مزارع العنب، وأصبحت تستأثر بالاهتمام حاليًا لخصائصها الطبية والتزيينية وقدرتها على كشف التلوث

الأشنيّات

فوائد عديدة واستعمالات كثيرة

للأشنيات. وفي الشروط المناسبة يمكن للأشنيات أن تستوطن الزجاج المحجّر لشبابيك الكاتدرائيات، وتلتصق بالسيارات المهجورة وإشارات المرور في الأوتوسترادات وحواف الأسطحة، وحتى بالسلاحف الضخمة لجزر جالاباجوس وخنافس غينيا الجديدة.

ونظرًا لنمو الأشنيات في مدى القرون وربما الآلاف من السنين دون أن نشعر بها؛ فإن بعضها يعدّ من أقدم الكائنات الحية في العالم. وهذا يجعلها ذات فائدة للعلماء في تحديد عمر القطع الفنية الأثرية وتتبّع الأحداث الجيولوجية من مثل تراجع الجموديات.

وتعمل الأشنيات عملها في تغيير مظاهر الطبيعة من طريق تفتيت الصخور وتحليلها إلى تربة مضيفة إليها المادة العضوية عند موتها. ففي صحراء النقب في فلسطين تقوم الحلزونات بتسريع العملية، وذلك عندما يساعد هطل الندى في الحفاظ على الأشنيات التي تتخفّى تحت سطوح الصخور الكلسية. ويتسبب الحلزون الذي يقتات على الأشنيات في كشط الصخور والتهام فتاتها، ومن ثم يتبرّز مقادير كبيرة من التربة.

تشكل الأشنيات في جنوب غربي الولايات المتحدة قشرة سطحية ثابتة تحمي تربة الصحراء من الانجراف. ولسوء الحظ فإن هذه السطوح شديدة الهشاشة؛ إذ إنها تستغرق عشرات السنين أو أكثر لكي تسترد عافيتها بعد تهشّمها بفعل الماشية أو المركبات الجانحة.

تحت الأقدام وفوق الرؤوس

يحوي بساط الغابة في كولومبيا البريطانية أشنيات لإغناء التربة من نوع بلتيجيرا أفتوزا Peltigera Aphthosa ومعها طحالب نجمية الشكل. وهذه الأشنية تحوي طحالب خضراء زاهية مرصّعة بثآليل داكنة تحبس في داخلها البكتريا الزرقاء المثبِّته للنيتروجين، ويتبدّى قفا الأشنية الشاحب على أطراف الأشنية. وهذه الأشنية، في كفاحها من أجل البقاء في بيئة لم تتبدل، فإنها كباقي أنواع الأشنيات الأخرى سرعان ما تتبدد في أقاليم ملوثة الهواء تعاني من مشكلات البيئة.

ونظرًا لحساسية الأشنيات الفائقة فإنها مفيدة كمؤشرات لنوعية الهواء. ففي آلاسكا يقوم كل من تشيسكا دير Chiska Derr وليندا جايسر Linda Geiser من علماء خدمة الغابات بجمع المعلومات عن فصائل الأشنيات التي سوف تتم مقابلتها بثبت مرجعي للأشنيات للوقوف على ما حلّ بها من جرّاء عامل الزمن واختلاف البيئة. وتعمل الأشنيات عمل الإسفنج في امتصاصها المواد الملوثة التي تعترضها، وبتحليل الأشنيات كيماويًا يمكن للعلماء معرفة ما في الهواء من مواد غريبة.

وفي شمال غربي المحيط الهادي تمدّ الأشجار المقتلعة بفعل الرياح الغزال الأسود الذنب بقوت معاشه من أشنيات شعر الساحرة Alectoria Sarmentosa. أما في ولاية واشنطون فإن الباحثين يدرسون الأشنيات الملتصقة بأعالي الأشجار. ولا تصبح أشنيات شعر الساحرة وافرة إلا بعد تجاوز الأشجار مئه العام من العمر.

راصدات الهواء

بعد مطر الشتاء تعود الحياة إلى الأشجار العارية

يتم تحضير الأصباغ ذات التدرجات الدافئة للون البني بغلي الأشنيات السائبة. وتُستخدم في صناعة السجاد المكسيكي خصوصًا

الأشنيّات

فوائد عديدة واستعمالات كثيرة

في ولاية أوريغون الأمريكية بتراكم عدد من الأشنيات عليها بما فيها أشنيات السنديان، وهي مادة مهمة في صنع العطور الفخمة. ومع أنها في حقيقة الأمر تكون هاجعة عند جفافها فإن هذه الأشنيات تغدو برّاقة ومتماسكة ونشطة في استقلاباتها الكيماوية عندما تكون رطبة. ونظرًا لنموها فقط حيث الهواء شديد النقاء فإن الأشنيات المسماة أوزينا لونجيسّيما Usnea Longissima تُعرف عند الصينيين باسم حرير الصنوبر في سجلّ الأعشاب للقرن السادس الميلادي، ومازالت تستخدم في العلاجات الطبية التقليدية. وبسبب وفرتها في شمال غربي المحيط الهادي فإنه لا يبدو أن أثرها قد زال من أوربا.

يعدّ التلوث خطرًا كبيرًا على الأشنيات حتى في الأصقاع البعيدة من القطب الشمالي، ولهذا فإن الغزلان التي تعتمد في غذائها على هذه الأشنيات تعاني تهديدًا متزايدًا بالحرمان. أضف إلى ذلك أن التسرّب النووي في حادثة تشيرنوبل في روسيا تسبب في تلويث الأشنيات وكذلك قطعان الغزلان في أسكندنافيا؛ ممّا دعا إلى القضاء على معظم هذه القطعان.

ومنذ عام 1859م أفاد العلماء بأن تلوث الهواء كان يقضي على الأشنيات في الأماكن الحضرية والصناعية. واليوم يشير العلماء بقلق بالغ إلى أن الأشنيات تكاد تكون غائبة عن مساحات شاسعة لأن البيئة لم تعد قادرة على إعالة هذا الراصد السريع العطب - على قوته - الذي يكشف لنا مبلغ نقاء الهواء الذي نتنسّمه.

أشنة «شعر الضبع» التي تذكر أساطير شعوب شمال غربي أمريكا الأصليين أنها تشكلت عندما علق شعر ضبع في غصن شجرة



أشنة لقاح السحلية Lizard Semen ذات الاسم اللاتيني Pleopsidium Oxytonum ذات الاستعمالات الطبية تنتشر في صحراء سيرّا نيفادا في كاليفورنيا

(*) جاء في المعجم الوسيط: الأُشْنَةُ: نبات لا زهري يتألف من كائنين نباتيين، أحدهما طحلب والآخر فطر، بينهما تكافل وتعاون وثيق. يكون على هيئة قشور أو صفائح أو فروع دقيقة لطيفة تنمو على الصخور أو الأحجار أو تتعلق بأغصان الأشجار، وتُعرف بشيبة العجوز. والجمع: أُشَن. (الوسيط، مادة: أشن).



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

التبيان في أقسام القرآن

تأليف: ابن قيم الجوزية 691هـ ـ 751هـ

القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، وهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخلَقُ على كثرة الرد. وقد استحوذ كتاب الله الكريم على اهتمام العلماء على اختصاصاتهم كافة؛ فاللغوي شاهده الأول القرآن الكريم، وكذا النحوي، وأهل البلاغة والبيان يجدون فيه طلبتهم في بيان أوجه البلاغة والبديع في اللغة العربية.

وقد كثرت المؤلفات حول القرآن الكريم وعلومه؛ فنجد في العلم الواحد العديد من الكتب المؤلفة فيه. بل إن العلماء كتبوا مؤلفات عديدة في جزئيات دقيقة من علوم القرآن؛ مثل رسم المصحف والقراءات القرآنية وبيان أسباب النزول.

ومما بحثه علماء المسلمين: «القَسَم» في القرآن الكريم، فتحدث عنه بدرالدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي (المتوفى سنة 794هـ) في كتابه «البرهان في علوم القرآن»، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (المتوفى سنة 911هـ) في «الإتقان في علوم القرآن» في صفحات من كتابيهما.

ولم أر أحداً أفرد هذا الموضوع بتأليف مستقل سوى الإمام ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن القيم أو ابن قيم الجوزية، المولود سنة 691هـ، والمتوفى سنة 751هـ. صاحب المصنفات الماتعة النافعة، بل إن كل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف ـ كما يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمته من «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» ـ، وهو تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية (المتوفى سنة 728هـ)، بل أشهر تلامذته وأكثرهم ملازمة له وأخذاً لأقواله.

وكتابه هذا «التبيان في أقسام القرآن» جعله في مئة وواحد وخمسين فصلاً، بحث فيها موضوع القسم في القرآن الكريم، بحثاً مستفيضاً، فبيّن أن الله سبحانه يُقسم بأمور على أمور، وأن القسم يأتي إما على جملة خبرية ـ وهو الغالب ـ كقوله تعالى: *فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ*. **الذاريات**:15، وإمّا على جملة طلبية، كقوله تعالى: *فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ*. **الحجر**:92-93.

كما بيّن الإمام ابن القيم، رحمه الله، أن الله سبحانه وتعالى يُقسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها، مثل:

ـ القسم على التوحيد، كقوله تعالى: *وَالصَّافَّاتِ صَفًّا. فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا. فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا. إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ*. **الصافات**: 1-4.

ـ والقسم على أن القرآن حق، كقوله تعالى: *فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ*. **الواقعة**: 75-77.

وقوله تعالى: *حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*. **الزخرف** 1-3.

ـ والقسم على أن الرسول حقٌّ، مثل قوله تعالى: *يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ*. **يس**:1-4، وقوله تعالى: *فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ. وَمَا لا تُبْصِرُونَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ*. **الحاقة**: 38-41.

ـ وتارة يقسم الله سبحانه على الجزاء والوعد والوعيد، مثل قوله سبحانه: *وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا. فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا. فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا. فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا. إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ*. **الذاريات**:1ـ 6، وقوله عز وجل في السورة نفسها: *فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ*، وقوله سبحانه: *زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ*. **التغابن**:7.

ـ وأقسم الله عز وجل على حال الإنسان وصفته، كما في سور العاديات والعصر والتين.

هذه أمور مجملة قدّم لها المؤلف، ثم فصلها بإسهاب في تضاعيف كتابه، حيث يورد كل قَسَم على حدة ويبين أداة القسم فيه والمُقْسَم به والمُقْسَم عليه، وما في ذلك من أسرار.

والمؤلف، رحمه الله، لم يرتب مواد كتابه على نَسَق معين، فلم يرتبها حسب ورودها في القرآن الكريم، أو حسب أنواعها التي سبق ذكرها. وهو في أثناء ذلك ـ كعادته رحمه الله في سائر كتبه ـ يستطرد كثيراً، ويأتي بفوائد شتى عزيزة ليست من صُلب موضوع الكتاب، وإنما يتحدث عنها عرضاً، ويُطيل في ذلك أحياناً، حتى أصبح كتابه أشبه بكتاب تفسير للقرآن أو للآيات التي يتحدث عنها. فعندما يتحدث عن القسَم في سورة النجم: *والنّجم إذا هوى*، يبحث موضوع الرؤية، وهل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربّه عز وجل عندما عُرج به إلى السماء أم لا؟ وفي بحثه للقسَم في سورة القلم: *ن والقَلَمِ وما يَسْطُرون* تحدث مطولاً عن السِّر في الإقسام بالقلم، ثم استطرد في ذلك، فذكر مراتب الأقلام وأنواعها، حيث ذكر منها:

ـ قلم القدر، وهو أعلاها وأجلُّها.

ـ وقلم الوحي الذي يُكتب به وحيُ الله عز وجل.

ـ وقلم التوقيع عن الله عز وجل وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو قلم الفقهاء والمفتين.

ـ وقلم طب الأبدان.

ـ وقلم التوقيع عن الملوك ونوّابهم.

ـ وقلم الحساب، وهو قلم الأرزاق الذي تُضبط به الأموال ومستخرجاتها ومصروفاتها.

ـ وقلم الشهادة الذي تُحفظ به الحقوق وتُصان عن الإضاعة.

ـ وقلم التعبير، وهو كاتب وحي المنام وتعبيره.

ـ وقلم تواريخ العالم.

ـ وقلم اللغة وتفاصيلها.

ـ وقلم الرد على المبطلين.

ـ وقلم الحكم الذي تثبت به الحقوق وتُنفّذ به الوصايا.

واستطرادات الإمام ابن القيم رحمه الله ليست من حشو الكلام؛ بل هي غزيرة العلم، عظيمة الفائدة، وقلّما توجد مستقلة في كتاب.

وقد طُبع الكتاب غير مرة في مصر ولبنان، إلا أنه ما زال في حاجة أكثر إلى عناية المحققين والدارسين.

الفكاهة في تراثنا الأدبي

مهند محمد الشعبي

ثانيًا: الفكاهة في مسرح الطفل

لنتفق أولاً على أن الحديث ههنا سيتركز على مسرح الطفل بوصفه نصًا أدبيًا أكثر مما هو نص ممسرح، وقبل أن نبحث في العمق، نتوقف قليلاً عند إشكالية كبيرة من إشكاليات المصطلح، مصطلح (أدب الأطفال).

إشكالية الاصطلاح

نستطيع أن نقول: إنّ لأدب الأطفال ثلاثة مفهومات متفاوتة:

1ـ أدب للأطفال: أي ما يكتبه الكبار من أجل الصغار بلغة مقاربة من لغة الطفل مع تبسيط في الفكرة.. وهنا يبدو الطفل (متلقيًا)، ومعظم أدب الأطفال يصب في هذا المصب، إضافة إلى أن هذا النتاج يعرض فيما يعرض رؤية الكبار وهمومهم ومشكلاتهم.

2ـ أدب عن الأطفال: أي ما يكتبه الكبار، لكن بمشاركة الصغار، وهنا يبدو الطفل عنصرًا فعالاً (مشاركًا)؛ فنقترب من الطفل نعيش همومه، أفكاره، لغته، طرائق تفكيره، فكاهته، ونكتب عنها وله وإليه، مما ينعكس ذلك إيجابًا على تواصل الطفل مع طفولته وأدبه وفنه، وهذا ينسحب على المسرح، فيرسم الطفل، ويصنع «ديكوره» ويبدع نصه، ويشارك في الرأي، ومن ثمّة يتعزز دوره.

3ـ أدب الأطفال: أي أن نكتب عن الأطفال وللأطفال، فنتنوع ونجدد ويكون الطفل «مشاركًا متلقيًا» كالكبير مشاركًا ومتلقيًا.

في ضوء ذلك نفهم المصطلح، فلا نشعر أن الأطفال يعيشون القطيعة مع طفولتهم بسبب التطور المعرفي والتعقد الحياتي، ولا مع أدبهم بسبب حالة التلقي التي يعيشونها دون أن يسهموا في صنع أدبهم ومسرحهم وفكاهاتهم، مع الحرص على اليسر في اللغة والأداء، ومن هنا تبدأ معاناة الكتابة على حد تعبير الأديب المسرحي توفيق الحكيم حين بدأ بتسجيل حكايات للأطفال عام 1977م «إن البساطة أصعب من التعمق»(28)؛ وهذا يعني أن أدب الأطفال على الرغم من أنه يتميز باليسر والسهولة؛ إلا أنه لا يعدّ «تصغيرًا لأدب الراشدين»(29)، ونضيف: بل هو خلق وإبداع، وحتى نفهم آلية التعامل وجدواها مع أدب الأطفال نتعرف أهم القيم المسرحية المرجوة من وراء مسرح الطفل؛ فها هو ذا «كنيث غراهام» يبين في مقال له نُشر عام 1961م هذه القيم الموجهة للأطفال في المسرح الجيد، حددها بخمسة أبعاد «التسلية، التطور النفسي، العرض التربوي، التقدير الفني، توسيع جمهور المستقبل»(30)، ويرى غراهام أيضًا «أن أسهل طريقة نفهم بها مؤسسة مسرح الأطفال هو حضور هذا المسرح، وذلك بالجلوس بين الأطفال ومشاركتهم تجربتهم الفنية حسب مستواهم»(31). وبكلمة أخرى يمكن لنا أن نختم هذه الفقرة بكلمة «جيمس باري» وقد توجه بها إلى المهتمين بمسرح الأطفال «جميع الشخوص، سواء أكانوا كبارًا أم صغارًا، ينبغي أن ينظروا إلى الحياة نظرة الأطفال»(32).

الفكاهة خطابًا

وإذا ما اتفقنا على أن «الفكاهة» في الفعل المسرحي هي رسالة ذات أبعاد: مُرسِل ومُرسَل إليه ورسالة محمولة فنيًا، كان لنا الحق بأن نبدأ الدخول إلى عالم هذه الظاهرة:

المُرسِل: وهو في طبيعته الداخلية ثنائي المنبع، الكاتب المبدع والطفل المبدع في نطاق إرسال مركّب موحّد ـ كما اتفقنا في الاصطلاح ـ وعلى الكاتب أن يضع في ذهنه:

أ ـ وعي الذات: فلا يسمح لانفعالاته الحادة ولا لانعكاساته التعبيرية أن تتسرب إلى النص دون مراجعة فكرية فنية تربوية.

ب ـ وعي الطفل: بمعرفة الطفل: نفسيته، تفاوت تلقيه واستجابته، ومعرفة الحالة النفسية، ومعرفة طرائق تفكيره ولغته وطبيعة علاقاته ومضحكاته ومبكياته وسلوكه المتنامي.

ج ـ التواصل المعرفي الجمالي: وذلك من خلال التجربة والمعايشة وتذوق الحياة، ومن خلال مواكبة المعرفة قديمها وجديدها، وما يستجد في علوم التربية والنفس والفلسفة والاجتماع وغير ذلك من قضايا الأدب والفنّ.

المُرسَل إليه: وذلك بالانتباه إلى كلية الطفل، بمفرداته، وخاصة بجانب التلقي بعديه (الاستجابي) و(العمري):

فمن حيث الاستجابة نحن أمام (مضحك واحد وأطفال في عمر واحد): فإذا ما راقبنا أثر هذا المضحك في نفسيات مجموعة من الأطفال في عمر واحد، فإننا سنلاحظ أربعة نماذج لشخصيات طفلية:

أ ـ الشخصية الانفعالية: تستقبل الرسالة (مثير الضحك)، وتستجيب بحدود الضحك نسبيًا، ويكون تعبيرها بالوجه وبالأطراف وباليدين في سياق حركة تعبيرية منضبطًا نسبيًا ومحدداً زمنيًا.

ب ـ الشخصية الاندماجية: تندمج في الرسالة وتستجيب بضحك عال في مدة زمنية أطول، وربما لا يكتفي الطفل بالتعبير بالوجه وبالأطراف؛ بل يندفع إلى التعليق ومحادثة الجوار، وفي هذا ذوبان واندماج يحمل في حدوثه خطر الانشغال عن الفكرة الأهم..، فنرى الطفل يخرج بعد العرض، وهو ما يزال مندمجًا أو شبه مندمج بالحالة الانفعالية الفكاهية.

ج ـ الشخصية الموضوعية: تستجيب في تأثر محدد (آنيًا وزمنيًا). قد تبتسم، وقد تتطور الابتسامة إلى ضحكة بسيطة، أو تتأثر لكن تعود بوعيها إلى متابعة الفكرة وربما لا تنفصل عنها.

د ـ الشخصية المستلبة: وهي ترغب في الاستجابة، وقد تبتسم مجرد ابتسامة لا روح فيها، غير أنّ ثمة روادع داخلية مانعة تمنعها من التأثر، وقد تخرج من العرض وكأنها لم تدخل إليه، وهذه الشخصية نادرة (كأن يدفع خبير تربوي أبًا، فينصحه بأن يأخذ ولده إلى المسرح ليخرجه من حالة الانطواء)، أي نعني بهذه الشخصية تلك الغائبة بفعل أزمات ما عن التأثر والانفعال بأفعال خارجية.

وهنا يخطر في بالنا التساؤل: مادام المثير (المضحك) واحدًا فلمَ هذا التفاوت في الاستجابة؟

في مراقبة بسيطة قمت بملاحظة هذا التباين في أكثر من عرض.. فوجدت أن المثير واحد، ولكن كان التباين في الاستجابة، ولم ألحظ أن للعمر أي تأثير بيّن في ذلك.. وتابعت الأمر في عدة مطالعات وتساؤلات ومتابعات، وكانت النتيجة التالية: أنّ الطفل ابن

وفي مسرح الطفل 2

بيئته تنعكس التحولات الاجتماعية والاقتصادية والأسرية والمدرسية وغيرها على نفسيته فيتأزم ويتوتر.. وعندما يأتي إلى المسرح فإنّه يشعر بالترفيه وبالتوازن الداخلي إضافة إلى استفادته من مجموعة قيم في السلوك وفي التربية وفي العلاقات الاجتماعية، ونعني بالترفيه: أن الطفل يبكي أو يضحك في أثناء العرض لأمر ما بداخله، فيشعر بعد ذلك بشيء من الارتياح، فيتوازن داخليًا ويتكيف مع محيطه الخارجي؛ وهذا ما أشار إليه الكاتب زكريا إبراهيم، وسمّاه (التطهير الكوميدي) تمشيًا مع نظرية أرسطو في (التطهير التراجيدي). هذا وإن تفاوت الاستجابة من طفل إلى آخر يعود إلى: ما مدى حاجة الطفل إلى الترفيه؟ وما مدى درجة توتره وتأزمه بفعل الخارج على الداخل..؟

أما إذا ما نظرنا إلى تفاوت استجابة الطفل تجاه مثيرات مختلفة متعددة)، فإننا سنلحظ: ما مدى قدرة المثير المضحك على إثارة الطفل، فقد نراه يتأثر، وقد يندمج، وقد يكون موضوعيًا، وقد يكون مستلبًا بطريقة فنية، وذلك في سياق عرض واحد، ولعل سبب ذلك يعود إلى قدرة المثير على الإثارة والحاجة الداخلية التي يحتاج من خلالها الطفل إلى الترفيه.

ولاستكمال الفائدة بعد أن اتفقنا على أن للترفيه ضرورة تربوية نفسية لتوازن الطفل داخليًا وتكيفه مع محيطه، نتساءل هل للضحك ضرورة؟

نعم... إن للضحك ضرورةً عضوية (فيزيولوجية) ونفسية واجتماعية، يقول علماء النفس: «الضحك عبارة عن اختلاجات عضلية متقطعة تستهلك الكمية الفائضة من التوتر الذي تجمّع في العضلات. وإذا استمر التنبيه وعجز الضحك عن استنفاد التوتر، انتقلت آثار الدغدغة إلى العضلات الحشوية، فتنبه بعض الغدد الدمعية، ويتحول الضحك إلى بكاء، وحينئذ ترتخي العضلات ويسكن الجسم»(34)، ويستطرد مكدوجال في هذا الصدد «ويؤكد أن للضحك من الآثار الفيزيولوجية ما لا يقل أهمية عمّا له من آثار نفسية (سيكولوجية)؛ وذلك لأن من شأنه أن يرفع من ضغط الدم، فيرسل إلى الرأس والمخ سيلاً دافقًا من الدم، كما يدلنا على ذلك احمرار وجه الشخص الطروب الذي يضحك من أعماق قلبه»(32).

حتى إنّ بعض الفلاسفة نفوا - وفي هذا تطرف - أن الضحك هو ضرورة نفسية، بل هو ضرورة فيزيولوجية، فها هو ذا ديكارت يرى أن الضحك «انفعال جسمي بحت يوسع العقل أن يتحكم به، ويرى أنه ليس من انفعالات النفس، وإنّما هو من انفعال البدن»(36)، ويضيف الفيلسوف كانت إلى ذلك «أن الضحك سببه الإعياء المفاجئ الذي يصاب به العقل، ويرى أن الضحك يقود إلى اتزان»(37)، بمعنى أن الضحك في رأي ديكارت وكانت هو استراحة العقل؛ ليستأنف نشاطه.

كما أن أهل الطب يشيرون إلى فوائد الضحك الكثيرة فهو ينشط القلب وجهاز الدوران والجهاز التنفسي وغير ذلك.

وأخيرًا يمكن لنا القول هنا وعلى حد رأي رابليه: «إنّ الضحك هو من أخص خصائص الوجود البشري»(38). ونضيف: لأنه يقود إلى توازن داخلي (عقلي ونفسي وبدني) وإلى تكيف مع المحيط الاجتماعي الذي نعيش فيه.

الفكاهة وعمر الطفل

وإذا ما انتقلنا إلى نقطة أخرى؛ لنلحظ إمكانية استجابة الأطفال في أعمار متفاوتة للفكاهة، فإننا سنجد: أن الطفل في أول عمره يتعامل مع الفكاهة الحسية، خاصةً التي تأخذ لها شكلاً معينًا وصورة متحركة تُرى بالعين، ومع تقدم عمره وتفهمه لمفاتيح اللغة ودلالاتها وصورها الحركية وغير الحركية، البصرية، والسمعية، والشمية، وتنامي الحالة الذهنية عنده، إذ يمتلك أهم المهارات التي تساعده على تخيل المجرد وتشخيص الكلمة، فإن ذلك سيجعله يتطور في تعامله مع الفكاهة من حالتها «الحسيّة» نحو حالتها «الذهنية» أو المجردة.

أما الخطاب المضحك بوصفه رسالة، فهو مهمة عرضنا الآن، ويمكن لنا قبل أن نبحث في أمر الرسالة الفكاهية أن نشير إلى أمرين نراهما مهمين:

أ- أن تمتلك الرسالة الفكاهية مقومات الفن المسرحي وجمالياته، وتُعرض بطريقة غير افتعالية، بفعل التنكيت والتهريج المقحم والقصد المسبق، فتكون بنت الحدث الدرامي بطبيعته، وتعيش مع الفكرة وتموت وتتجدد، لتستمر الفكرة أو القيمة.

ب - أن تعالج معالجة تربوية نفسية، بشرط أن نحترز من:

1- الهوس التربوي: إذ يجعلنا أبعد ما نكون من الواقعية والممكن.

2- وأن نحترز من «رؤية الكبار في علاقاتهم مع مفردات الحياة»؛ أي ألا تجعل من تَعَقُّد معرفتنا وعلاقاتنا سلطة سلبية في فهم كوميديا الطفل. وبعدئذ نتوجه إلى البعد الفني التربوي لهذه الرسالة واضعين في عين الاهتمام أن للفكاهة وجهين:

أولهما: المثير وهو الرسالة والحامل في آن، وهو ما سنقف عنده تربويًا وفنيًا... وللمثير حدود.

وثانيهما: الضحك: أي أثر المثير في المتلقي - كنا أشرنا إليه من قبل - ولا حدود له.

1- الجانب التربوي: من المفترض ونحن نكتب مسرح الطفل أو نخرج مسرح الطفل



توفيق الحكيم



ديكارت

الفكاهي من النص إلى خشبة المسرح أن نسير وفق خُطًا تربوية، وذلك من خلال إدراك دائم وتنبه لا غفلة فيه يقوم على التساؤل الآتي: ما أثر هذه الرسالة (الخطاب المضحك) في نفسية هذا الطفل - تنافرًا أو تجاذبًا - بالبعدين السلبي والإيجابي (فهناك تنافر سلبي وآخر إيجابي وهناك تجاذب إيجابي وآخر سلبي) وأثرها في سلوكه وعلاقاته مع محيطه الأسري والمدرسي والاجتماعي؟

فحين أقدم مثلاً شخصية أب تتعرض لمواقف تثير الضحك عليّ ألا أجعل للأبناء يدًا في ذلك(*)، وحين أقدم شخصية تاريخية تثير الضحك عليّ أيضًا ألا أحدث قطيعة تاريخية

الفكاهة

في تراثنا الأدبي وفي مسرح الطفل 2

مع الطفل، فيكون هذا التجاوب في المسرح من أجل إضحاك الطفل ودغدغته سلبيًا في نتائجه. وحتى لو اتفقنا على مراجعة تربوية ومعالجة دائمة للخطاب الطفلي المضحك.. فإننا أمام مشكلة لا حدود لها، هي أن الطفل خرج عن خطابه المضحك إلى خطاب الكبار (كرؤيته مسرحية مدرسة المشاغبين، وكيف كان الطلاب يتعاملون مع مدرستهم)، وأخذ يشاهد ويرى ويسمع، وغالبًا ما يكون هذا الخطاب غير تربوي خاضعًا لحسوبيات حياتية تسعى إلى التنكيت والتنفيس والتلميح، وأحيانًا إلى المباشرة ولو بطرق سلبية، لأهداف نحن في غنى عن ذكرها، ويبقى التساؤل على بساط الطرح: ما واجبنا تجاه هذه المشكلة؟

ربما نحتاج إلى مدارسة معمقة ورؤية أوضح.. إلا أننا نشير إلى أن المرسل الواعي بإمكانه أن يبث بطريقة فنية تربوية في داخل الطفل بذرة التفكير والإدراك والتحريض على استنطاق العقل من أجل محاكمة الأمور وفرزها بعد أن تغربل، وكيفية التصرف مع ما ينتج من هذا الفرز، وبمعنى آخر: أن نبثّ اللقاح العقلي في داخلية الطفل خير من الدخول في هذه المشكلة. ونرى أن نكتفي في هذا السياق بالإشارة لأنّ البحث فيه أمر يقتضي دراسة معمقة أو أكثر.

الضحك من أخص خصائص الوجود البشري؛ لأنه يقود إلى توازن داخلي ـ عقلي ونفسي وبدني ـ وإلى تكيف مع المحيط الاجتماعي الذي نعيش فيه!

2ـ الجانب الفني: نؤكد مرة أخرى ضرورة عدم الافتعال في صنع المضحك وإثارته فيأتي طبيعيًا في سياق الحدث، فيثير الضحك، وينتهي المثير في اللحظة ذاتها ـ لأن الضحك لا حدود له ـ؛ لتستمر الفكرة في وضوحها وتواصلها في ذهنية الطفل دون انقطاع، أي بمعنى أن الفكاهة غاية في أدائها وفنيتها، ولكنها وسيلة طبيعية أيضًا تعيش مع الفكرة والرؤية فتمتح الجو المسرحي حسن متابعة دون أن تغتال الفكرة المرجوة، فلا يخرج الطفل من مشاهدة العرض وهو يضحك ضحكة بلهاء دون أن يمتلك ما نريد أن نعطيه إياه، أو ما يحتاج إليه بآلية تربوية نظيفة.

وفي ضوء معرفتنا بالآفاق التربوية والنفسية وأثر المضحك في علاقة الطفل في داخليته مع عالمه الخارجي نتعرف طرائق عرض المضحك فنيًا، وكان قد أشار إلى بعض صورها الحياتية «فالنتين»(39) الذي راعى في تعرّفها النمو الطفلي وتفاوت تعامله مع الفكاهة بدءًا بالمحسوس منها وانتهاءً بالمجرد، وبالصورة البصرية وأهميتها إلى الصورة الذهنية.

إن الطفل في مراحله الأولى يضحك للشيء الغريب وغير المألوف وللتقليد والخداع والإيهام ثم للسخرية والتحدي، وقد يضحك استجابة لضحك الآخرين، أو استجابة للدغدغة من طريق «اللمس الموضعي»، والصدمة بشرط ألا تثير فيه الرعب سواء كانت بحركة خفية أم بإصدار صوت ما، وقد يضحك بفعل التكرار (تكرار حركة الشفتين أو تكرار حركة اليدين بطريقة عجيبة). وقد يضحك الطفل بسبب المفارقة التناقرية (كتقليد أب لقطة على سبيل اللعب) أو بسبب المعاكسة أو «الإغاظة» وهي «قدرة الطفل على خلق إزعاج لأحد أفراد أسرته أو مدرسته..». وهناك أسباب أخرى للضحك منها تنافر الألفاظ والتعثر في نطقها وغير ذلك.

أما طرائق عرض المضحك فنيًا، فتكاد تنحصر في محورين رئيسيين كما نراها بصورتها المجردة على الأقل:

1ـ محور الصورة: ويتفرع إلى جانبين:

أـ الجانب الثابت وهو إثارة الضحك من خلال نظام شكلي معين كطريقة لبس الثياب، نوعها، لونها، كبر الحذاء، الأنف الطويل، الرأس المدبب، الأذن الطويلة، ومن الشخصيات التي التزمت شكلاً «كاريكاتوريًا»: شارلي شابلن، وشخصيات السيرك، وشخصية غوار.

ب ـ الجانب المتغير «الحركي والإيمائي»: وهو إثارة الضحك من خلال حركة الشخصية في المكان، وخروجها عن المألوف كطريقة النظر إلى الأشياء بمدّ الرأس، أو كطريقة المشي بصورة مثيرة للضحك أو التلاعب التعبيري ـ الكاريكاتوري ـ في تعابير الوجه، وهكذا.

إن الصورة المضحكة يفهمها الطفل لأنه يعيشها بحواسه خاصة ببصره، وهنا من المفترض أن تُقدّم الفكرة المسرحية، في مسرح العرائس وغيره، من خلال الصورة الحسية بجانبيها الثابت والحركي نظرًا إلى تقبل الطفل إياها في مراحله الأولى.

2ـ محور الصوت: وهو سمعي يعتمد الحاسة السمعية ويتفرع إلى جانبين:

أـ الجانب الأدائي: وهو قدرة الأداء الصوتي على إثارة الضحك من خلال التلوين الصوتي والتعثر والتكرار والترداد والخروج عن المألوف. والفكاهة بجانبها هذا تدخل في نطاق الفكاهة الحسية، ويمكن للطفل في مراحله الأولى أن يستجيب لها.

ب ـ الجانب الحواري: وهو قدرة الكلمة من خلال الحوار على إثارة الضحك في المتلقي. وهنا ننوه بضرورة تقديم الفكاهة بحوار لغوي فصيح وميسر، وبمخارج دقيقة واضحة، والفكاهة اللغوية والحوارية هي أقرب إلى الفكاهة الذهنية، وتكون الاستجابة لها لدى الأطفال متأخرة، بوصفها تقتضي مهارات وخبرات لغوية وعقلية معينة.

إن الاهتمام بهذه الجوانب كمًّا ونوعًا سيقودنا إلى فكاهة قابلة للتطور والتطوير من فكاهة حسيّة نحو فكاهة ذهنية تتولد عنها فكاهة الأفكار، بأداء تربويّ تخدم الوسيلة فيه الغاية وبالعكس، وفنيّ ناجحين.

كلمة أخيرة

ختامًا نود أن نشير إلى ضرورة تواصل الفكرة التي ترمي إلى رؤية حضارية تجعل الطفل يعيش طفولته، وتمنحه القدرة على التوازن والتكيف خاصة في أثناء عرض المفارقة الفكاهية.. على الرغم من الاقتناع، أن هذا الكلام وهذا التواصل سيبقى دون هدف إن لم يتسحب على العملية المسرحية بأفقها التطبيقي الممارس.

كما نشير إلى أنّ هناك العديد من المسرحيات بأنواعها ـ مسرحيات العرائس وغيرها ـ التي ترعاها مؤسسات تربوية وفكرية ذات مضامين فنية وتربوية هادفة، إلا أنّ أثرها يبقى محدودًا في خضم الانجراف وراء الفكاهة المغرضة، والرخيصة والمبتذلة.

ولذلك ندعو إلى المزيد من العمل التربوي العربيّ الجماعي والتواصل والإبداع، نحو رؤية حضارية أفضل، لأن العمل الجماعي وحده هو الأقدر على تحقيق ما نصبو إليه، وهو أن نرفّه عن أطفالنا، ونغرس فيهم الأفكار والقيم الأصيلة بمثيرات فكاهية تربوية لا تكون على حساب الفكر أو القيم أو المعرفة بأنواعها، فنتجاوز من ناحية أخرى، بعنايتنا التربوية العربية، فكاهة الموقف المسرحي غير المفتعل إلى الفكاهة الأكثر انتشاراً عبر المجالات الإعلامية الأخرى كالتلفاز والإذاعة والصحف والمجلات والسينما الخاصة بالأطفال، لتعمّ الوضع الثقافي الطفلي عمومًا لا المسرحي فحسب، إضافة إلى تمكين ذهنية الأطفال من محاورة ما يعرض عليه محاورة تربوية تنتهي به إلى أخذ الموقف الإيجابي السليم، خاصة إذا علمنا أن أطفالنا صاروا معرضين أكثر، نتيجة تعدد وسائل الاتصال وتطورها وانتشار الأطباق اللاقطة، لمثيرات ضحك مبتذلة ليست كلها ذات طبيعة تربوية بناءة أو موجهة لأعمارهم.

الهوامش:

28ـ29. د. هادي نعمان الهيتي «ثقافة الطفل»، الكويت: عالم المعرفة الكويتية، عدد 123، 1408هـ/ 1988م، ص157، 156.

30ـ31موسى كولدبرغ، «مسرح الأطفال: فلسفة ومنهج»، ترجمة صفاء روماني، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1991م، ص29، 29.

32ـ وينفرد وارد، «مسرح الأطفال»، ترجمة محمد شاهين الجوهري، مراجعة كامل يوسف، ط4، مصر: دار المعارف، 1986م، ص209.

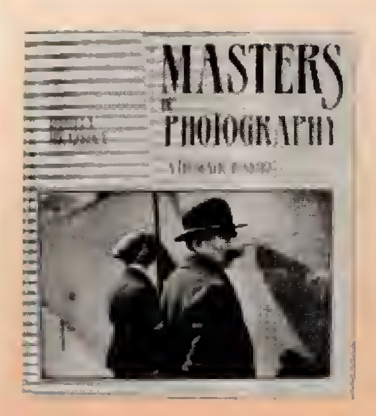
33ـ38. زكريا إبراهيم «الفكاهة والضحك»، ص8، 42، 37، 31، 32، 30.

(*) راجع مسرحية «العيال كبرت»، وهي مسرحية كوميدية للكبار.

39ـ زكريا إبراهيم «الفكاهة والضحك»، ص60.

أساتذة التصوير الضوئي

2



تأليف:
دانييلا مرازكوفا
عرض وتقديم:
إليان شكور

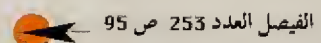
6- وولفغانغ ويبر Wolfgang Weber:

أراد دائمًا أن يسافر، فقرر أن يصبح موسيقيًا لاعتقاده أنها الطريقة الوحيدة لتحقيق حلمه. لكنه سرعان ما أدرك صعوبة التمرين المستمر والجوائز القليلة، لذلك قام بتحويل دراسته إلى علم الأثنولوجي Ethnology (علم الأعراق البشرية)، كما كان والده. وفي عام 1925م أرسله أستاذه إلى أفريقيا ليسجل أغاني المؤسسة الموسيقية في وادشاغا Wadchagga، فحمل معه آلة تسجيل وأسطوانات بالإضافة إلى كاميرا ستريو سكوبية 12× 9سم مزودة بـ 400 صفيحة للتصوير. في أفريقيا وجد ويبر نفسه مسحورًا بطريقة المحليين في الحياة، وبالوضع العام في البلد أكثر من الأغاني. وفي طريق العودة إلى برلين عرض صوره على إحدى الجرائد، فقامت بنشرها فورًا لقاء 500 مارك وهو مبلغ جيد في ذلك الوقت، مما دفعه لإعادة التفكير بتحقيق حلمه القديم بالسفر، وكان قد تلقى عرضًا بمبلغ 2000 مارك لينتج مقالاً مصورًا عن ساحة المعركة في الحرب الكبرى، وبذلك تعلق بالتصوير طوال حياته. تجول ويبر في جميع أنحاء العالم حاملاً الكاميرا والآلة الكاتبة وصُنِّف بين المصورين الأغلى في ألمانيا، إذ تلقى 350- 400 مارك عن كل صفحة مطبوعة. وصوره التي أحضرها من جميع أنحاء الكرة الأرضية، كانت تسجيلاً لحياة يومية، وكان يختار أمكنة غريبة. تأثر نشاط ويبر كثيرًا بالحرب العالمية الثانية التي عُيّن بعدها مباشرة - عام 1945م - رئيس المراسلين.

وعندما بدأت المجلة المصورة الدورية تضعف عام 1960م تحول إلى التلفاز. وقد دُعي ويبر «مصور العالم» وهو لقب ناله بجدارة.

7- روبير كابا Rober Capa 1913-1954:

ربما كان روبير كابا أعظم مصوري الحرب، وعندما قُتل في تاي بين Tai Binh في فيتنام، كتب عنه جون شتاينبك: «صور كابا صُنعت في دماغه والكاميرا أكملتها فقط». عندما اندلعت الحرب الأهلية في إسبانيا عام 1936م، كان كابا أول من شهد التأثير المرعب للحرب في الشعب المدني البريء، هذه الحرب جعلته يقرر أن يصبح مصوِّر حرب محترفًا، كي يستطيع التعبير عن مدى بغضه للحرب، أما أفضل صورة له فهي «موت جندي» التي التقطها في أثناء المعركة الأولى في الحرب العالمية الثانية. بعدها تنقل كابا من مكان لآخر، وفي تونس قدم طلبًا ليكون مع أول قوات مظلية قادمة لاحتلال صقلية، على الرغم من أنه لم يكن قد قفز بالمظلة قط. أما صورة «هجوم القوات العسكرية» فلها تاريخها وسحرها، وهي صورة من ثمانية صور أصبحت معروفة عالميًا. كان لكابا العديد من الأصدقاء، وكانوا فخورين بصداقته، ومنهم: همنغواي، وساروبان، وشتاينبك، وبيكاسو؛ وهذه العلاقات والمشاعر مع أصدقائه حملته على تأسيس صور ماغنوم Magnum في عام 1947م. وذات يوم من عام 1954م، بعد أن أنهى عمله في فيتنام، نزل من سيارة الجيب وذهب ليتمشى، فاندلع انفجار أنهى حياته.



وولفغانغ ويبر: اندفاع للحصول على الألماس، شمال أفريقيا 1920م

8- هنري كـارتيـيـه بريـسـون 1908 :Henri Cartier Bresson

هذا الرجل الخجول أصبح أشهر مصور في عصره، واسمه يقترن بنموذج التصوير البرسوني Bress-Onian. هذا المصـــــــور الأسطورة موضوعاته بسيطة: امرأة تحمل مشطًا، رجال على سياج، حبيبان على منضدة في مقهى، ولد يحمل زجاجة فارغة ويعبر الشارع. جميع الصور تحمل عناصر الحياة اليومية وتلمس أساسيات الوجود الإنساني. يقول بريسون: «هناك لحظة واحدة تكون فيها العناصر المتحركة في حالة توازن، التصوير يجب أن ينتهز هذه اللحظة». والناس في صـــور بريـسـون يمكن استبدالها، بمعنى أنه يمكن أن تكون أي أحد في الصورة. ولد بريسون في فرنسا، وفي صباه اكتشف الكاميرا وأخلص لها، وبعد الحرب أقام معرضًا كبيرًا في متحف الفن الحديث في نيويورك. شارك مع صديقيه كابا وسيمور في تأسيس ماغنوم Magnum. ولقد تميزت أعماله بأنها ليست سجلاً لأحداث خاصة في مكان خاص ووقت خاص.



هنري بريسون: أناس فضوليون، بروسيلز 1932م



هنري بريسون: صبي يحمل زجاجتين، شارع موفيتار، باريس 1954م

9- دونالد ماك كالين Donald Mccullin :1935

الدمار، العذاب، الجوع، الألم، القسوة، الحرب، تلك هي موضوعات ماك كالين، وكان يقول: «يجب أن أدخل الناس في الصورة، لقد دخلوا إليها لذلك هم جزء منها». ولد في لندن عام 1935م، وكان موهوبًا بالرسم. وعندما كان في الثالثة عشرة تلقى عرضًا من مدرسة هامر سميث للفنون والحرف، ولكن وفاة والده بعد عامين جعلته يترك المدرسة ويمارس عدة مهن حتى عمل مساعد مصور الجماعة استكشاف في مصر، وشمال أفريقيا، وقبرص، وناضل ليوفر مبلغ 32 دولارًا ليشتري أول

كاميرا له، وكان محظوظًا لالتقاطه صورة لرجل شرطة قتله مشردو الشوارع، فنشرتها له الأوبزرفر The Observer ونال الشهرة بعدها.

وصوره في قبرص نال عليها جائزة الصحافة العالمية. لم يكن ماك كالين متهاونًا في مشاعره، ولم يحاول أن يخفي شيئًا حتى ولو كان الموت، والوحشية، والألم، لأنه في ذهنه أن مهمة التصوير ليس لها أن تُظهر الجمال، بل الظلم وعدم الإنسانية التي تُقترف باسم التقدم والإنسانية.



روبير كابا: موت جندي، إسبانيا 1936م



روبير كابا: يوم إنزال النورماندي، يونيو/حزيران 1944م

10- سوزان ميسلاس Susan Meiselas :1948

في حزيران/ يونيو عام 1978م ذهبت سوزان إلى ماناغوا لنقل صورة عن الثورة هناك، ولم تكن تجيد الإسبانية. وبعد ثلاثة أشهر اشترت الصحف والمجلات في كل أنحاء العالم صورها عن الحركة هناك وحروب الشوارع، وربحت جائزة روبير كابا، وانضمت إلى صور ماغنوم، وطُبعت صورها الملونة من نيكاراغوا في كتاب. كل شيء في صورها: التوقيف، أحكام السجن، القتل، الألم، العنف، تومض بالأمل، لأن موضوعها: الشعوب هي التي تصنع تاريخها. في عام 1980م عادت إلى السلفادور المكان الأخطر في أمريكا اللاتينية، لأن الحكومة منعت دخول الصحفيين، ولكنها تابعت عملها: رجل يشعل سيجارة وهو يغلق كفنًا، جثة رجل في قميص رياضي ملون، ورأسه إلى أسفل. العنف والحياة اليومية هما عنصرا تجربتها في السلفادور، تقول سوزان: «الإنسان لا يستطيع أن يبقى دون أن يتأثر بتفاؤل الناس الذين يقاتلون من أجل المستقبل الذي يؤمنون به، ما صوّرته لم يكن الحرب، وإنما الناس في حالة ثورة، وأنت عندما تكون مع الناس تواجه الخطر نفسه، ولا يزالون يرفضون الاستسلام، لا تستطيع أن تبدأ بالتفكير في نفسك».

11- يوسف كارش Yousuf Karsh :1908

كان يوقف الناس في الطريق ويسألهم أن يجلسوا من أجله، لأن وجوههم كانت تثير الاهتمام، وهو يقول: «الوجه الإنساني هو تحدٍّ كبير لي، وأنا فضولي جدًا، وملامح الوجه تظهر الشخصية». أصبحت صوره مشهورة بكمالها، وتعكس الحياة الداخلية للشخص الجالس من خلال المعاني الفنية باللون الأسود القاتم. أشهر صور كارش تضم برنارد شو، همنغواي، خوان ميرو، بيكاسو، تشرشل، جون كنيدي، والملكة إليزابيث الثانية الحالية. وقصة تعلقه بالتصوير الضوئي بدأت باكرًا مع عمه المصور. وفي عمر 17 سنة بدأ العمل متمرنًا في ستديو بوسطن لصاحبه جون غارو، وبعد ثلاث سنوات ترك

العمل عنده وفتح الاستديو الخاص به في أوتاوا. عمل مع مجلات كثيرة منها الحياة Life، أما نقطة التحول في حياة كارش، فكانت عام 1941م عندما أصبح مشهوراً شرقًا وغربًا بعد ظهور صورته التاريخية لونستون تشرشل.

12ـ تشارلز هاربرت
Charles Harbertt 1935:

ولد في نيوجرسي عام 1935م. درس الفلسفة وعمل في فريق تحرير مجلة Jubilee، وكان له اهتمام شديد بقضية الإصلاح الزراعي وحركة السلام، فاستعمل هذا الوسط ليوضح آراءه. في البداية عمل مصورًا صحفيًا، ولكنه سرعان ما أدرك أن عمله يجب أن يعكس رأي المحرر، وهذا يعني أنه لن يكون غامضًا، وكان لديه بعض التحفظات، فبدأ يبحث عن طرق ليربط فيها تعقيدات عالمنا، وليعبر عن الحقيقة من خلال خبرة شخصية عميقة. في عام 1974م نشر كتابه Travelog وهو اعتراف شخصي عميق، مثَّل تحولاً حادًا في الفكر التصويري، وجعل من هاربرت مؤسس المدرسة الحديثة للتصوير الأمريكي. يقول هاربرت في افتتاحية الـ Travelog: «إنه توقف عن الكتابة، لأنه ضجر من تركيب الأشياء، لأنه بدأ يرى التصوير الوسط الوحيد الذي يدير حوارًا مباشرًا مع الحقيقة، ولذلك غيّر مهنته من الصحافة والكتابة إلى التصوير». وفي مكان آخر من كتابه يقول: «عندما تحكم على الكيفية أو نوعية الصورة، يجب أن تسأل دائمًا: هل الحياة حقيقية هكذا، إن صوري تجمع الواقعية والسوريالية. إنها تُظهر الوحدة، المخاوف، صعوبات الحفاظ على علاقات عاطفية، الأذى الذي يسببه الناس بعضهم لبعض، والسعادة التي يستطيعون إعطاءها والتي يعطونها بعضهم لبعض». تصوير تشارلز هاربرت يمثل السوريالية الأوروبية بالطريقة التي يعكس بها بنية المدنية الزائفة، كما مثلتها طريقة الحياة الأمريكية. في عام 1963م انضم إلى ماغنوم Magnum، ولكن حتى هناك أحس أن التصوير الصحفي ليس الوسيلة المثلى ليعبّر بها عن كل ما يحس، وبالتدريج وصل إلى تعبير تصويري جديد: حوار مع الواقع الذي يعكس ـ بأفضل ما يمكن ـ نمط حياته وتفكيره.

13ـ الأرض كما نشاهدها من فوق

معرض «أرضنا الجميلة» الذي عقد في متحف ناسا NASA في واشنطن عام 1979م ضم أول صورة لجيمس بلاك الذي صور بوسطن من منطاد عام 1860م. اليوم صنع الإنسان الأقمار الصناعية، والسفن الفضائية التي تقوم بالتقاط الصور لأغراض عسكرية واقتصادية وعلمية، ومثال ذلك القمر الصناعي الذي صور عام 1981م من ارتفاع 800-900


سوزان ميسيلاس: مركز قيادة الحرس الوطني في نيكاراغوا 1979م


التحكم في الوقت: رصاصة تخترق تفاحة بسرعة 2800 قدم/ثانية 1964م


دونالد ماكلين: فيتنام 1970م


يوسف كارش: ونستون تشرشل 1941م


يوسف كارش: إرنست همنغواي 1957م

من الثانية، واليوم نستطيع التصوير على سرعة 1/ بليون من الثانية.

في نهاية الكتاب، وعلى الجهد الكبير الذي بذلته الكاتبة في صنع كتابها، فإنها لا تنسى أن كل نتاج هو حصيلة جهد جماعي مشترك، وبأنها محظوظة لإلمامها بكل هذا الكم المتنوع من المصورين في جميع أنحاء الكرة الأرضية، والعديد منهم أصبحوا من أصدقائها المقربين. وهي فخورة بذلك، لأنه لولاهم لم تكن لتُكتب «قصة التصوير». وهي تدين لجميع الذين أسهموا بالصورة الفوتوغرافية للإنسان الحديث وعالمه. ولا تنسى أن توجه شكرًا خاصًا لزوجها وشريكها فلاديمير ريميز لدعمه وإرشاداته.

وأخيرًا فإننا، بمعرفة هؤلاء المصورين، نتعرف نماذج رائعة من التصميم والإرادة ومواجهة الأخطار والموت أحيانًا من أجل اقتناص لحظة حية تُسجَّل في التاريخ. وإذا كان هذا الكتاب لا يجمع بين دفتيه مصورين عربًا، فهذا لا يعني خلو التاريخ من مصورين نالوا الجوائز العالمية كالمصور المصري «مكرم جاد الكريم» الذي فازت صوره عن اغتيال الرئيس المصري أنور السادات بالجائزة الذهبية العالمية للتصوير والجائزة الذهبية عن أفضل صورة لعام 1982م من نادي الصحافة الأمريكية، وبذلك يكون أول مصور صحافي عربي ينال هذه الجوائز. ومن جانب آخر المصور اللبناني «عبدالرزاق السيد» الذي قُتل في بداية الحرب اللبنانية، والمصور «جورج سمرجيان» الذي صرعته


هضبة صناعية صغيرة تحيط بواحة لحماية النخيل، الجزائر 1966م

كم جزءًا من بلغاريا. وهناك تجهيزات تصويرية اخترقت قرابة 30م تحت سطح الأرض لتسجيل وجود معادن ومواد أخرى. وفي هذا المجال من المهم بشكل خاص التصوير الملون والتصوير بالأشعة تحت الحمراء. الصور الجوية الملونة تسجل ألوان التربة المختلفة التي تبين محتوى الرطوبة، عند النظر من خلال عين طائر، تصبح الأرض أكثر تكوينًا ومتعة وجمالاً.

14- التصوير يتحكم بالوقت

قذائف طائرة تتحرك بسرعة تتجاوز سرعة الصوت صوِّرت بنجاح عام 1884م، مع أن أصعب جزء في المشروع كان: كيف يتزامن الضوء مع اللحظة التي تمر فيها القذيفة أمام عدسة الكاميرا، وهذا أدى لظهور التصوير السينمائي. من الطبيعي إمكانية تجميد الحركة من طريق استعمال تعرض 1000/1 من الثانية، أما الوصول لسرعات عالية فيتطلب معدات خاصة. على سبيل المثال السلسلة الشهيرة التي تظهر انتشار نقطة من الحليب التي صورها د. هارولد ادجرتون عام 1938م استعمل 1000/6

رصاصة قناص، وكلاهما بذل حياته لينقل لنا صورًا عن الحرب الأهلية في لبنان وفظاعة الحروب وبشاعة الإنسان عندما يتحول إلى آلة تدمير من أجل لا شيء. وتقديرًا لآلة الكاميرا ولكل الذين شاركوا في تثبيت دعائم هذا الفن - العلم لنتخيل: كم من الأشياء الجميلة والرائعة فاتتنا، لأنها لم تُسجَّل في لحظة تألقها، وكم من الأشياء الجميلة والصعبة، كان يمكن ألا نراها، وكم من الأشياء واللحظات سيتم اصطيادها، وكل ذلك بسبب.. كاميرا.

مجنون ليلى

بين أحمد شوقي وعاتكة الخزرجي

د. توفيق علي منصور

المسرح الشعري قديم قدم شعراء المسرح الإغريقي: إيسخيلوس Aeschylus (525-456ق.م)، وسوفوكليس Sophocles (496-406 ق.م)، ويوريبيديس Euripides (484-406 ق.م)، وأريستوفانيس Aristophanes (450-388 ق.م). وجاء المسرح الروماني الشعري مقلداً المسرح الإغريقي. وازدهر المسرح البريطاني في عهد الملكة إليزابيث الأولى (1533- 1603م) الملكة الشاعرة، لدرجة أن بريطانيا في عهدها سميت بعشّ البلابل المغردة The nest of the singing birds، وكان على رأسهم وليم شيكسبير William Shakespeare (1564-1616م).

أما المسرح الشعري العربي فلم يظهر إلا حديثًا. يقول الدكتور شوقي ضيف: إن «أحمد شوقي يُعَدّ منشئ الشعرالتمثيلي في الأدب العربي»(1)؛ إذ خلّف شوقي سبع مسرحيات؛ ست مآس وملهاة واحدة هي: مجنون ليلى، وعنترة، وأميرة الأندلس، ومصرع كليوباترا، وقمبيز، وعلي بك الكبير، والست هدى.

أما الدكتورة عاتكة بنت وهبي الخزرجي، فقد نصّبها شعراء العراق أميرة للشعر العربي؛ ثم «بوأها العرب بالإجماع أميرة مخلدة للشعر العربي، وسيدة لأدبيات العصر وشاعراته»(2). وقد صدرت لها عدة دواوين من الشعر الغنائي التقليدي.

فديوانها الأول «أنفاس السَّحر» قدم له الشاعر عزيز أباظة. وديوانها الثاني «لألاء القمر» كتب مقدمته الدكتور أحمد حسن الزيات قائلاً: «الحب من طبيعة قلبها يصدر عنه كما يصدر العبير من الزهر أو النور من السراج». ولها عدة أعمال شعرية غنائية أخرى مثل: «ديوان الوفاء في مراثي النساء» وغيره.

ولعل مسرحية «مجنون ليلى» هي محاولتها الأولى في فن الشعر المسرحي، مثلها في ذلك مثل أحمد شوقي. وموضوع المسرحية هو الصراع بين عاطفة الحب العذري والتقاليد القبلية. والحب العذري Chivalric (Romantic) Love نموذج من نماذج الحب العربي انتقل إلى أوربا عبر الأندلس، وتغنّى به شعراء التروبادور Troubadours. ومنه ظهرت حركات الحب الرومانسي في الآداب الفرنسية والإنجليزية وغيرهما في القرون الوسطى التي تغلغلت فيها روح الفروسية، كما يقول الناقد دي روجموند De Rougemond(3). وفي هذا النمط من أنماط الحب توضع العراقيل بين الحبيبين لكي لا يقترفا آثام الحب الجسدي، ويظل الحب بينهما روحانيًا أشبه بالتصوف. ومن أمثلة هذا النوع قصيدة السيد جاوين والفارس الأخضر: Sir Gawain and the Green Knight.

والمشكلة البالغة التعقيد في حب قيس وليلى تكمن في الشعر الذي نظمه قيس في حب ليلى فملأ الدنيا من حولهما غرامًا وهيامًا بينما التقاليد العربية تستنكر ذلك وتحول دون زواجهما.

وتتلخص حبكة المسرحية - عند شوقي وعاتكة - في «أن قيسًا وليلى نشآ في بيتين من أشرف بيوت بني عامر، فتعارفا طفلين وتوادّا شابين حتى استحالت مودتهما غرامًا مع الأيام». «ثم شبّب بها قيس في شعره، فحيل بينها وبينه نزولاً على سنة البادية. فزُفّت إلى غيره، فاتّقد هواه حتى أشرف بعقله وجسمه على حال هي الجنون أو تكاد. وقيل: إن المجنون عاش في عهد مروان بن الحكم في بادية نجد»(4).

والصنعة المسرحية ترعى الحبكة وترسم الشخصيات، وتصعّد الحوار وتدفع حركة الصراع، وتنظم الحركة النفسية للشخصيات. وعنصرا الصراع هنا وهُما الحب Love والتقاليد Traditions، مصحوبان بأثرهما في قيس وليلى ضَحيَّة هذين العنصرين. أما رسم الشخصيات فيُعنى بالبعد الجسمي والاجتماعي والنفسي. «فشخصية المجنون هي البطل المأساوي The Tragic Hero، وشخصية البطلة ليلى تجمع المتناقضات التي تظل تتصارع فيها حتى تودي بحياتها»(5). وفي سياق الحوار تُرسم الشخصيات وتُنمّى الأحداث وتُصعّد ويُبنى البعد النفسي.

بنى شوقي مسرحيته في خمسة فصول Acts دون أن يقسم الفصل إلى مناظر (مشاهد Scenes)، إلا الفصل الرابع الذي أنشأه في منظرين: الأول في قرية الجن والثاني في حيّ بني ثقيف بالقرب من دار ورد زوج ليلى.

أما عاتكة فقد بنت مسرحيتها في خمسة فصول كذلك؛ ولكنها قسمت كل فصل إلى منظرين. ولعل في هذا حرية في الحركة وبناء الأحداث، وكشفًا لمكنون قلب البطل والبطلة.

سار كل من شوقي وعاتكة على نهج المسرح الإليزابيثي The Elizabetthan Theatre، وبخاصة وليم شكسبير الذي قسم المسرحية

إلى خمسة فصول وقسم كل فصل إلى عدد غير محدد من المشاهد، خلافًا لما كان دائرًا في المسرح الإغريقي الذي لم تنقسم فيه المسرحية إلى فصول أو مشاهد بأعداد نمطية(6).

وَصفَت عاتكة المشهد الثاني في الفصل الخامس «بالمشهد الأخير»، وهو تعبير غير وارد في العرف المسرحي. ومن الأوفق أن يكون «المشهد الثاني».

وقائمة الشخصيات Dramatis Personae حافلة عند شوقي، مملوءة بالشخصيات. وكلما قلَّ عدد الشخصيات الموظفة في المسرحية كان الجمهور أقدر على متابعتها، وكان الشاعر المسرحي أكفأ في وصف دخائل هذه الشخصيات والتعبير عن مكنوناتها. ومع هذا فقد برزت عدة شخصيات لم تكن واردة في قائمة الشخصيات، وهذا تجاوز مسرحي، حيث بُنيت المسرحية الإغريقية على عدد من الشخصيات لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة(7).

إلا أن عاتكة تداركت هذا الأمر فاختصرت بعض المشاهد، مثل قرية الجن وموكب الأمير رضيع الحسين، حفاظًا على الوحدة المسرحية، واستبعدت بعض الشخصيات، ومزجت (بقصد الإيجاز) عددًا من الشخصيات بعضها ببعض. فاستبدلت بشخصية الأموي (شيطان الشعر عند قيس) شخصية طيف ليلى Ghost. وهو هروب محمود من قيود شوقي.

والتوجيهات المسرحية Dramatic Directions نظرًا لأهميتها في وصف الشخصيات وتوضيح المواقف يجب أن تتميز في الكتابة من متن النص المسرحي، فتوضع في أقواس وتُكتب بخط متميز، كما تُكتب علامات الاستفهام والتعجب والتوقيف لما لها من دلالات ومعان في فهم النص.

كتبت عاتكة في هذا الشأن:

يسير قيس ويتمثل له طيف ليلى

الطيف:

أيا قيس هل أنت المحب المتيَّمُ
بليلى وهل ترعى هواها وتنسِمُ

قيس:

سلي القلب يا ليلى فقلبي مترجمُ
ولا تسألي ثغري فثغريَ أعجمُ
وإلا انظري في مقلة العينِ تَقْرَئي
سطورَ الهوى فالعينُ للحبِّ معجمُ

ولكي يُميِّز القارئ الملاحظات الهامشية من النص الشعري يجب وضع عبارة «يسير قيس ويتمثل له طيف ليلى» بين أقواس، أو تُكتب بخط مميز، أو يُوضع تحتها خط. فمثل هذه التوجيهات المسرحية يُوضع في أقواس مربعة ويُكتب بخط مائل Italic في النصوص المسرحية الأوربية والأمريكية. ومن الأصوب أن تُوضع علامة النداء؛ أي علامة التعجب بعد الاسم المنادى «أيا قيس!» كما توضع علامة السؤال بعد السؤالين الموجهين من طيف ليلى إلى قيس؛ أي بعد كلمة «وتنسم؟».

وتمزج عاتكة شخصيتي الشاعر ابن سعيد والمغنّي المشهور الغريض في مسرحية شوقي، وتستخرج منهما المغني الذي وظفته في مسرحيتها ليؤدي وظيفة الشاعر والمغني في وقت واحد، وهو مزج لا بأس به، وكان من الأوفق أن يؤدي هذا المغني دور (الكورس) Chorus الذي ينتقد الأحداث ويعلق على الشخصيات ويتوقع الأحداث، فيحكي ما لم تتناوله المسرحية من أحداث بدلاً من استخدام (جوقة) أخرى في نهاية المسرحية.

وإذا نظرنا إلى قائمة الشخصيات في المسرحية وجدنا (الكورس) الذي وظفته عاتكة غير مدرج بها وكذلك المغني والطيف. والكاتب المسرحي المحترف لا يغفل هذا الأمر. تقول عاتكة:

كورس:

شهد التوباد أن كا
نا رفيقين كلاما
وادَّعت نجد بأن كا
ن الهوى إثمًا حراما
ها هنا قيس وليلى
في ثرى نجد أقاما

كورس:

كم أبت روحاهما أن
تقبل الأرض حُطاما
وغدت في الخلد تشدو
لحنَ حبٍّ يتسامى
هاهنا قيس وليلى
في ربا الخلد أقاما

[يلوح قيس وليلى في ثياب خضر من سندس واستبرق ثم يختفيان].

والجوقة (أي الكورس) هنا قسمان: ردد القسم الأول الأبيات الثلاثة الأولى، ثم ختم القسم الثاني بالأبيات الثلاثة الأخيرة. ويجب أن يُمَيَّز القسم الأول بعبارة «كورس 1»، أو «الجوقة الأولى» وهي الترجمة العربية للكلمة الأعجمية التي استخدمتها الشاعرة في المسرحية. بينما يُميَّز القسم الثاني بعبارة «الجوقة الثانية». وعلى أية حال يجب ذكرهما ضمن قائمة الشخصيات. ومن الممكن أن يأتي المغني بمفرده، فينشد ما أنشده الكورس الأول والكورس الثاني. ويمكن كذلك أن يتبادل الإنشاد مع شاعر أو مغن آخر.

وعلى أية حال لخصت الشاعرة الحياة الدنيا التي عاشها قيس وليلى بأجسادهما ونهايتها تحت الثرى. أما حياة الروح فهي باقية في نعيم مقيم في جنة الخلد، توحي إلى الأذهان برحلة الفردوس لدانتي Dante بصحبة حبيبة روحه بياتريس Biatrice كما وصفها شاعر إيطاليا في ملحمته الشعرية الثلاثية: الكوميديا الإلهية The Divine Comedy.

ولقاء قيس وليلى في ثياب خضر رمز للقاء روحيهما في الجنة. وحتى الملاحظة المسرحية لا تخلو من حلاوة التعبير وطلاوة المضمون حين رصّعتها بآية من آيات القرآن الكريم.

وفي الفصل الأول من مسرحية شوقي يستعرض الشاعر صورة رمزية لمقابلة موضوعية Objective Correlative(8) بين ليلى وظبي اقترب منه الذئب. ولكن قيسًا أنقذ هذا الظبي من براثن الذئب. وتحكي ليلى هذه الواقعة وتطابقها على نفسها فتقول:

رأى قيس على رابـ
ـية ظبيًا فناداه
فألقى الظبي أذنيه
ومسَّ الأرضَ قرناه
فبينا هو في الشوق
وفي نشوة ذكراه
حبا الذئب من الوادي
إلى الظبي فأرداه
تغذى بحشى الظبي
غداء ما تهنّاه

وصفت عاتكة في مسرحيتها ما بأعماق ليلى وقيس كأبرع ما يكون الوصف؛ مما يدل على إحساس مرهف وتعبير دقيق يساعد على دفع الأحداث وتصعيدها!

رماه قيس في المقتَـ
ـلِ بالسهم فأصماه

أما عاتكة فقد التزمت في المشهد الأول من الفصل الأول خلقَ هذه المقابلة الموضوعية مع اختلاف في المضمون والرمز. إذ يُقبل قيس ومعه خادمه سعد ومعهما ذبيحة ظبية من الصيد يذبحها ويأكلان منها، وهي رمز لليلى، التي شبب قيس بها وأسمع الدنيا شعره فيها وأطعم الأفواه جميعًا بغزله فيها. وهي صورة يختلف مضمونها عما ذهب إليه شوقي. وقد امتازت بالبراعة في معالجتها.

وفي الفصل الثاني ربما تمثل لعاتكة بيت شوقي:

حديثُها السِّحر إلا أنه نَغَم
جَرى على فم داود فغنّاها

فراحت تنظم على أثره وصف قيس ليلى:

لقيتُ بها ما كنت أنكر قبلها
فقد علمتني الشعر والحب والسهدا
هي الحُسن إلا أنه جَلَّ وصفُه
هي السِّحر إلا أنه جاوز الحدَّا
هي النُّور إلا أنه جِدُّ مُحْرِقٍ
هي النار لكن ليس تخبو ولا تهدا

وصفت الشاعرة الغنائية في شعرها المسرحي ما بأعماق ليلى وقيس كأبرع ما يكون الوصف؛ مما يدل على إحساس مرهف وتعبير دقيق يساعد على دفع الأحداث وتصعيدها. يقول قيس:

هو الحب يا ليلى بعينيك ناطقٌ
يحدِّثُ في صمت وسحر بيانِ
ورب حديث أقصرت عنه أحرف
وضاقت به بين اللغات معانِ

وربما كانت الصورة الرمزية للشاة التي وَصَفَها شوقي على لسان عرّاف اليمامة في الفصل الثاني ليداوي بها قيسًا هي الصورة التي اقتبستها عاتكة وطورتها. يقول شوقي على لسان قيس:

وشاة بلا قلب يداوونني بها
وكيف يُداوي القلبَ من لا لَهُ قلب؟!

وتقول عاتكة إن الظبية التي أكلها قيس وسعد تمثل ليلى التي صارت سيرتها مضغة في الأفواه من كثرة ما قال فيها قيس من شعر. والشاة التي لا قلب لها عند شوقي شاة مسحورة. والصور الشعرية عن السحر شائعة عند كل من شوقي وعاتكة. ومن الأبيات السابقة تبدو ريادة شوقي في الحديث عن السحر والاستثناء، ويبدو اقتباس عاتكة أو تقليدها في الحسن والاستثناء، ثم السحر والاستثناء، وإن اختلفت بحور الشعر عند الأمير والأميرة.

وعن السحر يقول السير جيمس جورج فريزر Sir James George Frazer: «إن السحر يعمل إما بالتمثيل، أو بالتأثير»(9). وربما تداعت إلى ذهن عاتكة الصورة الرمزية للشاة المسحورة التي ليس لها قلب فبدأت بها فصلها الأول.

وعندما يفقد قيس عقله في الفصل الرابع عند كل من شوقي وعاتكة نرى شوقيًا ينظم أبياتًا منثورة ليس لها معنى تخرج من فم قيس يضحك لَهَا ويسخر منها طيفه الأموي. يقول قيس:

وجوه تصور، وفضاء يزهر، ورمال
في مطارح البصر تزخر!
وقرية تموج بالجن كأنها عبقر!

فيجيبه الأموي ضاحكًا بهذه الأبيات المختلّة الوزن:

ما هكذا يا شاعرَ البيـ
ـدِ البيوتُ تكسر!
مالك كالعود الذ
ي أدّى عنه الوتر!
ما للفظ في الأبيَا
ت منك قيس ينفر!

ولا تصور عاتكة جنون قيس بالحدث، بل بالملاحظات المسرحية، وفي أحاديث الشخصيات الأخرى. فلم يظهر جنون قيس في كلماته التي تأتي كلها موزونة ومقفاة، ولكنه يظهر في حكاية زياد عنه حين يقول:

زياد:

يهيم فلا يدري أفي الشام رجله
أم الرجل في نجد وفي ساحها الرحب
يسائل عنها الركبَ في كل بقعة
ويحيا على ماء المهامه والعشب
ويألف وَحْشَ القفر أو صار مثلها
ويعبث كالأطفال بالرمل والترب

وقد أجاد شوقي في التعبير النثري الذي يخلو من معاني الشعر الرفيع، ولعله راح يقلد شيكسبير في مسرحية الملك لير King Lear، وفي مسرحية هاملت Hamlet حين يعتور البطلَ الجنونُ في حالات الذّهول.

أما التعبير عن الجنون فلم يظهر عند عاتكة إلا في حالة محدودة من التناقض الفكري حين يصف قيس نفسه بخيبة الأمل ويتهم ليلى بالخيانة، ولكنه، على هذا، يسأل الله أن يرعاها، وهي صورة كذلك لا تخلو من البلاغة والواقعية. يقول قيس:

لحا الله قلبًا للخؤونة مخلصا
ولم يَثْنِه عنها لسانُ المفنِّد
وخيبت ظني بالحياة لأنني
ذهلت فلا ماضيَّ أجلو ولا غدي
أيا قيسُ هل تلقى الممات بقفرة
شريدًا وليلى عنكَ يا قيسُ في شُغل
رعى الله ليلى! ما الذي جرَّ حبّها؟
جنونًا وتشريدًا وبعدًا عن الأهل؟

وليس في هذه الأبيات من التناقض والاختلاف ومظاهر الجنون والارتباك سوى اختلاف القافية من الدال المكسورة إلى اللام المكسورة، والانتقال من صيغة الغائب في البيت الأول إلى صيغة المخاطب في الثاني والمنادى في الثالث، وذكر الذهول وخيبة الظن والجنون والتشريد والبعد عن الأهل مع الدعاء لها بالرعاية. كل هذا أتى في إطار موزون ومعان مترابطة. وكان من الأوفق أن يتكسر الوزن وترتبك القافية ويختلط المعنى دليلاً على الذهول والجنون كما فعل شوقي.

وفي المنظر الأول من الفصل الرابع يقدم شوقي عرضًا للأرواح يماثل ما فعله شيكسبير في رومانسية حلم ليلة صيف A Midsummer Nigh's Dream، أو العاصفة The Tempest. وهو عرضٌ مَرِح يكسر به الشاعر المسرحي حدة الملل والسآمة، ويخلق جوًا من المرح والتجديد والتهيئة لتصاعد الحدث، لم يظهر عند عاتكة. يقول شوقي في نشيد الجن:

الرقص يبعث الطرب
هلم يا جنَّ العربْ
هلم رقصة اللهب
إذا مشى على حطب
نحن بنو جهنما
نغلي كما تغلي دما
نثور في الأرض كما
ثار أبونا في السما
نحن الرعود العاصفهْ
نحن الرياح القاصفهْ

أجاد شوقي في التعبير عن جنون قيس بنثر يخلو من معاني الشعر الرفيع. أما عند عاتكة فلم يظهر الجنون إلا في حالة محدودة من التناقض الفكري!

والظلمات الزاحفةْ

عرمرمًا عرمرما

لنا وما لنا صور

نرى ونسمع البشر

وهذا المشهد ليس له ما يماثله في مسرح عاتكة.

وفي الفصل الخامس في مسرحية شوقي تموت ليلى ويجثو قيس عند قبرها. وربما استمد شوقي مشهد حافري القبور The Grave Diggers من مسرحية هاملت، إلا أن الشخصيات التي حفرت القبر مدرجة في لوحة الشخصيات Dramatis Personae عند شكسبير، وليست مدرجة في نظيرتها عند شوقي الذي أهملهم فلم يذكر منهم أحدًا.

أما عند عاتكة فقد حدث العكس إذ مات قيس أولاً وهو الشاعر الذي لا يدانيه في القريض أحد. فمن يقف على رثائه؟

هيأ شوقي موت ليلى أولاً لكي يسمعنا رثاء قيس لها. وهيأت عاتكة موت قيس أولاً لكي تسمعنا رثاء (الكورس) له.

وفي نهاية المسرحية عند شوقي لا نكاد نحس بموت قيس وهو بطلها، مما يبعده من أن يكون بطلاً مأساويًا ويُصنّفُ المسرحية تحت مسمى «الميلودراما» وليس «المأساة».

ونهاية المسرحية عند عاتكة تدخل المسرحية في مصنف «المأساة».

فعند شوقي تسمع أصوات قيس وليلى. يقول قيس:

... رنة في أذني

رددت قيس وليلى الفَلَواتْ

نحن في الدنيا وإن لم ترنا

لم تمت ليلى ولا المجنون ماتْ

أما المشهد الختامي عند عاتكة، فهو أكثر إقناعًا وعمقًا؛ إذ يموت قيس أولاً وترثيه ليلى قبل أن يموت.

يقول (الكورس) في رثاء البطل والبطلة:

كورس:

وغدت في الخلد تشدو

لحن حب يتسامى

ها هنا قيس وليلى

في ربا الخلد أقاما

ولعل عاتكة (العراقية) تدرك النمط الرومانسي المتكرر Archetype أيام ملكة بابل سميراميس، وأعني به قصة بيراموس وثيزبا Pyramus and Thisbe اللذين أحبَّ كلٌّ واحد منهما الآخر حبًا جمًا من خلال شق في الجدار ومنعت التقاليد زواجهما، فاتفقا على اللقاء تحت شجرة التوت، حيث مات بيراموس وأقبلت ثيزبا فلفظت أنفاسها الأخيرة فوق صدره ليلتقيا في العالم الآخر كما يقول الشاعر الروماني أوفيد Ovid في مجموعته الأسطورية الشعرية تناسخ الأرواح Metamorphoses(10). وهذا النمط الأصلي للحب الرومانسي تكرر في نجد بين قيس وليلى، وتكرر في إيطاليا بين روميو وجولييت في مسرحية Romio and Juliet، وربما تأثر شوقي بهذه المسرحية الشكسبيرية، وربما قرأ أوفيد واطلع على مصادر أخرى عن البطل النجدي.

وتُعدّ مسرحية شوقي الشعرية مجنون ليلى أولى مسرحياته الشعرية، والأولى من نوعها في عالمنا العربي. وربما كانت مسرحية عاتكة الشعرية آخرها. وعلى المقاييس المسرحية تعدّ مسرحية عاتكة مأساة؛ بينما تُعدّ مسرحية شوقي ميلودراما، حيث انتهت ولم نشعر بموت البطل.

حافظت عاتكة على وحدة البناء المسرحي وتكامله دون أن تخرج عنه في أعمال فرعية مثلما فعل شوقي في مشاهد قرية الجن وموكب الأمير اللذين لم يضيفا إلى الحدث إضافة جديدة.

وربما أوحت العدالة الشعرية Poetic Justice(11) إلى شوقي بأن تموت ليلى التي غدرت بقيس فتزوجت غيره. وربما كانت العدالة السماوية هي التي أوحت إلى عاتكة بأن يكون موت قيس «راحة له من كل همٍّ» وأن تعيش ليلى وأبوها:

وقد أصبحت ليلى تضيق بعيشها

فمن يرحم الظُّلاَّمَ من غضب الرب؟

وعلى أية حال، بعد أن مات قيس كُتبَتْ أبيات مجهولة القائل، فلعل القائل هو المغني الذي يقوم بوظيفة الكورس (الجوقة)، وفي هذه الحالة تكون وظيفة الكورس مزدوجة بين المغني والجوقة في مسرحية عاتكة. وربما كان القائل صديقه زياد وهو يرثيه:

أيا قيس هل تلقى الممات بقفرة

شريداً وليلى عنك يا قيس في شغل؟

ففي الموت رَوْحٌ في الفؤاد وراحة

وخير شفاء من سقام ومن خَبْل!

أما الصور البلاغية والشاعرية في التعبير ووصف الشخصيات، فهي بلا شك في جانب شوقي الذي أحسن اختيار الكلمات المعبرة والبحور والأوزان والقوافي بما يناسب الموقف؛ إن كان مرحًا فوزن المتقارب، وإن كان غير ذلك فله ما يناسبه. أما عند عاتكة ففي المشهد الأول من الفصل الخامس يرثي زياد صديقه قيسًا عند قبره بالبحر المتقارب الذي يناسب مواقف المرح، وكان من الأنسب أن يقرض شعره على البحر الطويل أو البسيط الذي يناسب معاني الرثاء. يقول زياد:

شهيد الهوى عشت ترعى العهود

وتُولي الوفاء لقلبٍ غدرْ

وغنّيتَ للحبِّ حتى سكرت

وغنّيتَ للنجم حتى سكرْ

وفي يقيني أن البيت الأخير يشهد لعاتكة بالتمكن والاقتدار. ففيه تلخيص بليغ لمضمون المسرحية.

الهوامش:

1- شوقي ضيف، شوقي شاعر العصر الحديث، (القاهرة: دار المعارف، 1953م)، ص186؛
وجدير بالذكر أن عاتكة أستاذة للأدب العربي في جامعة بغداد، حصلت على درجة الدكتوراه (الدولة) من جامعة السربون Sorbonne بباريس عن دراستها لشاعرها المفضل العباس بن الأحنف، الذي وصفه البحتري بأنه أغزل الناس. وهذه الدراسة النقدية كُتِبَتْ منذ أحد عشر عامًا بعد الاطلاع على مخطوطة المسرحية التي لم يكن قد جف مدادها بعد، ولم تكن الشاعرة تحتفظ بصورة لها. كان ذلك في مدينة الرياض التي تناولتها الشاعرة بالوصف في قصيدة «وسئلت أن أصف الرياض» فأجادت وأبدعت.

2- جريدة العراق الصادرة في يوم 1983/6/18م، ص7.

3- Denis De Rougemond, (Love), Dictionary of the History of Ideas, Vol. III, ed., Philip. P. Weiner, (New York: Charles Scribner's Sons, 1973), pp. 99-100.

4- أحمد شوقي، مجنون ليلى، (القاهرة: شركة فن الطباعة، د. ت.)، ص135.

5- إسماعيل الصيفي، الدراما بين شوقي وأباظة، (الكويت: مكتبة الفلاح، 1977م)، ص7.

6- Albin Lesky, (The Flowering of the Greek City State), A History of Greek. Literature, trans., James Will and Cornelis de Heer, (London: Methuen & Co. Ltd., 1966), pp. 262-64.

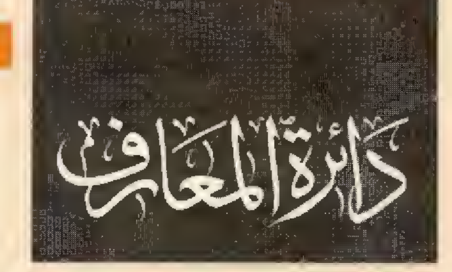
7- Karl Otfried Muller, (Origin of the Greek Drama), A History of the Literature of Ancient Greece, vol,1, (New York: kennikat Press1971), pp. 378-89.

8- M.H. Abrams, (Objective Correlative), A Glossary of Literary Terms, (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1981), pp. 123-24.
صاغ تي. إس. إيليوت هذا المصطلح للتعبير عن المشاعر من طريق مجموعة من الأشياء أو المواقف، أو سلسلة من الأحداث تثير المشاعر المماثلة لما يقصده الشاعر من الإثارة في نفس القارئ.

9- Sir James George Frazer, The Golden Bough: A Study in Magic and Religion, (London: Macmillan and Co. Ltd, 1949), pp. 289.

10- Horace Gregory, tr., Ovid: The Metamorphoses, (New York: The Viking Press, 1958), p. 111.

11- Abrams, (Poetic Justice), op. cit., p. 142.
والعدالة الشعرية مصطلح ابتدعه توماس رايمر في أواخر القرن السابع عشر الميلادي، ويعني العدالة في توزيع الثواب والعقاب الدنيوي على الشخصيات بما يتناسب مع صفاتهم وأفعالهم وأنصبتهم من الفضيلة والرذيلة.



الكنى في التراث العربي

1

«الأب» وما ينسب إليه من كنى(*) وبيان مدلولاتها

إعداد:
مصطفى مقبول حلاوة

أ

أبو الأضياف:

هو إبراهيم، عليه السلام، كُني بذلك لأنه أول من قرى الضيف، وسنّ لأبنائه العرب القرى. قيل: إنه كان إذا أراد الأكل بعث أصحابه ميلاً في ميل يطلبون ضيفاً يؤاكله؛ وقد أشار القرآن الكريم إلى «كرم إبراهيم» في قوله تعالى: *هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ*. **الذاريات**:24. قال المفسرون: إنّما قال ذلك لأن إبراهيم قام عليهم بنفسه، ثم ما لبث أن جاء بعجل سمين: *فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ*. **الذاريات**:26.

يُضرب مثلاً للرجل الكريم الذي يشتهر بكثرة الضيوف؛ ومن المعروف أنه من كرامة الضيف تعجيل قراه، قال الشاعر:

أسأتم وأبطأتم على الضّيف بالقرى
وخيرُ القِرى للنازلين المُعجَّلُ

أبو أيوب:

كنية الجمل وقد كُني بذلك لصبره على المسير والأحمال، تشبيهاً بصبر أيوب، عليه السلام. ويُكنى الجمل أيضاً: أبا صفوان. قال ابن الرومي يهجو أبا أيوب سليمان بن عبدالملك بن طاهر:

يا أبا أيوب هذي كنيةٌ
من كُنى الأنعام قدْمًا لم تزَلْ
ولقد وُفّق مَنْ كنّاكها
وأصابَ الحقَّ فيها وعَدَلْ
قدْ قضى قولُ لبيد بيننا:
«إنّما يُجزى الفتى ليس الجملْ»

ب

أبو براقش:

هو طائر من طيور البر يشبه القنفذ، مُنقَّش: أعلى ريشه أغبر، وأوسطه أحمر، وأسفله أسود. فإذا أُهيج انتفش، وتغيّر لونه ألوانًا شتى.

يضرب به المثل للمتلون الذي لا يثبت على حال.. قال الشاعر:

إنْ يغدرُوا أو يجبُنوا
أو يبْخلوا لا يحفُلوا
يغدوا عليك مُرجَّلِيـ
ـن كأنهم لم يفعلُوا
كأبي براقش كل يو
م لونه يتحوّلُ

أبو بصير:

كُنية الأعمى. زعم الرواة أنّ يشكر بن وائل اليشكري أُتي به ـ وهو صغير ـ مسيلمة الكذاب، فمسح على وجهه، فعمي، وكني «أبا بصير» استهزاءً. وكان الأعشى ـ الشاعر ـ يُكنى أبا بصير بعد أن عمي.

أبو البيضاء:

كُنية الرجل الأسود، أو الزنجي، جاءت على التضاد كما يُكنّى المكفوف أبا بصير.. قال الشاعر:

أبو غالب ضدّ اسمه واكْتنائه
كما قدْ نرىَ الزّنجيَّ يُدْعَى بعنْبرِ
ويُكنّى أبا البيضاء واللونُ أسودٌ
ولكنّهم جازُوا به للتطيُّرِ



ج

أبو جعْدة:

كُنية الذئب. كُني بها لبخله. قيلت على التضاد لأن الجعْد هو الكريم من الرجال. قال عبيد بن الأبرص:

هي الخمرُ بالهزْل تُكْنَى الطِّلا
كما الذِّئبُ يُكْنَى أبا جَعْدَه

ومعنى البيت أنّ الذئب وإنْ كانت له كنية حسنة، فإن فعله قبيح.

قالوا: إنّ عبدالله بن الزبير سُئل عن المُتعة؟ فقال: الذئب يُكنّى أبا جَعْدة. يريد أن يقول: إن أبا جعدة كنية حسنة للذئب، وهو خبيث، فكذلك المُتعة تَحْسُن باسم التزويج وهي فاسدة.

وقال ابن شُبْرُمَة:

يا خليلي إنّما الخمرُ ذئبٌ
وأبو جَعْدَة الطِّلاءُ المريبُ
ونبيذُ الزبيب ما اشتدّ منه
فهو للخمر والطِّلاءِ نسيبُ

أبو جهْل:

كُنية النّمر. كُني بذلك لحماقته، وجهله؛ وهي كذلك كنية عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي. كان يكنى «أبا الحكم» قبل الإسلام، فكنّاه النبي صلى الله عليه وسلم: «أبا جهل» فغلبت عليه هذه الكُنية. كان من أشد الناس عداوة للمسلمين.

ح

أبو الحارث:

كنية الأسد. وهذه الكنية أشهر كناه، وهي من الحرْث، بمعنى الكسب والجمع. ومن كُناه الأخرى: أبو الأبطال، وأبو الأضياف، وأبو حفص، وأبو لُبد، وأبو الغريف، وأبو محطّم، وأبو الوليد، وأبو الهيصم، وأبو العباس.

أبو حُباحب:

كنية النار التي لا يُنتفع بها مثل النار التي تخرج من حوافر الخيل. وقيل: أبو حباحب كنية رجل من بخلاء العرب يدعى «محارب بن حفصة»، كان يوقد ناراً ضعيفة، ويخفيها مخافة الأضياف، فجعلته العرب كنية لكل نار ضعيفة لا تثبت ولا تحرق.

أبو الحُصَيْن:

كنية الثعلب، وهي من أشهر كناه، وقد كُني بذلك لتحصنه من المضار بكياسته. قال ابن بري:

لله درُّ أبي الحُصين لقد بدت
منه مكايدُ حُوَّليٍّ قُلَّب

ومن كناه كذلك: أبو الحِنبص، وأبو الهجرس.



أبو خالد:
كنية الكلب. قال ابن الروميّ في خالد القحطبي:

أخالد، لا تكذبْ، فلستَ بخالد
هنالكَ، بلْ أنتَ المُكنّى بخالد
وللكلبُ خيرٌ منكَ، لؤمُكَ شاهدٌ
بذلك دهري، ما أُباعدُ شاهدي

أبو خناثير:
هو الداهية من الرجال. قال القلاخ بن حزن:

أنا القلاخ بن جناب بن جلا
أبو خناثير أقودُ الجَمَلا

ويقال له أيضًا: أبو خناسير، وأبو خنانير.



أبو دثار:
كنيةَ الكِلّة (الناموسية) التي يُتوقّى بها من البعوض، وهي على صورة بيت يخاط من نسج رقيق يستشف ماوراءه، ولا يجد البعوض متخللاً فيه.. قال الشاعر:

لنِعمَ البيتُ بيتُ أبي دثار
إذا ما خافَ بعضُ القومِ بعضا

أبو دَعْفاء:
كنية الأحمق. قال عمرو بن أحمر:

أرانا لا يزالُ لنا حميم
كداءِ البطنِ سُلاً أو صُفارا
يُعالجُ عاقرًا عاصتْ عليه
ليُلقحها، فيُنتجها حُوارا
يُدنّس عِرضهُ لينال عِرضي
أبا دَعْفاء وَلّدها فَقارا

ذ

أبو الذِّبّان:
كنية الأبخر (ذي رائحة الفم الكريهة)، كُني بها عبدالملك بن مروان لشدة بخره، وموت الذبان إذا دنت من فمه. يُحكى أنه عضّ يومًا تفاحة ورمى بها إلى بعض نسائه، فدعت بسكين فقطعت موضع عضته فقال لها: ما تصنعين؟ قالت: أميط عنها الأذى، فطلقها من وقته. قال أبو حزابة:

أمسى أبو ذبّانَ مخلوعَ الرسَنْ
خلْعَ عنانٍ قارحٍ من الحُصُنْ
وقد صَفَت بيعتُنا لابن حسن

والرَسن: زمام الدابة، والقارح: الذي تنتهي أسنانه، والحُصن: جمع حصان.

ر

أبو رغال:
رجلٌ جاهلي كان عاملاً للنبي صالح، عليه السلام، فأرسله إلى قوم من ثمود فأحلّ لهم الحرام. وقيل كان دليل الأحباش حين جاؤوا لهدم الكعبة.
يُضرب به المثل في الظلم، والشؤم، وهو الذي يرجم الحاجّ قبره. قال جرير:

إذا ماتَ الفرزدقُ فارجُموهُ
كما ترمُونَ قبرَ أبي رغالِ

أبو رياح:
كنية المنفوف والقُنّبيط، وكذلك كنية الرجل الطائش الذي لا ثبات له تشبيهًا بأبي رياح، وهو تمثال فارسي من نحاس كان بمدينة حمص على عمود من حديد فوق قبة كبيرة بباب الجامع، يدور مع الريح حيث هبتْ، ويمينه ممدودة، وأصابعها مضمومة إلا السبّابة، فإذا أُشكل على أهل حمص مهب الريح عرفوا ذلك به، فإنه يدور بأضعف نسيم يصيبه. ولذلك سمي بأبي رياح.. قال الشاعر:

أفٍّ لقاضٍ لنا وقاح
أمسى بريئًا من الصَّلاح
كأنه قُبَّةٌ عليها
غرابُ نوحٍ بلا جناح
وليس في الرأس منه شيءٌ
يدورُ إلاَّ أبو رياح

وهو أيضًا اسم لعبة يلعب بها الصبيان تُعمل من ورق على قصب (الطائرة الورق). قيل: إن أول من اتخذها مسيلمة الكذاب، وتعلمها من أهل الشام.. قال الشاعر:

مسيلمةُ اليمامة كان أدْهى
وأكْذبُ حين سارَ إلى النجاح
ليخدعَ قومَه بأبي رياح
وقارور ومقصوص الجناح

ز

أبو زياد:
كنية الحمار، وهو أيضًا أبو نافع وأبو صابر. قال الشاعر يهجو زياد بن أبي زياد:

زيادٌ لستُ أدْري من أبوهُ
ولكنَّ الحمارَ أبو زيادِ

س

أبو سريع:
كنية نار العرفج، وهي أسرع النيران التهامًا لأن العرفج (نبات) إذا التهبت فيه النار أسرعت فيه، وعظمت، ثم لا تلبث أن تنطفئ من ساعتها في مثل تلك السرعة، وهي تكنى أيضًا (نار الزحفتين).

قال الشاعر:

لا تعدلنَّ بأبي سريع
إذا غدتْ نكْباءُ بالصقيع

أبو سعد:
رجل يُضرب به المثل في طول العمر. قيل: اسمه مزيد بن سعد، وقيل: هو لقيم بن لقمان بن عاد الذي أسنّ حتى اتكأ على العصا.



أبو الشؤم:
كنية الغراب، كُني بذلك لأنه يتشاءم منه.

أبو شُفْقُل:
كنية شيطان الفرزدق. كان يزعم أنّ له شيطانًا يُلقّنه الشعر، وكان يسميه أبا لُبَيْنى، وشيطان آخر يروي شعره واسمه «أبو شُفْقُل».



أبو صابر:
كنية الحمار، وهي أشهر كناه، كُني بذلك لصبره على الأحمال والمشاق، وهو يكنى كذلك «أبا نافع» لكثرة نفعه. و«أبا زياد».

أبو صفوان:
كنية الجمل، كُني بذلك لقوته، والصفوان: الحجر الأملس الصلب



أبو ضَوْطَرى:
سبّ يُسبّ به الإنسان، فإذا سبّت العرب إنسانًا قالت له: أبو ضَوْطَرى، وأبو حباحب، وأبو جخادب. قال الشاعر:

أبا ضَوْطَرى جدْعًا بأنفكَ كُلّما
تشبهتَ بالسادات والكُبراءِ

ع

أبو العَجَب:
كنية المشعوذ الساحر لما يأتي به من الأعاجيب. كُنّي به أبو تمام الدهرَ في فعله فقال:

وحادثاتٌ أعاجيبٌ خَسًا وزَكًا
ما الدهرُ في فعله إلاّ أبو العَجَبِ

وقال ابن الرومي في البحتري:

البحتري ذَنوب الوجه نعلمه
وما رأينا ذَنوبًا قطُّ ذا أدب
أولى بمن عظُمت في الناس لحيتهُ
من حاكة الشعر أن يُدعى أبا العَجَبِ

أبو عُذْرة:
كنية من يبتدع شيئًا، أو يستنبطه من ذات نفسه



كأن يأتي برأي أو فعل لم يُسبق إليه فيقال له: أنت أبو عذرة هذا الكلام، أو أبو عذرته؛ كما يُقال كذلك للرجل الذي يفتض المرأة البكر: أنت أبو عذرتها، ويقال: إنّ المرأة لا تنسى أبا عُذرتها.

أبو عروة:

العروة: الأسد. وأبو عروة رجل جاهلي ضُرب به المثل في جهارة الصوت وشدته، يزعمون أنه كان يصيح في السبع وقد احتمل الشاة فيخليها، ويسقط، فيشق بطنه فيجد فؤاده قد انخلع؛ وفيه قال النابغة الجعدي:

وأزجرُ الكاشحَ العَدُوَّ، إذا اغـ
ـتابك، زجرًا منّي على وضَمِ
زجرَ أبي عُروةَ السِّباعَ إذا
أشفقَ أنْ يلتبِسنَ بالغَنَمِ

أبو عَمْرة:

كنية الجوع، والإفلاس. قال أبو فرعون الشاشي يشكو حاله:

أنا أبو فرعون فاعرف كُنيتي
حلّ أبو عَمْرة وسْطَ حُجْرتي
وحلَّ نسْجُ العنكبوت بُرمَتي
أعشب تنوري وقلّت حنطتي

وقال آخر:

يا بن المحامين عنْ الأحْساب
إنّ أبا عَمْرة في جرابي
قد ألصقَ است بابه ببابي

كما أنشد أبو عمرو لبعضهم:

إنّ أبا عَمْرةَ شرُّ جار
يجرُني في ظُلَمِ الصَّحاري
جرَّ الذّئابِ جيفةَ الحمارِ

غ

أبو غُبْشان:

كنية رجل من خُزاعة ضُرب به المثل في الحمق، وهي أيضًا كنية الذئب، كُني بذلك لكثرة ظهوره في «الغبش» وهي ظلمة آخر الليل.

ق

أبو قِرْبَة:

كنيةَ العباس بن علي بن أبي طالب، قُتل مع الحسين رضي الله عنهما في كربلاء؛ كُني بذلك لأنه لما عطش الحسين، أخذ قربة، فحملها إليه، فشرب الحسين منها.

أبو قَلَمون:

كنية ثياب إبريسم تُنسج في مصر وبلاد الروم تتلون في العيون ألوانًا، ويُضرب بها المثل في التلوّن، فيقال: فلان أكثر تلونًا من أبي قلمون.. قال بديع الزمان في بعض مقاماته:

أنا أبو قَلَمون
في كل لون أكونْ

وقال أبو بكر الخوارزميّ في أبي طاهر الكرماني الكاتب:

واللهِ لا فارقَتْ كفي قفاه ولَمْ
ينسج أبو قَلَمون في نواحيه

ك

أبو كَبْشة:

رجل جاهلي من خُزاعة، خالف قريشًا في عبادة الأوثان. نسب المشركون النبي صلى الله عليه وسلم إليه، وقيل: كان جدُّ جدِّ النبي صلى الله عليه وسلم لأمه. أرادوا أنه نزع إليه في الشبه.

ل

أبو لهب:

هو عبدالعزّى بن عبدالمطلب بن هاشم، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية. كان غنيًا، عتيًا، وكان من أشد الناس عداوة للرسول صلى الله عليه وسلم، كبر عليه أن يتبع دينًا جاء به ابن أخيه، فكان يسير وراءه، ويتعقب أقواله ليكذبها. ويروى أنه لما نزل قوله تعالى: *وأنذر عشيرتك الأقربين*، جمع الرسول صلى الله عليه وسلم أقاربه وأخبرهم برسالته، وأنذرهم، فقال له: تبًا لك! ألهذا جمعتنا؟ وأخذ حجرًا ليرميه به، فأخبر سبحانه بأن هلاكه مقطوع به.

كُني بهذه الكنية لشدة احمرار وجهه، وقد اشتهر بكنيته هذه في كتب السيرة، كما ذكره الله بهذه الكنية في كتابه العزيز في سورة المسد: *تبّت يدا أبي لهب وتَب*. المسد: 1.

م

أبو مالك:

كنية الجوع، وكذلك كنية الكبر لأنه يملك الرجل فيلزمه ولا يفارقه. أنشد أبو عبيدة لبعض الأعراب في كنية الكبر:

أبا مالك إنّ الغواني هجرنني
أبا مالك إني أظنك دائبا

وأنشد كذلك:

بئس قرينا اليَفَنِ الهالك
أم عبيدٍ وأبو مالك

وأم عبيد كنية المفازة، واليفن: الشيخ الكبير.

وقال آخر في كنية الجوع:

أبو مالك يعتادنا في الظهائر
يلمّ فيلقي رَحْلَهُ عند جابر

والعرب تسمى الخبز جابرًا.

أبو مرة:

كنية إبليس لعنه الله، وهي أشهر كناه. قيل: إنه كُني بذلك لأن الشيخ النجدي الذي ظهر إبليس في صورته فأشار على قريش بأن يكونوا سيفًا واحدًا على النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يُكنى «أبا مُرَّة». قال ابن الحجاج:

فما تلاقينا سوى مرّه
حتى أتى الشيخُ أبا مُرَّه

أبو المساكين:

كنية جعفر بن أبي طالب، أخو علي رضي الله عنهما. كنّاه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه كان حَفيًا بالمساكين، محسنًا إليهم.

ي

أبو يحيى:

كنية «عزرائيل» قابض الأرواح، وهي كنية على التضاد كما يُقال للأسود «أبو البيضاء»، وللأعمى «أبو بصير». وأنشد أبو بكر الخوارزمي لنفسه من قصيدة في الرثاء:

أعوِّذه من نفحة الرِّيح خيفةً
عليه، ورِجْلُ الموت تطلبه عَجْلى
وأدعو له بالعمر في كل مشهد
ويضحك مني في الكمين أبو يحيى

وقال أيضًا:

سريعة موت العاشقين كأنّما
يغار عليها منْ هواهم أبو يحيى

الكُنى: جمع كُنية، وهي ما يُجعل علمًا على الشخص غير الاسم واللقب نحو: أبو الحسن، وأم الخير. وهي تكون مُصدرة بلفظ أب، أو ابن، أو بنت، أو أم، أو أخ، أو أخت.. إلخ. وتُستعمل مع الاسم واللقب أو من دونهما تفخيمًا لشأن صاحبها أن يُذكر اسمه مجردًا. وقد كُني بعض أجناس من الحيوان، فللأسد «أبو الحارث»، وللضبع «أم عامر»، ونحو ذلك كثير شائع في كلام العرب. (المعجم الوسيط: كُنية).

ونحن في موضوعنا هذا تناولنا أهم الكنى التي تنسبها العرب إلى كلمة «أب» في التراث العربي، مع بيان مدلولاتها.

المراجع:

1- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي؛ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم. القاهرة: دار نهضة مصر، 1384هـ/1965م.
2- لسان العرب لابن منظور. القاهرة: دار المعارف (د. ت) مادة «أب».
3- معجم الأمثال العربية، خيرالدين شمسي باشا. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1417هـ/1997م. 1/ 87- 99.
4- معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية: القديم منها والمولد، أحمد أبو سعد. بيروت: دار العلم للملايين، 1987م، ص24-25.
5- موسوعة أمثال العرب، إميل بديع يعقوب. بيروت: دار الجيل، 1415هـ/1995م. 6/ 429- 486.
6- الهادي إلى لغة العرب: قاموس عربي - عربي، حسن سعيد الكرمي. بيروت: دار لبنان، 1411هـ/1991م. مادة «أب».



قصة قصيرة

الجِمالُ الذكيَّة (*)

د. حمد زيد الزيد

كنت أظن أن الجمل من الحيوانات الغبية شأنه شأن الحمار، إلى أن استمعت في ليلة صيفية من ليالي «الطائف» الجميلة إلى رواية «صنيتان الدلبحي» عن الجمال وذكائها. وكنت قد قرأت أن الشمبانزي هو أذكى الحيوانات، ولكن ذكاءه لا يتعدى ذكاء طفل في الثالثة من عمره!

ثم كان اعتقادي أن كل صبور من الإنسان أو الحيوان هو غبي بطبعه! لأن روح التمرد والحركة والتقلّب هي من سمات العبقرية الفذة. ولست أزعم أنني على حق في كل ما أرمي إليه فبعض السهام تطيش عن الهدف! وعندما كان هذا البدوي الفطن يتحدث إلينا في ليلة سمر بمنزل صديقي كنت مشدوهاً بكل ما قاله، إذ على الرغم من أنني جاوزت الأربعين بعدة سنوات إلاّ أنني لم أشهد شيئًا مما ذكره «صنيتان». ولعل لذلك غير سبب؛ فأنا أولاً ابن القرية ثم المدينة، وأحب البادية فقط فكرةً شعريةً وشعوراً بالانعتاق والحرية وليس حياةً!

حكى لي صديق، قبل أن يسرد البدوي قصته الواقعية هذه، أن الجمال من أذكى الحيوانات وليست فقط من أصبرها! فقد حدث مرة أن جملاً ضاع من صاحبه في أقصى شمال البلاد، ثم عاد إلى المكان بعد غيبة أشهر قطع خلالها مئات الأميال. كما أن جملاً آخر عُصِّبَت عيناه ونُقل في سيارة شحن إلى مكان بعيد جداً - بغرض الاختبار - فعاد إلى المكان نفسه الذي أُخرج منه! هذا إلى جانب ذكائه فيما يتعلق بتحديد أماكن المطر والعشب فكأنه محطة أرصاد متنقلة. أما عن جَلَده وصبره على العطش ومشقة الصحراء فأشياء معروفة لدى أبناء البَادية، وأما حقده وانتقامه من خصمه فقد ذكرهما العرب في كتب الشعر والأدب.

حدثنا «صنيتان» أنه قبل نصف قرن من الزمان يَمَّمَ أفراد عشيرته شطر بارق لاح في أفق الربع الخالي؛ ذلك الجزء الواسع من البلاد الذي تكسوه الرمال ويموت فيه الإنسان والحيوان والنبات من شدة القيظ. وظل هذا الركب المكون من عشرين من الرجال والأطفال والنساء والجمال يمشي على أمل أن يلتقي العشب الذي لاح البرق في أفقه. ولكن الأيام مرت طويلة على هذا الجمع المغامر بحياته من أجل الكلأ، ولما طال بهم المسير بين كثبان رملية لا علامات فيها، ولا بشر يسكنها، ولا ماء يروي ظمأهم؛ اقترح عليهم كبيرهم اقتراحًا قد يكون فيه النجاة أو الموت على دفعات! فأمَرَ الأطفال والنساء بألاّ يبرحوا مكانهم حتى يعود إليهم. واصطحب معه أربعة من أصحابه، واتجه الخمسة جنوبًا على ظهر جمل واحد يتناوبون ركوبه. وفي اليوم التاسع أشرفوا على الهلاك بعد أن نفد الماء والتمر الذي كان معهم ويتقاسمونه بينهم بتقتير شديد، وكان شبح الموت يتمثل أمامهم وهمُّ أهلهم يؤرقهم، إلى أن لاحت لهم في اليوم العاشر خيمتان على البعد كهرمين صغيرين في صحراء مجدبة، ولما وصلوا إليهما وجدوهما مركزًا حكوميًا لمراقبة الحدود الصحراوية الجنوبية؛ فاستغاثوا بآمر المركز وقصّوا عليه قصّتهم، فهب لمساعدتهم لإنقاذ أهلهم الذين خلفوهم وراءهم. وكان في المركز سيارة قديمة جهزها لهم بعد أن أمدّهم بقِرَب ماء وبعض الطعام. ولكن المشكلة الأخرى هي العثور على الطَّريقَ الموصل لمكان أهلهم في صحراء تخلو من المعالم، والأهم هو أن يكونوا لا يزالون على قيد الحياة! وتدحرجت بهم السيارة بين الكثبان الرملية، وكان البدو يخرجون رؤوسهم لتَعَرُّف الطريق الذي سلكوه سابقًا. والبدو عادة يتتبعون في النهار آثارَ الإبل والناس التي لم تطمرها الرمال، وفي الليل يهتدون بالنجوم. وقد ساعدهم على تَعَرُّف طريق العودة أن أحدهم تنبّه إلى غرس أغصان جافة من الحطب على رؤوس الكثبان الرملية، وما هي إلاّ ساعات حتى وصلوا إلى المكان الذي تركوا فيه أهلهم وجمالهم!

لكن المفاجأة كانت مذهلة، إذ لم يجدوا أحداً في المكان! وأُسقط في أيديهم، وظلوا يفتشون عن شواهد قبور أو بقايا حيوانات ميتة فلم يجدوا شيئًا من ذلك، واقترح أحدهم أن يتجهوا صوب وجهة ظنها الوجهة الصحيحة، وبعد أن ساروا قرابة عشرة أميال أطلوا على مساحة خضراء من الأرض ظنوها الجنة، ووجدوا أهلهم وجمالهم تنعم بالكلأ وقد بدوا جميعًا في صحة وعافية ظاهرة.

وعندما سأل أحدهم زوجته عن الحظ السعيد الذي جعلهم يصلون إلى هذه الأرض المعشوشبة قالت من خلف برقعها بزهو وسعادة: إن الجمال كانت طوال الأيام التي أعقبت رحيلكم تتجه إلى هذه الوجهة، وعندما نردّها إلى المكان الذي تركتمونا فيه تعود مرة أخرى وبعناد إلى هذه الاتجاه، وعندما يئسنا من حالنا تركناها على حريتها وتتبعناها حتى وصلنا إلى هذه الجنة.

وعندما سكت مُحَدِّثنا أدركت أن البدو ليسوا وحدهم الأذكياء، بل جمالهم أيضًا!

(*) من مجموعة: حكايات فندقية التي ستصدر قريباً.

بدعوة من صاحب السمو الملكي

الأمير طلال بن عبدالعزيز

ندوة دولية تؤكد:

الجدوى الاجتماعية والثقافية والتعليمية لإنشاء جامعة عربية مفتوحة

اختُتمت في الرياض فعاليات الندوة الدولية التي دعا إليها صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز رئيس برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية، وذلك لبحث جدوى إنشاء جامعة عربية مفتوحة. وقد شارك في الندوة خبراء عرب ودوليين بوصفهم ممثلين لجامعات عربية وأجنبية ومنظمات ومؤسسات عربية ودولية. وفي ختام ثلاثة أيام من المداولات والمناقشات أصدرت الندوة بيانها الختامي «إعلان الرياض» يوم الأربعاء 14 جمادى الآخرة 1418هـ الموافق 15 أكتوبر 1997م. وجاء في هذا البيان أن الحضور توصلوا إلى ما يلي:

1- إن إنشاء الجامعة العربية المفتوحة أصبح ضرورة ملحة تفرضها المتغيرات التي تمر بها البلاد العربية، وهي مرتبطة بالتنمية الشاملة للدول العربية.

2- توجد في عدد من الدول العربية البنى التحتية الأساسية التي توفر تربة خصبة لاحتضان الجامعة العربية المفتوحة وإنجاحها وتحقيق الأهداف المرجوة منها.

3- يتصف هذا المشروع بالجدوى الثقافية والاجتماعية والتعليمية التي سيكون لها أكبر الأثر في خدمة أهداف التنمية القومية في هذا المجال.

4- يوجد في عدد من البلاد العربية الموارد البشرية الكفؤة والمدربة اللازمة لإنجاح هذا المشروع؛ الأمر الذي يضمن نجاح إقامة الجامعة العربية المفتوحة.

5- تحظى الجامعة العربية المفتوحة بدعم وتأييد المنظمات العربية والدولية.

6- إن الجامعة العربية المفتوحة تلبي الاحتياجات الحقيقية لأبناء الأمة العربية، وتراعي توافر عوامل الجودة الشاملة في العملية التعليمية.

وكان سمو الأمير طلال بن عبدالعزيز قد أكد في افتتاح الندوة «أن الدراسات العلمية المتعمقة المستندة إلى الخبرة والتجربة هي أفضل وسيلة للتوصل إلى نتائج موثوقة لأي مشروع، مهما بدت جدواه وتأكدت نظريًا، وبخاصة

الفائزون في المسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم

اختُتمت في قاعة التضامن الإسلامي بمكة المكرمة - مؤخرًا - أعمال المسابقة الدولية التاسعة عشرة لتلاوة القرآن الكريم وتجويده وتفسيره.

تضمنت المسابقة خمسة فروع تسابق فيها حُفّاظ من أنحاء العالم؛ حيث فاز بالمراكز الخمسة الأولى في الفرع الأول (حفظ القرآن الكريم كاملاً مع تفسير الجزء السادس عشر) على التوالي: عبدالعزيز عائض معلث الصاعدي (السعودية)، أحمد عبدالمطلب دياغ (إيران)، ومنصور محمود أبو زينة (الأردن)، وأبو بكر محمد رباح (نيجيريا)، وعبدالسلام مصلح الحائر (اليمن).

وفاز بالمراكز الخمسة الأولى على التوالي في الفرع الثاني (حفظ القرآن الكريم كاملاً مع التلاوة والتجويد): صادق صادق (نيجيريا)، وعبدالله محمد أحمد السرواتي (السعودية)، وأحمد سمير عوض (مصر)، ومحمد عوض ناجي الخدري (اليمن)، وعمر خالد خليفة (الأردن).

واحتل المراكز الخمسة الأولى على التوالي في الفرع الثالث (حفظ عشرين جزءًا مع التلاوة والتجويد): إبراهيم عبدالله الزهراني (السعودية)،





صاحب السمو الملكي
الأمير طلال بن عبدالعزيز

في عصرنا هذا الذي لا يعتد بغير استنطاق الأرقام والإحصاءات وإخضاعها للموازنة جنباً إلى جنب مع الحقائق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية».

كما أكد سموه أن هذه الندوة تمثل خطوة مهمة إلى نظام عربي للتعليم العالي يواكب العصر ومتطلباته ومقتضياته. وأشار سموه إلى أن التعليم نظام عضوي داخل كل مجتمع يستمد منه مدخلاته ويرفد المجتمع بمخرجات سرعان ما تصبح عوامل دفع جديدة للمجتمع في حركة تتابعية.

وذكر الأمير طلال أن مبادرته لبحث إنشاء جامعة عربية مفتوحة وضعت هذه الحقيقة في الحسبان. ودعا إلى استباق التغيرات الكاسحة المتوقعة التي بدت وأطلت برأسها مع تباشير القرن الحادي والعشرين؛ كما أن اهتمامه بقمة التعليم في الوطن العربي هو تطور منطقي في سياق اهتمامه بقاعدة المجتمع وأساسه، الذي هو الطفل العربي.

وأعرب سمو الأمير طلال عن أمله في أن تتمخض هذه الندوة عما يُحَوِّل فكرة إنشاء جامعة عربية مفتوحة إلى مشروع واضح المعالم، حتى نستطيع أن نضعه بين أيدي الجهات المعنية بالتنفيذ في المراحل التالية.

وعقب الافتتاح قام د. عبدالعزيز عبدالله السنبل نائب المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعرض خلفية عن مبادرة سمو الأمير طلال، والجهات المشاركة في فريق العمل المعني ببلورة فكرة إنشاء جامعة عربية مفتوحة. بعد ذلك قدم د. محمد عبدالله المنيع، الخبير بمكتب التربية العربي لدول الخليج، عرضاً عن فكرة الجامعة العربية المفتوحة موضوع الندوة، كما قام الدكتور زهير السباعي عضو مجلس الشورى ومدير معهد التنمية العربي، باستعراض الهدف من الاجتماع وحدده في: دراسة جدوى إنشاء جامعة عربية مفتوحة، والخروج بخطط قابلة للتطبيق.

وفي ختام الجلسة الافتتاحية أشار سمو الأمير طلال إلى أن الدول الأوربية - على تقدمها - تهتم بالنظر في الأمور المستقبلية، ووضع مبادئ تتبناها القيادات، ومن ثم تصبح قناعات تتبناها الشعوب. وأعرب عن أمله في أن يسود هذا التوجه الأقطار العربية، ويترسخ التعاون والعمل المشترك من أجل المصلحة العامة العربية. وأشاد سموه بتجربة دولة بنجلاديش في إنشاء جامعة مفتوحة وتأسيس بنك «غرامين» للفقراء، وقال إنها سبقت دولاً نامية عديدة.

وفي جلسة العمل الثانية تداول المشاركون في الندوة حول جدول الأعمال، وتم تشكيل أربع لجان عمل لدراسة محاور الندوة وموضوعاتها، هي: لجنة المبررات والأهداف، لجنة الجوانب التعليمية، لجنة التمويل، لجنة التنظيم والإدارة والمقر والخطة الزمنية للتنفيذ.

وفي اليوم الثاني للندوة عقد سمو الأمير طلال حواراً مع الخبراء المشاركين، حضره كل من: معالي الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وزير المعارف، ومعالي الدكتور علي بن مرشد المرشد الرئيس العام لتعليم البنات. وقد طُرحت خلال الجلسة آراء قيمة ومداخلات أكدت فرص نجاح مشروع الجامعة العربية المفتوحة.

وتأتي هذه الندوة في إطار تنفيذ توصيات فريق العمل المعني ببلورة فكرة إنشاء جامعة عربية مفتوحة كان قد بادر إلى طرحها سمو الأمير طلال بن عبدالعزيز، في شهر سبتمبر من العام الماضي، بهدف توسيع قاعدة التعليم العالي في الوطن العربي لاستيعاب آلاف الطلبة والطالبات وخريجي المدارس الثانوية الذين تزداد أعدادهم كل عام، بينما تقف الجامعات العربية بإمكاناتها المحدودة عاجزة عن تلبية رغباتهم.

وكان سمو الأمير طلال قد بعث برسائل إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية، ووزراء التعليم العالي العرب، دعاهم فيها إلى بحث إمكان الأخذ بنمط التعليم عن بعد، وإنشاء جامعة عربية مفتوحة، وتوظيف التقنية الفضائية التي تغطي الوطن العربي، واستثمارها لنشر العلم والمعرفة علي أوسع نطاق، وإتاحة الفرصة لمن هم على رأس العمل ويحتاجون إلى تطوير إمكاناتهم وقدراتهم.

وأكد الأمير طلال، في رسائله تلك، ضرورة صوغ رؤية عربية قابلة للتنفيذ لهذه الفكرة، ووضعها في مقدمة اهتمامات جميع الدول العربية. وأعرب سموه عن استعداده لفتح قنوات للاتصال المستمر مع الأمين العام لجامعة الدول العربية لتدعيم هذه الرؤية لتمضي الفكرة في الاتجاه المستهدف. كما أوضح سموه أن المراحل التنفيذية اللاحقة ينبغي أن تكون مسؤولية جماعية ينهض بها المجتمع.

وقد شارك في الندوة خبراء من مختلف دول العالم، وممثلون للمنظمات العربية والدولية المعنية.

ومحمد عبدالنبي سعيد محمد (مصر)، ومهدي قدم على رجبن مزاني (إيران)، وأبو بكر محمد إسماعيل (ليبيا)، وسعد محمد عبدالرحمن الحلبي (فلسطين).

ونال المراكز الثلاثة الأولى على التوالي في الفرع الرابع (حفظ عشرة أجزاء مع التلاوة والتجويد): عبدالمجيد إبراهيم حويس الحوفي (السعودية)، وسفير التهامي الخمير (تونس)، وهاني سعد حمود (مصر).

وحظي بالمراكز الثلاثة الأولى في الفرع الخامس (حفظ خمسة أجزاء مع حسن الصوت والتلاوة): عبدالعزيز محمد عبدالرحمن (مصر)، ومحمد مزمل حسين أحمد (بنجلاديش)، وعلي رضا برات الله خسرو أبادي (إيران).

مكتبات الطفل العربي دون المستوى العالمي

نبهت دراسة علمية ميدانية سعودية على أن وضع مكتبات الطفل في العالم العربي - بما فيه دول الخليج العربي - ما يزال دون المستوى المنشود قياساً إلى وضعها في العالم.

وأوصت الدراسة التي أعدها الباحث د. سالم محمد السالم، وأصدرها مكتب التربية العربي لدول الخليج، بزيادة المراكز الثقافية ومكتبات الأطفال العامة، وجعلها في مبان مستقلة مع توفير الوسائل السمعية والبصرية لمرتاديها، وتشجيع الأطفال على المطالعة بحكم أن أية تنمية ثقافية لابد أن تبدأ بالطفل.

ودعت الدراسة إلى إنشاء جمعية خليجية لمكتبات الأطفال، وتشجيع مؤلفي كتب الأطفال.

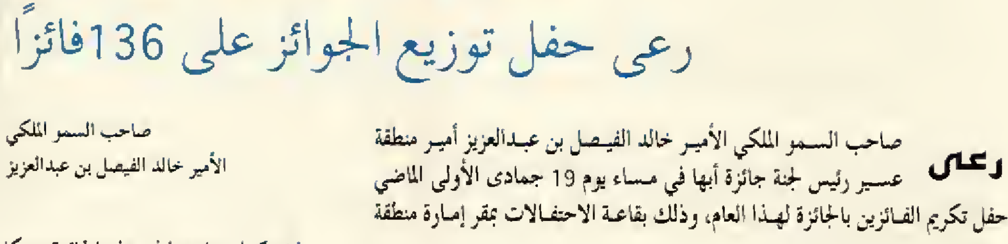
معرضان للكتاب

شهدت المملكة - مؤخراً - معرضين دوليين للكتاب، أقيم أولهما في مدينة الظهران بالمنطقة الشرقية، ونظمت الثاني جامعة الإمام محمد بن

مليون ريال سنويًا لفروع جائزة أبها الأربعة:

سمو الأمير خالد الفيصل

رعى حفل توزيع الجوائز على 136 فائزًا



صاحب السمو الملكي
الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز

رعى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير رئيس لجنة جائزة أبها في مساء يوم 19 جمادى الأولى الماضي حفل تكريم الفائزين بالجائزة لهذا العام، وذلك بقاعة الاحتفالات بمقر إمارة منطقة عسير.

وقال سموه في مستهل كلمته بهذه المناسبة: «اسمحوا لي باسمكم جميعًا أن أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان لقائد المسيرة مولاي المليك المفدى، ولصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني الذي تابع باهتمام وبصفة مستمرة كل الإنجازات في هذه المنطقة، وتجلت اهتمامات سموه بالموافقة الكريمة على إصدار جريدة يومية باسم «الوطن» من منطقة عسير؛ والشكر والتقدير لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام على متابعته المستمرة للإنجازات السياحية في هذه المنطقة، وآخرها رعاية افتتاح المنجزات السياحية الكبرى التي قامت بها الشركة الوطنية السياحية في شهر ذي الحجة الماضي».

وهنأ سموه منطقة عسير بنجاح موسم الصيف لهذا العام، وأضاف: «أهنئكم كذلك على جهودكم الكبيرة التي أوصلت هذه الجائزة إلى ما وصلت إليه اليوم، والأعداد الهائلة من أفراد المجتمع في هذه المنطقة وفي غيرها من مناطق المملكة الذين اشتركوا وساهموا في هذه الجائزة، ويكفي أننا سمعنا أن عدد المشتركين في هذا الجائزة من القطاع التعليمي حوالي 27 ألفًا، وهذا يدل على أن الهدف من الجائزة قد تحقق ولله الحمد، وهو تفعيل حركة الثقافة بين شبابنا وفتياتنا».

وقدم سمو الأمير خالد الفيصل الشكر للقائمين على الجائزة والمشاركين فيها والفائزين بها، ولوسائل الإعلام في المملكة لتغطيتها فعاليات الصيف وفعاليات الجائزة.

ووزع سموه الجوائز على الفائزين بها في فروع الجائزة الأربعة: الخدمة الوطنية، والثقافة، والتعليم الجامعي، والتعليم العام.

وكان الأستاذ محمد بن عبدالله الحميد قد ألقى كلمة أمانة الجائزة، وأشار فيها إلى أن من مفاجآت الصيف إنشاء مسرح سيمثل رافدًا للسياحة المتميزة في منطقة عسير. وقدم الحميد شكره إلى القيادة الرشيدة، وإلى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل الذي رفع قيمة الجائزة إلى مليون ريال.

وضمت فقرات الحفل قصيدة للشاعر إبراهيم صعابي الفائز الأول بجائزة أبها الثقافية، وقصيدة للطالب أحمد عوان، وأخرى للطالب راحق آل ناهض.

سعود الإسلامية بمدينة الرياض.

وفيما شهد المعرض الأول هيمنة من قبل الناشرين اللبنانيين، الذين غمروا المعرض بنتاجهم، شارك 200 ناشر في المعرض الثاني، وتصدرت الكتب الدينية والموسوعات العلمية قائمة المبيعات.

المعرض الخليجي الثالث لطوابع البريد

شارك 35 هاويًا من كبار هواة جمع الطوابع البريدية في منطقة الخليج في المعرض الخليجي الثالث للطوابع؛ الذي أقيم - مؤخرًا - في الرياض على هامش الاجتماع الثامن لمسؤولي البريد في دول مجلس التعاون الخليجي.

وأقيمت ندوتان على هامش المعرض الذي ضم مجموعة نادرة من الطوابع الخليجية، وتناولت الندوة الأولى تاريخ الطوابع البريدية،

محاضرات وندوات

«الملك عبدالعزيز من أفواه معاصريه»، عنوان محاضرة ألقاها في معهد حرس الحدود بمدينة الرياض الشيخ عثمان بن ناصر الصالح.

«أبعاد الاستراتيجية الأمنية لحكم الملك عبدالعزيز»، موضوع محاضرة ألقاها على مسرح الإدارة العامة لتعليم البنين في الباحة د. علي بن فائز الجحني.

«هذا العقل المخلوق ودوره في المعرفة»، عنوان محاضرة ألقاها في فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالدمام أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

«الجوائز الثقافية وأثرها في الأدب»، موضوع محاضرة ألقاها في مقر إمارة منطقة عسير حسين محمد بافقيه.

«قراءة سياسية لأدوار الحكم السعودي»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي د. حسن بن فهد الهويمل.

«وضع الفلسطينيين في لبنان»، عنوان محاضرة ألقاها في مدينة كارديف في ويلز بدعوة من لجان التضامن مع الشعب الفلسطيني في بريطانيا زيد وهبه.

«الفورية الغالبة: غلبة النتيجة المباشرة على السلوك»، عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية د. عبدالعزيز بن عبدالله الدخيل.

«انطباعات اجتماعية من كشمير»، عنوان محاضرة ألقتها في دار الكوفة في لندن فيكتوريا سكوفيلد.

«الحركة الرومانتيكية ثورة وروادها في عالمنا العربي أدباء المهجر»، عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من النادي الأدبي في بريطانيا في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن د. جرير أمين أبو حيدر.

«دلالات المثقف النقدي في أدب سعد الله ونوس»، عنوان ندوة أقيمت في دمشق، شارك فيها كل من: محمد جمال باروت، ود. خضر زكريا، قدم للندوة د. عدنان جابر.

«روايات وأساطير وادي الرافدين»، موضوع أمسية نظمها ديوان الكوفة



وقد ألقى كلمة المكرمين الأستاذ محمد عبدالله العمري مدير الخطوط الجوية السعودية بأبها، ومما جاء في كلمته: «إذا ما ذكرنا الإنجاز والإتقان فيجب أن نذكر في هذا الصدد صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل؛ هذا الاسم الذي ارتبط بمراحل تنموية بدأت بالرؤية المستقبلية ثم بالتخطيط، ثم بناء خطة عمل تناسب جميع الظروف، ثم الإنجاز الذي ارتبط بالإتقان».

ونوه بأن الجائزة تميزت بالتطور في فروعها وبرامجها ودورها الفعال في بث روح المنافسة والإبداع؛ ليس لفئة دون أخرى وإنما تميزت بشمولية قلما نجدها في ما يشابهها.

وقدم العمري آيات الشكر لخادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده وسمو النائب الثاني.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل قد أعلن في مؤتمر صحافي عُقد في 17ربيع الآخر الماضي أسماء الفائزين بجائزة أبها بفروعها الأربعة: جائزة أبها للخدمة الوطنية، بلغ عدد الفائزين بها 18فائزًا، وجائزة أبها الثقافية: حصل عليها 14فائزًا، وجائزة أبها للتعليم الجامعي، فاز بها 48 طالبًا وطالبة، أما جائزة أبها للتعليم العام فنالها 56 طالبًا وطالبة، وبلغ مجموع الفائزين بالفروع الأربعة للجائزة 136 فائزًا.

وقد رعت سمو الأميرة العنود بنت عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن آل سعود في يوم 10جمادى الأولى الماضي حفل تكريم الفائزات بجائزة أبها.

وقد أعلنت أمانة جائزة أبها شروط جائزة أبها للثقافة لعام 1419هـ، وحددت الأمانة مبلغ مليون ريال مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، للفروع الأربعة للجائزة وهي: الخدمة الوطنية، والثقافة، والتعليم الجامعي، والتعليم العام.

وحددت أمانة الجائزة ـ فرع جائزة أبها للثقافة ـ مجالات الجائزة على النحو التالي:

أولاً: الشعر العربي الفصيح: أفضل ديوان صدر عام 1417-1418هـ.

ثانيًا: القصة القصيرة: أفضل مجموعة قصصية صدرت عام 1417-1418هـ.

ثالثًا: الرواية والمسرحية: وتُمنح الجائزة هذا العام لأفضل عمل روائي صدر عام 1417-1418هـ.

رابعًا: الدراسات الإنسانية والأدبية والعلمية: أفضل إصدار نقدي لعام 1417-1418هـ.

وتبلغ قيمة كل جائزة من هذه الجوائز 37 ألف ريال.

أما الرسم التشكيلي فيقدم كل رسام ثلاث لوحات لم يسبق فوزها بأي جائزة، وفي مجال التصوير الضوئي يقدم كل مصور ثلاث صور متميزة لم تفز بجائزة من قبل، وقيمة كل جائزة من هاتين الجائزتين مبلغ 26ألف ريال.

- الجائزة للسعوديين وأبناء دول مجلس التعاون الخليجي.
- تُقبل الترشيحات من الجامعات والأندية الأدبية وجمعية الثقافة والفنون وفروعها بالمملكة، ومن المراكز الثقافية المعترف بها ـ دون الشخصيات الاعتبارية ـ ويجوز أن يتقدم الفرد بنفسه للترشيح.
- لا تجوز مشاركة أعضاء لجنة جائزة أبها الثقافية.
- تقديم سيرة ذاتية مفصلة عن المشارك، مع صور المستندات والوثائق المثبتة لها.
- إرفاق ثلاث نسخ كاملة من الأعمال المقدمة.
- ترسل الترشيحات والأعمال المقدمة إلى النادي الأدبي: أبها ص.ب 478، هاتف 072264230، فاكس 072262165.

أما الصور واللوحات فتُقدم إلى فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون: أبها ص.ب 848 هاتف وفاكس 072251972، في موعد أقصاه شهر شوال 1418هـ.

فيما تناولت الأخيرة هواية جمع الطوابع.

برنامج المنح الثامن عشر لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية

أعلنت مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ـ مؤخرًا ـ عن أوليات موضوعات برنامج المنح السنوي الثامن عشر الذي يرمي إلى معالجة بعض المشكلات التي تواجه بعض القطاعات الحكومية والخاصة في المجالات الزراعية والطبية والصيدلانية والعلوم الهندسية وعلوم البيئة والثروات الطبيعية والعلوم الصناعية. وتم تحديد اليوم الثاني من شهر رمضان المبارك القادم آخر موعد لقبول المقترحات البحثية من العلماء والخبراء والمتخصصين.

كتب جديدة

قصائد، للأمير الشاعر خالد الفيصل، ترجمتها إلى الإنجليزية د. أليسون ليريك،

في لندن، وشارك فيها فران هزلتن وفيونه كولنس وجون بيترز.

«جولة في عالم الشاعر ديك الجن الحمصي»، عنوان محاضرة ألقاها في حمص بسورية العماد مصطفى طلاس.

«أفكار في الاغتراب»، عنوان محاضرة ألقتها في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن د. رنا قباني.

«مستقبل لبنان الديموقراطي»، عنوان محاضرة ألقاها في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن د. بطرس حرب.

«عملية السلام في الشرق الأوسط: تطوراتها وتعثرها الحالي»، موضوع محاضرة ألقاها في الجامعة الأمريكية بالقاهرة د. أسامة الباز.

«الهرمونات وصحة المرأة»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز التنمية الاجتماعية في دبي د. طاهر حسن خليل.

«المثقف العربي»، موضوع محاضرة ألقاها في إطار مهرجان «مواسم ريفية» في جنوب لبنان معن بشور.

«علم الأنساب ومصادره التاريخية»، عنوان محاضرة ألقاها في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري.

«الشباب آلام وآمال»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع الخالدية بمدينة الهفوف، الشيخ إبراهيم الدويش.

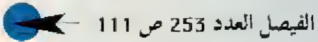
«الغاية من خلق الإنسان»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع قلوة بمنطقة الباحة الشيخ عبدالعزيز بن حنشه الزهراني.

«الشعر العربي وحداثاته الثلاث»، عنوان محاضرة ألقاها في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن ياسين النصير.

«المثقفون والمسار الحضاري»، عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي الثقافي بجدة الشيخ د. صالح بن حميد.

«الإسلام دين الفطرة»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي د. شعبان محمد إسماعيل.

«الرمز في الإنتاج الأدبي والفني للكاتبة والفنانة الكويتية ثريا البقصمي»، عنوان محاضرة ألقتها في مؤتمر المستشرقين الخامس والثلاثين في بودابست بالمجر د. باربرة ميخالاك بيكولسكا.



إعلان أسماء الفائزين بجوائز نوبل 1997م

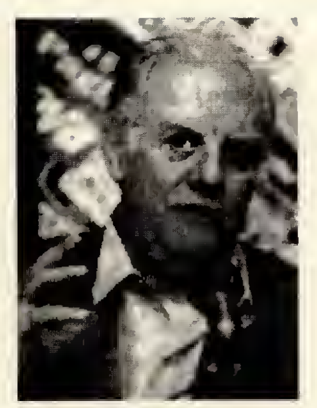
أعلنت الأكاديمية الملكية في ستوكهولم عن منح جائزة نوبل للأدب لعام 1997م للكاتب والممثل المسرحي الإيطالي «داريو فو».

وداريو فو (71 عامًا) فنان متعدد المواهب يتميز بقدرات إبداعية في التأليف المسرحي والتمثيل، والإخراج أيضًا. وأسهم في تأليف قصائد غنائية للفنانين المشهورين في بلاده، وكتب ما يزيد على 40 مسرحية.

ويُعدّ فو الإيطالي السادس الذي يحصل على جائزة الأدب بعد مواطنيه: جوسو كاردوتشي (1906م)، وغراسيا ماديساني (1927م)، ولويجي بيرانديللو (1934م)، وسلفاتوري كاسيمودو (1959م)، ويوجينو مونتالي (1975م).

من أعمال داريو فو: موت فوضوي عرضًا، تاريخ الأقنعة، يجب عدم الدفع، زمور وأبواق وفرقعات، اللغز الغنائي، النمر، وغيرها.

كما أعلنت الأكاديمية الملكية عن منح جائزة نوبل للفيزياء إلى كل من: كلود كوهين طنوجي (فرنسي)، وستيفن شو (أمريكي)، ووليام فيلبس (أمريكي).



داريو فو

وذكرت الأكاديمية أن الفائزين مُنحوا الجائزة «تقديرًا لعملهم في مجال تطوير وسائل التبريد والتقاط الذرات بوساطة أشعة الليزر». كما أثنت على عمل الفائزين بقولها: «إنهم أسهموا كثيرًا في زيادة معرفتنا بالعلاقة بين الإشعاع والمادة»؛ موضحة أن أعمال العلماء الثلاثة سوف «تُستخدم في صنع ساعات ذرية أكثر دقة لاستخدامها في الملاحة التي تستعين بأجهزة الحاسب الآلي».

ويعمل كلود طنوجي (64 سنة) في الكلية الفرنسية والمدرسة العليا في باريس. أما ستيفن شو (49 سنة) فهو أستاذ في جامعة ستانفورد بالولايات المتحدة، وأما وليام فيلبس (49 سنة) فيعمل أستاذًا باحثًا في معهد غايثرزبرغ الأمريكي للقياسات والتقنية.

من ناحية أخرى فاز بول بوير، من جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة، وجون ووكر، من المجلس البريطاني للأبحاث الطبية، وجينس سكو، من جامعة أركوس بالدنمارك، بجائزة نوبل للكيمياء، وذلك لأبحاثهم الرائدة في مجال الإنزيمات.

أما جائزة نوبل للسلام فقد حازها تجمع «الحملة الدولية من أجل الألغام» الذي يضم 450 جمعية إنسانية منتشرة في العالم.

وصدرت عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

حول الحكمة في الشعر العربي، تأليف د. عبدالله أحمد باقازي، صدر عن نادي مكة الثقافي الأدبي.

النقد الأدبي في آثار الشريف المرتضى (355هـ/436هـ)، تأليف د. أحمد عبدالواحد، صدر عن منشورات نادي جازان الأدبي.

قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا، تأليف حسين بن علي أبو الحسن، تقديم د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري، صدر عن مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

هوامش مسافرة، مجموعة شعرية لحماد السالمي، صدرت عن دار الحارثي للطباعة والنشر في الطائف.

الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر محمد حسن فقي، صدرت ضمن كتاب «الاثنينية» الذي ينشره في جدة رجل الأعمال عبدالمقصود خوجة.

التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتماء الصادق إلى الإسلام، تأليف د. عدنان علي رضا النحوي، صدر عن دار النحوي في الرياض.

رجل الصناعتين شفيق جبري، تأليف عبدالله بن سليم الرشيد، صدر عن مكتبة التوبة.

توظيف التراث في الشعر السعودي المعاصر، تأليف أشجان محمد الهندي، صدر عن النادي الأدبي في الرياض.

إدارة الجودة الكلية، تأليف ستيفن كوهين ورونالد براند، ترجمه إلى العربية عبدالرحمن أحمد هيجان، وصدر عن معهد الإدارة العامة بالرياض.

عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم (كتاب وثائقي)، تقديم د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، صدر عن مركز البحوث والدراسات الإسلامية في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

نوافذ أدبية، تأليف عبدالله بن عبدالرحمن الشهري، صدر عن دار الحميضي للطباعة والنشر.

الإمارات

بيت للشعر والشعراء

يُفتتح في الشارقة خلال شهر رجب الجاري بيت للشعر هو الأول من نوعه في الإمارات ودول الخليج العربية.

يجري افتتاح «بيت الشعر» في إطار فعاليات معرض الشارقة السنوي للكتاب، ويُنتظر أن يضم: مكتبة، وصالة للأمسيات الشعرية، وغرفًا لاستضافة الشعراء الذين يحلون ضيوفًا على الإمارة.



كتب جديدة

القدس معضلة السلام، تأليف سمير الزبن، ونبيل السهلي.

- الطاقات في الخليج، لمجموعة مؤلفين، الطبعة العربية.

صدر الكتابان السابقان عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في أبو ظبي.

الطب في الإمارات العربية المتحدة: النشأة والتطور، تأليف د. رفيعة عبيد غباش، ود. مريم سلطان لوتاه. صدر عن المجمع الثقافي بأبو ظبي.

البحرين

استعدادات لمعرض الكتاب

تجرى حاليًا في وزارة الإعلام وشؤون مجلس الوزراء ومؤسسة الأيام للصحافة والنشر استعدادات مبكرة من أجل الإعداد لمعرض البحرين الدولي الثامن للكتاب المقرر إقامته خلال شهر مارس 1998م.

وتعد هذه المرة الأولى التي يُقام فيها المعرض تحت إشراف وزارة الإعلام، وقد سجلت طلبات المشاركة نسبة عالية من دور النشر العربية والأجنبية.

من الكتب الجديدة

- مدائح، تأليف أمين صالح، صدر عن دار الكلمة.

سلطنة عمان

المؤتمر الدولي للأرشيف الصوتي والمرئي

استضافت مسقط المؤتمر السنوي للجمعية الدولية للأرشيف الصوتي والمرئي، في النصف الأول من شهر جمادى الآخرة المنصرم.

شارك في المؤتمر الذي عُقد - للمرة الأولى في العالم العربي - 65 خبيراً من 22 دولة، وهدف إلى تبادل الخبرات حول الأرشفة السمعية والمرئية بوصفها من أهم مصادر المعلومات المعاصرة، وتَعَرُّف أحدث التقنيات في هذا المجال.

قطر

من الكتب الجديدة

الغرفة 405، مجموعة قصصية للقاص د. أحمد عبدالملك، صدرت عن مؤسسة العهد.

تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، تأليف خالد عزب، صدر ضمن سلسلة «كتاب الأمة» عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الكويت

مهرجان القرين يُقَيِّم الفكر العربي المعاصر

ينظم المجلس الوطني للثقافة والفنون، في إطار مهرجان القرين الثقافي الرابع المقرر إقامته خلال شهر رجب الحالي، ندوة فكرية علمية موسعة بعنوان «الفكر العربي المعاصر: رؤية تقييمية واستشرافية».

يشارك في الندوة مجموعة من المفكرين والمثقفين العرب ينتمون إلى مدارس فكرية مختلفة، وتناقش ثلاثة محاور رئيسية هي: اتجاهات الخطاب الفكري العربي المعاصر: تقييم نقدي، وإشكاليات الفكر العربي المعاصر: تقييم واستشراف، واستشراف المستقبل.

بحث حقوق المعوَّقين نفسيًا وعقليًا

ناقشت ندوة علمية أقيمت - مؤخراً - في الكويت موضوع «حقوق الأشخاص المعوَّقين نفسيًا وعقليًا من منظور إسلامي»

نظمت الندوة بالتعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، وشارك فيها علماء شريعة وأطباء وعلماء اجتماع ومفكرون وباحثون من المملكة العربية السعودية والكويت ومصر والمغرب.

واستهدفت توضيح الرؤية الإسلامية لحقوق الإنسان بصفة عامة، وحقوق الأشخاص المعوَّقين نفسيًا وعقليًا بصورة خاصة، وصولاً لتحسين مستوى رعاية هذه الفئة، وتأسيس قواعد قانونية واجتماعية تضمن لهذه الشريحة المستوى اللائق من المعيشة وتحقيق الكرامة الذاتية.

كتب جديدة

الاستنساخ: قنبلة العصر، تأليف د. صبري الدمرداش، صدر عن دار الفكر الحديث في الكويت.

المدينة الفاضلة عبر التاريخ، تأليف ماريا لويزا برليزي، ترجمة د. عطيات أبو السعود، ومراجعة د. عبدالغفار مكاوي، صدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

تحديات الثقافة وواقعها، والمنتديات الثقافية النسائية في العالم العربي، كتابان جديدان لإقبال الغربللي، صدرا ضمن إصدارات منتدى أصحاب القلم.

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تأليف أحمد محمد بن عرب شاه، تقديم وتحقيق وشرح د. محمد رجب النجار، صدر عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع.

اليمن

مدينة من عصور ما قبل الميلاد

اكتشفت مدينة قديمة تعود إلى القرون الأولى قبل الميلاد كانت تدعى «هجرن مقولتم»، وهو الاسم نفسه الذي يُطلق على قرية في الموقع نفسه على بعد 30 كيلا من صنعاء.

وقال آثاريون إن هذه المدينة كان لها دورها في التطور الاقتصادي لليمن قديما من خلال توسطها ثلاث مناطق تاريخية هي صنعاء وظفار والنخلة الحمراء، ويعني اسمها لغويًا مدينة «الأقيال» التي تفيد في اللغة اليمنية القديمة الحكام أو كبار القوم.

وعُثر في الموقع على مخلفات أثرية تشمل أواني وجراراً فخارية كبيرة الحجم، وبقايا أساسات ومداميك حجرية، وأعمدة كبيرة عليها تيجان، فضلاً عن أرضية معبد قديم وسرداب يؤدي إلى قاع بئر، إلى جانب مجموعة نقوش ورموز كتابية مدونة على أحجار.

 مصر

تأجيل جائزة الرواية العربية ودراسة تأسيس جائزة للشعر

قررت اللجنة العليا لتحكيم «جائزة القاهرة للإبداع الروائي العربي» تأجيل إعلان الجائزة في عامها الأول إلى شهر فبراير 1998م، وتأجيل

موعد انعقاد مؤتمر الرواية العربية إلى الأسبوع الرابع من الشهر نفسه، بحيث يعقد بعد ختام فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب.

يأتي القرار نتيجة لكثرة عدد المتقدمين للجائزة، وشكوى لجان القراءة من ضيق الوقت، ورغبة في أن تتاح للجان فرصة القراءة الفاحصة للنتاجات المرشحة.

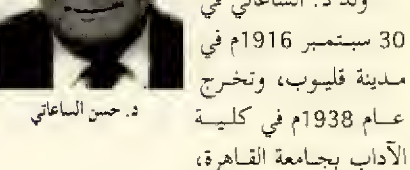
من ناحية ثانية قال د. جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة: إن المجلس يدرس تخصيص جائزة للشعر العربي، أسوة بالرواية، بحيث يتم منحها في مهرجان الشعر العربي الذي يقام في صيف كل عام.

اللغة العربية في الألف الميلادية الثالثة

تعقد جمعية «لسان العرب» لرعاية اللغة العربية مؤتمرها السنوي الرابع تحت شعار «اللغة العربية في الألف الميلادية الثالثة» في منتصف شهر رجب الجاري برعاية د. عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية.

وأوضح الأمين العام للمؤتمر ورئيس الجمعية د. عاطف نصار أن جلسة العمل الأولى سوف تُخصص لمناقشة دور أطراف العلاقة في رعاية اللغة العربية مثل الإعلام بأنواعه الثلاثة المسموع والمرئي والمكتوب، والمؤسسات الدينية، ووزارات التعليم، ومجمع اللغة العربية، والمجالس القومية المتخصصة، والمجالس التشريعية.

وفاة الساعاتي: المفكر وعالم الاجتماع


د. حسن الساعاتي

توفي المفكر وعالم الاجتماع د. حسن الساعاتي عن عمر ناهز 81 عامًا.

ولد د. الساعاتي في 30 سبتمبر 1916م في مدينة قليوب، وتخرج عام 1938م في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وحصل في العام التالي على دبلوم في التربية وعلم النفس من معهد التربية للمعلمين، ثم درجة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة لندن عام 1946م، وتقلب بعدها في وظائف التدريس الجامعي المختلفة حتى تولى عمادة كلية الآداب بجامعة عين شمس عام 1964م، ثم عمادة كلية الآداب بجامعة بيروت العربية عام 1968م ومثَّل بلاده في العديد من المؤتمرات والمنتديات الدولية. كما اختير عضوًا في مجمع البحوث الإسلامية والمجالس القومية المتخصصة، وأهلته بحوثه ومؤلفاته لنيل جائزة الدولة التقديرية في مصر في مجال العلوم الاجتماعية وجائزة الملك فيصل العالمية. وأُدرج اسمه في مصنف مشاهير العالم في أمريكا ومصنف رجال الإنجاز في العالم في بريطانيا بوصفه صاحب نظريات علمية منشورة.

وللراحل مؤلفات عديدة نذكر منها: «في علم الاجتماع الجنائي»، «علم الاجتماع القانوني»، «التصنيع والعمران» ومؤلفات أخرى.

فلسطين في البرديات والنقوش

يعتزم مركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس تنظيم مؤتمر علمي دولي تحت عنوان «فلسطين في ضوء أوراق البردي والنقوش» خلال المدة من 5 إلى 9 سبتمبر1998م.

يناقش المؤتمر عدة محاور من أبرزها: جغرافية فلسطين وتاريخها، الديانات السائدة في فلسطين من العصور القديمة حتى الوسطى، علاقات فلسطين بجيرانها، أماكن العبادة فيها، واللغات التي عرفتها، وموضوعات أخرى. وتحددت غرة فبراير 1998م موعدًا نهائيًا لتلقي ملخصات الأبحاث من الباحثين المشاركين في المؤتمر.

فتح باب الترشيح لجوائز الدولة التشجيعية

أعلن المجلس الأعلى للثقافة عن فتح باب تلقي الترشيحات لجوائز الدولة التشجيعية في الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والعلوم الاقتصادية والقانونية لعام 1998م.

وحدد المجلس الموضوعات التي يتم الترشح على أساسها. ففي مجال الفنون تشمل: فن التشكيل النحتي المباشر بالحديد، والكتابات النظرية لتبسيط علوم الموسيقى العربية، وسيناريو عن عمل درامي للأطفال سينمائي أو تلفازي، والإخراج المسرحي، والجرافيك (التصميمات المطبوعة)، وعمارة البيئة، وفي مجال الآداب تشمل: الترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية، وثقافة الأطفال والطلائع (شعر أو زجل)، ومجموعة قصص قصيرة، وديوان شعر، ونصًا مسرحيًا، وتحقيق التراث.

وتحددت موضوعات العلوم الاجتماعية كالتالي: التاريخ، اجتماع وأنثربولوجي، جغرافيا، آثار، تربية وعلم نفس، فلسفة. والعلوم الاقتصادية والقانونية: العلوم الاقتصادية، الاقتصاد، المالية العامة، العلوم السياسية. والعلوم القانونية: القانون الدولي الخاص والقانون الجوي الدولي، القانون التجاري والقانون البحري، القانون المدني وفلسفة القانون وتاريخ النظم القانونية.

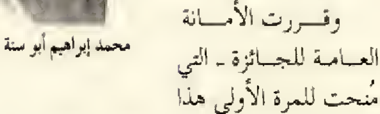
وتحددت غرة شهر رمضان المبارك المقبل (31 ديسمبر 1997م) موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات.

مركز للترجمة والبحوث اللغوية في جامعة أسيوط

قررت جامعة أسيوط تأسيس مركز للترجمة والبحوث اللغوية تناط به مهمة ترجمة الأعمال العلمية والأدبية والثقافية، وإيجاد نوع من الترابط بين معاهد الترجمة وأقسامها بالجامعات المختلفة والهيئات العربية والدولية المهتمة بالترجمة.

كما يهدف المركز إلى تدريب المترجمين وإعداد الكوادر القادرة على النهوض بعملية الترجمة، وعمل برامج حصر وإحصاءات لاستكمال النقص في الترجمات الحالية، وعقد ندوات ولقاءات بين المهتمين بالترجمة والعلوم اللغوية.

جائزة «أندلسية» لأبي سنة وسويلم


محمد إبراهيم أبو سنة

مُنح الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة جائزة مؤسسة أندلسية للثقافة والعلوم لأفضل ديوان شعر عام 1997م عن ديوانه «رقصات نيلية».

وقررت الأمانة العامة للجائزة - التي مُنحت للمرة الأولى هذا العام - استحداث جائزة أخرى للشاعر أحمد سويلم عن ديوانه «لروميات».

كتب جديدة

الإسلام وخرافة المواجهة، تأليف فريد هاليداي، ترجمه إلى العربية د. محمد مستجير.

فلسطين: كشف المستور عما آلت إليه الأمور، تأليف هالة الحوري، تقديم ناصر الدين النشاشيبي.

صدر الكتابان السابقان عن مكتبة مدبولي بالقاهرة.

الفلاح في الشعر العربي والفارسي والتركي: دراسة في الأدب الإسلامي المقارن، تأليف د. حسين مجيب المصري، صدر عن دار نشر عالم الفكر.

تشكيل الأذى، مجموعة شعرية لميسون صقر.

القصة، الرواية، المؤلف، تأليف مجموعة باحثين، ترجمه إلى العربية د. خيري دومة، وراجعه د. سيد البحراوي، وصدر ضمن سلسلة «دراسات ثقافية أجنبية».

صدر الكتابان السابقان عن دار شرقيات.

حرب يونية 1967م بعد 30 سنة، تأليف لطفي الخولي، صدر عن مركز الأهرام للترجمة والنشر بمؤسسة الأهرام الصحفية.

تجار القاهرة في العصر العثماني؛ سيرة أبي طاقية شاهبندر التجار، تأليف نللي حنا، ترجمه إلى العربية رؤوف عباس.

الخيوط الفاصلة: يوميات القلب المفتوح، سيرة ذاتية لجمال الغيطاني.

مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية، تأليف د. حسن فتح الباب.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن الدار المصرية اللبنانية.

الكتابة والتعريض، تأليف أبي منصور الثعالبي، تحقيق أسامة البحيري، صدر عن مكتبة الخانجي.

بنات النبي، تأليف د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

محاضرات في ديانة الساميين، تأليف روبرتس سميث، ترجمه إلى العربية (للمرة الأولى بعد ما يزيد على قرن من صدور طبعته الإنجليزية) عبدالوهاب علوب، وصدر عن المجلس الأعلى للثقافة.

العراق

«الأديب المعاصر» تعاود الصدور

بعد غياب دام قرابة ثلاث سنوات، عاودت مجلة «الأديب المعاصر» صدورها، مرة أخرى، بعدد جديد تضمن إبداعات متنوعة ودراسات نقدية وأدبية.

يُذكر أن المجلة يصدرها اتحاد الكُتَّاب العراقيين.

كتب جديدة

المعدان، مجموعة قصصية لوارد بدر السالم.

صمت الأكواخ، ديوان للشاعر عيسى حسن الياسري.

صدر الكتابان السابقان عن دائرة الشؤون الثقافية العامة ببغداد.

سورية

معرض الكتاب يناقش المجتمع العربي والثقافة

شارك 260 ناشرًا من مختلف أقطار العالم في معرض الكتاب العربي الثالث عشر، الذي اختتم أعماله - موخرًا - في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

وعبر 223 جناحًا على مساحة أربعة آلاف متر مربع عُرض ما يزيد على 35 ألف عنوان في شتى مناحي المعرفة. ورافق المعرض نشاط ثقافي تم تخصيصه لموضوع رئيسي هو «المجتمع العربي والثقافة» تفرعت منه محاور عدة، شارك في مناقشتها نخبة من أبرز كُتَّاب العالم العربي ومفكريه؛ فضلاً عن المحاضرات المتنوعة، والأمسيات القصصية والشعرية.

كتب جديدة

أطياف الحداثة ما بين علمانية النخبة وإسلامية الأمة، تأليف محمد جمال باروت، صدر عن دار الصداقة في حلب.

الثقافة بين الظلام والسلام، تأليف نبيل سليمان، صدر عن دار الحوار باللاذقية.

مرآة الغبش، مجموعة قصصية لطالب رفاعي، صدرت عن دار المدى في دمشق.

صوت الأنثى: دراسات في الكتابة النسوية العربية، تأليف نازك الأعرجي، صدر عن دار الأهالي.

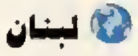
أبواب دمشق وأحداثها التاريخية، تأليف قتيبة الشهابي، صدر عن وزارة الثقافة.

فضل الأندلس على ثقافة الغرب، تأليف خوان فيرنيت، ترجمه إلى العربية نهاد رضا، وقدم له



فاضل السباعي، وصدر عن دار نشر إشبيلية.

مقدمة في التنوير: العلمانية - الدولة - الحرية، تأليف أحمد برقاوي، صدر عن دار سعد للنشر.



لبنان

متحف في قلعة بعلبك

تقرر إنشاء متحف دائم في قلعة بعلبك الأثرية في الذكرى المئوية لبدء البعثة الألمانية حفرياتها في القلعة، التي بدأت قبل قرن، وبالتحديد عام 1898م.

يقام المتحف في البرج المملوكي من القلعة، ويلحق به مركز معلومات، كما يقام في أبنية القلعة معرض للصور والوثائق.

كتب جديدة

أيها الهارب من الجرح، ديوان للشاعر صبحي حبشي، صدر عن دار المشرق في بيروت.

حرب العصابات في لبنان: سيكولوجية المقاومة الوطنية اللبنانية، تأليف حمزة الأنصاري، صدر عن دار الفارابي.

خطوات الأعالي، تأليف إسماعيل فقيه، صدر عن دار العلم للملايين.

خليل حاوي والشعر الطليق (قصائد عامية مجهولة)، إعداد جان داية، صدر عن دار نشر فجر النهضة.

المذكر والمؤنث: تأليف أبي حاتم السجستاني، تحقيق د. عزة حسن، صدر عن دار الشرق العربي.

مؤرخون أعلام من لبنان، تأليف مجموعة من الباحثين بإشراف د. مسعود ضاهر، صدر عن دار النضال.

نظام الدولة والقضاء والعرف في الإسلام: دراسة مقارنة، تأليف سمير عالية، صدر عن

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، تأليف عيسى إسكندر المعلوف، صدر عن دار الحمراء للطباعة والنشر.

العلاّمة، رواية لسالم خميس، صدرت عن دار الآداب.

العرب والفرات بين تركيا وإسرائيل، تأليف عايدة العلي سري الدين، صدر عن دار الآفاق الجديدة.

الأردن

الندوة الثامنة ليوم القدس

استضافت عمان أعمال الندوة الثامنة ليوم القدس، التي عقدت في مطلع شهر جمادى الآخرة الماضي.

شارك في الندوة سياسيون ومفكرون وعلماء دين مسلمون، ورجال دين نصارى، واستمرت أربعة أيام، ناقشت خلالها عدداً من الموضوعات المتعلقة بالمدينة المقدسة؛ منها ملكية الأراضي في القدس، وأساليب سلطات الاحتلال في الاستيلاء عليها ومصادرتها، والوضع الاقتصادي في القدس ودور الدعم العربي، وغير ذلك من الموضوعات. وأقيم على هامش الندوة معرض للصور والكتب عن القدس.

اكتشافات من عصور مختلفة في مدينة ياجوز

اكتُشفت معصرة للعنب ومسكن وكهف ملحق به يحتوي على قطع فخارية تعود إلى العصرين الروماني والبيزنطي في منطقة ياجوز بشمال عمان.

كما عثر في الناحية الغربية من الموقع على قطع فخارية تعود إلى العصر الأموي وكنيسة ومدفن ومطحنة من العصر البيزنطي.

وتدل هذه الكشوفات على أهمية مدينة ياجوز الواقعة على الطريق التجارية بين مدينتي عمان وجرش.

كتب جديدة

دقيقة وأخرج حيًا، الديوان الثاني للشاعر غازي الذيبة.

في ظلال المشكينو، مجموعة قصصية لأحمد خلف.

صدر الكتابان السابقان عن دار أزمنة للنشر في عمان.

شكل الغياب، مجموعة قصصية لحزامة حبايب، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.



تونس

الملتقى الأول للشعراء العرب

نظمت وزارة الثقافة ـ مؤخرًا ـ الملتقى الأول للشعراء العرب؛ بمشاركة مجموعة متميزة من شعراء الوطن العربي؛ منهم محمد الفيتوري، وعبدالوهاب البياتي، ومحمود درويش، وسعاد الصباح، وآخرون.

تضمن برنامج الملتقى خمس أمسيات شعرية، فضلاً عن ندوة فكرية حول الشعر العربي الحديث، ومسألة الإيقاع ومشكلة التلقي، والشعر وتحرير الكائن.

من الكتب الجديدة

الحياة على حافة الدنيا، مجموعة قصصية لرشيدة الشارني، صدر عن دار المعارف في سوسة.

أقاليم البهجة والحزن، مجموعة شعرية لمالك مالك، صدرت عن دار سحر للنشر.

المغرب

كتب جديدة

قال الراوي: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، تأليف سعيد يقطين.

من الطين إلى الحجر: قراءة في سفر الخلود، تأليف تركي علي الربيعو.

صدر الكتابان السابقان عن المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء.

أفول الأصنام، تأليف فريدريك نيتشة، ترجمه إلى العربية حسان بو رقية ومحمد الناجي، وصدر

رسائل جامعية

«شعر المرأة في العصر الجاهلي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها عبدالمجيد مهدي محمد.

«أحكام التسبب في الفقه الإسلامي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية، تقدم بها محمد علي سليم الهواري.

«الاجتهاد والتقليد عند الإمام محمد بن علي الشوكاني»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الزيتونة بتونس، تقدم بها محمد سعد نجاد.

«العقيدة الإسلامية بين الإمامين أبي حنيفة وأحمد بن حنبل»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة الأزهر، تقدم بها علي إسماعيل الحدة.

«الوسطية في الدعوة الإسلامية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة بمكة المكرمة التابع لرابطة العالم الإسلامي، تقدم بها أشرف السيد سالم.

«الأسطورة في الفن المصري القديم والتصور المعاصر»، عنوان

عن دار نشر أفريقيا ـ الشرق.

بلند الحيدري اغترابات الورد، تأليف مجموعة من الأدباء بإشراف عيسى مخلوف، صدر عن المنتدى الثقافي العربي ـ الأفريقي في أصيلة .

جارات أبي موسى، رواية لأحمد التوفيق، صدرت عن دار نشر القبة الزرقاء.

مدغشقر

فضية الفرنكوفونية لاسكندر نجار

منح الكاتب اللبناني اسكندر نجار الميدالية الفضية لدورة الفرنكوفونية الثالثة التي اختتمت أعمالها ـ موخراً ـ في مدغشقر عن كتابه الأدبي «أفريقيا».

جاء فوز نجار بالمركز الثاني بين مشاركين يمثلون 38 دولة تنتمي إلى المجموعة الفرنكو فونية.

الولايات المتحدة

حديقة حيوان إلكترونية

تفتتح في مدينة أطلنطا بولاية جورجيا خلال الشتاء المقبل حديقة حيوانات إلكترونية هي الأولى من نوعها على مستوى العالم، حيث لا تضم حيوانات؛ وإنما شاشات إلكترونية وأجهزة حاسب آلي.

تحاكي الحديقة الحياة البرية عبر أحدث التقنيات، حيث تصور من خلال شاشة عملاقة ثلاثية الأبعاد مجموعة من الحيوانات، منها الغوريلا، وعند ضغط الزائر على زر التشغيل تتحرك الحيوانات مصدرة أصواتًا مخيفة تشبه الهجوم، فيستخدم الزائر أزراراً أخرى لوقف الهجوم والتصدي له.

رحيل جوديث ميريل

توفيت الكاتبة والروائية جوديث ميريل عن عمر ناهز 74 عامًا.

تعد ميريل، المولودة في نيويورك والتي هاجرت إلى كندا عام 1968م، من المتخصصين في روايات الخيال العلمي، وقد شكلت مع الأديب إسحق أسيموف ثنائيًا أدبيًا، وأصبحا من أبرز أعضاء «الحركة المستقبلية» في الولايات المتحدة. ومن أبرز مؤلفات ميريل روايتها «ظلال على الأرض».

وفاة آخر ممثلي موجة الـ «بوب أرت»

توفي الفنان التشكيلي روي ليشتنشتاين عن عمر ناهز 74 عامًا.

يعد ليشتنشتاين المولود في 27 أكتوبر 1923م آخر ممثلي موجة الـ «بوب» في الرسم والنحت، وهي الموجة التي ظهرت في الولايات المتحدة عام 1961م، وتقاسم ليشتنشتاين قيادة هذه الموجة مع مواطنيه جيمس روز نكويست، وروبرت راوشنبرج. وقد أقيم آخر معرض استعادي لأعماله عام 1993م في نيويورك.

أحدث الكتب

الخط الأسود الرفيع، رواية تيمي هوج، صدرت عن دار نشر بنتام.

حياة ووفاة تشي جيفارا، تأليف جورج كاستناير، صدرت ترجمته الإنجليزية عن دار نشر بوب.

سنوات الفشل، تأليف بول أوستير، صدر عن دار نشر هنري هولف في نيويورك.

الرجل الذي يسير على القمر، تأليف هوارد ماكورد، صدر عن دار نشر ماكفرسون.

بورتوريكو

كتاب الدراما والقيم الغائبة

دعا المشاركون في المؤتمر الثاني للثقافة الأيبرو ـ أمريكية الذي عُقد ـ مؤخراً ـ في عاصمة بورتوريكو كُتَّاب الدراما إلى العودة إلى القيم الروحية والتفكير الفلسفي.

رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية النوعية في بورسعيد، تقدم بها طارق حسن علي.

«مساجد ومدارس مدينة حبس اليمنية منذ عهد الدولة الرسولية حتى نهاية عهد الدولة الطاهرة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة القاهرة، تقدم بها عبدالله عبدالسلام الحداد.

«أنماط متنوعة للطبيعة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية البنات بجامعة عين شمس، تقدمت بها حنان السعيد محمد.

«صنع القرار في مؤسسات التعليم العالي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة ميدل سكس ببريطانيا، تقدم بها حافظ المدلج.

«الرواية المصرية والمدينة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة القاهرة، تقدم بها حسين حمودة.

«المكان في السَّرد العربي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة عين شمس، تقدم بها مصطفى الضبع.

«أصول الفقه الإسلامي وتاريخه حتى نهاية القرن السابع الهجري»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة لندن سواس، تقدم بها محمود السيد الدغيم النعيمي.

«الجملة الخبرية في مجموعات الشعر العربي القديم: المفضليات والأصمعيات»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في معهد الاستشراق الروسي التابع لأكاديمية العلوم، تقدم بها الصحفي السوداني نائل عبدالقادر اليعقوبابي.



وأشار المشاركون في المؤتمر إلى أن مسرح اللهو يستجيب لرغبات المتفرجين متجاوزًا الكثير من القيم، وألمحوا إلى أهمية إيجاد خطاب مباشر بين كاتب الدراما والمتفرج.



قبرص

أبو الهول في قبرص

اكتشف آثاريون قبارصة مجموعة نادرة من الآثار ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد في مدينة تاماسوس غرب نيقوسيا، التي تعد من المدن التاريخية المهمة.

من بين الآثار المكتشفة تمثال نادر لجسد يشبه جسد تمثال أبي الهول، ورأس فرعوني، وتمثال آخر لأسد ضخم.

متحف جديد

تقرر إقامة متحف في منطقة باليكاسترو بجنوب الساحل القبرصي لعرض الاكتشافات التي عُثر عليها في تلك المنطقة، والتي يرجع تاريخها إلى عام 1200 قبل الميلاد.

وترمي الحكومة القبرصية إلى جعل المتحف رمزًا لتاريخ المنطقة والجزيرة معًا، بما يضمه من آثار توضح الكثير حول حضارتها وتاريخها.

بريطانيا

مشاهير كُتَّاب العالم وشعرائه في مهرجان تشلتنهام الأدبي

شارك ثلاثمئة من مشاهير كُتَّاب العالم وشعرائه في الدورة الثامنة والأربعين لمهرجان تشلتنهام، الذي يعد أكبر تجمع أدبي بريطاني.

امتد المهرجان عشرة أيام، وتضمن قراءات شعرية وقصصية وأخرى للموروث الشعبي؛ فضلاً عن سلسلة من المحاضرات حول تاريخ الإمبراطورية البريطانية وجوانب متعددة من الثقافة الإيرلندية، ورائدها وليم بتلر ييتس، وموضوعات أخرى.

وجاءت انطلاقة المهرجان هذا العام جديدة، حيث لم تقتصر إقامة أعماله على أماكنها المحددة، بل امتدت لتنتقل إلى المقاهي والأماكن العامة لتنقل الأدب إلى العامة من الناس.

مؤتمر الكتابة التاريخية في مصر الإسلامية

شارك 24 عالمًا من الولايات المتحدة ومصر وبريطانيا وفرنسا وفنلندا في مؤتمر نظمته - مؤخرًا - جامعة سانت أندروز باسكتلندا عن «الكتابة التاريخية في مصر الإسلامية».

من أبرز الأبحاث التي طرحت في المؤتمر بحث عن المؤرخ أبي حامد المقدسي، الذي عاش خلال القرن التاسع الهجري، وآخر تطور التأليف في فن الخط في مصر.. وينتظر أن يتم تجميع الأبحاث المقدمة ونشرها كاملة في كتاب يصدر عن مؤسسة بريل في ليدن بهولندا.

جائزة بوكر لماكلافيرتي

مُنح الروائي الإيرلندي برنارد ماكلافيرتي جائزة بوكر الأدبية، كبرى جوائز بريطانيا عن روايته «مذكرات جريس».

جاء اختيار ماكلافيرتي من بين 106 روائيين من بريطانيا وإيرلندا ودول الكومنولث، تقدموا لنيل الجائزة، وحل في المركز الثاني الروائي جيم جراس عن روايته «الحجز».

تأسيس جمعية زكي نجيب محمود الفكرية

تأسست في لندن - مؤخرًا - «جمعية زكي نجيب محمود الفكرية» بمناسبة الذكرى الرابعة لرحيل المفكر الأديب د. زكي نجيب محمود.

جاء الإعلان عن الجمعية خلال أمسية فكرية نظمها مكتب جريدة الأهرام في لندن، تكريمًا للمفكر الراحل، شارك فيها السفير صلاح عبود، وأرملة الفقيد د. منيرة حلمي، والشاعر د. حسن إسماعيل، والكاتب يسري حسين.

البريطانيون يفضلون داهيل ويقبلون على «الحديقة السرية»

أظهر استطلاع للرأي أن أطفال بريطانيا وكبارها أيضًا يعدّون الكاتب الروائي رولد داهيل مؤلف رواية «أليس في بلاد العجائب» هو الأفضل بين الروائيين.

وأظهر الاستطلاع الذي أجرته هيئة الإذاعة البريطانية أن كتاب فرانس هودجسون «الحديقة السرية» هو أكثر الكتب رواجًا في الأسواق البريطانية.

وفاة الشاعر العراقي شريف الربيعي

توفي الشاعر العراقي شريف الربيعي، بعد صراع مع مرض السرطان عن عمر ناهز 54 عامًا.

وشريف الربيعي شاعر وكاتب وصحافي من مواليد بغداد عام 1943م، وبدأ رحلته مع الكتابة في الستينيات حيث كتب أولى قصائده «السلام». وفي عام 1967م عمل في جريدة «النصر» البغدادية التي كان يصدرها عطا شهاب، وغادر عام 1969م إلى الأردن ليندرج في المقاومة الفلسطينية وإعلامها، وانتهى الأمر به إلى التنقل ما بين دمشق وقبرص وبيروت، كاتبا في «السفير» و«الآداب» و«مواقف»، و«الكرمل»، كما حرر مجلات منها «إلى الأمام» في بيروت، و«الأفق» في قبرص. وكتب مجموعة شعرية بعنوان «قراءة في عذابات تل الزعتر»، وله تحت النشر مجموعة أخرى عنوانها «أشقاء الأماكن».

أحدث الكتب

الآلهة والبشر (الكتاب الثاني من ديوان الأساطير: سومر وأكاد وأشور)، نقلة إلى العربية وعلق عليه قاسم الشواف، وقدم له وأشرف عليه أدونيس، وصدر عن دار الساقي في لندن وبيروت.

شعر الشفاء، تأليف د. رفائيل كامبو، صدر ضمن منشورات نورتن.

أسرار مايكروسوفت، تأليف مايكل كوسومانو، وريتشارد سيلبي، صدر عن دار نشر هاربر كولينز.

ملك غير متوَّج، تأليف ستانلي ونتراب، صدر عن دار نشر فري بريس.

طوفان المعلومات، تأليف ديفيد شينك، صدر عن منشورات أباكوس.

الفرار إلى العاصفة: الهجرة السوفياتية إلى إسرائيل وقضية السلام في الشرق الأوسط، تأليف جون كويجلي، صدر عن دار نشر ايثاكابرس.

كيف تكون حرًا، تأليف بن أوكرى، صدر عن دار نشر فينكس هاوس.

اليونان

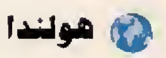
اكتشاف عظام فيلة من عصور ما قبل التاريخ

اكتُشف في كهف كاركاديو بجزيرة تيلوس جنوب شرقي بحر إيجه أكثر من عشرة آلاف قطعة عظام لفيلة صغيرة الحجم من عصور ما قبل التاريخ، وآثار لحياة إنسانية.

وقال آثاريون: إن فصيلة الفيلة المكتشفة كانت منتشرة على السواحل التركية الحالية، ثم عُزلت في

الحركة الثقافية في شهر

تيلوس بعد ما انفصلت الجزيرة عن باقي القارة إلى أن انقرضت.



هولندا

«واحد» تدوّنُ أسئلة الكتابة المغتربة

صدر - مؤخرًا - العدد الأول من مجلة «واحد» التي تهتم بتدوين أسئلة الكتابة العربية المغتربة في هولندا.

يُصدر «واحد» مجموعة من الشعراء العراقيين المقيمين في هولندا. وتضمن العدد الأول ملفًا لشعراء ما بعد الثمانينيات الميلادية في العراق، فضلاً عن قراءات نقدية، وبحوث أدبية، وإسهامات شعرية.

تضم هيئة تحرير «واحد» الشعراء: فلاح الصوفي، وحميد حداد، وصلاح حيثاني، وشعلان شريف.

ألمانيا

تراجع مبيعات الكتب يثير مخاوف الناشرين

أشارت معلومات نشرها اتحاد الكُتّاب الألمانيين إلى تراجع مبيعات الكتب في ألمانيا الموحدة، إذ لم تتجاوز نسبة الزيادة فيها 1٪ فقط.

وأوضحت تقارير بهذا الصدد أن ما بيع من كتب خلال العام الماضي بلغت قيمته نحو مليار مارك (نحو 600 مليون دولار أمريكي)، وتصدرت الكتب الشعبية قائمة المبيعات.

وتثير هذه المعلومات مخاوف الناشرين الألمان، وبخاصة أنها تأتي في وقت ازدادت فيه إنتاجية النشر الألمانية بنسبة 20٪ نتيجة لاستعمال الوسائل الحديثة للطباعة والنشر.

أحدث الكتب

تركيا في القرن العشرين: الشريك الصعب لأوربا، تأليف د. شاتينباخ، صدر عن دار نشر لويه.



النمسا

لوحات فوتوغرافية عن أفريقيا

يستضيف متحف فيينا للفنون - حاليًا - معرضًا فوتوغرافيًا عن أفريقيا بعدسة المصور النمساوي المعاصر هورب ريتس.

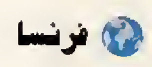
يضم المعرض المقرر أن يستمر حتى العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك المقبل 200 عمل تصويري توضح البيئة الأفريقية وثراءها الإنساني.

بولندا

مقبرة من العصر السلتي

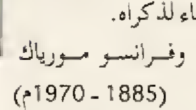
عُثر في منطقة كوجايا بشمال بولندا على مقبرة تعود إلى عصر الحضارة السلتية التي ظهرت في جنوب غربي ألمانيا ودول البلقان وآسيا الصغرى في القرن الثاني قبل الميلاد.

تضم المقبرة المكتشفة بقايا إنسان يبلغ طوله نحو 190 سنتيمترا، وبعض السيوف والأسلحة الأخرى المصنوعة من الحديد.



فرنسا

مركز ثقافي في منزل مورياك

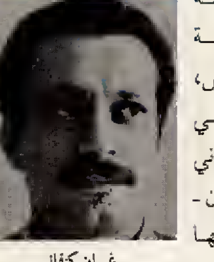


فرانسوا مورياك

افتتح - مؤخرًا - منزل الكاتب الفرنسي الراحل فرانسوا موارياك في مدينة اكتيان بعد تحويله إلى مركز ثقافي، إحياء لذكراه.

وفرانسو موريك (1885 - 1970م) كاتب وصحافي بارز، نال عام 1952م جائزة نوبل في الأدب، ومن أبرز أعماله «تيريز ديسكيرو» و«العقدة».

الفائزون بجائزة فلسطين - الهمشري والمنتدى الثقافي اللبناني



غسان كنفاني

مُنحت الكاتبة الفلسطينية بسمة قمضاني درويش، والكاتب الفلسطيني الراحل غسان كنفاني جائزة «فلسطين - الهمشري» في دورتها الخامسة والعشرين، كما مُنحت الأديبة اللبنانية نجوى بركات جائزة «المنتدى الثقافي اللبناني».

جاء فوز بسمة عن كتابها «فلسطين الشتات»، وكنفاني عن كتابه «عائد إلى حيفا»، ونجوى بركات عن روايتها «باص الأوادم».

يذكر أن الجائزتين أسستا وتمنحان في باريس.

ترميم المكتبة العامة بمركز بومبيدو

أغلقت المكتبة الفرنسية العامة الملحقة بمركز جورج بومبيدو في باريس أبوابها أمام الرواد بمناسبة بدء أعمال الترميم والتجديد بها.

ويُنتظر أن يتم في النصف الثاني من شهر رجب الجاري افتتاح قسم جديد للمكتبة في محل تجاري بالقرب من المركز يتضمن جناحًا للقواميس والموسوعات، وبعض الوثائق المسجلة إلكترونيا.

أحدث الكتب

يا بنات الاسكندرية، رواية إدوار الخراط، ترجمها إلى الفرنسية لوي باربو ليسكو، وصدرت عن دار نشر أكت سود في باريس.

البحوث السياسية لبلاد الباسك، تأليف بربارة لوير.

العراق: مؤامرة السكوت، تأليف أليس برسيني.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر هارتمان.

الدولتان: السلطة والمجتمع في الغرب وفي دار الإسلام، تأليف برتراند باديه، صدر عن دار نشر سويل.

الصراع العربي الإسرائيلي من بداياته إلى اليوم، تأليف جيل مارتينات، وتييري سكوتو دي كوفيلا، صدر ضمن سلسلة «ميمو» عن منشورات سوي.

الأثنية الجمهورية: النخب المغاربية في النظام السياسي الفرنسي، تأليف فانسان جيسير، صدر ضمن منشورات العلوم السياسية.

هذا الحنين الأبوي، يوميات الكاتب بيار لوتي، صدر عن دار تابل روند.

موسوعة الأديان، إعداد إيزيه تردان ماسكوليه، صدرت عن دار نشر فايار.



سمع طرقات متواصلة وسريعة على باب حجرته..

فتح الباب ليجد «جمال لعرج» يقف بقامته القصيرة، منفوش الشعر، زائغ النظر، يبادره، وهو ينفث دخان سيجارته، في صوت عاتب:

ـ السّي عبدالغفار، لا بأس.. مالك؟ أنسيتنا؟ الاجتماع الفايت.. تغيبت.. يظهر.. نسيت الموعد.. والليلة.. رد البال، عندنا اجتماع مهم، لابُدّ، الساعة العاشرة كالعادة، لا تتأخر.. بعد ساعة.. أآمر عليك؟

اصطنع عبدالغفار ابتسامة لم تُخْفِ ما كان يخفيه في نفسه من ازورار وتجهم، وأجابه في برود:

ـ لا، لا، لا تشغل نفسك بي.. أنا متذكر.. وعارف.. الليلة عندنا اجتماع..!

استدار جمال لعرج إلى باب الحجرة المقابلة ليطرقه طرقات متواصلة وسريعة.. أما عبدالغفار فقد أقفل الباب، وعاد إلى حيث كان يجلس إلى مكتبه الصغير وهو فريسة القلق، والحيرة، والتردد.. ثم ما لبث أن طوى كتاباً بعنوان «الماركسية في أفق سنة 2000» كان بين يديه ورمى به جانباً، ثم نهض من كرسيه وهو يحدث نفسه بصوت عال: «ملّ الواحد.. ما عاد يطيق.. الكلام نفسه والخطب نفسها.. المسرح هو هو، والممثلون لا يتبدلون.. بالاقنعة نفسها، بالحركة نفسها.. بالحوارنفسه.. أعباد الله.. الواحد ملّ.. ما عاد يتحمل..!».

استلقى على سريره وتسمرت عيناه بسقف الحجرة كأنما تلتمسان فيه مخرجًا من حيرته الممضة!

يتذكر عبدالغفار:

«ها قد مرت على أول اجتماع حضره أربع سنوات، كان ذلك في أول يوم دخل فيه الجامعة، في صباحه الباكر حين نزل من سيارة الأجرة عند باب الحي الجامعي وجد في انتظاره طالبين لا سابق معرفة له بهما، أحدهما «جمال لعرج» والثاني «معمر العنصري».. استغرب وهو يسمعهما يخاطبانه باسمه الكامل ويرحبان به ثم يذهبان به إلى إحدى الحجرات حيث تركاه ليأخذ قسطاً من الراحة، وانطلقا لإنجاز إجراءات تسجيله في الكلية والحي. وفي المساء دُعي رفقة طلبة آخرين كانوا بدورهم حديثي العهد بالجامعة إلى حفل «التعارف».. وفي هذا الحفل ألقى «جمال لعرج» كلمة انتقد فيها الأوضاع السياسية في البلاد بعامة، والتعليمية بخاصة، وفي الجامعة بالأخص، ودعا الطلبة إلى اليقظة والاستعداد لخوض المعركة ضد عملاء الإمبريالية المتاجرين بمستقبل الوطن..».

لا يزال عبدالغفار يتذكر وقد علت محياه ابتسامة ساخرة:

«صفق بحرارة مثلما صفق الطلبة الآخرون وأكثر، وتلفت إلى طالب بجانبه فتبادلا إشارة إعجاب، وهزّا معًا رأسيهما تقديراً لما سمعاه! وفي طريق العودة إلى الحي سأل جمال لعرج: «قل لي أسي جمال، الأمن والمخابرات.. ما منهم خوف!؟» ضحك ولم يرد عليه، فعاد يلقي عليه السؤال، فقال له في جدية وحزم: «أنت من اليوم مع الرجال، والرجال لا يخافون». وفي اليوم التالي عاد وحده إلى الفيلا القديمة بأقصى المدينة حيث جرى حفل التعارف ليثبت للسي لعرج ورفاقه «رجولته» وهي معقد ظنهم الحسن به!

وفي ذلك المساء فهم من حوار «الرفاق» أن «الرجولة» مرادف للقوة، والشجاعة، والجرأة، وأن هذه كلها هي عدة «الرفيق» في رفض القيم السائدة، ودحر المبادىء المكرسة، وتوعية الأمة، والسواد الأعظم منها لا يزال فريسة أفيون الدين القاتل، بواقعها وتردياته وضرورة الثورة عليه..»

استغرب مما سمع، وهمّ أن يستفسر ويعقب، غير أن معمر العنصري، وكان يجلس بمحاذاته، أسرّ إليه ألا يفعل حتى لا يأخذ عنه الرفاق فكرة لا تليق، وأضاف: «ما قالوه هو الحقيقة والواقع، من لا يقر بذلك!؟».

تدق ساعة الحائط عشر دقات..

يلعن عبدالغفار ساعة الحائط..

يلعن عبدالغفار الساعة العاشرة..

يلعن عبدالغفار الساعة العاشرة حيثما أزفت، ودقت، أو لم تدق!

يرسل عبدالغفار آهات متحسرة من أعماق نفسه..

يتذكر عبدالغفار في اجتماعات الساعة العاشرة بالفيلا القديمة مواعيده الأولى مع:

أول سيجارة ملأ بدخانها رئتيه ثم نفثه في الفراغ..

أول زجاجة بيرة صبها في جوفه..

أول بنت من الرفيقات مدّ إليها يده فمدت ولم تكن ترد يَدَ لامس..!

أول كتاب عن «الماركسية والدين»..

أول عمل من أدب السأم والغثيان الوجودي..

أول مشاركة فعلية له، بعد أن انتُخب عضوًا بالمكتب (...) التنفيذي، في التخطيط للإرهاب البدني والفكري وإعداد حملات التشهير بالخصوم عن طريق رمي أبريائهم ومحصناتهم بالتهم الأخلاقية..

يرسل عبدالغفار آهات متحسرة من أعماق نفسه..

ينهض من سريره في تثاقل..

يخرج من حجرته في تثاقل..

ينزل الدرج في تثاقل..

ثم يسير في اتجاه الفيلا القديمة.. في تثاقل!

يقف على ناصية الطريق حائراً، متردداً، تجلد أعماقه التساؤلات: «كيف نستنكر المظالم ونظلم!؟ كيف نرفع شعار حرية الرأي والتعبير ونكمم أفواه الآخرين!؟ كيف نتباهى بالحديث عن الشرف وننهش الأعراض!؟».

يرسل عبدالغفار آهات متحسرة من أعماق نفسه..

وتتوالى التساؤلات التي تجلد أعماقه: «متى كان الإرهاب نضالاً؟ متى كانت الخيانة موقفاً؟ متى كان الشذوذ عن القاعدة قاعدة؟ متى كان الطعن من الخلف شجاعة؟!

يخطو نحو باب الفيلا القديمة مقر الاجتماع بتثاقل..

خيل إليه كأنَّ قدميه تغوصان به في الوحل..!

وخيل إليه، بعد أن دخل غرفة الاجتماع وجعل ينصت إلى تدخلات الرفاق، أن رائحة الوحل تسد خياشيمه..

وخيل إليه أن رائحة الوحل تزداد.. وتحتد حين تناول الكلمة «جمال لعرج»: «موقعنا، أيها الرفاق، بات، داخل الساحة الطلابية، في حال من التضعضع تستلزم المبادرة بدرس الأسباب الكامنة وراء ذلك والعمل على تدارك الأمر وتحصين الموقع، وفيما بيننا يجب أن نعترف أن الأخطبوط الرجعي، يحقق، يوماً بعد يوم، تقدماً ملموساً احتل بفضله جزءاً كبيراً من الساحة الطلابية. علينا أن نواجه الوضع بمنتهى الحيطة والحذر.. علينا أن نعبئ النفوس، ونخطط لأساليب جديدة في اختراق جدارهم السميك والوقوف على أسرار لعبتهم لإفسادها عليهم..

علينا أن نفكر في أساليب جديدة لتحقيق ذلك، فما عادت خططنا القديمة في مواجهتهم تفيد إطلاقاً.. وكلنا يذكر خطط العنف الجهنمي التي مارسناها معهم.. ضربنا، واعتدينا، واغتصبنا، وأثرنا الشبهة، واستعدينا عليهم السلطة ورجال الأمن فلم ينل ذلك منهم إلا مثلما تنال الريح من لحاهم الكريهة. علينا، أيها الرفاق، أن نفكر في أساليب أخرى لاستئصال هذا الأخطبوط وإلا..!».

يملأ صوت جمال لعرج جنبات الغرفة..

وتملأ رائحة الوحل نفس عبدالغفار..

يحاول أن يتلهى عما يسمع ويشم!

يركب خياله.. فيحلّق به عالياً.. في أجواز وآفاق!

وشيئاً فشيئاً تغيم أمام ناظريه صورة جمال لعرج..

وشيئاً فشيئاً يتلاشى صوته..

وشيئاً فشيئاً تذرو الريح رائحة الوحل..

وشيئاً فشيئاً ينتصب أمام عيني عبدالغفار شخص «محمد الأمين» بوجهه المتهلل يتحدث إلى جموع الطلبة المحتشدين في حلقة واسعة بنبرات نفاذة تشيع فيها حرارة الإيمان والأمل:

«نحن طلاب حق، والحق قديم، والناس جميعاً طلاب حق؛ لكنهم يختلفون في تصوره، وفي حقيقته، وفي الوسائل التي يتوسلون بها للوصول إليه. وأجلى صورة للحق ما رسمه القرآن العظيم كتاب ربّ العالمين، وأفضل الطرق إليه ما سلكه قدوتنا وحبيبنا سيدنا محمد رسول الله صلوات الله عليه. والذين يُعرضون عن ذلك ويحيدون عن هذه ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة.. إنهم أموات غير أحياء.. قلوبهم منكرة وهم مستكبرون، لكن هذا لا يمنعنا نحن، شباب محمد صلى الله عليه وسلم، أن نمد أيدينا إليهم في رفق وحنان وشفقة ندعوهم إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة وبالتي هي أحسن، وطوبى لمن يهتدي على يديه أحدهم، فلأن يهدي الله بك امرأ خير من حمر النعم.

بعض الإخوان ربما اعترض وقال: إن هؤلاء شرذمة تناصبنا العداء، وتتربص بنا الدوائر، وتنصب لنا الأفخاخ.. إنهم يسلقون بألسنة حداد أعراضنا، ويمدون أيديهم بالسوء إلينا وإلى أخواتنا وإلى أهلينا، فهل من الحكمة أن نظل مكتوفي الأيدي أمامهم؟ أقول لهؤلاء الإخوان بارك الله فيهم: لا، لا، لن نظل مكتوفي الأيدي، لكننا لن نعاملهم بالمثل ما لم نستنفد جميع ما لدينا من أساليب الدعوة والحوار. لا تنسوا أنَّ من هؤلاء أشقاء لنا وأصدقاء.. صحيح أن آصرة القرابة بيننا وبينهم، مهما كان حظها من الدم، باتت متضعضعة بعد أن كذبوا بالحق وآمنوا بالباطل.. استبدلوا الذي هو أدنى: إيديولوجيات مادية علمانية، بالذي هو خير: كتاب الله وسنة رسوله.. لكننا، أيها الإخوان، مع ذلك مدعوون لأن نستفرغ الجهد كله في رد الوعي إليهم بعقيدتهم وهويتهم. وأحبّ، أيها الإخوان، أن أحيّي وتحيُّوا معي جميعاً، طائفةً هداها الله تعالى سبل الرشاد وعَزَّزَ بها صفوفنا. وهي اليوم، وقد آمنت بأن الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تدخر وسعاً في الدعوة لما آمنت به: *والذينَ جاهَدُوا فينَا لنهدينَّهم سُبُلَنا وإنَّ الله لَمَعَ المحسنين*.

تعْرُو عبدالغفار رجفة من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه..

يحس عبدالغفار بشيء في نفسه يصوّح ويذوي.. كأوراق الخريف!

يحس عبدالغفار بشيء في نفسه يورق ويتفتح.. كأزهار الربيع!

ينسحب عبدالغفار من غرفة الاجتماع في غير مبالاة ولا اكتراث بالنظرات المستغربة التي حاصرته من كل صوب..!

يسير عبدالغفار وحيداً في الشارع الخلفي الصامت..

في سماء المدينة يهتك الغيومَ المتلبدة نورُ قمر شفيف..!

في نفس عبدالغفار يهتك الحجبَ المستورة دَفقُ نور رفيف..!

فجأة..

تنبجس السماء بأصوات عذبة، رقراقة، تغرق آفاقها في شلالات أريج مضواع..

تنبجس نفس عبدالغفار بشيء كنسغ الشجر.. تُترع جنباته بأشذاء فوّاحة..

يسقط الصمت من حوله..

يسقط شيء من عينيْ عبدالغفار..

يُحَوّلُ عبدالغفار «الاتجاه»..

تنفرج شفتاه، وهو يخلع حذاءه ويدخل المسجد، بكلمات كان يسمع والده يرددها كلما وضع رجله اليمنى على عتبة جامع القرية: «بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وسلطانك القديم من الشيطان الرجيم. اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك».



الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك

حمزة بن بيض الحنفي
حياته وشعره



كتاب يتناول سيرة الشاعر حمزة بن بيض الحنفي، الذي عاش في العصر الأموي. ويذكر المؤلف ـ د. حمد بن ناصر الدخيل ـ أن ما دفعه إلى درس حياة هذا الشاعر وشعره ثلاثة أسباب. أما الأول: فتاريخي وجغرافي، وهو انتماء حمزة بن بيض أصلاً ونسبًا إلى المملكة العربية السعودية، مهد العرب والعربية، فهو من بني حنيفة القبيلة العربية الوائلية. وأما الثاني: فلغوي، وهو انتساب الشاعر إلى عصر الاستشهاد اللغوي. وأما الثالث: فأدبي، وهو ضرورة إخراج شعره في مجموع بطريقة علمية منهجية.

يقع الكتاب في مقدمة وقسمين، وقد تحدث المؤلف، في القسم الأول، عن قبيلة الشاعر وذكر المشهورين من شعرائها وشواعرها، ثم تناول عصر الشاعر، وأسهب في الحديث عن حياته وذكر بعض صفاته النفسية. وأفرد فصلاً لشعر الشاعر ودرسه دراسة فنية، كما أشار إلى منهجه في جمع قصائد الشاعر.

ورتّب القصائد ترتيبًا هجائيًا، وصدّر كل قصيدة بذكر السبب الذي دعا إليها ومناسبتها. وخرّج الأبيات من مصادرها، وذكر وجوه الخلاف في روايتها، وشرح معاني كلماتها.. ثم عرّج على موضوعات شعره من مديح ووصف وهجاء ورثاء.. وختم هذا الفصل بدراسة فنية لشعر الشاعر من حيث الشكل والمضمون. ثم أورد في القسم الثاني شعر الشاعر وقسمه قسمين: شعر ثابت النسبة إليه، وشعر منسوب إليه وإلى غيره.

وختم الكتاب بإيراد تسعة فهارس فنية تسهل الرجوع إلى الكتاب، وتيسّر سبل الفائدة منه.

يقع الكتاب في 315 صفحة من القطع المتوسط،
وصدر عن النادي الأدبي في الرياض.

القشرة والصلع والشيب والحناء
في ميزان الصحة والمرض



كتاب يلقي الضوء، من خلال البحوث والآراء الطبية، على أهم مشاكل الشعر اليومية. وقد عالج الدكتور حسان شمسي باشا موضوع الكتاب في خمسة عشر فصلاً. تناول فيها تركيب شعر الإنسان ونموه، واضطرابات الشعر الشائعة من تقصف وجفاف، وصبغات الشعر وأنواعها والمخاطر الناجمة عن استعمال الصبغات وطرائق السلامة منها، وتكريم الشعر في السنة النبوية. كما بحث مشكلات قشرة الرأس وسقوط الشعر والصلع؛ فشرح أسباب حدوث التساقط وأنواع الصلع. وقام بتعريف «الشعرانية»؛ أي فرط نمو الشعر، واستعرض الحكم الشرعي لوصل الشعر واستخدام الباروكة (الشعر المستعار)، وترقيق الحواجب. ثم ناقش موضوع الشيب: حقيقته وأسباب الشيب المبكر، وسر تحول الشعر الأسود إلى أبيض في ليلة واحدة. وأورد ما جاء في كتب التفسير والسنة المطهرة عن الشيب، كما ذكر بعض ما جاء في الشعر العربي عن الشيب بين مادح وقادح، بعدها شرح أنواع الحناء واستعمالاتها وبخاصة في صبغ الشعر، وما جاء في ذلك من أبحاث علمية.

يقع الكتاب في 155 صفحة من القطع المتوسط،
وصدر عن مكتب السوادي للتوزيع في جدة.

جماليات القصة القصيرة
(دراسة نصية)

كتاب قدّم فيه المؤلف ـ د. حسين علي محمد ـ دراسة نقدية نظرية وتطبيقية واعية ودقيقة لعدد من المجموعات القصصية القصيرة لأربعة عشر قاصًا عربيًا، واختار لكل كاتب مجموعة قصصية متميزة انصبت عليها دراسته.

والكتاب ثمرة جهد نقدي متصل في قراءة القصة القصيرة العربية الحديثة بعد تذوقها جماليا وموضوعيا وفنيا، والنظر إليها في سياقها الزماني والمكاني، وعدم إغفال العناصر التي تجعل من النص نصًا متميزًا.

والنصوص التي قدمها ودرسها تختلف وتتفاوت قيمتها الفنية، ولكنها جميعًا نصوص مبدعة، كما قرر.

اتسمت أحكام الكاتب النقدية بالموضوعية، فنراه جريئا لا يجامل في أحكامه، ولا يداري في آرائه، وغالبا ما يتناول في نقده لكل مجموعة الظواهر الفنية والأسلوبية؛ كرسم الشخصيات والأحداث والحوار واللغة والرمز وتيار الوعي والزمان والمكان والمفارقات التصويرية، واستطاع أن يجسد لنا جمالية القصة القصيرة من خلال عدد من التقنيات المعاصرة وجمالية اللغة.

يقع الكتاب في 160 صفحة من القطع المتوسط،
وصدر عن الشركة العربية للنشر والتوزيع بالقاهرة 1416هـ/1996م.

ظلي خليفتي عليكم

ديوان الشعر الأول للشاعر جاسم محمد أحمد الصحيح، يحتوي على 55 قصيدة يبدأ تاريخها من عام 1410هـ. وتتنوع في الديوان الموضوعات الشعرية والأغراض الفنية التي طرقها الشاعر.

فأول ما يطالعنا من قصائد في مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، والفخر بالإسلام والقرآن والصحابة الذين قدموا أعظم رسالة للبشرية وأسمى حضارة علمية إنسانية أخلاقية. وله مديح للأحساء ـ بلده ـ وصفها فيه بأنها أم الكفاح والكبرياء ومنبت العظماء. كما مدح الطائف ووصفها بأنها عروس الجبال. وله بعض المدائح في بعض الأصدقاء.

وثاني غرض يطل علينا في الديوان: الغزل وهو أكبر أغراضه الشعرية. وفي الديوان مرثية واحدة في صديق له، وفيها يصور حزنه وشجنه وأساه. كما أن له قصيدة جميلة يصف فيها زيارته لمصر أيام ذكرى أكتوبر المجيدة ويصور حبه لها ومشاعره تجاهها.

وينقسم شعر الشاعر في الديوان قسمين: قسم نظمه على أوزان الشعر العربي الأصيل، ويشكل ثلاثة أرباع شعره، وعنونه بعنوان الديوان «ظلي خليفتي عليكم». والقسم الثاني شعر التفعيلة أو ما يسمى بالشعر الحر وعنونه بـ«سهام أليفة».

يقع الديوان في 215 صفحة من القطع المتوسط،
وطبع بمطابع الحسيني عام 1417هـ.

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....
العنوان: ....

مسابقة مجلة **الفيصل**

1- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة «الفيصل» ص ب (3) الرياض (11411) المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد 250

ج 1: أجمع العلماء على أنه لا يحل للمسلمة أن تتزوج غير المسلم؛ سواء أكان مشركًا أم من أهل الكتاب. ودليل ذلك قول الله عز وجل: *يا أيُّها الذينَ آمَنُوا إذا جاءكم المؤمناتُ مهاجرات فامتحنُوهُنَّ اللهُ أعلم بإيمانهنَّ فإنْ علمْتُموهُنَّ مؤمنات فلا تَرجِعُوهنَّ إلى الكفار لا هُنَّ حِلٌّ لهم ولا هم يحلُّون لهُنَّ*. **الممتحنة:10**.

وحكمة ذلك أن الرجل يكون له حق القوامة على زوجته، وأن عليها طاعته فيما يأمرها به من معروف، وفي هذا معنى الولاية والسلطان عليها. وما كان لكافر أن يكون له سلطان على مسلم أو مسلمة؛ لقول الله جل وعلا: *ولن يجعلَ اللهُ للكافرينَ على المؤمنينَ سبيلاً*. **النساء:141**.

ثم إن الزوج الكافر لا يعترف بدين المسلمة؛ بل يكذب بكتابها، ويجحد رسالة نبيها. ولا يمكن لبيت أن يستقر ولا لحياة أن تستمر مع هذا.

أما المسلم فعلى العكس من ذلك إذا تزوج بكتابية؛ فإنه يعترف بدينها، ويجعل الإيمان بكتابها وبنبيها جزءًا لا يتم إيمانه إلا به.

ج 2: تم التوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية في اليوم الثاني والعشرين من مارس/ آذار 1945م. أما الدول التي قامت بالتوقيع فهي: سورية، وشرق الأردن، والعراق، والمملكة العربية السعودية، ولبنان، ومصر، واليمن، إضافة إلى مندوب عن فلسطين. ثم انضمت بقية الدول العربية بعد ذلك تباعًا.

وللجامعة الدول العربية غرضان رئيسيان: أولهما: توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها، وتنسيق خططها السياسية تحقيقًا للتعاون بينها، وصيانة استقلالها وسيادتها. وثانيهما: تعاون الدول العربية في الشؤون الاقتصادية، والمالية، والقانونية، والاجتماعية، والصحية، والتجارية، والمواصلات، والثقافة، والجنسية، والسياسة الخارجية.

نتائج مسابقة العدد 250

أ- فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، عادل حافظ التمّار، الظهران، المملكة العربية السعودية.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالاً سعوديًا، أرزيقي العربي بن المعطي، الدار البيضاء، المغرب.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالاً سعوديًا، نور محمد، فيكتوريا، أستراليا.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا)، كل من:

1- هنادي عبدالعزيز فايز الدوسري، الجهراء (القصر)، الكويت.
2- فرج عفنان سلامة عيد، السويس، مصر.
3- عقبة محمود الخوالدة، قرية السهوة، درعا، سورية.
4- هبة عاصي، عين الباشا، الأردن.
5- شيخة يوسف سعيد عبدالله البلوشي، العين، الإمارات العربية المتحدة.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا)، كل من:

1- شوابنة خديجة، ولاية قالمة، الجزائر.
2- محمد جاكايتي، تونس العاصمة، تونس.
3- يوسف محمد النور حامد، أم درمان، السودان.
4- نوال محمد العجلان، الرياض، المملكة العربية السعودية.
5- عبدالرحمن محمد محمد عبّا، صحار، سلطنة عمان.
6- مريانة منير فكري، سوهاج، مصر.
7- رامي جودت أحمد الحمد، إربد، الأردن.
8- وائل زكريا حاكمي، حمص، سورية.
9- أحمد محمد محسن، قرية كرزكان، البحرين.
10- عبدالخالق الشيخ عثمان، الخرطوم، السودان.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

1- إبراهيم عبدالرحمن الشيخ أحمد، إسلام آباد، الباكستان.
2- رحايلي عبدالحميد، ولاية خنشلة، الجزائر.
3- وليد جنيد عبده النهاري، الحديدة، اليمن.
4- مَامّ بنت محمد سالم بن لكبار، نواكشوط، موريتانيا.
5- الحسين زحان علي، خريبكة، المغرب.

أسئلة مسابقة العدد 253

(سؤالان فقط)

س 1: أوصى الإسلام بحسن معاملة الناس والوفاء لهم بالعهود. اذكر ثلاث آيات من كتاب الله تعالى في الحث على الوفاء بالعهد.

س 2: تقول العرب في أمثالها: «إن الشقي وافد البراجم». فمن وافد البراجم، ولم وُصِفَ بالشقاء؟

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد 253
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

لَوْ تُرِكَ القَطَا لَيْلاً لَنَامَ

يقال في الأمر الخفي قد ظهر ما يدل عليه، أو لمن حُمِل على مكروه من غير إرادته.

قالوا: ان رجلاً من العرب يسمى عاطس بن خلاج سار إلى رجل يسمي الريان في قبائل حمير وخثعم وهمدان وغيرهم. ولقيهم الريان في أربعة عشر حيًا من أحياء اليمن، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ثم تحاجزوا، وإن الريان هرب في الليل مع أصحابه، وساروا يومهم وليلتهم حتى ظنوا أنهم قد بعدوا فعسكروا حيث وصلوا، وأصبح الصباح، فغدا عاطس لقتالهم، فلم يجدهم في مكانهم، فَجَدَّ في طلبهم، ولم يزل حتى اقترب من المكان الذي عسكر فيه الريان وأصحابه، فنظر الريان فوجد القطا (نوع من الطير) يمر بهم طائرًا فزعًا، فأدرك المصيبة وصاحت ابنته حذام:

ألا يا قومَنا ارتحلُوا وسيروا
فلو تُركَ القَطا ليلاً لنَامَا

ثلاثة وثلاثة

قال رجل صالح: ثلاثة يجب ضبطها: اللسان والنفس والأعصاب، وثلاثة تجب حمايتها: الدين والشرف والوطن، وثلاثة يجب التخلص منها: التملّق والوشاية والتبذير، وثلاثة يجب اجتنابها: الحسد والغرور وكثرة المزاح، وثلاثة لا بد منها: الموت والهواء والماء، وثلاثة محبوبة: التقوى والشجاعة والصراحة، وثلاثة مكروهة: الكذب والنفاق والكِبْر، وثلاثة ممتازة: الحب في الله والعفو عند المقدرة والصمت.

أغلى زواج

أغلى زواج في التاريخ هو زواج الأميرة إيزابيلا ابنة ملك فرنسا (1348- 1372م) حيث كان ثمنها ذهبًا مئة ضعف وزنها، إذ بلغ 7800 رطل من العملة الفلورنسية الذهبية المعروفة بالفلورين.

وقد بيعت إيزابيلا لجمع الفدية المطلوبة لإطلاق سراح أبيها من أسر الإنجليز إلى الدوق جالباز والثاني، حاكم ميلانو.

أداة تعبير

سئل الأديب الراحل توفيق الحكيم أن يصف رغبة كتابة الأدب عند بعض الكُتّاب فقال: لن يكون الأدب مجرد رغبة في الكتابة، ولا مجرد ترديد لألفاظ لغوية، إنما الأدب بالأمس والآن وفي الغد هو أداة التعبير في يد التجربة الحية.

العيب فيها

قالت زوجة الفيلسوف سقراط له يومًا: ما أقبح وجهك! فرد عليها ساخرًا: لولا أنك من المرايا الصدئة لتبيَّن لك غير ذلك.

نصيحة

قال ابن المقفع ناصحًا أحدهم: لا تعرضنّ عقلك على الناس، فإذا اضطرك أمر فكن كصاحب الشطرنج يبني أمره على القائمة، فإذا وجد ضربة غريبة انتهزها، وإياك أن تبدأ في مجلس لم تسبر عقول أصحابه، فبين العقول بون بعيد.

واحدة بواحدة

أراد أحدهم أن يسخر يومًا من الشاعر أبي نواس فقال له: سمعت أن الخليفة رفع قدرك وجعلك أميرًا على الحمير.

فقال أبو نواس في هدوء: هذا صحيح تمامًا، ومن الآن عليك طاعتي.

الشعبي ومجالس السلطان

كان الشعبي عفيف اللسان، متواضعًا، يربأ بنفسه أن يذهب إلى مجالس السلطان بغير موجب، فقيل له: ما لك لا تأتي السلطان؟ فقال: أخاف فيهم خصلتين: طعامهم الطيب، ولباسهم الليّن.

لا سلامة

سئل الفيلسوف فيثاغورث يومًا: مَنْ الذي يسلم من معاداة الناس؟ فقال: الذي لم يظهر منه خير ولا شر! فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأنه إذا ظهر منه خير عاداه الأشرار، وإذا ظهر منه شر عاداه الأخيار.

ذكاء شيخ

خرج الحجاج يومًا للتنزه في الخلاء، فلما فرغ من نزهته، صرف عنه أصحابه، وانفرد بنفسه يفكر في بعض شؤونه، وإذا هو بشيخ من بني عجل يقطع عليه خلوته، فقال له الحجاج عابسًا: من أين أيها الشيخ. فقال الرجل بغير اكتراث: من هذه القرية. فقال الحجاج متسائلاً: وكيف ترون عُمّالكم؟

فرد الشيخ: شر عمال، يظلمون الناس ويستحلون أموالهم التي أحلها الله لهم. قال الحجاج وهو يكتم غضبه: هيه وماذا تقول في الحجاج؟ فقال الشيخ ساخرًا: أعوذ بالله، ما وَلِي العراق شرٌ منه، قبّحه الله وقبّح من ولاّه، وجعله سيفًا مصلتًا على رقاب العباد. فقال الحجاج وعيناه تقدحان شررًا: أفتعرف أيها الشيخ مَنْ أنا؟ قال الرجل: لا. قال الحجاج: أنا الحجاج. فقال الشيخ وهو يرتعد: وهل تعرف يا سيدي مَنْ أنا؟ قال الحجاج: لا! قال الرجل: أنا فلان بن فلان، مجنون بني عجل، أُصرع في كل يوم مرتين فلا أعرف مَنْ أنا ولا ماذا أقول.. فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة.

من عجائب الخلق

يأكل الانسان البالغ خلال 24 ساعة فقط ما بين كيلين إلى كيلين ونصف الكيل من الطعام، ويشرب نحو لترين ونصف من السوائل المختلفة، وأهمها الماء، ويُنتج لترًا ونصف اللتر من العرق والبول، ونصف لتر تقريبًا من اللعاب، ويخرج نحو نصف لتر آخر من بخار الماء مع هواء الزفير.

استراحة العدد

شهادة خصم

عندما توفي عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، بكاه إمبراطور بيزنطة ليو الثالث بكاءً أذهل حاشيته وأساقفته، فلامه بعضهم على ذلك، فقال: لقد مات ـ والله ـ ملك أكثر مني عدلاً، فعدله ليس له مثيل، وليس ينبغي أن يعجب الناس لراهب ترك الدنيا يعبد الله في صومعة، إنما العجب كل العجب لهذا الذي صارت الدنيا تحت قدميه، فزهد فيها فكان حريًا أن يُعَجِّل به، فأهل الخير لا يلبثون مع أهل الشر إلا قليلاً.

أقدم متاحف العالم

يُعَدُّ المتحف الأشمولي في أكسفورد ببريطانيا أقدم متحف في العالم، حيث بني في المدة من 1679-1683م، وأطلق عليه اسم إلياس أشمول (1617-1692م) الذي اشتهر بجمعه للأدوات العلمية.

أسماء الشهور السريانية ومعانيها

يقول المؤرخون إن السنة في التقويم البابلي الأشوري (السرياني) كانت تبدأ بشهر نيسان (أبريل) وتنتهي بشهر آذار (مارس) وهي كالتالي:

1ـ نيسان (أبريل) ومعناه الذبيحة.
2ـ آيار (مايو) ومعناه النار والوهج.
3ـ حزيران (يونية) ومعناه الاستظلال من حرارة الشمس.
4ـ تموز (يوليو) ومعناه الابن الذي يقوم من الموت.
5ـ آب (أغسطس) ومعناه الفاكهة.
6ـ أيلول (سبتمبر) ومعناه الهلال.
7ـ تشرين الأول (أكتوبر) ومعناه الخريف الأول.
8ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ومعناه الخريف الثاني.
9ـ كانون الأول (ديسمبر) ومعناه إشعال المدفأة.
10ـ كانون الثاني (يناير) ومعناه انخفضت نسبة البرودة.
11ـ شباط (فبراير) ومعناه الثبات والنوم.
12ـ آذار (مارس) ومعناه النور واللمعان.



القهوة العربية رمز الضيافة (الصورة من منطقة عسير)

خلل الخطبة

خطب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه خطبة أعجب بها، وفاخر ببلاغتها وصياغتها، وقال أيها الناس: هل ترون في خطبتي من خلل؟

فوقف أعرابي جريء وقال له: نعم يا أمير المؤمنين إن فيها خللاً كخلل المنخل! فقال له معاوية: وأي خلل يا أعرابي؟ فقال الأعرابي: ذلك الخلل هو ما تناثر على لسانك من إعجابك بها ومدحك لها.

من عادات الزواج

من العادات الغريبة في مراسم الزواج ما تقوم به العروس في قبيلة تودا بجنوب الهند، حيث تزحف على يديها وركبتيها حتى تصل إلى عريسها، وينتهي هذا الطقس بأن يضع العريس قدمه على رأس العروس في هيئة المنتصر.

وفي بورما تتزوج المرأة من قبائل الطاوري، وتُطلَّق في اليوم نفسه، فإذا ظلت مقيمة على حب زوجها خمس سنوات ألغي الطلاق وعادت إليه!

أما أبسط طقوس الزواج وأقلها تعقيدًا فهي تلك التي تمارسها قبيلة نيجريتو في جنوب المحيط الهادي؛ إذ يذهب العروسان إلى عمدة القرية فيمسك برأسيهما ويدقهما الواحد بالآخر وبهذا يتم الزواج.

لا خير في الدنيا إلا لرجلين

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ليس الخير بكثرة مالك ولكن الخير أن يكثر عملك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله. ولا خير في الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنوبا فهو يتداركها بالتوبة، ورجل يسارع في الخيرات.

أقدم جوامع أفريقيا

أولها: جامع الفسطاط بالقاهرة الذي أنشأه عمرو بن العاص رضي الله عنه عام 13هـ، وثانيها جامع الناقة بطرابلس ـ ليبيا الذي أقيم عام 23هـ، ثم جامع عقبة بن نافع ويعود تاريخ إنشائه إلى عام 51هـ، ويجيء جامع الزيتونة في تونس رابعًا حيث أسس عام 114هـ.



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.

وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصة قصيرة

رجل عجوز وامرأة عجوز أيضًا!

لحسن باكور

89- طوالة درب حربيل، القصبة مراكش، المغرب.

تقدم بخطوه الواهن وهو يلهث مجهدًا. توقف أمام الباب الخشبي الوطيء. مدَّ يده المعروقة وأزاح الرتاج الداخلي المكشوف من الخارج، ثم دلف بثقل إلى باحة الدار المتربة. تطلع صوب الغرفة الوحيدة.. ارتطمت عيناه بالعتمة الرابضة في الغرفة الموحشة الصمت، فتوقف قليلاً وطفق يحدق في الفراغ دون أن يفتر لهاثه المشوب بحشرجة خفيفة.. بعد لحظة اتضحت الصورة أمام عينيه.. دفع جسده إلى الداخل، ومسح أرجاء الغرفة بنظرة كليلة بطيئة.. كانت هناك في ركنها المعتاد.. في الركن القصي إلى شمال الغرفة، تفترش قطعة الحصير المتآكلة.. دنا منها وجلس بقربها يروم إيقاظها، لكنها أحست بوجوده، فتململت في مكانها.. «هي دائمًا هكذا.. برغم الوهن الذي نخر في كل عضو من الجسد النحيف، وسرق الحياة من حواسه المعطَّلة.. برغم ذلك، فقد كانت تحس به كلما تحرك.. تسمع وقعَ خطوه المنتظم الذي ألفته أذناها، وتشم رائحته التي تخضب هواء الغرفة العطن..».. استدارت نحوه.. رشقته بنظرة كسيرة تقطر حزنًا، ثم تحاملت على نفسها، رفعت جذعها المعقوص، واستوت جالسة.. نظر إليها في حدب رقيق.. تفرَّس في وجهها المتغضن، محفور الوجنتين.. نظرت إليه أيضًا.. قال لها: أنا متعب جدًا.. قالت: وأنا كذلك.. وقالا معًا: لنقتسم هذا التعب.. ارتكز على قبضتيه، ودنا بجسده منها أكثر.. أمسك برأسها الملفوف في خرقة حائلة.. قربه من وجهه وطبع عليه لثمة بشفتين مرتعشتين.. افتر ثغرها الأثرم عن بسمة شاحبة، سرعان ما غاضت وسط زحمة الملامح القاسية.. ارتكنت بظهرها إلى الحائط.. ضغطت على ركبتيها بقوة، وبعد عنت شديد توقفت وتحركت نحو

ركن الغرفة المقابل وهي لا تكاد تبرح مكانها.. كان يود أن يمنعها، ويقوم هو بكل شيء نيابة عنها، لكنها ـ كديدنها ـ ستصر بعناد.. ولأنه يعرف ذلك جيدًا، فقد اكتفى بأن شيَّعها بنظراته الخابية الحنون.. حملت طبقًا مغطى بلحاف أسود، وعادت إلى مكانها.. أماط اللحاف ووضعه جانبًا.. أخذ الابريق المنزوع الغطاء وسفح الشاي في كأسين صغيرتين، فيما فكت رزمة وبسطت محتواها.. راحا يدلقان الشاي بأناة في جوفيهما، ثم أتبعاه بحبات زيتون سوداء ارتطمت هناك بالشاي الراكد: بْلَقْ.. بْلَقْ، وهبطت إلى القاع، ثم طفت بهدوء وطفقت تعوم فوق السطح متهاوية.. مسح كلٌ منهما فمه بكم لباسه، وتجشأ هو بشكل مسموع.

تمددا على ظهريهما متقاربين، ثم استوى على جنبه الأيسر، واستوت على جنبها الأيمن.. تنهدت وأرخت أعصابها.. طافت فوق عينيها إغفاءة عذبة سرعان ما استسلمت لها، وبالكاد كان يسمع صوت تنفسها الخافت... تنهد هو أيضًا.. ثنى ركبتيه اليابستين وأدناهما من صدره.. بلل غصة ناشفة كانت تجرح حلقه.. رقصت أمام عينيه غلالة بيضاء شفيفة، وتلألأت في مقلتيه عبرتان حائرتان ما لبثتا أن طفرتا وانسكبتا على الخدَّين الناتئين.

وكان هناك صمت.. صمت ثقيل له صدى خفيف هامس ينضح برتابة قاسية.. وكان هناك حزن.

التعليق: **قصة الأخ لحسن باكور متقنة الصياغة، محكمة البناء. وقد أحسن القاص إبراز مشاعر الشيخوخة، ورسم آثارها الجسدية. إنّ ذلك الحب الذي يغمر العلاقة بين عجوزَيْن واجها معًا حلو الحياة ومرّها يجعل من القصة ومضة إنسانية رائعة، ويظهر الإخلاص والتفاني الذي يودّ كل طرف أن يظهره للطرف الآخر.**

إن الفعل القصصي الذي استطاع القبض على هذه اللحظة الجميلة في حياة زوجين عجوزين أفلح في إثارة المتلقي وفي دفعه إلى التفاعل مع هذه اللحظة البشرية، إنّه الضعف القوي والإنسانية السامية. استطاع الأخ باكور أن يُعَبِّر عن هذه اللحظة مستخدمًا لغة موحية ومقتصدًا في الوصف، ومكثفًا أسلوبه الذي جاء على قَدّ أفكاره.

أرجو من الأخ باكور أن يكثر من القراءة عمومًا وقراءة القصة القصيرة المتقنة بناءً ولغةً وأسلوبًا، لأن لديه موهبة قصصية ينبغي الاعتناء بها وصقلها. أشير إلى بعض الاستخدامات اللغوية التي يحسن بالأخ باكور الإقلاع عنها. من ذلك قوله: «برغم الوهن الذي نخر في كل عضو من الجسد النحيف» فقوله «برغم» مخالفة صوابها «على الرغم من» أو «على» حسب الاستخدام الأعلى والأفصح. ثم إن الفعل «نخر» يتعدّى بنفسه وليس بحرف الجر «في». ومن ذلك قوله: «ارتكنت» وهو فعل غريب صوابه «أسندت ظهرها إلى الحائط أو أضافت ظهرها...».

بقي أن أقول للأخ باكور: على أن بعض علماء اللغة أجازوا استعمال «عجوز» في وصف الرجل، إلا أن الأفصح ـ كما جاء في الكتاب العزيز ـ أن نصفه بالشيخ.

أرجو للأخ باكور التطور المستمر في أعماله القادمة.

د. محمد خير البقاعي

الأخ محمد عبدالدايم، بابا عمرو، حمص، سورية:

نشكر لكم ثناءكم على هذه الزاوية، ونحمد لكم رغبتكم في تحسين النظم وصقل المعارف. وقد قرأنا قصيدتك التي لم تختر لها عنوانًا وتدلّ أبياتها على طبع جيد يمكن صقله بالمطالعة المستمرة ودراسة أساليب الصياغة الشعرية، والتزوّد باللغة الأدبية الشفافة المعبرة؛ فقولك: يوافي الحق الملزم العدلا، هو من لغة المرافعات القضائية، ويبدو فيه تأثير التخصُّص، وهو قطعًا له موضعه الذي يصلح فيه، ولكنه لا يناسب معجم الشعر العاطفي إلاّ إذا تناوله شاعر بارع متمكّن فطوّعه. وقد استملحتُ قولك:

يا صبحُ روحانا مخلوقتان معًا

مجموعتان بفضل الواحد الأعلى

مع أن كلمة «مجموعتان» هنا ليست شعرية إذا كنت تريد التجانس والامتزاج.

أما موسيقى الأبيات فتدلّ على تمكّن في العروض، فقد جاءت على البحر البسيط ـ كما تفضلت ـ ولكنك أكثرت فيها من المزاحفة فثقل إيقاعها حتى كادت تخرج إلى البحر المنسرح. والمزاحفة جائزة ولكن كما قال الأصمعي: الزحاف في العروض كالرخصة في الفقه لا يُقْدِم عليها إلا فقيه. عمومًا، يرجى منك الكثير إذا واظبت وتمثلت أساليب الإبداع والمبدعين.

الأخت فوزية عبدالرؤوف الحسيني، دكرنس، الدقهلية، مصر:

نشكر لك الثناء العاطر على «الفيصل». و«يقين الإيمان» التي سَمَّيْتِها قصيدة هي عمل جيد من جهة المعنى؛ إذ تضمنت قدرًا صالحًا من المعاني الإيمانية وعبارات الثناء على الله تعالى وتمجيده وتوحيده. أما من جهة المبنى فهي أقرب إلى النثر المسجوع منها إلى الشعر بأنواعه؛ لأنها خلت من الموسيقى. فَعَوّدي أذنيك سماع موسيقى الشعر الموزون والحرّ بالاطلاع والحفظ. واستخدمي التصوير والخيال لتبتعدي من السّرد المباشر للحقائق. واهتمي بالحصيلة اللّغوية حتى تتكامل لديك أدوات كتابة الشعر؛ فقولك: أو تصبح الشمس شيء باهت، فيه خطآن؛ لأنك رفعت خبر كان وصِفَتَه، وحقهُما النصب: شيئًا باهتًا. نرجو لك التوفيق.

الأخ خالد محمد العثمان، ص.ب 59850 الرياض 11535:

إن فَنّ كتابة القصة القصيرة لا يتقنه إلاّ من صقلت التجربة الإبداعية قلمه، وهذبت القراءة المستمرة الواعية ذهنه، لأنّ القصة القصيرة لقطة إبداعية تحتاج إلى اقتصاد لغوي ودقة في استخدام الصورة وبعد من التفصيلات الصغيرة. وقصتك «شباك الطلبات» طرحت قضية مهمةً ولكنّها استغرقت في الجزئيات الشكلية التي ولّدت تضخمًا لغويًا. وكان يمكن أن تقتصد في الجزئيات لتركز على الأبعاد النفسية للقضية المهمة التي تعالجها (العمل).

أسلوبك مباشر لا مكان للخيال المبدع فيه، ولغتك تقترب من العامية في بعض المواضع من قصتك: «لم أعتقد أنه أنت» «سيستحقره المجتمع» «كيف سيعمل في العمل..» والساعة هي «الحادية عشرة» وليست «الحادية عشر».

أرجو أن تقرأ كثيرًا في مجال القصة القصيرة على الخصوص وفي مجال الأدب على العموم ليصبح أسلوبك متينًا ومعجمك غنيًا، ولكي تصوغ الأفكار المهمة التي تخطر لك صياغة فنية ترتقي بما تكتب إلى مكانة مرموقة في مجال الفن المختار.



الأخ السموءل محمد الطيب، عجمان، دولة الإمارات:

توجد في الصفحة الثالثة من المجلة الشروط الخاصة بالنشر. والمجلة ترحب بك مشاركًا بمقالاتك وآرائك؛ علمًا بأن جميع المقالات المرسلة للمجلة تُقَوَّم من قبل متخصصين في موضوع المقالة، وفي حالة إجازة الموضوع أو عدم إجازته للنشر يُبَلَّغ صاحبه كتابيًا.

الأخ حاج إبراهيم، المنيعة، الجزائر:

خصصت المجلة في عددها الماضي (252) صفحات عديدة تناولت الإنجاز الحضاري للملك عبدالعزيز، يرحمه الله، المتمثل في توحيد المملكة، وقد شارك في هذه الصفحات كل من رئيس التحرير في إطلالته وعنوانها «الملك عبدالعزيز في ذاكرة الوطن»، و د. عبدالعزيز الخويطر بمقالة عنوانها «تاريخ من مراسلات»، و د. محمد عبدالله السلمان «الهجر ودورها في الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز»، والأستاذ حسني عبدالحافظ «الملك عبدالعزيز والنقلة الحضارية للجزيرة العربية»، والأستاذ صلاح أحمد الطنوبي «سيرة الملك عبدالعزيز في شعر الملاحم»، والشاعر عبدالعزيز النقيدان بقصيدة عنوانها «أشرق السعد». كما نشرت المجلة في السنوات الفائتة ملفات عن المملكة العربية السعودية وتاريخها، وسوف نبعث إليك ببعض الأعداد في هذا الموضوع، لعلها تمدك ببعض المعلومات التي أردتها، متمنين لك دوام التوفيق.

الأخ محمد أحمد عبدالعزيز، الزيتون، القاهرة، مصر:

لا يمكن إعطاء رأي في أي مقالة من غير الاطلاع عليها، وتقويمها، فابعث إلى المجلة بصورة من الدراسة التي أشرت إليها في خطابك، حتى يمكن إفادتك بمدى مناسبتها للنشر.

الأخ رضوان بن عيسى، القصبة العليا، الجزائر:

نشكر لك ثقتك، لكن كما هو مبين في زاوية «إيضاحات» فإن المجلة تعتذر لك ولجميع الإخوة من عدم قدرتها على تلبية الطلبات التي تخرج عن نطاق إمكاناتها. ولا شك أن هناك جهات كثيرة يمكنك مخاطبتها، وسوف يكون التوفيق بإذن الله حليفك.

الأخت غندة القاسم، عجمان، دولة الإمارات:

يمكن مراسلة الدكتور حسن ظاظا على عنوان المجلة، وهو كما تعلمين: ص.ب 3 الرياض11411، ونأسف من عدم إمكان الحصول على عنوان الأستاذ أنور الجندي.

الأخ محمد أحمد سعد، جرش، الأردن:

نشكر لك وصفك المجلة بالحديقة الغناء، ونأمل أن نكون عند حسن ظنك دائمًا. أما قولك بأن هناك تركيزًا على كُتّاب بعض الدول فهو ما نراه لا يوافق الحقيقة؛ لأن من يكتبون في كل عدد من أعداد المجلة ينتمون إلى مختلف البلدان العربية والإسلامية، ويكفي أن هناك ما لا يقل عن أربعة كتاب جدد ينضمون إلى المجلة في كل عدد. وتنوع بلدان الكُتّاب من معايير المجلة عند وضع خارطة كل عدد؛ فضلاً عن المعايير الموضوعية الأخرى التي تضمن ارتفاع مستوى الطرح في المجلة.

والمجلة ترحب بكل الأقلام العربية القادرة على العطاء الفكري المتميز، وهذا هو همها الأول.

الأخ درفوقي أحمد فريد، وجدة، المغرب:

الكتب التي يتم عرضها في باب «كتب وردت» تأتي إهداء من الكُتّاب، ومن ثم لا يوجد منها نسخ غير تلك الخاصة بمكتبة المجلة، ويمكن لكل من يريد الحصول عليها الاتصال مباشرة بدار النشر.

الأخت س.أ، مكة المكرمة:

الكتب التي ستصدر عن المجلة، ومن بينها الكتاب الذي سيضم ما نُشر في باب «قصة قصيدة» سوف يعلن عنها في حينه، وهي الآن تحت الإعداد، لتأتي في صورة تناسب المجلة.

الإخوة فتحي أحمد الهويمل، عمان، الأردن، سعد قرطبي، فضيلة بنت عبدالله، الباي، الجزائر:

تعتذر المجلة من عدم تقديم اشتراكات مجانية، نظرًا لكثرة ما يرد إليها من طلبات، وسوف تصل إليكم أعداد من المجلة، نأمل أن تجدوا فيها النفع والفائدة، ومرحبًا بمشاركاتكم وآرائكم، ونشكر لكم ثقتكم بمجلتكم، وما جاء في خطاباتكم من إطراء.

الأخ إدريس غبور، المعازيز، الخميسات، المغرب:

جميل منك أن تهدي المجلة هاتين الصورتين الجميلتين اللتين أرفقتهما بخطابك، وجميل أن تتذكر ما نُشر في عددها الأول، فلك التحية والشكر من المجلة وهي تبدأ خطوات عامها الثاني والعشرين.

الأخت زمزم أبو الوفاء إسماعيل خطاب، الأقصر، مصر:

أحيل خطابك إلى القسم المختص للبحث في سبب عدم وصول الجائزة التي تقولين إنك فزت بها. ولكن تأكدي أن الأمر ليس فيه إجحاف بحق أحد؛ لأن المجلة حريصة على إقامة الجسور مع جميع القراء الكرام، وسوف تصل إليك جائزتك قريبًا إن شاء الله.

الأخ محمد اسفنديار دلادر، معهد اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الجامعة الفاروقية، كراتشي، الباكستان:

نشكر لك غيرتك على اللغة العربية بصفتها لغة القرآن الكريم، وحرصك على الاستزادة من معينها. كما نشكر لك ثقتك بمجلتك «الفيصل»؛ التي نأمل أن تكون عند حسن ظن الغيورين على دينهم ولغتهم من القراء أمثالك. أما «منتدى الفيصل» فسوف يستضيف شخصيات من المملكة ومن غيرها من البلدان العربية والإسلامية، بل من دول العالم الأخرى. ولعلك تذكر أن الضيف الأول للمنتدى كان الدكتور حسن ظاظا. ولك الشكر مرة أخرى.

بين القارئ والقارئ

أرجو من الإخوة القراء مساعدتي في الحصول على عناوين بعض الجمعيات الخيرية في عالمنا العربي والإسلامي، وبخاصة تلك التي تعمل في مجال الإعاقة والدعوة والإرشاد.

عبدالله الصالح
ص.ب 52081
الرقة، الكويت.

لديّ مجموعة من العملات النقدية المعدنية لمختلف دول العالم (بعضها يرجع إلى أوائل الخمسينيات) أود بيعها - لما تشكله من قيمة تاريخية - إلى المشتغلين بجمع العملات أو تاريخ النقود، أو مبادلتها بأي شيء يتعلق بعالم الفراشات.

كما أن لديّ أعدادًا زائدة من مجلة «طبيب نفسك» أود مبادلتها بأعداد من مجلة «الفيصل الطبية»، أو بأعداد الفيصل الأولى، أو بيعها.

أمل حامد سالم
ص.ب 36136، الرمز البريدي 11120
عمّان، الهاشمي الجنوبي، الأردن.

أرغب في الحصول على أعداد قديمة من مجلة الفيصل، وعلى بعض أشرطة «الكاسيت» و«الفيديو» لبعض علماء الدين.

عبدالمنعم تركي جمعة
ص.ب 7، حمص، سورية.

أود من الإخوة القراء مساعدتي في الحصول على بعض الكتب والمجلات العلمية في مجال «أمراض النباتات».

عمر بن تهامي
ص.ب 29560، بلدية قروحة
ولاية معسكر، الجزائر.

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ عبدالله جاري البكري، النماص، ص.ب 137، السعودية:

عنوان جمعية البر، فرع شمال الرياض:
حي العليا، شرق فندق الخزامى، جوار جامع الملوحي.
هاتف : 4616162، 4620886،
الرياض ص.ب 28084.

وعنوان الأستاذ كامل يوسف حسين:
جريدة البيان
ص.ب 2710، دبي، الإمارات العربية المتحدة.

الأخوين تامر محمد سيدون، الغاط، وعبدالله الصالح، مكة المكرمة، السعودية:

عنوان مجلة «شؤون عربية»:
جامعة الدول العربية، مركز التوثيق والمعلومات، القاهرة، مصر.
هاتف: 5750511

وعنوان مجلة «العرب»:
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
ص.ب 137، الرياض 11411
هاتف وفاكس: 4621223.

الأخ عمار محمد الحانوني، حمص، سورية:

عنوان معهد دراسات البيئة والطاقة في الولايات المتحدة الأمريكية:

INSTITUTE FOR
ENVIRONMENTAL AND
ENERGY
UNIVERSITY OF
WASHINGTON, SEATTLE,
WA 98195
U.S.A

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.



يداك أوكتا وفوك نفخ



في إطلالة العدد 251، وعنوانها «يداك أوكتا وفوك نفخ» نقاط تدفعنا إلى يقظة.

فتلوث البيئة يحصد مضاره كل مجتمع على حدة بنسب من التفاوت تعود إلى درجة وعي الإنسان داخل حركة المجتمع. وما ينطبق على درجة الوعي للحدّ من تلوث البيئة عربيًا ينطبق على أمور عربية أخرى في الثقافة والاستهلاك والسلوك.. إلخ.

ومع تلوث البيئة، عُقد في العام 1984م مؤتمر للبيئة حضره نحو 300 عالم من أجل رؤية شكل العالم إن حدثت حرب ذرية. وما هي إلا أعوام مضت حتى جاءت أزمة الكويت في أغسطس 1990م. وقد أتت النيران على قرابة 500 بئر نفطي من نحو 743 بئرًا نفطيًا تمتلكها الكويت، وتسببت في أزمة بيئية. وأظلت بعض بلدان الخليج سحابة الدخان السوداء التي ساقتها الرياح. ولنا أن - كذلك - نتذكر حادثة تشرنوبل - المفاعل السوفيتي - في عام 1985م.

وسيناريو تلوث البيئة أصاب الإنسانية بأمراض عديدة لم تكن موجودة في عصر الأجداد، على ندرة تعلمهم، وبساطة عيشهم. فشباب اليوم يعيش كهولته بعد أن أصابته خيارات التقلب والتغيير؛ حيث تقنيات العصر قد أفرزت له السيارة والثلاجة ومعطرات الجو ومزيلات الرائحة.. إلخ. بل مع تلك الخيارات والتقلبات والمتغيرات أصبحت الأدوية تشهد عاصفة من المناقشات المحتدمة بعد أن فقد الكثير منها الصلاحية العلاجية، وأصبح المنتج الدوائي - مثلما الحال في المجتمع المادي - لا ينشد سوى تحقيق الربح. وسوق الدواء والمستحضرات التجميلية والعطور، خصوصًا في بلدان العالم النامي، تشهد حالة من الفوضى، وجنونًا في الاستهلاك وارتفاع معدلاته. والحال نفسه مع إنتاج اللفافات (السجاير) التي ازدادت معدلات استهلاكها. ومع الغذاء الأزمة نفسها: استخدام مبيدات زراعية تضر بصحة الإنسان. بل إن المستشفيات لم تسلم من التلوث الميكروبي، وكذلك المنازل، باستخدام المنظفات الكيماوية والمبيدات الحشرية التي يتزايد استعمالها عامًا بعد آخر.

أمثلة عدة يطول سردها. لكن آخرها: أزمة مياه الشرب، وما صحب ذلك من عطش وجفاف وتلوث. وهي تتراوح في المجتمعات بين الندرة والوفرة. وهل ننسى الزلازل وما تسببه من صدوع؟ فالأرض تتعرض سنويًا لنحو مليون زلزال لا يشعر الناس بمعظمها؛ إما لضعفها، وإما لحدوثها في أماكن غير سكنية. فهل فكرنا - عربيًا - في تطوير أسس البناء وفق معايير تخفف من أثر أي زلزال قادم لأي بلد عربي؟

والعالم اليوم يعيش عصر النفايات والتلوث، ولاسيما في العقود الثلاثة الأخيرة. عالم يواجه آليات الجوع والفقر والمرض؛ إضافة إلى تلوث البيئة! فالنشاط الإنساني أصاب طبقة الأوزون ليزداد القلق من ارتفاع درجة الحرارة. وهناك التصحر والجفاف والنفايات الصناعية والفضلات البشرية والأسمدة الكيماوية، حتى الأسماك أصابها التلوث.. فمن يحمي من؟ سؤال يبحث عن إجابة في ظل عالم بالغ التعقيد والتشابك.

ومع أننا - نحن المسلمين - جزء من منظومة كونية؛ إلا أن ديننا الإسلام، الدين الحق، امتلك العناصر الإيجابية التي ترمي إلى حماية البيئة. ولقد قضت حكمة الله عز وجل أن يستخلف الإنسان في إعمار الكون واكتشاف سننه. والإسلام قبل كل شيء سلوك، والمسلم يجب أن يسلك سلوك الإسلام ولو فعلنا هذا لتبيّن لنا عظم هذا الدين. فالماء مثلا نبض الحياة لقوله تعالى: *وجعلنا من الماء كلَّ شيء حي*. **الأنبياء**:30. فلماذا نلوث المياه، ونسرف فيها في آن واحد؟ مع أن الإسلام حرّم الإسراف والإفساد والتخريب والتلويث!

وما بالنا والإنسان يحمل أمانة لقوله تعالى: *إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولاً*. **الأحزاب**:72. وحينما حمّل الله عز وجل الإنسانَ الأمانة؛ منحه العقل. والعقل أداة التمييز. من هنا يتضح لنا أن العقل العربي، في ظل عولمة الثقافة والاقتصاد والسياسة، في حاجة إلى إعلام عربي متكاتف؛ لأن للإعلام دورًا في التأثير في سلوك الإنسان وتفكيره. فمشكلاتنا العربية نمت من ضعف التعليم العربي وغياب دور الأسرة. وكم من بلدان عربية تمتلك تطورًا تقنيًا واستديوهات ضخمة وقنوات تلفازية، لكنها لا توظف ذلك في إطار التبادل الإعلامي العربي في مجال التوعية؛ فثقافة العولمة واقتصادها وأفكارها تحمل الأخطار الكثيرة إن لم نع الدرس.

لذلك نناشد أعلامنا العربي اليقظة وعدم التعامل بالطرائق التقليدية. فالتحديات عديدة في شتى مجالات الحياة، وكل الأمل أن نرعى الله في كل تصرفاتنا لأن الأزمات نتاج أزمة فكر، وأزمة غياب وعي..

يحيى السيد النجار
ش الحزاوي، رمز بريدي 34111
دمياط، مصر.

جدلية الممكن والمستحيل!



بعد أن جزم الدكتور خالص جلبي أنّ «العلم لا يعرف المستحيل» في العدد 246، عاد ليقول «المستحيل يعني أن لا فائدة من بذل الجهد» و«العبثية في الاتجاه» في مقاله «جدلية الممكن والمستحيل» المنشور في العدد 250.

وأودُّ أن نعرّج على أقسام الحكم العقلي (1) لنعرِّفها:

1ـ الواجب: وهو ما لا يُتصوَّر في العقل عدمه.

2ـ المستحيل: ما لا يُتصوَّر في العقل وجوده.

3ـ الجائز: ما يصح في العقل وجوده وعدمه.

وعلى هذا فإن إنجاز عملية جراحية في خمس ثوان ليس مستحيلاً، ولا نقل الجبل إن أعطى اللّه الإنسان قوة تمكّنه من ذلك.

بعد هذا أود أن أسأل:

ـ كيف يصبح المستحيل ـ بالشكل الذي أورده الدكتور ـ «إنارة رائعة للحديث الذي ينهى عن البكاء على الماضي». وهو يقصد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل فإنّ لو تفتح عمل الشيطان»(2).

ذكر من هذا الحديث حرفين اثنين شكّلا كلمة «لو» يليها رقم يدل على الترتيب في الهامش والمراجع، بينما ذكر سبعة أمثال شعبية عامية مع تكرار بعضها.

ـ الربط بين «تأثير الحالة النفسية في الحياة البيولوجية» وابيضاض عيني سيّدنا يعقوب عليه السلام، ثم ارتدادهما مبصرتين بعد أن أُلقي على وجهه قميص سيدنا يوسف عليه السلام.

لقد أحسَّ سيدنا يعقوب بريح يوسف قبل أن يصل إليه البشير: *ولّما فَصَلَت العيرُ قال أبوهُم إنّي لأجدُ ريحَ يوسفَ لولا أن تُفنِّدون*. **يوسف**:94. يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «إن المسافة كانت تعدل مسيرة ثمان ليال». ويقول الرازي في هذا: «والتحقيق أن يقال: إنه تعالى أوصل تلك الرائحة إليه على سبيل إظهار المعجزات لأن وصول الرائحة من هذه المسافة البعيدة أمر مناقض للعادة»(3).

وفي الآية 96 من السورة نفسها: *فلمّا أنْ جاء البشيرُ ألقاهُ على وجهه فارتدَّ بصيرًا قال ألم أقلْ لكم إنّي أعلمُ من الله ما لا تَعلمُون*. ظهرت معجزة أخرى بشفاء سيدنا يعقوب(4) فكيف تُجَرَّدُ هذه الحادثة ـ المعجزة ـ لتصبح حالة نفسية تؤثر في حياة بيولوجية؟!

ـ يقول الدكتور: «إن أخطر مرض عقلي يهدِّد التقدم الإنساني هو عقدة الآبائية» [أي تقليد الآباء]. «فبقدر ما يجعلنا المجتمع بشرًا من خلال العادات واللغة وسواهما؛ يشكل الطوق الاجتماعي خطرًا يغتال العقل الإنساني، وهذا هو السّرُّ في بطء نمو مجتمعات وتطور أخرى. والمجتمع الياباني ما استطاع الطيران للعصر لو لم يتحرَّر من العادات العقلية المتحجرة». موظّفًا الآية الكريمة: *وكَذَلكَ ما أرسلنا من قَبْلكَ في قَرْيَةٍ من نَذيرٍ إلاّ قالَ مُتْرَفُوها إنّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ وإنّا على آثارِهم مُقْتَدون*. **الزخرف**:23. للاستدلال على عقدة الآبائية ومطالبًا بالطيران مع اليابان «للاستفادة من إضافات المعرفة الإنسانية الجديدة».

وفي تفسير هذه الآية نقرأ: «.. قال المترفون المتنعمون من كل أمة لرسولهم المرسل إليهم للإنذار من عذاب الله: إنّا وجدنا اباءنا على ملّة ودين وإنّا على طريقتهم سائرون متبعون. وخصص المترفين تنبيهًا على أن التَّنَعُّم هو سبب المعارضة وإهمال النظر وترك التفكر في مضمون الرسالة الإلهية»(5). فكيف تُوظَّف هذه الآية للحضّ على الأخذ بالتجربة اليابانية، وهي في حقيقتها تهكُّم ووعيد بالويل والثبور لليابانيين وأمثالهم.

وأخيرًا كم أود أن أعلم شيئًا عن ماهية «الطوق الاجتماعي» بهذا الإطلاق. مع أنه معرّف مرتين مرّة بأل التعريف ومرة بالإضافة.

عماد الدين محمود جميل
شارع الشهيد الرشوان،
المدخل الرابع
مدينة أنخل، درعا، سورية.

الهوامش:

1ـ المعرفة في بيان عقيدة المسلم، الشيخ عبدالكريم الرفاعي، مكتبة الغزالي، الطبعة الثانية، ص23-24.

2ـ صحيح مسلم، كتاب القدر (ترقيم عبدالباقي 2964) واللفظ لمسلم.

وانظر: سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة 79. وكتاب الزهد 4468 (ترقيم عبدالباقي). ومسند أحمد 8573، 8611 ترقيم إحياء التراث.

3ـ تفسير الرازي 208/18.

4ـ التفسير المنير 65/13.

5ـ التفسير المنير 135/25.

العائلة والمرأة في اليابان



طالعت العدد 250 من «الفيصل» الغراء، مجلة الجميع، واستوقفني مقال د. نعمان عبدالرزاق السامرائي «العائلة والمرأة في اليابان».

وكان مما ذكره د. السامرائي ما يلي: ويتحدث السفير أدوين عن الزنى من جانب المرأة والرجل فيقول: «يُنظر إلى تحرر المرأة الجنسي أو عدم الإخلاص على أنه سلوك فوضوي هدّام، وبالتالي فهناك حرص شديد على تجنبه؛ أما الرجال - وبحسب ما يتمتعون به من حرية أكبر - فقد كان باستطاعتهم أن يتمتعوا بحياة اجتماعية وجنسية أرحب، ماداموا لا يقصرون في واجباتهم العائلية». ثم يعلّق د. السامرائي على كلام السفير بقوله: «فإن صح هذا فهو عين ما عندنا دون زيادة أو نقص»!!

تعليق الدكتور السامرائي هذا لا يمكن أن يمر مرور الكرام على القارئ. فكيف يكون عين ما عندنا ونحن - المسلمين - تنظر إلى الزنا - سواء من امرأة أو رجل - على أنه كبيرة من الكبائر، ومحرّم على نساء المسلمين ورجالهم على حد سواء.. وقد حَذّر الرسول صلى الله عليه وسلم من الزنا، وبيّن أنه من المعاصي التي تخرج من دائرة الإيمان؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» رواه البخاري(1)، ويقول الإمام أحمد(2): «ولا أعلم بعد قتل النفس شيئًا أعظم من الزنى». والله سبحانه وتعالى قرن الزنى بالشرك وقتل النفس: *والذين لا يَدْعُون مع الله إلـهًا آخرَ ولا يقتُلونَ النَّفسَ التي حَرَّم الله إلا بالحقِّ ولا يَزْنُونَ ومن يفعل ذلك يلق أثامًا. يُضاعَفْ له العذابُ يوم القيامة ويَخلُد فيه مُهانًا.* **الفرقان:68-69**. وقال تعالى: *ولا تَقْرَبُوا الزِّنى إنَّهُ كانَ فاحشةً وسَاء سَبِيلاً.* **الإسراء:32**.

كل هذه النصوص يتساوى الرجل فيها مع المرأة والخطاب مُوَجّه لكليهما دون استثناء. ولست بصدد بيان حكم الزنى - فهذا أمر مفروغ منه -، ولكنني أصبو لتقويم خطأ وقع فيه الكاتب حيث ذكر أن الحرية الجنسية للرجال أرحب في مجتمعاتنا! وكيف يكون ذلك ونحن نقرأ كتاب الله وأحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم؟ ومجتمعاتنا - التي نعيش فيها ونخالط أفرادها - تنبذ هذه الخصلة وتعدّها جريمة، وقد شرع الله سبحانه وتعالى إقامة الحد على من وقع فيها؟! هذا والله أعلم.

سليمان محمد النملة
ص.ب 41329، **الرياض** 11521

الهوامش:

1- رواه البخاري، كتاب المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبه.
2- ابن قيم الجوزية: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار القلمين ط1، 1413هـ.

لا يقال : فلان شهيد !



طالعت العدد 251 من الفيصل الغراء، وقد أفدت واستمتعت بما قرأت. ولكن كانت لي وقفة مع مقال «مدرسة المشاغبين» وقد راقني ما في المقال، فنسأل الله أن يجزي كاتبه خيرًا.

ولكن وقفتي كانت مع نعت الأستاذ حسن البنا - رحمه الله - بالإمام الشهيد. وليس هذا خاصًا بحسن البنا، ولكن كثُر وصف كثير من الناس بالشهيد فلان، أو شهيد الإسلام فلان، و.. و.. ونحن نرجو الرحمة للجميع ونتمنى ثواب الشهادة لمن يستحقه من المسلمين، ولكن الوقفة لأننا أمام حكم شرعي ينبغي الوقوف عنده وعدم تجاوزه.

والحكم لأحد من الناس بأنه شهيد أمر غيبي لا يعلمه إلا علاّم الغيوب رب العزة سبحانه وتعالى؛ لذا لا ينبغي لأحد من الناس أن يتجرأ ويتجاسر ويحكم على الناس بحكم غيبي لا يعلمه إلا الله. وقد ترتب على التوسع والتهاون في ذلك امتهان ذلك المصطلح الشرعي العظيم، وأصبح يُوصف به كثير من الناس. والوقوف على الحكم الشرعي أفضل وأوجب، وفي السنة المطهرة - فضلاً عن كلام أهل العلم - ما يثبت

أن الحكم بالشهادة لا يكون إلا بوحي من الله للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

ففي صحيح البخاري باب عنْوَنه - رحمه الله - بقوله: (باب لا يقول فلان شهيد). وهذا - والله - من عظيم فقه الإمام الجليل البخاري، رحمه الله، وفيه أعظم الرد وأبلغه على بعض المتعالمين المتشدقين المتفيهقين الذين يتهمون المُحَدِّثين بقلة الفقه في الدين.

وننقل ما ورد في الباب بنصه لفوائده العلمية والفقهية والمنهجية والحديثية حتى تستقيم الأمور وتعتدل الموازين.

قال البخاري: (باب لا يقول فلان شهيد) قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «الله أعلم بمن يجاهد في سبيله الله أعلم بمن يُكلم في سبيله». حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقال: ما أجزأ منّا اليوم أحد كما أجزأ فلان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما إنه من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه. قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه. قال: فجُرح الرجل جُرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه. فخرج الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أشهد أنك رسول الله. قال: «وما ذاك»، قال: الرجل الذي ذكرت آنفًا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به فخرجت في طلبه، ثم جُرح جرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة». انتهى الباب من الجامع الصحيح للإمام البخاري بنصه. وهو واضح جلي لا يحتاج إلى أدنى بيان أو تعليق.

وفي مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ورد ما نصه: وسُئل فضيلته: هل يجوز إطلاق «شهيد» على شخص بعينه فيقال: الشهيد فلان؟

فأجاب بقوله: لا يجوز لنا أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد حتى لو قُتل مظلومًا أو قُتل وهو يدافع عن الحق. فإنه لا يجوز أن نقول فلان شهيد. وهذا خلافًا لما عليه الناس اليوم حيث رخصوا هذه الشهادة وجعلوا كل من قُتل حتى ولو كان مقتولاً في عصبية جاهلية يسمونه شهيدًا؛ وهذا حرام لأن قولك عن شخص قُتل: هو شهيد يُعدّ شهادة سوف تُسأل عنها يوم القيامة، سوف يقال لك: هل عندك علم أنه قُتل شهيدًا؟! ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من مكلوم يُكلم في سبيل الله - والله أعلم بمن يُكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وكلمه يثعب دمًا؛ اللون لون الدم والريح ريح المسك»، فتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «والله أعلم بمن يُكلم في سبيله» - يُكلم يعني يُجرح - فإن بعض الناس قد يكون ظاهره أنه يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ولكن الله يعلم ما في قلبه وأنه خلاف ما يظهر من فعله، ولهذا بَوَّب البخاري رحمه الله على هذه المسألة في صحيحه فقال: (باب لا يُقال فلان شهيد) لأن مدار الشهادة على القلب ولا يعلم ما في القلب إلا الله عز وجل، فَأَمْرُ النية أمر عظيم، وكم من رجلين يقومان بأمر واحد يكون بينهما كما بين السماء والأرض، وذلك من أجل النية؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» والله أعلم.

انتهت الفتوى من الكتاب المذكور بنصها.

وبعد كل ما سلف فلا شك أن الأمر قد استبان، وعلى المسلمين عامة وأهل العلم خاصة أن يدققوا في ألفاظهم ومصطلحاتهم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

محمد نجيب لطفي
العدوة، الفيوم، مصر.



اللغة العبرية.. مرة أخرى!

قرأت في العدد 251 تعليق الأستاذ عبدالعزيز بن صالح العسكر «هل العبرية لغة حضارة» على موضوع الأستاذ عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود. وعندي هنا بعض الملاحظات أحببت أن أشارك بها:

يجب أن نعي أننا - نحن العرب - مستهدفون من

قبل الكيان الصهيوني، وقد قرأت موضوعًا في مجلة العربي الكويتية، العدد 449، للدكتور محمد الرميحي بعنوان «حالة اللا حرب واللا سلم.. ثقافيًا». وذكر في هذا المقال أن هناك إحصاءً ذكر وجود خمسة عشر مركزًا للدراسات الاستراتيجية والسياسية في إسرائيل، مهمتها البحث وتقديم الدراسات عن العالم العربي.

فنحن، يا أخي الفاضل، في حالة حرب مع الكيان الصهيوني. ولكي نكون أكثر استعدادًا يجب علينا تعلم لغتهم واعتمادها في مناهجنا الدراسية، بغض النظر عن أهميتها من عدمه، وما إذا كان تعلّمنا هذا، وفي هذا الظرف والزمن، يؤكد - كما يقول العسكر - إعجابنا، وقناعتنا، والمبالغة في ذلك إلى حد «طلب» فرضها في مراحلنا التعليمية كافة..!

ليس بالضرورة أن نكون معجبين بها بمجرد تعلمنا لها، وليس بالضرورة أننا مقتنعون بها. ولكن الأوضاع الراهنة تحتم علينا أن نفهم هذه اللغة، لنتمكن من مسايرة الأحداث.

وليس يعني تعلمنا هذه اللغة أن نهمل لغتنا، أو يجرنا ذلك إلى الإعجاب بها، وتفضيلها على العربية.

فهل يضيرنا شيء إذا تعلمناها، ولو كان ذلك من باب الاطلاع والثقافة العامة؟ ومن جهة أخرى يجب علينا أن نوسع فهمنا للغة العربية، وننادي بانتشارها والعمل بها بكل قوة، لأنها لغة تفوق جميع اللغات.

يقول الرميحي في موضوعه الآنف الذكر: «إن إسرائيل أحيت لغة ميتة ظلت غير منطوقة قرابة ألف وثمانمئة عام باستثناء استخدامها في الطقوس الدينية، واليوم يتكلمها - قراءة وكتابة - زهاء أربعة ملايين يهودي إسرائيلي». وهذا الأمر يدعونا إلى التأمل في حرص هؤلاء القوم على لغتهم، ومحاولة فهم العالم العربي بكل حذافيره. فلماذا لا نحاول فهم اللغة العبرية والعالم اليهودي بكل حذافيره؟

أحمد معتوق محمد العيثان

ص.ب 35193، الأحساء 31982.

قراءة في «الكفة الشائلة»



من خلال مطالعتي لأبواب العدد 248 قرأت نصًا بعنوان «الكفة الشائلة» للدكتور محمد أحمد الشافعي. وهي المرة الأولى التي أقرأ فيها لأخي الدكتور محمد.

لقد عالج الكاتب في نصّه موضوعًا غاية في الأهمية يستحق الوقوف عنده طويلاً، وأنا أشاركه خاتمة نصّه «وأدرك مدى حاجته إلى الحكمة». ولكن ما استرعى انتباهي في النص وأردت الوقوف عنده بعض الملاحظات على أسلوب المعالجة؛ علمًا بأنني لست أكاديميًا في النقد الأدبي، ولكنني قارئ متذوق للأدب ومتابع للحركة النقدية.

أولاً: ما قرأته أقرب للحكاية من القصة القصيرة نظرًا لأسلوب الحكاية المستخدم في النص.

ثانيًا: استخدم الكاتب عبارات بلاغية وصورًا أدبية جمالية في النص ومنها «كلما اجترّ الإهانة، تبدت مرارتها في طعم جديد» و«افترسه الهم» و«ندم على أنه لم يبصق ضيقه في وجوههم»، و«أسرته الكآبة»،...

ثالثًا: نعرف بداهة أن القرّاء مختلفو المستويات العلمية، ولذلك نُواجَه في النص ببعض المفردات أو العبارات أو التراكيب التي تشكل على فهم القارئ العادي منها: «صليل الجلاجل»، «يَتَفَرّى من الغيظ»، «مسكة من الحياء»، «وَهَزَ أول من انبرى له»، «أفكارها المتحذلقة».

رابعًا: من حيث الأسلوب أرى أنّ الكاتب زجّ أو أقحم بعض العبارات في النص لغاية بلاغية فقط، وكان بإمكانه استخدام عبارات أخرى أقرب للقارئ منها: «أبين من صليل الجلاجل»، «كانوا يهرفون».

كما نلحظ ظاهرة التكرار عند كاتبنا ففي الفقرة الأولى يقول: «يتفرّى من الغيظ» وفي الفقرة الثانية يقول: «لو يتفجّر من الغيظ».

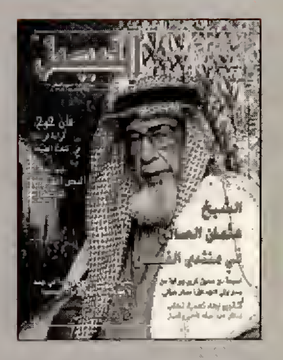
خامسًا: يستخدم الكاتب العبارات التالية: «مسكة من الحياء» ما معنى «مسكة»؟ «كانوا يهرفون» ليدلل على كثرة الكلام أو الكلام الفارغ علمًا أن معنى «الهرف» كثرة المدح. ويقول: «يدك عنق أحدهم» ما ضرّنا لو استخدمنا «يدق»، ويقول: «ما عانى من تفوق الحاسة» للدلالة على قوتها لذلك نقول: «قوة الحاسة»، ويقول أيضًا: «وَهَزَ أول من انبرى له» ما ضرّنا لو استخدمنا «دفعه، أو ضربه».

سادسًا: من الناحية اللغوية، قال كاتبنا العزيز: «وامتعض لكلالة سواعده» بصيغة الجمع، والأولى أن نقول «لكلالة ساعده أو ساعديه».

مع الشكر والتقدير والاحترام للدكتور محمد أحمد، ونبقى تلاميذ في مدارس الكبار.

محمد أحمد سعد

ص.ب 1061، جرش 26110، الأردن.



فان جوخ..
بين الرسم والكتابة

قرأتُ موضوع الأستاذ كامل يوسف حُسين في العدد 249 الذي عنوانه «فان جوخ.. قراءة فريدة في كتاب الطبيعة»، وتحدث فيه عن الفنان التشكيلي فنسينت فان جوخ، وَرَسَمَ ما كان يتمتع به من أسلوب مميز في قراءة مكونات الطبيعة الجميلة وتجسيد إيحاءاتها في لوحاته المختلفة.

لقد ضمّن الكاتب في مقالته بعض ما قاله الفنان فان جوخ في كتاباته ورسائله العديدة التي يبدو فيها أسلوب كتابي جيد، ووصف متحرك لما يختلج في نفسه وما يخرج به من انطباعات عن الطبيعة، أو في ما يعتريه من مشاعر متباينة في حزنه وعزلته وانطوائه. ويبدو أنّ تلك الخطابات كانت سلواهُ في ذلك كله، وقد كان يسجّل فيها مشاهداته ورؤاه كتابةً قبل أن يُعالج الكثير منها بفرشاته وألوانه.

وأحبّ أن أضيف ما قرأته عنه؛ علّ في ذلك مزيد فائدة في تَعَرُّف هذا الفنان وما كان يتمتع به من موهبة أخرى هي الكتابة.

وقد تقلب فان جوخ في وظائف عدة، فعمل وكيلاً فنيًا ومدرسًا، ثم حاول أن يسير خلف أبيه فيصير رجل دي.، فلما أخفق في هذا كانت بدايته فنانًا. وقد كتب لأخيه يقول: «أشعر وأنا أخرج من ربقة تعاستي، بأنّ قوتي تعود إليّ، وأقول لنفسي: مهما حدث، فإنني متمسك بالحياة، وسوف أعود إلى أقلامي الملوّنة التي نَحَّيْتُها جانبًا تحت تأثير إحساسي بخيبة رجائي، وسوف أبدأ في الرسم من جديد..».

ويصف جوخ، في خطاب لأبويه، رحلة بالقطار في إنجلترا، وكأنه يضع خطوطًا أوليّة للوحة جديدة، يقول: «مررنا بمنطقة عامرة بالتلال التي كانت سفوحها فقيرة بالنباتات، بينما غطّى السنديانُ قممها، وقد ذكّرني ذلك بغاباتنا. ورأيت بين التلال قرية وفيها كنيسة رمادية اللون، تكسوها أفرع اللبلاب، وتشاركها في ذلك سائر البيوت. وكانت أشجار البساتين مُزهرة، بينما تلوّنت السماء بالأزرق الخفيف، وتناثرت سحب رمادية وبيضاء..».

وبعد خروجه من المصحة تغيرت ألوانه المعتادة فصارت باردة، وشاع فيها الحوار بين الأزرق والأصفر ـ كما ذكر كاتب مقالنا ـ وكتب جوخ يقول: «.. إنها حقول القمح المترامية تحت السماء المضطربة؛ وأنا قد كففتُ عن محاولة رصد الحزن والوحدة الشديدة..»(*).

إن هذه الثروة من الرسائل تحتاج إلى مراجعات متنوعة، لعلها تفيد دارسي الفنون، والمهتمين بشخصية الفنان.

لقد اختطفت عيناي خبرًا في إحدى الجرائد يقول عنوانه: إنّ بعض لوحات فان جوخ تُسرق.. ولم أتمكن من معرفة التفاصيل.. فمن يأتينا بالخبر اليقين؟!

محمد أحمد عبدالله الزهراني

ص.ب 7330، الظهران 31261.

(*) عن مجلة «العربي»، العدد 454، سبتمبر 1996م، ص192-193 بتصرف يسير.

قصيدة

صحوة

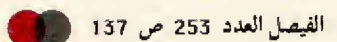
شعر:

محمد حمد الصويغ

كيف نمحو..
بعد ليلٍ ضَمَّنَا
برداء الحب
هاتيك القيود؟
ليتنا كنا..
سرابًا ضائعًا
لم نجرب بعد
آلام العهود

* * *

.. لم نقيد بالأماني
صيحة..
أنقذتنا
من تباريح الجوى
شاءت الأيام..
أن نصحو بها..
فصحونا..
بعد أن شاء الهوى!



مريضكم أكل لحم حمار!!

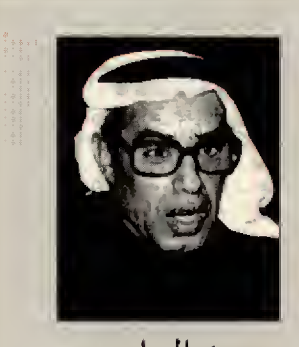
المُعالجون ثلاثة: مُعـالج بعِلْمِـه، ومعالج بِهَمِّهِ، ومعالج بِشَمِّهِ.. وكلهم على همِّ العلاج سواء..

لتكن البداية بمن يمتهن العلم أسلوبًا في تخاطبه مع مرضاه، من خلال أخلاقيات الطب وإنسانية الطبيب، بعيدًا من الامتهان والارتهان.. حيث مثالية الأمانة وقدسيّتها وحصيلتها المرجوة.. وهذا عين الصواب.

وإذا كان العلم بفعاليته يشكل ذروة التعامل بين طبيب ومريض.. فإن لِلْهَمِّ جادته المغايرة من حيث انعكاساتها على نفسية المريض؛ لا على صحته وحدها؛ بل على حصيلته المادية أيضًا، التي تُستنزف بغير وجه حق في تعامل غير أخلاقي يؤدي تجسيد الوهم فيه دورًا نشطًا من أجل الابتزاز بما قد يوحيه الطبيب المعالج، وما يفتحه من ثغرات عن أمراض وأعراض لا وجود لها تطيل أمد الاستنزاف والمراجعة.. وكل شيء بحسابه!!

أما حكاية «الشَّمِّ» فلها قصة أو (حدوتة) تُروى.. لا أدري أمنتزعة من الخيال، أم مستمدة من واقع بعيد؟ إلا أنها في وقائعها الغريبة قد تبدو واقعًا معيشًا يعيشه بعض الناس ممن تلفُّ الخرافة والخزعبلات أذهانهم لأنهم يعيشون خارج دائرة الوعي والنضج.. والتفكير..

يحكون عن قرية نائية متخلفة من بقايا الماضي.. استطاع مشعوذ بذكائه وخبثه وقدرته على الإقناع والإيقاع أن يفرض نفسه طبيبًا معالجًا.. ولكن كيف يعالج؟!



سعد البواردي

في بيت المريض يحلق عينيه.. يفتح حاسة شمه واسعة إلى أقصاها.. ومن خلال الرؤية.. ومن خلال الرائحة داخل فناء الدار يحدد للسذج من حوله أسباب المرض..

مرة لأنه تناول طعام كذا وكذا بشراهة.. ومرة لأنه أوغل في شرب كذا وكذا بنَهَم!!

كل الأدلة من حوله تساعده على أن يصدقه من حوله، ويعترفون له بالمهارة والقدرة على كشف أسباب المرض.. لأنهم يشهدون بأم أعينهم بقايا من البقايا.. فلِمَ لا يصدقون؟!

يموت من يموت، ويبرأ من سقمه من يبرأ، دون تدخل منه لأنه يكتفي بالتشخيص.. وكفاية، وأخذ ما تيسر من أجر.

وقبيل موته كشف لابنه سر ما يجهله الآخرون عنه. أوصاه ـ كطبيب للمستقبل ـ أن يحذو حذوه.. أن يَتَعَرَّف الأشياء من حول مرضاه.. يدير عينيه.. ويفتح خياشيمه.. ثم يقرر..

ولأن مسحة الذكاء والخبث لا تُوَرَّث.. فقد خانت التجربة الابن عند أول حالة صادفته وقد دُعي إليها على عجل..

في بيت مريضه استرعى انتباهه وجود «وثارة» حمار تحتل مكانًا قصيًا من ساحة الدار.. لم يتردد لحظتها أن يعلن على مرأى ومسمع ممن حوله أسباب العلة.. قائلاً:

ـ لقد أكثر مريضكم من أكل لحم الحمار!!

افتضح أمره.. باح بالسر الذي هداه إليه والده.. ولكن بعد أن استمرت مسرحية العبث فصولاً وفصولاً كانوا جميعًا من حولها يصفقون.. ويصدقون..

ترى.. هل ما زال حتى يومنا هذا، وفي أي بقعة من هذا العالم ـ قريبة كانت أو نائية ـ من يتهم أحد مرضاه بأنه أكثر من أكل لحم «حمار».. أو حتى لحم «كلب».. أو «فأر»؟

من يدري؟!

نادي الطائف الأدبي



معالي الأستاذ فهد بن معمر محافظ الطائف بالنيابة في جولة بأحد المعارض التي أقامها النادي



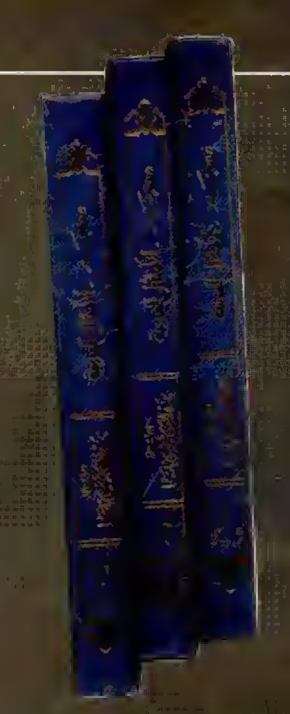
الأستاذ حمد القاضي يتحدث في محاضرة نظمها النادي عن «المجلات الثقافية .. حاضرها وتطلعاتها»



مبنى نادي الطائف الأدبي

تأسس نادي الطائف الأدبي عام 1395هـ بهدف نشر الأدب والثقافة بين أعضائه، ونشر الوعي بين الجمهور العام؛ متخذًا وسائل متعددة لتحقيق ذلك بما يتلاءم مع العقيدة الإسلامية. ومن هذه الوسائل: عقد الندوات والمحاضرات، وإصدار نشرة دورية باسم: ملف نادي الطائف الأدبي وهي «سوق عكاظ» حاليًا، وإنشاء مكتبة تضم كتبًا دينية وأدبية وثقافية وعلمية، واستخدام الفيديو بوصفه وسيلة تثقيفية، وإجراء البحوث ونشر الكتب، والانضمام إلى الروابط والجمعيات الأدبية في البلاد العربية، وتبادل المعلومات والبحوث والكتب معها، وتنظيم مسابقات ثقافية في مجالات القصة القصيرة والشعر والبحوث والدراسات الأدبية، والعناية بالطلاب ذوي المواهب الأدبية وتشجيعهم على الإنتاج، وتنظيم لقاءات أدبية بين أدباء المنطقة، واستضافة أدباء المملكة والأدباء من مختلف أنحاء العالم العربي.

وقد حقق النادي منذ إنشائه إنجازات كثيرة؛ فقد نظم أكثر من 195 محاضرة، وأقام أكثر من 120 ندوة وأمسية، وبلغ عدد المعارض التي نظمها أكثر من 23 معرضًا، وإصداراته من الكتب والدوريات تربو على 150 إصدارًا. وكان النادي يُصدر مجلة دورية ابتداء من العام 1397هـ باسم «ملف نادي الطائف الأدبي»، فتغيرت إلى «سوق عكاظ» في العام 1415هـ.



صدر حديثًا عن :

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

ثلاثة أجزاء من:

معجم الأمثال العربية

للأستاذ خيرالدين شمسي باشا

تأسيس عمر بن الخطاب رضي الله عنه للديوان

تأليف: د. مصطفى فايدة

الأستاذ بجامعة مرمرة في اسطانبول

نقله من التركية:

د. مسعد بن سويلم الشامان

الأستاذ المشارك بكلية الآداب، جامعة الملك سعود بالرياض

للاستفسار أو لحجز نسخ: هاتف: 4652255، فاكس: 4659993 ص.ب 51049، الرياض 11543، المملكة العربية السعودية.



كما صدر حديثًا عن :

دار الفيصل الثقافية



شعر مزينة في الإسلام

حتى نهاية القرن الثاني الهجري

تأليف: د. عبدالمجيد محمد الإسداوي

للاستفسار أو لحجز نسخ: هاتف: 4653026، 4653027، فاكس: 4647851 ص.ب 3، الرياض 11411، المملكة العربية السعودية.